

المركز القومى للترجمة

التسامح

النظرية والبحث والممارسة

تحرير: ميشيل إ. ماكلو
كينث آ. بارجمنت
كارل إ. ثورسين

ترجمة: عبير محمد أنور

2057



بزغ التسامح باعتباره موضوعًا مثيرًا فى علم النفس بعد عقود من التجاهل، مع تطورات جديدة مثيرة فى كثير من مظاهره، وهذا الكتاب يزودنا بخلاصة وافية للمهارات الرفيعة التى نعرفها عن هذا الموضوع، ونحن ندخل ألفية جديدة، وينبغى أن يكون موضع اهتمام واسع من قبل كل فرد مهتم بالعواقب المؤلمة لعدم التسامح - كحالات النفور، والطلاق، والصراع العرقى، والحرب العالمية - التى قليلا ما يتطرق إليها.

إنه كتاب واف على نحو ممتاز يطرح أسس مجال بحثى بينى، ويعد نقطة انطلاق لأى فرد يتساءل حول مفهوم التسامح، ويبحث عن مدخل تمهيدى للبحوث المعاصرة فيه، وهو مرجع مثالى لأولئك الذين ينشدون تحليلاً شاملاً لهذا المجال البحثى.

تصميم الغلاف: نيرفانا

التسامح

النظرية والبحث والممارسة

المركز القومى للترجمة

تأسس فى أكتوبر ٢٠٠٦ تحت إشراف: جابر عصفور

مدير المركز: أنور مغيث

- العدد: 2057
- التسامح: النظرية والبحث والممارسة
- ميشيل إ. ماكلو، وكينث آ. بارجمنتن، وكارل إ. ثورسين
- عبير محمد أنور
- اللغة: الإنجليزية
- الطبعة الأولى 2015

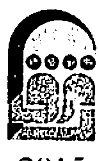
هذه ترجمة كتاب:

FORGIVENESS: Theory, Research, and Practice
By: Michael E. McCullough, Kenneth I. Pargament
& Carl E. Thoresen

شارع الجبلاية بالأوبرا- الجزيرة- القاهرة. ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ فاكس: ٢٧٣٥٤٥٥٤
El Gabalaya St. Opera House, El Gezira, Cairo.
E-mail: nctegypt@nctegypt.org Tel: 27354524 Fax: 27354554

التسامح
النظرية والبحث والممارسة

تحريـــــــر : ميـــــشيل إ. مـــــاكلو
كينـــــث آ. بارجمنـــــت
كـــــارل إ. ثورســـــين
ترجمـــــــة : عبيـــر محمـــد أنـــور



2015

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

التسامح : النظرية والبحث والممارسة / تحرير ميشيل . إ. إماكيو ؛ كينث أ.بارجمنت ؛ كارل إ.ثوريسين ؛ ترجمة: عبير محمد أنور .
ط ١ – القاهرة : المركز القومي للترجمة، ٢٠١٥
٦٤٠ ص ، ٢٤ سم
١ – التسامح
٢ – التسامح الدينى
(أ) ماكلو ، ميشيل .أ. (محرر)
(ب) بارجمنت ، كينث .آ. (محرر مشارك)
(جـ) ثورسين ، كارل .أ. (محرر مشارك)
(ء) أنور ، عبير محمد (مترجمة)
(هـ) العنوان ١٧٩,٩

رقم الإيداع ٢١٩٠٤ / ٢٠١١
الترقيم الدولي : I.S.B.N 978- 977-704-909-3

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

المحتويات

إهداء

إلى بيلى .. من قلب ملىء بالحب.

ميشيل ماكلو

إلى زوجتى إلين وولديَّ جونثان وبنيامين مع امتنانى لهبات الحب التى منحونى إياها.

كينث بارجمنت

إلى كاى أرمسترونج ثورسين الذى أثبت لى لحسن حظى ومنذ ما يزيد عن أربعين عامًا أنه أكثر مهارة فى فن التسامح وعلمه، وأيضًا إلى إيكناث إيسوارن الذى ضرب بحكمته العميقة مثلاً لكيف يتيح لنا الحب والشفقة والتسامح حياة أكثر امتدادًا على الدوام .

كارل ثورسين

مقدمة المترجم

التسامح ببساطة يعنى نبذ المشاعر والأفكار والسلوكيات السلبية تجاه من أساءوا إلينا، واستبدال مشاعر وأفكار وسلوكيات إيجابية بها، فيتيح التسامح لنا أن نُعايش مشاعر التعاطف والرحمة والحنان لمن أساءوا إلينا، ونحمل كل هذه المشاعر فى قلوبنا مهما بدا لنا العالم من حولنا، والتسامح هو الطريق إلى الشعور بالسلام الداخلى والسعادة، وهو سبيلنا إلى الطمأنينة رغم الشعور بالألم، والاستمرار فى الحياة بعد تعرضنا للإيذاء من الآخرين، ويساعدنا التسامح على تحمل مسئولية ما نشعر به، وعدم التوقف عن الأمل لمجرد أننا تعرضنا لألم ما.

والتسامح فى "لسان العرب" لابن منظور، ثرى المعانى، ومعظم هذه المعانى مشتق من (سمح). والسماح والمسامحة: الجود والعطاء عن كرم وسخاء، وليس تسامحًا عن تنازل أو منة. والمسامحة: المساهلة. وتسامحوا: تساهلوا، لأن "السماح رِباح " كما جاء فى الحديث الشريف، بمعنى أن المساهلة فى الأشياء تُربح صاحبها. وتقول العرب: " عليك بالحق فإن فيه لمسمحًا، أى متسعًا. فالتسامح حق يتسع للمختلفين (١: ٢٠٨٨). وعمومًا يستخدم التسامح فى اللغة العربية ليدل على السياسة التى يتجمل بها الفرد فى التعامل مع كل ما لا يوافق عليه، ويصبر عليه، ويُجادل فيه بالتى هى أحسن، ويتقبل وجوده بوصفه حقًا من حقوق المخالفة، ولازمة من لوازم الحرية التى يقوم عليها معنى المواطنة فى الدولة المدنية الحديثة (٢: ٦٧).

وإذا انتقلنا إلى تحديد **ماهية التسامح من المنظور النفسى**، فسنلاحظ أن الباحثين المعنيين بتحديد ماهية التسامح انقسموا فريقين؛ يرى أنصار الفريق الأول أن التسامح هو: " تخلى المُساء إليه عن حقه فى الانتقام ممن أساء إليه، والتغلب على مشاعر الاستياء والمرارة والغيظ والغضب" (3: ٣، ١٨). وهو " الانصراف الذهنى عن الانفعالات والأفكار والسلوكيات السلبية تجاه المسىء "(٢٠: ٨). ويرى أنصار الفريق الثانى أن التسامح لا يتضمن فقط تخفيض الانفعالات والأفكار والسلوكيات السلبية تجاه المُسىء، ولكنه يتضمن أيضًا حدوث تغيرات إيجابية، لدى المُساء إليه تجاه المُسئ، ويُعرّف التسامح لدى أنصار هذا الفريق بأنه " تغير يحدث لدى المُساء إليه تجاه المُسىء، ينعكس فى رغبة المُساء إليه فى التخلى عن حقه فى الغضب والغيظ، وإصدار الأحكام السلبية، والسلوكيات غير المبالية، تجاه من سبب له الأذى الجائر، وإبدائه كل أشكال الحنو والشفقة والخير نحوه" (3: ٢٢). ويستجيب المُساء إليه لمحاولات المُسىء لاسترضائه (٩). ويُعرّف أيضًا بأنه " عملية متعمدة تتضمن حدوث تحول من الاستجابة السلبية (الانتقام من المُسىء) إلى الاستجابة الإيجابية" فالفرد المتسامح يحاول بشكل فعال ،أن يحوّل انفعالاته وأفكاره وسلوكياته السلبية تجاه المُسىء، إلى انفعالات وأفكار وسلوكيات أكثر إيجابية، وذلك بغض النظر عن ردود أفعال المُسىء، كاعتذار المُسىء عن سلوكه السابق (7). وينتج عن هذه العملية انخفاض فى دافعية المُساء إليه للثأر ممن أساء إليه، ويصبح أقل نفورًا منه (١٦: ٥). والتسامح أيضًا هو " تعديل الإدراكات السلبية المتعلقة بفعل الإساءة، وإعادة صياغتها، بحيث تتحول الإدراكات السلبية إلى إدراكات إيجابية ".

وبناء على ما سبق يتضمن التسامح ثلاثة مكونات هى:

١- **المكون المعرفى (أو العقلـــى)**: ويتمثل فى اتخاذ الفرد الذى أُسىء إليه قرارًا بالتسامح مع من أساء إليه، ويتضمن كل الأفكار الإيجابيـــة التـــى تشكلت لديه بعد اتخاذه قرار التسامح.

٢- **المكون الوجدانى**: ويتمثل فى كل المشاعر الإيجابية التى يـــشعر بها الفرد الذى أُسىء إليه تجاه من أساء إليه بعد اتخاذه قرار التسامح.

٣- **المكون الـــسلوكى**: ويتمثل فى كل السلوكيات الإيجابية التى يقوم بها الفرد الذى أُسىء إليه تجاه المُسىء إليه كحـــسن معاملتـــه، وإكرامـــه، واحترامه..إلخ.

إذن نخلص مما سبق إلى أن التسامح يتضمن المظهرين الآتيين:

١- تخلى المُساء إليه عـــن المـــشاعروالأفكار والـــسلوكيات الـــسلبية كالغضب والغيظ والاستياء، والرغبة فى الثأر وإيقاع الأذى بالمُسىء.

٢- نمو الانفعالات والأفكار والسلوكيات الإيجابيـــة تجـــاه المُـــسىء كالشفقة والمودة والرحمة وإبداء السلوكيات الخيرية تجاهه.

ويختلف التسامح عن التصالح، فيُعرّف **التصالح** بأنه "استعادة الثقة فى العلاقة مع الآخر من خلال قيام الطرفين المتنازعين بسلوكيات متبادلة جديرة بالثقة تجاه بعضهما (٤: ١٦) فيجتمع المُسىء بالمُساء إليه، ويلتزم كل منهما بأداء بعض الواجبات للآخر. فيتضمن التصالح رغبة طرفى العلاقة فـــى أن يعملا معًا، ويعيشا معًا فى جو من الثقة. وعلى الـــرغم مـــن أن التـــسامح يصاحبه غالبًا محاولات للتصالح، فإن المفهومين مستقلان عـــن بعـــضهما بعضًا، فيمكن أن يحدث التسامح على نحو مستقل عن التصالح، فقد يرغـــب الناس فى الاعتذار أو منح التسامح للآخرين دون أن يسعوا إلى إقامة علاقة

معهم أو استعادتها، والعكس صحيح بمعنى أن يتصالح المُساء إليه مع المُسيء لوجود تفاصيل حياتية مشتركة بينهما، دون أن يحدث تسامح، وقد يعزز التعبير عن التسامح من قبل الفرد المُساء إليه، وإبداء التوبة من قبل الفرد المُسيء حدوث التصالح، ولكنهما عمليتان غير مكافئتين له. (٦: ١٣٥). إذن فالتسامح والتصالح عمليتان مستقلتان، لأن التسامح قد يحدث فى ظل غياب التصالح، فالتسامح عملية أحادية (بمعنى أن المُساء إليه يتسامح بغض النظر عن ردود أفعال المُسيء معه، كإبدائه الاعتذار أو تعبيره عن ندمه وتوبته) ، بينما التصالح عملية متبادلة بين الطرفين المتخاصمين. بينما يرى بعض الباحثين أن التصالح ؛ يعد عنصرًا مهمًا لإكمال عملية التسامح مع الآخر، خاصة فى سياق العلاقات الحميمة، ودون الاعتراف بالخطأ واعتذار المُسيء وتودده للمُساء إليه؛ رغبةً فى التسامح الحقيقى، فلن تحدث عملية تصالح حقيقية، بينما يكون ممكنًا حدوث التسامح مع الذات (١٦: ٥، ٥: ١١، ١٨: ١٢).

وقد نتساءل: هل يعنى التسامح إذن التجاوز عن أخطاء الآخرين؟

الإجابة بالطبع "لا" فالتسامح عملية إيجابية هدفها تعديل موقف الإساءة أو إعادة تصحيحه بما يعود بالخير على كل من المُساء إليه والمُسيء، أو على الأقل إعفاء المُسيء من تهديد أو عقاب المُساء إليه. والتسامح لا يعنى خرق المعايير أو القواعد، ناهيك عن القوانين، وإنما ينصب بصورة مباشرة على التخلى عن الثأر والرغبة فى الانتقام من المُسيء، سواء بصورة مادية صريحة أو بصورة رمزية ضمنية.

ونثير تساؤلاً آخر: هل التسامح نوع واحد أو أنواع متعددة؟

تنقلنا الإجابة عن التساؤل السابق إلى الفقرة التالية.

هناك عدة أنواع للتسامح، فيميِّز الباحثون بين نمطين من التسامح، يُطلق على النمط الأول **التسامح المعرفى (العقلى)**، ويُطلق على النمط الثانى **التسامح الوجدانى**.

فيحدث **التسامح المعرفى** عندما يتخذ الفرد قرارًا بالتسامح، وينعكس ذلك فى انخفاض السلوكيات السلبية، أو زيادة السلوكيات الإيجابية تجاه الشخص الذى أساء إليه، والتى تستهدف مقاومة عدم التسامح، والاستجابة على نحو مختلف معه، وهو قرار يتخذه المُساء إليه، للتحكم فى سلوكه تجاه الشخص المُسىء إليه (٢٣). ويحدث هذا النوع من التسامح، لدى أولئك الأفراد الذين لا ينشدون الانتقام ممن أساء إليهم أو تحاشيه، بل يتمنون له الخير. ولا ترتبط السلوكيات الإيجابية بحدوث تغير فى مشاعر المُساء إليه تجاه الشخص الذى أساء إليه (٢٢). وهو عملية معرفية يتم بمقتضاها استبدال الأفكار الإيجابية بالسلبية، وهو لا يرتبط بالضرورة بتغير المشاعر تجاه المُسىء.

ويشير **التسامح الوجدانى** إلى انخفاض الانفعالات السلبية من خلال استبدالها، فتُستبدل الانفعالات الإيجابية بالسلبية، وتكون الخطوة النهائية فى التسامح الوجدانى؛ الوصول إلى علاقة وجدانية محايدة مع المُسىء، ويحدث هذا فى سياق العلاقات غير الحميمة، كالعلاقة بالغرباء، حيث لا تكون لدى الفرد أية رغبة فى توطيد علاقته بهم فى المستقبل، أو الوصول إلى علاقة وجدانية إيجابية، ويحدث هذا عادة فى سياق العلاقات الحميمة، كعلاقات الأصدقاء والأزواج والآباء.

وقد يحدث أن يمارس المُساء إليه التسامح المعرفى بجدية وصدق، ولكن لا يُعايش التسامح الوجدانى، فلا يحدث تغير فى مشاعره تجاه من أساء إليه، وذلك على الرغم من اتخاذه قرار التسامح، ويحدث أحيانًا أن يُعايش

المُساء إليه التسامح الوجدانى، مثلما يحدث عندما يشعر الفرد الذى أُسىء إليه بالشفقة والحنو والرحمة تجاه من أساء إليه، ولكنه لم يقرر بعد أن يسامحه. وعمومًا تقود الأفكار والقرارات التى يصدرها المُساء إليه ؛ إلى إحداث التغير الوجدانى (١ ، ٢ : ٥). ويترتب على التسامح الوجدانى عواقب إيجابية مباشرة على الصحة، ويساهم فى تحسين نوعية الحياة، بدرجة أعلى من التسامح المعرفى(٢٣).

وهناك نمطان آخران من التسامح، يُطلق على النمط الأول **التسامح الحقيقى**، ويُطلق على النمط الثانى **التسامح الزائف**، ويتضمن التسامح الحقيقى المكونين المعرفى والوجدانى، حيث يُحدث تغيرًا حقيقيًا فى أفكار الفرد الذى أُسىء إليه ومشاعره تجاه من أساء إليه، فيختار – فى هذه الحالة – عن طواعية أن يتخلى عن حقه فى الانتقام منه، ويتخلى عن مشاعر الغضب والغيظ والاستياء، ويمنحه الرحمة والمودة. فالتسامح يحدث عندما يكون المُساء إليه قادرًا على رؤية الإساءة بعين التفهم، فى الوقت الذى يكون قد قرر فيه التخلى عن حقه فى الثأر ممن أساء إليه. ويُشكل التسامح الحقيقى عملية حقيقية، تُحدث تحولاً لدى كل من المُساء إليه والمُسىء.

أما **التسامح الزائف** فيتم التعبير عنه سلوكيًا فقط، فيصدر الفرد سلوكيات تنم عن التسامح، استجابةً للضغوط الواقعة عليه من قبل الآخرين، ومجاراةً للأعراف الاجتماعية، وفى هذه الحالة لا يعايش العمليات المعرفية والوجدانية التى تستثير حدوث التسامح الحقيقى لديه (٢١: ٥). فهو نوع من التسامح السطحى، وهو يحدث عندما يُجبر الفرد الذى أُسىء إليه على أن يتسامح مع المُسىء، أو عندما يكون غير مهيأ لذلك، ففى ظل هذين الظرفين تحدث عملية التسامح الزائف، وعندما يحدث فإنه لا يُحسّن العلاقة بين المُسىء والمُساء إليه، وتترتب عليه عواقب نفسية وجسمية خطيرة على المُساء إليه (10: ١٨).

وهناك **التسامح الأحادى** حيث يختار الفرد الذى أُسىء إليه أن يسامح من أساء إليه، بغض النظر عما إذا كان المُسىء يشاركه هذه العمليــة أو لا. وهناك **التسامح المتبادل** ويشير إلى مجموعة مــن الــسلوكيات الأخلاقيــة، التى يقوم بها كل من المُسىء والمُساء إليه، وتتضمن الاعتــراف بالخطـــأ، وإبداء التوبة من جانب المُسىء، والتسامح من جانب المُــساء إليــه، حيــث يتخلى عن حقه فى إيقاع الأذى بمن أساء إليه، وبذلك يتمكنــان معًــا مــن استعادة علاقتهما (3: ٣).

وهناك أيضًا **التسامح مع الذات والتسامح مع الآخر**. ويُعرّف **التسامح مع الذات** بأنه "الميل لتجنب اللوم الذاتى المفرط، والشعور بالذنب جراء مــا ارتكب الفرد من أخطاء فى حق الآخرين أو فى حق نفسه ". فالفرد المتسامح مع ذاته يعترف بأخطائه (أو أخطائها) ويبدى توبته وندمه، ومع ذلك يتوقف عن الاستياء الذاتى والنقد الذاتى المؤلم (١٩). وهو" اعتراف الفرد بأخطائه، والتخلى عن الاستياء الذاتى مع الاعتراف بالخطأ، وتعزيز مــشاعر الحــب والعطف والسماحة تجاه الذات" (١٠: ٦). ويُعرف **التسامح مع الآخر** بأنه " عملية متعمدة يتم بمقتضاها التغاضى عن الإساءات الموجهة للذات، من قبل فرد آخر أو أفراد آخرين، وتخفيض الانفعالات والأفكار والسلوكيات السلبية تجاه المُسىء، واستبدال الانفعالات والأفكار والــسلوكيات الإيجابيــة بهــا". ويتضمن التسامح مع الآخر حدوث مجموعــة مــن التغيــرات الوجدانيــة والمعرفية والسلوكية للمُساء إليه تجــاه فعــل الإســاءة والفــرد المُــسىء (١٧:٢٠)، ويتفاعلان معًا من جديد، وذلك عندما يتــسامح المُــساء إليــه، ولا يُظهر أية إرجاع أو ردود أفعال سلبية تجاه المُسىء، وعنــدما يحــدث التسامح مع الآخر، يحدث التسامح مع الذات كعملية داخلية.

أهمية الدراسة النفسية للتسامح:

تزايد اهتمام الباحثين بدراسة التسامح منذ سنة (١٩٩٣)، مع زيادة معدل الأحداث الفاجعة قوميًا ودوليًا، وتعددت مجالات الاهتمام، فدُرس في مجال العلاقات الأسرية والزواجية، ومجال العمل الاجتماعي، ووُظف كأسلوب علاجي، واستخدم على نطاق واسع(١٨:١).

ويرجع اهتمام الباحثين بدراسته على نطاق واسع خلال السنوات الأخيرة إلى أهمية هذا المفهوم، وارتباطه بالصحة النفسية والجسمية. فالتسامح يعد خطوة مهمة؛ لاستعادة العلاقات المتصدعة، والثقة المتبادلة بين طرفي العلاقة نحو مزيد من التناغم، كما أنه يسهم في حل المشكلات القائمة، ويمنع حدوث المشكلات المستقبلية. كما توصل ماكلو (١٩٩٨) إلى أن التسامح يحدث بمعدل أعلى عند التورط في الإساءة وذلك بالنسبة إلى العلاقات الحميمة، كما ارتبط التسامح باستعادة العلاقات بعد الإساءة المتبادلة (٩)، فالتسامح يمارس دورًا مهمًا في العلاقات الأسرية والزواجية، والعلاقات الحميمة، وعلاقات العمل، وييسّر حدوث الثقة والتعاون والانتماء، والتي تعد جميعًا ذات أهمية كبيرة؛ لإقامة علاقات اجتماعية مُرضية وهادفة، واستمرارها ولتحسين نوعية الحياة. ويترتب على عدم التسامح في العلاقات الاجتماعية آثارًا سلبية عديدة منها الفشل في مواجهة توقعات الآخرين، وقصور الكفاءة الاجتماعية، كما يؤدي إلى الإصابة بعديد من الأمراض، ويزيد من معدل الكولستيرول، ويعوق عمل الأوعية الدموية (٢:١٨٢).

كما يمارس التسامح دورًا مهمًا في التنعم بالصحة النفسية والجسمية psychological and physical well-being. حيث إنه قد طُلب من المشاركين في

إحدى الدراسات استدعاء موقف إساءة حدث لهم فعليًا، واتسمت استجاباتهم فيه إما بالتسامح وإما عدم التسامح، ثم قيست التغيرات الفسيولوجية المصاحبة لاستدعائهم لهذا الموقف، فتبين أن المشاركين الذين اتسمت استجاباتهم فى هذا الموقف بعدم التسامح قد أظهروا تغيرات فسيولوجية سلبية، وظلت هذه التغيرات طوال فترة إجراء التجربة، وذلك بالمقارنة بالمشاركين الذين اتسمت استجاباتهم بالتسامح، وفسر الباحثون هذه النتيجة فى ضوء أن التسامح يحافظ على الصحة من خلال تخفيض الاستثارة الزائدة للجهاز العصبى السمبثاوى، فارتبط التسامح فى عديد من الدراسات بانخفاض معدل ضربات القلب وضغط الدم، وزيادة كفاءة الأوعية الدموية.(١٨:٢،١٧:٢٢)، وأجرى لولير Lawler وآخرون دراسة سنة (٢٠٠٣) على أفراد تعرضوا لإساءات من قبل الوالدين، أو الأوصياء عليهم، أو أصدقائهم المقربين، واستهدفت الدراسة الكشف عن علاقة التسامح بالمشقة والعدائية، وحدوث عدد من التغيرات الفسيولوجية، وأسفرت دراستهم عن وجود ارتباط إيجابى دال بين التسامح وانخفاض ضغط الدم، ومعدل ضربات القلب، ومعدلات الاستهداف للأمراض، وزيادة كفاءة الأوعية الدموية (١٨). وفيما يتعلق بارتباط التسامح بالصحة النفسية ؛ أسفرت نتائج الدراسات عن أن التحلى بالتسامح يحمى الفرد من الإصابة بالاكتئاب، كما تبين أن هناك ارتباطًا إيجابيًا بين التسامح مع الذات، وعدد من مؤشرات الصحة النفسية والانفعالات الإيجابية وانخفاض الإحساس بالخزى والرضا عن الحياة وزيادة تقدير الذات والتفاؤل (١٦،١٥،١٤:١٠،١٣،١٢).

كما كان للعلاج بالتسامح آثار إيجابية دالة على الصحة النفسية لدى النساء المسنات، والنساء اللاتى ارتكبن زنا المحارم، والأبناء الذين حرموا من رعاية آبائهم (٨).

عرض الكتاب:

وننتقل الآن لتقديم عرض لفصول هذا الكتاب التى تنهض بالآتى:

١-تقدم عرضًا نقديًا للأفكار النفسية والبحوث الموجودة فى التسامح.

٢- توجز القضايا المتعلقة بالتسامح كمفهوم، وتبرز القضايا المنهجية التى ينبغى تناولها بهدف إرساء أساس قوى من البحوث والممارسات فى التسامح فى السنوات المقبلة.

وعلى الرغم من تبنى الكتاب نظرة متفائلة فيما يتعلق بإمكانات الدراسة النفسية للتسامح، فإنه يركز وبشكل نقدى على المخاطر ومواطن الضعف التى ينبغى تناولها مستقبلاً؛ لإرساء دراسة نفسية للتسامح تتسم بالازدهار والدمج الجيد.

يتكون الكتاب من أربعة عشر (١٤) فصلاً مقسمة عبر أربعة أجزاء، ويبدأ الكتاب بفصل تمهيدى يقدم عرضًا تاريخيًا موجزًا للدراسة النفسية للتسامح، ويستعرض بعض القضايا المتعلقة بتعريف مفهوم التسامح.

ويعالج **الجزء الأول** من المجلد القضايا المتعلقة بصياغة مفهوم التسامح، والقضايا المنهجية الخاصة بدراسته النفسية عبر ثلاثة فصول، يبدأ بالفصل الثانى الذى يقارن التصورات المتعلقة بالتسامح لدى مجموعة من الباحثين الدينيين الذين ينتمون إلى الديانات العالمية الخمس: اليهودية والمسيحية والإسلام والهندوسية والبوذية، وقد صُممت هذه الدراسة المقارنة بهدف توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف فى كيفية فهم التسامح ضمن هذه التعاليم الدينية الكبرى. ويفحص الفصل الثالث سياق التسامح من خلال تناول السياق الثقافى والموقفى النوعى للأفراد المصابين بفيروس نقص المناعة

والإيدز HIV/AIDS الذين يعيشون فى الهند. ويقدم تصويرًا للتسامح يختلف عن التسامح الذى اعتاد المُنظِّرون الأمريكيون رؤيته، وقد عُرض هنا لتوضيح كيف يمكن للسياق الثقافى والموقفى أن يحددا فعليًا فكرتنا عن التسامح. ويعرض الفصل الرابع تصنيفًا تنظيميًا لإمكانات قياس التسامح إمبريقيًا، ثم يعرض إطارًا عامًا لتقييم الكفاءة القياسية للمقاييس الموجودة، وللمقاييس التى يمكن أن تتطور فى المستقبل.

ويتكون **الجزء الثانى** من هذا المجلد من أربعة فصول، وقد كتبت بهدف مراجعة البيانات المتاحة وإحداث تكامل بينها، وتعرض الفصول للجهود التنظيرية الجديدة الخاصة بالدراسة النفسية للتسامح، وهى مستمدة من أربعة مجالات فى أسس البحث النفسى. ففى الفصل الخامس يعرض المؤلفون الجهود التنظيرية الجديدة المتعلقة بالأساس العصبى التطورى لوسع التسامح، ويستعرض الفصل السادس مجموعة من الدراسات المؤثرة التى استهدفت فحص كيف يرتقى الوُسع المعرفى للتسامح عبر دورة حياة الفرد، وكيف يقوم الناس بإحداث تكامل بين المعلومات الاجتماعية عند اتخاذ قرار بشأن التسامح مع من أساء إليهم، ويناقش الفصل السابع كيف يمكن أن نبحث منهجيًا وعلى نحو منظم الفوائد والخسائر المترتبة على التسامح ضمن مجال علم النفس الاجتماعى، حيث يشير المؤلفان اللذان يتبنيان منظورًا للتسامح على أنه عملية متبادلة بين الأشخاص، يشيران إلى الارتباط الوثيق بين إبداء التوبة من قبل المُسىء، وتسامح الضحية، ونتساءل: وهل العكس صحيح؟ أثار المؤلفان هذا السؤال الحاسم " هل يعزز التعبير عن التسامح أيضًا إبداء التوبة؟ "، وحاولا الإجابة عنه، ويعرض الفصل الثامن إطارًا عامًا لكيفية دراسة التسامح على نحو جيد فى مجال علم نفس الشخصية، حيث يقدم ربطًا مثيرًا بين التسامح والتراث الشامل المتعلق بسمات الشخصية الأخرى متضمنةً النرجسية والتفهم والسلوك المميز لنمط "A".

ويتكون الجزء الثالث من خمسة فصول، ويركز هذا الجزء على التقييم النقدى للكيفية التى تم من خلالها (أو التى ينبغى أن يتم من خلالها) دراسة التسامح وتطبيقه فى سياق الإرشاد والعلاج النفسى. فيناقش الفصل التاسع البحوث الخاصة بتطبيق التسامح فى العلاج النفسى الفردى، ويوضح كيف يمكن استخدام أساليب تحليل المهمة؛ لتحديد ما إذا كان التسامح يعد فى حد ذاته عاملاً علاجيًا فى العلاجات النفسية المبنية على التسامح أم لا، ويحاول المؤلفون فى الفصل العاشر إحداث تكامل بين المناحى المتعددة للتسامح، وذلك فى إطار العلاج الزواجى، واقترحوا برنامجًا منظمًا لدراسة الاستراتيجيات الوقائية المبنية على التسامح وتطبيقها فى السياق العلاجى، واستخدم المؤلفون فى الفصل الحادى عشر أساليب التحليل البعدى لاستخلاص بعض الاستنتاجات الجديدة عن كفاءة المناحى الجماعية فى تعزيز التسامح، وقدموا مجموعة كبيرة من التوجيهات الإرشادية لتطبيق الاستراتيجيات المبنية على التسامح فى سياق الإرشاد الجماعى والتعليم النفسى و العلاج النفسى، ويوضح المؤلفون فى الفصل الثانى عشر مدى الاحتياج إلى دراسة التسامح فى سياق علم النفس الصحى والطب السلوكى (هذين المجالين اللذين يهتمان بإجراء بحوث أساسية، وممارسة الإجراءات الوقائية بهدف تحسين الصحة الجسمية)، وإمكانات إجراء مثل هذه الدراسات. و يعرض جون باتون فى الفصل الثالث عشر منحاه العلاجى الخاص، والقائم على استخدام التسامح (تلك العبارة التى قد يتجنب استخدامها هو نفسه فى سياق الإرشاد والرعاية القسية) وأخيرًا يعالج الفصل الرابع عشر الموضوعات التى أثارها الكتاب، ويعرض أهم التوجهات الحديثة فى التسامح، والتى ينبغى أن تكون لها الأولوية فى البحث والتنظير المستقبل.

مقدمة المحررين

لقد قلنا وداعًا لأكثر القرون أهمية فى التاريخ الإنسانى. فعلى الرغم من قدرتنا على تسخير الطاقة النووية، المقترنة بميلنا الفطرى للاعتماد على الوقود القائم على البترول، فإن الحقيقة المروعة التى لا مفر منها هى أن إمدادات العالم من الطعام والماء العذب ليست قادرة ببساطة على أن تجارى النمو الحالى للسكان، والبشر أصبحوا الآن يشكلون القوة الأصلية للطبيعة، وهم قادرون على تغيير طبيعة الأرض (على نحو دائم)، وكذلك تغيير حالتها الحيوية. وإذا لم نطور أساليب للتحكم فى ولعنا بالإبداع وثماره، فإننا قد ننجح فى أن ننتقص من قدر أنفسنا فى التاريخ.

وقد قلنا وداعًا أيضًا لأكثر القرون دموية فى التاريخ الإنسانى، فكثير من البشر ماتوا نتيجة الصراعات العرقية، وانتهاكات القوة الديكتاتورية، والحروب العالمية التى حدثت أثناء القرن العشرين تفوق الحروب التى حدثت فى القرون الماضية. وينبغى بالتأكيد أن نسامح أى إنسان يقترب من الموضوع الرئيسى لهذا الكتاب بقدر من الشك، لأننا على أية حال نعيش آثار كوارث أكثر القرون اتسامًا بعدم التسامح.

ولذلك سيظل القرن الحادى والعشرين (٢١) سجلاً فارغًا، فنحن الذين سنسجل فيه ما سننجزه. وإذا أمكن للجنس البشرى أن يستفيد من الإبداع العلمى (وقوة الإرادة)؛ لتقليص الاعتماد على الوقود الملوث، وتقليل النمو السكانى، وتخفيض حجم الآثار البيئية السلبية، فربما يكون هناك أمل فى مستقبل مؤكد للجنس البشرى وكوكب الأرض. وإذا أمكننا على نحو مماثل

أن نستفيد من التقدم العلمي (وقوة الإرادة)؛ لتقليل النزاع العرقى، والانتهاك السياسى، والصراع العالمى، فربما يجد القرن الحادى والعشرون طريقه بعيدًا عن الشبح الدموى للقرن العشرين (٢٠).

وربما يمارس التسامح دورًا فى إنجاز هذه الأهداف الأخيرة. ويستكشف هذا المجلد كما يوحى اسمه إمكانية حدوث فهم علمي للتسامح، وبشائره، وعواقبه، وتطبيقاته الممكنة بهدف تقليل الشقاء الإنسانى، فنحن نعتقد أن البحوث العلمية التى تتبع المنهج العلمى الدقيق مع التحلى بالشك العلمى المثمر، قد تمارس دورًا فى تحسين فهمنا لكيفية تأثير التسامح فى الأفراد فى كل الأعمار بدءًا من الأطفال الصغار وانتهاءً بالمسنين، والأزواج، والأسر، والمجتمعات، والشعوب.

ونحن متفائلون- بحذر- فى أن الفهم العلمى للتسامح قد يمكن الإفادة منه فى تحسين كثيرٍ من البشر، فعلى سبيل المثال ربما تستطيع المؤسسات التربوية أن تُدرس بنجاح مهاراتِ التسامح بوصفها أسلوبًا لتخفيض الصراع والعدائية، وأيضًا لتعزيز فهم الآخرين واحترامهم. وربما أمكن مساعدة المسنين على تعلم التسامح كإحدى الطرائق التى تقلل الشعور بالإساءة والألم اللذين لم يتم التوصل لحل لهما، ويثقلان عاتق كثير من المسنين فى السنوات الأخيرة من العمر، وستفيد الطرائق الناجحة بالتأكيد من هذا النوع من التقدم العلمى الذى دافع عنه مؤلفو هذا المجلد.

وقد نشأت فكرة هذا المجلد من خلال المناقشة مع سيمور وينجارتين Seymour Weingarten وروشيل سيرواتور Rochelle Serwator فى دار نشر جليفورد، فهما كانا يتبادلان الحوار مع المحرر الأول لهذا المجلد (ميشيل ماكلو) منذ سنة (١٩٩٥) فيما يتعلق بإمكانات الكتابة فى هذا الموضوع. وأثناء سنة (١٩٩٦)، وسنة (١٩٩٧) أغرى المحرر الأول المحررين الآخرين

(كينث بارجمنت، و كارل ثورسين) للمشاركة فى تحرير هذا المجلد، وهما كانا أيضا من المعنيين بالتسامح من منظورهما الأكاديمى الخاص.

وكان أول شيء هو تقرير ما الذى ينبغى أن يتناوله مجلد مُحرر فى العلم الاجتماعى للتسامح. ومن خلال المناقشات المبدئية استنتجنا أن المستقبل المستمر للدراسة العلمية للتسامح يتطلب التحاور الفعال مع المجالات البحثية الحيوية الأخرى لعلم النفس الأساسى والتطبيقى.ولذلك بدأنا فى تحديد الباحثين والعلماء الذين - بمقتضى انغمارهم فى تخصصاتهم البحثية واهتماماتهم الخاصة بالتسامح - يمكنهم استكشاف الحدود البينية لبحوث التسامح مع الموضوع الرئيس لتخصصاتهم، وأهدافها، ومناهجها. ونقرر ببساطة أننا طلبنا من الباحثين المساهمين فى هذا المجلد أن يساعدوا القراء فى أن يكونوا ملمين بالنظريات والبحوث والممارسات الموجودة فى التسامح، ويساعدهم بعد ذلك على بلورة رؤاهم الخاصة فيما يتعلق بالآفاق المستقبلية للتسامح.فإذا نجح هذا المجلد فى هذا الهدف، فإن الوقت والجهد اللذين بذلا فى إعداده قد استثمرا على نحو جيد.

والقارئ المدقق للمجلد الحالى سيتأثر على وجه الحصر بمنظوره النفسى تقريبا. ويعكس التركيز على الفهم النفسى للتسامح جزئيا الخلفية الأكاديمية للمحررين والباحثين المساهمين، ولكنه يعكس أيضا وبدقة حقيقة أن المنح العلمية للتسامح تهيمن عليها حتى الآن التساؤلات النفسية. ونأمل أن تشترك التخصصات الأخرى فى التحاور معنا بصوت مرتفع خلال السنوات القادمة.

ونحن مدينون للكثيرين أثناء تحرير هذا الكتاب. فيجب أن نشكر على وجه الخصوص مؤسساتنا الوطنية ؛ المؤسسة القومية للرعاية للصحية، وجامعة مقاطعة بولنج جرين، وجامعة ستانفورد. ونشكر نورمان أندرسون،

ووارن براون، وبيتى جرايدلى، وإيد هيرتيل، وبيل هويت، ودافيد كينى، وجوشا سميث، وزملاء آخرين كثيرين على تزويدهم لنا بعائد مفيد عن أجزاء الكتاب، وبالإضافة إلى ذلك فنحن مدينون بالعرفان لمؤسسة جون تيمبلتون، التى ساعدتنا - بأشكال عديدة من المساعدة - على أن يخرج هذا الكتاب للنور. ونشكر أيضًا سيمور وينجارتين، وروشيل سيرواتور، وكارولين جرهام بدار جيلفورد للنشر على التشجيع والمعاونة فى كل مراحل إعداد هذا المجلد.

أخيرًا نحن مدينون بالشكر بصدق للمؤلفين الذين أسهموا بوقتهم وطاقتهم وأفكارهم لجعل مجموعة هذه الفصول واقعًا. ونشكرك عزيزى القارئ.

ميشيل م. ماكلو

كينث آ. بارجمنت

كارل إ. ثورسين

المراجـع

١- ابن منظور(١٩٧٩). **لسان العرب**. القاهرة: دار المعارف

٢- أشرف عبد الوهاب (٢٠٠٥). **التسامح الاجتماعى بـين التـراث والتغير**. تقارير التراث والتغير الاجتماعى، مركـز البحـوث والدراسـات الاجتماعية، كلية الآداب، جامعة القاهرة، الكتاب الثانى عشر.

3- Barbee,K.,(2008).Agreeableness facets and forgiveness of others, phD, Dissertation ,Faculty of the school of psychology & counseling ,Regent University.

4- Coperland,K.,(2007).Sexual trauma ,forgiveness and health.PhD, Dissertation, Faculty of the school of psychology & counselling ,Regent University.

5- Crandell,A.,(2008). Lifetime victimization among university undergraduate students :Associations between forgiveness ,physical well being and depression,MsE, Thesis,University of Massachusetts Lowell.

6- Exline,J.J.& Baumeister,R.F.(2002). Expressing Forgiveness and Repentance: Benefits and Barriers. In: M.E.McCullough, K.I. Pargament,& C.E. Thoresen (Eds.) , Forgiveness: Theory,Research ,and Practice (pp133-155). New York: The GuilfordPress.

7- Green,J.,Burnette,J.,&Davis,J.,(2008). Third –Party forgiveness: Not forgiving your close others betrayer. Society for personality and social psychology,1-12.

8- Hansen,M.,(2002). Forgiveness as educational intervention goal for persons at the endof life ,. Unpublished doctoral dissertation, university of Wisconsin-Madison.

9- Kachadourian,L.,Fincham,F.,&Davila,J.,(2004). The tendency to forgiveness in dating and married couples :The role of attachment and relationship satisfaction.Personal relationships,11,373-393.

10- Klevnick,L.,(2008).An Exploration of the relationship between mindfulness and forgiveness ,PhD, Dissertation ,Ontario Institute of Studies in Education of the University of Toronto.

11- Lawler,K.,Younger,J.Mpiferi,R.,Billington,E.,Jobe,R.,Edmons,K.,& Jones,W.,H., (2003).Achange of heart: cardiovascular correlates of forgiveness in response to interpersonal conflict. Journal of behavioral medicine, 6,5,373-393.

12- Maltby,J.,Day,L.,&Barber,L.,(2004). Forgiveness and mental health variables: Interpreting the relationship using an adaptational continuum model of personality and coping. Personality and individual differences,37,1629- 1641.

13- Maltby ,J. ,Day, L.,& Barber(2005).Forgiveness and happiness , the differing contexts of forgiveness using the distinction between hedonic and ediamonic happiness.Journal of happiness studies,6,1-13.

14- Martin ,A.,(2008).Exploring forgiveness: The relationship between feeling forgiveness by Good and self forgiveness for an interpersonal offense ,. Unpublished doctoral dissertation ,Case Western Reserve University.

15- Orth,U.,Berking,M.,Walker,N.,Meier,L.,&Znoj,H.,(2008). Forgiveness and psychological adjustment following interpersonal transgressions: A longitudinal analysis.Journal of research in personality ,42,365-385.

16- Philpot,C.,(2006). Inter-group apologies ,PhD ,Dissertation, university of Queensland , Brisbane ,Australia.

17- Porter,L.,(2003). Personal narratives as reflections of identity and meaning :A study of betrayal ,forgiveness and health,PhD, Dissertation ,University of Tennessee,Knoxville.

18- Rainey,C.,(2008).Are individual forgiveness interventions for adult more effective than group interventions ?: Ameta analysis, PhD, Dissertation ,Florida State University ,College of Human Science.

19- Romero,C.,Kalids,M.,Elledge, R.,Chang,J.,Liscum, K.R.&Friedman,L., (2006).Self- Forgiveness ,Spirituality and Psychological Adjustment in Women With Breast Cancer, Journal of Behavioral Medicine,22,1,29-36.

20- Sinha,R.,(2008). Road to forgiveness: The influence of individual differences ,apology and perspective taking, MsE.Thesis ,Michigan state university.

21- Tenenboim,T.,(2009). Forgiveness in the Israelian- Palestinian conflict, PhD, Dissertation, Boston University,Graduate School of Arts and Science.

22- Toussaint ,L.,& Friedman,(2008).Forgiveness ,gratitude and well- being: the mediating role of affect and beliefs. Journal of happiness studies,10, 1-10

23- Worthington, E. L., Van Oyen Witvliet, C., Pietrini, P., & Miller, A. J. (2007). Forgiveness, health, and well-being: A review of evidence for emotional versus Decisionalforgiveness, dispositional forgivingness,and reduced unforgiveness. Journal of Behavioral Medicine, 30, 291–302.

الفصل الأول

الدراسة النفسية للتسامح
قضايا تاريخية ونظرية ونظرة عامة

تأليف: ميشيل ماكلو و كينث بارجامنت
وكارل ثورسين

نحن مغمورون بالاعتذارات العامة وتعبيرات التسامح، فنقرأ في المجلات قصصًا توردها المنظمات الذكورية، والتي تقدم من خلالها الاعتذار للنساء عن سلوك الرجال الذين يفشلون في تحمل مسئولياتهم أزواجًا وآباءً. ونقرأ في الصحف أن إحدى الجمعيات في كينتوكي Kentucky تبدي تسامحًا تجاه الشاب الذي أطلق الرصاص على زملائه وقتلهم، ويمنح مقدمو البرامج التلفازية النهارية الفرصة للمرشحين المتنافسين لإبداء اعتذار عام إلى منافسيهم الذين أساءوا إليهم أو خدعوهم ببعض الأساليب، ويستحثونهم على أن يتسامحوا معهم. وكلنا يعرف بالطبع من خلال جميع وسائل الإعلام أن الرئيس كلينتون اعتذر إلى أفراد أسرته وإلى مونيكا ليونسكي وإلى شعبه بأكمله، عن افتقاده الأمانة في فضيحة تورطه في علاقة جنسية. ومن الواضح أن الاعتذارات وتعبيرات التسامح في رواج، فسواء أكانت صائبة أم خاطئة، حقيقية أم زائفة، فيبدو أن لها اهتمامًا إنسانيًا لا يقاوم، وخبايا سياسية.

فهل يشير هذا الطوفان الحالى من الاعتذارات وتعبيرات التسامح إلى أن المواطنين فى العالم أصبحوا حقًا أكثر تسامحًا؟ وهل أصبح الرجال والنساء أكثر مهارة فى التسامح مع آبائهم وأمهاتهم وأزواجهم؟ وهل تعلمت الجماعات العرقية أن تتسامح مع الجماعات التى ظلمتها عبر التاريخ؟ وهل أصبح الناس اليوم أكثر مهارة فى التسامح مع رفقائهم الذين تربطهم بهم علاقات حميمة؟ وهل نحن أكثر رغبة فى أن نسامح هذا الرئيس المعتذر النادم على الرغم من وصفه لقصوره؟.

وتثير هذه الأسئلة أسئلة أخرى فى أذهان العامة: فإلى أين يقودنا اعتذارنا وتسامحنا؟هل تُستعاد العلاقات التى تصدعت؟ وهل تتعلم الجماعات العرقية أن تثق فى بعضها بعضًا على نحو أكثر فعالية؟ وهل سينخفض العنف؟ وهل تصبح الأُسر أسعد حالاً؟ وهل يصبح الأزواج أكثر مهارة؟ وهل يتعايش الناس مع حياتهم بشكل أفضل؟ باختصار هل يقودنا التسامح إلى ما يعدنا به؟

فيعتذر الناس على المستويين العام والخاص؛ لأن تقديم الاعتذارات يدعم بعض الأشياء الإيجابية، ويأملون أن يكون التعبير عن التسامح فعالاً فى جعل العالم (أو على الأقل الجزء من العالم الذى يحيا كل منا فيه) أحسن مكانًا فى المستقبل ولو بدرجة بسيطة.

ويثير العلماء الاجتماعيون الأسئلة السابقة نفسها بطرائق أكثر مهارة، فيثيرون الأسئلة التالية: ما العوامل النفسية المتضمنة فى التسامح؟ وما مكوناته الشخصية والبيولوجية؟ وكيف يرتقى وُسع التسامح capacity of forgiveness عبر دورة حياة الفرد؟ وهل توجه العوامل الفردية التسامح على نحو كبير، أو العوامل الموقفية، أو يوجهه التفاعل بين كل من

العوامل الشخصية والموقفية؟ وهل للتسامح عواقب مرتبطة بالصحة النفسية والجسمية والعلاقات الاجتماعية؟ وهل يمكن حث الأفـراد الـذين ينـشدون العلاج النفسى والإرشادى على التسامح بشكل فعال؟ وإذا كان ذلـك ممكنـاً فإلى أى مدى؟ وهل التسامح حسن تماماً نفسيًا واجتماعيًا، أو إنـه يتـضمن بعض الخسائر بالنسبة للفرد المتسامح وللمُتسامح معه وللمجتمع؟

ويُلاحظ أن البحوث العلمية التى تناولت التسامح لم تكن مناسبة إلى حد كبير، وهذا يفسر لنا تزايد اهتمام كثير من الاختصاصيين النفسيين بمفهـوم التسامح أثناء القرن الماضى، ويمكن أن تقودنا الأسس العلمية التى بدأت فى التدفق فى السنوات الأخيرة إلى تقدم علمى رائـع فـى الـسنوات المقبلـة، وستساعدنا على المزيد من الفهم للطبيعة الأساسية للتسامح، وكيف يرتقـى؟ وعواقبه بالنسبة لصحة الإنسان وتنعمه well- being وعلاقاته.

ولذا يهدف هذا الكتاب إلى استعراض هذه الأسس العلمية المتطـورة، ومساعدة الباحثين المعنيين بدراسة التسامح على أن يحرزوا تقـدمًا علميًـا مثمرًا فى الحاضر والمستقبل.

وينهض هذا الفصل التمهيدى بثلاث مهمات: فسنقدم عرضًا تاريخيًـا موجزًا للدراسة النفسية للتسامح، وسنناقش بإيجاز التعريفات المقدمة لمفهوم التسامح، ونقدم تعريفًا أبعد لهذا المفهوم، يهدف إلى إلقاء الضوء على مواطن الالتقاء بين المناحى المتعددة التى تبناها الباحثون عنـد تعـريفهم لمفهـوم التسامح وصياغته إجرائيًا، وأخيرًا نُعلق على البحوث الكبرى التى استهدفت تطوير الدراسة النفسية للتسامح كفرع مستقل بذاته، ونقـدم مجموعـة مـن الفصول نعرضها فى الجزء الأخير من هذ الكتاب.

الدراسة النفسية للتسامح: نظرة تاريخية موجزة:

لم يستحوذ مفهوم التسامح على اهتمام منظم من قبل علماء النفس فى معظم فروعه ذات الجذور التاريخية القصيرة، فبالنظر إلى فرويد ذي الإنتاج العالمى الخصب، والذى كان يتسم بقدرته على إلقاء الضوء تقريبًا على كل ما هو نفسى، نجد أنه من اللافت إلى النظر أنه لم يكتب شيئًا عن التسامح، ويمكن أن ينطبق هذا على مبدعين آخرين كوليام جيمس William James وستانلى هل Stanley Hull وثورندايك Thorndike ولويس تيرمان Lewis Terman وجوردون ألبورت Gordon Allport، فلماذا لا نجد أدنى إشارة إلى التسامح فى كتابات هؤلاء المبدعين؟.

ونجد فى مجالات الصحة النفسية اهتمامًا ضئيلاً بظاهرة التسامح الإنسانى لدى رواد مثل كارل يونج Carl Jung وكارين هورنى Karen Horney وألفريد أدلر Alfred Adler و فيكتور فرانكل Viktor Frankl. ويمكن أن نستنتج من ذلك ببساطة أن هؤلاء الباحثين كان لديهم مشروعاتهم البحثية التى يعنون بها، ولذا لم يكن بإمكانهم تركيز انتباههم على كثير من الظواهر الإنسانية المهمة (متضمنة التسامح).

ومن جهة أخرى هناك مبررات أساسية يمكن أن تفسر تجاهل علماء النفس النسبى للتسامح فى العقود المبكرة، يشير أحد هذه المبررات إلى حقيقة مؤداها أن التسامح تم تجاهله فى كل المجالات الأكاديمية، ولم يقتصر الأمرعلى الدراسات الاجتماعية فقط (Enrigh&North,1998). ونشير أيضًا إلى مبرر آخر يتمثل فى ذلك الارتباط التقليدى بين التسامح والمعتقدات الدينية، والعلماء الاجتماعيون ينفرون من دراسة القضايا الدينية (Gorsuch,1988)، ويشير المبرر الثالث إلى الصعوبات التى قد ترتبط بجمع بيانات عن التسامح تتسم بالثبات، خاصة أثناء الفترات التى كان علماء النفس يصرون فيها على تحليل السلوكيات القابلة للملاحظة. ويشير المبرر الأخير إلى حقيقة مؤداها

أن القرن العشرين كان دمويًا، وقد يكون من أكثر القـرون اتـساما بعـدم التسامح فى التاريخ الإنسانى، وربما يكون ذلك هو ما جعل الناس تستنتج أن التسامح لا يعدو أكثر من كونه شعورًا رقيقًا.

كل هذه العوامل السابقة قد مارست دورًا فى استثارة العلماء نحو الدراسة العلمية المنظمة لمفهوم التسامح. وعلى أية حال فعلى هذا المفهـوم أن ينتظـر عقودًا طويلة إلى أن يستحوذ على انتباه منظم ومتصل من قبل علماء النفس.

وقد يكون تناول قضية تجاهل دراسة التسامح مـن قبـل المبـدعين والرواد أمرًا غير ذى قيمة، ولكن قد يكون مـن الـسذاجة أن نفتـرض أن العلماء الاجتماعيين الذين درسوا التسامح خلال الخمس عشرة سنة الماضية اخترعوا مفهومًا من العدم، فهناك جذور تاريخية للتسامح فى العلوم النفسية، وإن كانت جذور قصيرة وضئيلة.

ويمكن تقسيم تاريخ دراسة التسامح فى علم النفس والعلوم الاجتماعية إلى مرحلتين: تمتد المرحلة الأولى عبر خمسة عقـود مـن سـنة (١٩٣٢) وحتى سنة (١٩٨٠)، وتتكون من كثيـر مـن الأوراق البحثيـة النظريـة والأبحاث الميدانية المتواضعة التى صُممت بهدف إلقاء الضوء على مظاهر التسامح. وتمتد المرحلة الثانية عبر عقدين من سنة (١٩٨٠) وحتـى الآن، وتعكس اهتمامًا أكثر تركيزًا وجدية فى دراسة مفهوم التسامح.

البحوث المبكرة للتسامح (١٩٣٢-١٩٨٠):

كان علماء النفس والمهنيون المعنيون بالصحة النفسية فى الولايـات المتحدة وأوربا يناقشون ظاهرة التسامح الإنسانى من وقت إلى آخر وذلـك قبل سنة (١٩٣٠): فناقش كل من بياجيه Piaget وبيهن Behn سنة (١٩٣٢) كيف يبزغ وُسع التسامح فى أثناء ارتقاء الحكم الأخلاقى؟ وقـام ليتوينـسى

Litwinski سنة (١٩٤٥) بمحاولة مبكرة لوصف البناء الوجدانى للتسامح مع الآخر(كوُسع).

التسامح فى إطار اهتمام رجال الدين:

بذل المرشدون من القساوسة وخبراء الصحة النفسية ذوى الاهتمامات الدينية محاولات مبكرة؛ لإبراز الدور الذى قد يمارسه التسامح فى مساعدة الأفراد على بلوغ الصحة النفسية Beave,1951;Bonell,1950; Johnson,1947; (Rusk,1950)، ويعد أندراس أنجيلAndas Angyal (١٩٥٢) أحد المؤيدين للتصور الذى مؤداه: أن مساعدة المرضى النفسيين على معايشة خبرة تسامح الله يعد عاملاً مهمًا يحصنهم ضد الشعور المرضى بالذنب، ذلك الشعور الذى يُعتقد أنه يكمن لدى كثير من الحالات المرضية، التى تُدرس فى إطار علم النفس المرضى .

ويوفر العلاج النفسى الفعال – من وجهة نظر أنجيل – بيئة يتاح فيها للمرضى (أو العملاء) فرصًا لأن:

١- يشعروا بالتسامح تجاه ذواتهم لفشلهم العرقى والأخلاقى.

٢- يتسامحوا مع الآخرين.

وأوضح باحثون آخرون من القساوسة الفوائد الصحية المحتملة للتسامح، من أبرزهم إيمرسون Emerson سنة (١٩٦٤)، فأورد إيمرسون أيضًا فى كتابه النظرى الموسع نتائج إحدى الدراسات التى استخدمت أسلوبًا للفرز يطلق عليه "Q Sort"، وهذا الأسلوب مصمم بهدف فحص العلاقة الارتباطية بين التسامح والتنعم النفسى، وتعد هذه الدراسة أول دراسة علمية

عَنيت بفحص ارتباط التسامح بالصحة النفسية والتنعم، رغم افتقادها للدقة المنهجية، وفشلها فى استخدام الأساليب الإحصائية الاستدلالية الحديثة.

التسامح لدى هيدر Heider :

كتب هيدر عن فوائد التسامح و الأضرار الناجمة عنه فى إطار فصل له عن "الدراسة النفسية للعلاقات الشخصية ". وقد لخص هيدر سنة (١٩٥٨) فى هذا الفصل كثيرًا من معتقدات العزو، التى ينطوى عليها سلوك من ينشد الانتقام، بعد تعرضه للانتهاك الشخصى أو الإساءة، ويصف هيدر التسامح فى هذا الإطار بأنه " سلوك انتقامى سابق" ويفترض هيدر أنه تعبير ضمنى للضحية عن احترامه لذاته، أو أنه محاولة لأن يكون صادقًا مع العرف الأخلاقى، ومع ذلك لم يتناول هيدر هذه المفاهيم بشكل تفصيلى بدرجة كبيرة، وعلى الرغم من أن بحوثه تمثل دون شك نواة أساسية لبحوث التسامح التى دُرست فى إطار علم النفس الاجتماعى، فإنه من الواضح أن هذا الاهتمام القصير الذى أولاه للتسامح، لم يكن كافيًا لاستثارة الخيال العلمى للعلماء لدراسته دراسة علمية منظمة.

التسامح والقيم الإنسانية:

تعد بحوث ميلتون روكيتش Melton Rokeach فى طبيعة القيم الإنسانية من أكثر المحاولات المنظمة التى اخترقت الدراسة النفسية للتسامح (Rokeach,1973)، حيث استرشد الباحثون بعديد من النسخ المعدلة لمسح روكيتش للقيم (Rokeach,1967). ويتكون مسح روكيتش للقيم من مجموعتين من

القيم الإنسانية: مجموعة القيم الوسيلية Instrumental value وتشير إلى أسلوب الاستجابة المفضل لدى الفرد، ومجموعة القيم النهائية Terminal value، وتشير إلى الغايات المفضلة فى الحياة، ويكمل المشاركون هذه الأداة من خلال ترتيب ثمانى عشرة (١٨) قيمة من القيم الوسيلية والنهائية. ويعد التسامح واحدًا من هذه القيم الثمانى عشرة. وهناك عدد ضخم من الدراسات استخدمت أداة روكيتش فى دراسة القيم الإنسانية، ومن المثير للدهشة أن الكثير منها لم يتناول بحوث روكيتش فى المناقشات الحديثة للتسامح، رغم أن بحوثه كشفت الكثير فيما يتعلق بوجود فروق بين الأفراد فى مدى تقديرهم للتسامح كقيمة، وانسجام قيمة التسامح مع الأنساق الأرحب للقيم الإنسانية.

التسامح ومشكلة السجين:

استحوذ موضوع التسامح على قدر محدود من الاهتمام النظرى والإمبريقى فى بحوث تيدسيشى Tedeschi وآخرين Gahagan&Tedeschi, (1968;Horai,Lindskold,Gahagan,&Tedeschi,1969)،

حيث تعاملوا مع التسامح على أنه استجابة تعاونية تظهر بعد استجابة تنافسية وذلك عند أداء لعبة " مشكلة السجين Prisoner s dilemma game فيواجه اللاعبان فى هذه اللعبة مختلطة الدوافع وبشكل متكرر مأزقًا يتمثل فى الاختيار بين استراتيجيتين: إما أن يختار الاستراتيجية التى تقوم على التعاون وإما الاستراتيجية التى تقوم على التنافس، وذلك بهدف الفوز بأكبر كم ممكن من النقاط، فإذا تعاون اللاعبان فقد يفوز كل منهما بثلاث نقاط على سبيل المثال، وإذا هاجم أحد اللاعبين وتعاون اللاعب الآخر فقد يفوز اللاعب المهاجم بخمس نقاط، بينما لا يفوز اللاعب المتعاون بأية نقطة، وإذا

قام اللاعبان بالهجوم فقد يفوز كل منهما بنقطة واحدة فقط، وبناء على ذلــك فهناك مزايا محددة للتعاون (اعتمادًا على رغبة أحد اللاعبين فى أن يتعاون)، وللتنافس (اعتمادًا على ميل أحد اللاعبين للتنافس)، وعندما يتعاون اللاعــب بعد إظهار خصمه حركة تنافسية، يطلق على هذه الاستجابة للاعب الأول " استجابة تسامح "، وقد تبين أن هذه الاستجابة تؤدى إلى إحراز نواتج مفيــدة فى البيئة المحددة لأداء هذه اللعبة(Axelrod,1980a,1980b). ومع هذا لم ينــتج عن هذا المنحى المبتكر فى دراسة التسامح استبصارات جوهرية عن طبيعة التسامح (هناك عدد من الدراسات استخدمت نسخًا متعددة من لعبــة مــشكلة السجين) وقد كشفت البحوث المهنية التى أجريت سنة(١٩٨٠) بوضــوح أن التفكير فى التسامح لم يكن مماثلاً لما حدث فى العقود الأخيرة مــن القــرن العشرين، فكثير من الباحثين اهتم بدراسة التسامح على مدى سنوات، ومــن الخطأ أن لا نفحص بحوثهم بدقة. وعلى الرغم مــن أن الاهتمــام الموجــه لدراسة التسامح فى الفترة منذ سنة (١٩٣٢) وحتى سنة(١٩٨٠) كان ينمــو تدريجيًا، فإن الباحثين لم يكرسوا جهدًا جادًا ومستمرًا لدراسة التسامح حتــى العشر سنوات الأخيرة من القرن العشرين.

الاهتمام المتزايد بالدراسة النفسية للتسامح: منذ سنة (١٩٨٠) وحتى الآن

بدأ عدد الأوراق البحثية والكتب التى تعالج موضــوع التــسامح فــى التزايد بشكل جوهرى فى سنة (١٩٨٠)، وظهرت بحوث مهمة فــى علــم النفس الارتقائى وعلم النفس العيادى /الإرشادى وعلم الــنفس الاجتمــاعى، تعالج بوضوح ظاهرة التسامح وذلك فى نهاية سنة (١٩٩٨)، وأوحى ظهور هذه المعالجات النظرية والإمبريقية بأن شعبية مفهوم التسامح فى ازدياد.

التسامح والارتقاء الأخلاقى :

ربط إينريت Enright وسانتوس Santos والمابوك Al-Mabuk سنة (١٩٨٩) بوضوح بين ارتقاء الاستدلال عن التسامح وبين تنظير كولبيريدج Kohlberg عن ارتقاء الاستدلال عن العدل. وأورد إينريت وتلاميذه بيانات توضح ارتباط وُسع (أو إمكانية) الاستدلال المركب عن التسامح بالاستدلال الأكثر تعقيدًا عن العدل، ووجدوا أن الاستدلال عن التسامح يصبح أكثر تعقيدًا مع زيادة العمر، وقام كل من إينريت وتلاميذه Human Development Study Group (Enright& ,the1994) وبعض الارتقائيين الآخرين مثل جيرالد Girard وموليت Mullet (١٩٩٧) وسبيديل Spidell وليبرمان Liberman (١٩٨١) بالفحص النظرى والإمبريقى لكيفية بزوغ وُسع التسامح (والميل نحو التسامح) عبر دورة حياة الفرد.

التسامح فى إطار علم النفس العيادى والإرشادى:

تتمثل أحد الفروق الأساسية بين المعالجات التصورية والنظرية للتسامح التى ظهرت سنة (١٩٨٠) وتلك التى ظهرت فى سنوات مبكرة، فى ذلك التركيز التأملى المتعمق فى العلاقة الارتباطية المحتملة بين التسامح والصحة النفسية، وعلاجها فى تلك الفترة التاريخية الثانية. فمعظم الأوراق البحثية التى تناولت التسامح خلال سنة (١٩٨٠) كتبها اختصاصيون نفسيون عياديون، أو نشرت فى دوريات يقرأها اختصاصيون نفسيون عياديون (McCullough&Worthington,1994) وأوضحت الأوراق البحثية المؤثرة التى كتبها فيتزجيبون Fitzgibbons عام (١٩٨٦) وهوب Hope سنة (١٩٨٧) وجامبوليسكى Jampolsky عام (١٩٨٠) والكتب العامة التى ألفها سميدث Smedes سنة (١٩٨٤) ولن Linn ولن Linn سنة (١٩٧٨)، أوضحت الآثار

المفيدة المحتملة للتسامح على الصحة النفسية. وأكد بحث ديبلاسيو DiBlasio (DiBlasio&Proctor, 1993) أيضاً أن كثيراً من الاختصاصيين الممارسين راغبون فى استخدام التسامح فى السياقات العيادية، وفى منتصف سنة (١٩٩٠) ظهرت فى الدوريات العلمية البحوث الإمبريقية الأصيلة التى استخدمت الاستراتيجيات التى تساعدعلى التسامح فى سياق العلاج النفسى والإرشادى (Hebl&Enrigh,1993;McCullough&Worthington,1995) وأوضحت الأوراق البحثية التى نُشرت فى الدورية الرئيسة لعلم النفس العيادى أنه من المحتمل أن يكون للتسامح ارتباط وثيق بالعمل العيادى مع جماعات متنوعة (Coyle&Enrigh,1997;Freedman&Enrigh,1996).

التسامح فى إطار الشخصية وعلم النفس الاجتماعى:

اهتم باحثون عديدون باستكشاف الأسس الاجتماعية والشخصية المتضمنة فى التسامح فى الثمانينيات والتسعينيات، ومن أكثرها أهمية الأوراق البحثية التى قدمها كل من بونBoon وسولسكى Sulsky سنم (١٩٩٧) ودارىىDarbyوشلينكر Schlenker (١٩٨٢) ووينر Weiner وجراهام Graham وبيتر Peter وزميديناس Zmuidinas (١٩٩١). كشفت هذه الأوراق أنه يمكن تفسير رغبة الأفراد فى أن يتسامحوا مع من أساء إليهم فى ضوء عدد من المتغيرات ذات الطبيعة الاجتماعية المعرفية، ومن أمثلة هذه المتغيرات: إدراك المسىء لمسئوليته عن فعل الإساءة الذى اقترفه، والقصدية (أى قصدية اقتراف فعل الإساءة)، والدوافع التى دفعته لارتكاب فعل الإساءة (arby&Schlenker,1982)، ومدى شدة الإساءة (Boon&Sulsky,1997)، وظهر

أيضًا فى السنوات الأخيرة فى الدوريات العلمية فى الشخصية وعلم الـنفس الاجتماعى نظرية جديدة وبحث صُمم بهدف إحراز التكامل بين التوجهـات النظرية المتعددة فى التـسامح McCullough&Worthington,1999;McCullough, Worthington,&Rahal,1997;McCullough, et al,1998) ومـن أكثـر الأحـداث المهمة التى ترتبت على الدراسة العلمية للتسامح طلب نشرته مؤسسة جـون تيمبلتون Jone Templeton، ويتعلق بتقديم مقترحات لبحث علمى فى التسامح، وعُقدت ورشة عمل للباحثين المتقدمين فى اليوم التالى (نُشرت أعمال هـذه الورشة فى المرجع التالى: (Wortington,1998b) فتجمع لدى المؤسسة ما يزيد على مائة مقترح بحثى؛ استجابة لمبادرة المؤسسة لتقديم الدعم المالى لبحث علمى مبتكر فى التسامح، وفى النهاية قدمت المؤسسة دعمًا ماليًا لمدة ثلاثـة أعوام لما يقرب من ثلاثين بحثًا معمليًا لإجراء برامج بحثية فى التسامح، وقد يتلقى آخرون دعمًا مالياً كجزء من هذا الجهد، وما زال الوقت مبكرًا لتقدير العائد الاقتصادى الذى سوف يتحقق فى مجال التسامح، ولكن من الواضح أن علم النفس سوف يمتلك كثيرًا من المعلومات العلمية عن التسامح فى العقـد القادم يفوق ما نمتلكه فى الوقت الراهن.

مشكلة تعريف التسامح :

من الواضح أن بحوث التسامح فى ازدياد، ومع ذلك فإن الـصياغات التى قدمها الباحثون للتسامح مختلفة تمامًا وحتى وقت كتابة هـذا الفـصل، فبوجه عام لا يوجد تعريف متفق عليه للتسامح (Worthington,1998a)، ويفسر البعض افتقاد هذا الاتفاق فى التعريفات المقدمة للتسامح على أنه واحد مـن أكثر المشكلات الضارة فى المجال اليـوم (Elder,1998; Enright Coyle 1998 Enright,Freedman, Rique,1998;Enright, Gssin,

wu,1992) . ويتفق معظم المنظّرين والبــاحثين مــع إينريــت Enright وكويل Coyle (١٩٩٨) فى أن التسامح يختلف عن العفو pardonin (الذى يعد مصطلحاً قانونياً) والصفح condoning (والذى يعنى ضمنيًا تبرئة المسىء من فعل الإساءة) والتبرير excusing (ويعنى ضمنيًا أن المسىء لديه مبرر حقيقى لارتكاب الإساءة) والنسيان (ويعنى ضـــمنيًا أن تـــذكُر الإســـاءة يتنـــاقص أويتضاءل تدريجياً من الوعى الشعورى للفرد)، والانكـــار denying (ويعنـــى ببساطة عدم رغبة المُساء إليه فى إدراك الأذى الجائر الذى تعـــرض لــــه). ويتفق معظمهم أيضًا على أن التسامح يختلف عـــن التـــصالح reconciliation (ويعنى استعادة العلاقة بين المُسىء والمُساء إليه)، وفى الحقيقة لم يقـــدم أى باحث مناقشات جادة حول هذه التصنيفات، ويوحى هذا أننا أحرزنـــا تقـــدمًا نظريًا فى فهمنا للتسامح.

الفروق فى التعريفات المقدمة للتسامح :

ما زالت هناك بعض القضايا الخلافية المتعلقة بتعريف التسامح، فاتفاق الباحثين حول ما لا يعد تسامحًا لا يعنى بالضرورة أنهم يتفقون حول ماهية التسامح.

فيعـــرف إينريـــت Enright وتلاميـــذه Enright&Coyle,1998;Enright et al.,1998) التسامح بأنه"الرغبة فى التخلى عن حقنا فى الامتعـــاض، والحكـــم السلبى، والتصرف باعتدال تجاه من آلمنا على نحو جائر، وتعزيز أخـــلاق الشفقة والسماحة وحتى الحـــب علـــى الـــرغم مـــن أنـــه قـــد لا يـــستحقه (أو لا تستحقها)" (Enright et al.,1998,pp.46-47). ويعرف ماكلو McCullough وتلاميذه (McCullough et al.,1997) جوهر التسامح بأنـــه حـــدوث تغيـــرات

اجتماعية إيجابية فى دافعية الفرد تجاه المُسىء إليه (على الرغم من أن هذه التغيرات قد ينتج عنها كثير من التغيرات المعرفية والسلوكية التى صاغها إينريت وتلاميذه على أنها جزء من التسامح ذاته). ويعرف هارجراف Hargrave وسيلز Sells (١٩٩٧) التسامح من منظور العلاج الزواجى والأسرى، فيعرفانه بأنه:

(١) السماح للمُسىء بأن يستعيد الثقة فى العلاقة المتبادلة بينه وبين المُساء إليه من خلال التصرف بأسلوب يجعله جدير بالثقة.

و(٢) تعزيز المناقشة المفتوحة حول العلاقة بين المسىء والمُساء إليه، وبهذا يستطيع المُساء إليه والمُسىء أن يتفقا على العمل معًا لتحسين العلاقة المتبادلة بينهما.

ولا يزال باحثون ومنظرون آخرون يقدمون تعريفات مختلفة للتسامح، وتشترك كثير من هذه التعريفات المفترضة فى بعض أوجه التشابه، ولكنها تختلف فى بعض الأوجه الأساسية، فيؤكد بعض الباحثين الذين قدموا تعريفات للتسامح، أنه يكون من الأفضل تناول التسامح كمفهوم على أنه أشبه بمرحلة ارتقائية تبزغ تدريجيًا من خلال سلسلة من الأحداث المتعاقبة عبر الزمن، ولا يزال البعض الآخر يتجادل حول قضية ما إذا كان التسامح- فى ضوء تعريفه- أشبه بمرحلة ارتقائية أم أنه خصلة ارتقائية. ويؤكد البعض على نحو مشابه على أن بذل الجهد والقصدية عناصر جوهرية فى التعريف الملائم للتسامح (فيتطلب التسامح بذل جهد واع)، بينما يتجادل البعض الآخر حول ما إذا كان الوعى أوالإرادة يعدان من العناصر الأساسية فى التسامح أم لا.

وعلى الرغم من وجود فروق كثيرة بين تعريفات التسامح التى قدمها باحثون عديدون فى الوقت الراهن، فإن التعريف المتفق عليه قد يكون أكثر معقولية مما نتخيل، فكل التعريفات الموجودة مبنية على خاصية أساسية

تتمثل فى أن الناس عندما تتسامح (أو بكلمات أخرى عندما تفكر فى أن تتسامح أو تشعر بالتسامح أو تريد أن تتسامح أو تسامحت بالفعل) فإن استجاباتهم تجاه من أساءوا إليهم أو ظلموهم تصبح أكثر إيجابية وأقل سلبية، فعلى الرغم من أن الإساءة الشخصية المحددة (أو مجموعة الإساءات)التى اقترفها فرد محدد (أو مجموعة من الأفراد)تستثير لدى المُساء إليه -وفى آن واحد- أفكارًا ومشاعرًا ودوافعًا وسلوكيات سلبية تجاه من أساء إليه، فإن هذه الاستجابات تصبح أكثر اجتماعية مع مرور الوقت، وبناء على ذلك يُفترض أن يُعرّف التسامح بأنه تغير شخصى اجتماعى إيجابى يحدث للفرد تجاه الإساءة المُدركة يتناسب مع السياق الشخصى النوعى الذى حدثت فيه الإساءة.

فعندما يتسامح شخص ما – سواء أكان رجلاً أم امرأة – مع شخص اقترف إساءة تجاهه (أو تجاهها) فإن الشخص المتسامح هو الذى يتغير (تتغير تحديداً أفكاره ومشاعره ودافعيته أوسلوكه) ويكون التسامح بهذا المعنى تكويناً نفسيا. ويتسم التسامح من ناحية أخرى بخاصية مزدوجة، فيكون التسامح متبادلاً بين الأشخاص، ويكون داخل الفرد (التسامح مع الذات)، فيحدث التسامح كاستجابة لإساءة شخصية، فيتسامح الفرد بالضرورة مع شخص آخر ويكون التسامح بهذا المعنى ظاهرة نفسية واجتماعية كغيره من التكوينات النفسية الأخرى (كالثقة والإجحاف والتفهم، فكل تكوين من هذه التكوينات يتضمن وجود أُناس آخرين كإطار مرجعى، فعلى الرغم من أنه يمكن القول بأن شخصًا ما يتسم بالثقة أوالإجحاف أو التفهم، فإن هذه التكوينات تحاول أن تصف أبعادًا فى الشخص تكون ذات طبيعة اجتماعية على نحو لا مفر منه. فالمظاهر الشخصية والاجتماعية للتسامح هى مظاهر حقيقية، ولذ فمن المعقول أن نصيغ التسامح على أنه شخصى واجتماعى، وربما نفكر فى التسامح بشكل أكثر شمولاً على أنه تكوين نفسى.

فإذا وضعنا فى اعتبارنا قبول الجماعة الأكاديميـــة للتعريـــف المقـــدم للتسامح، فإن التعريف المتفق عليه للتسامح ينبغى أن يُمكِّن البـــاحثين مـــن التأكد من أنهم يناقشون المفهوم نفسه (التسامح)عندما يستخدمون اللفظ نفـــسه (التسامح)، ويسمح كذلك للخصائص المفهومية الأخرى التـــى قـــد تـــرتبط بالتسامح كمفهوم، أن تتحرر منه وتتحول إلى فروض بحثية عـــن طبيعـــة التسامح (كمفهوم شبه المرحلة، أو المسار الارتقائى، والقـــصدية، وأولويـــة الأنساق الدافعية أو الوجدانية وغيرها من المفاهيم).

فإذا وافق كل الباحثين على أن التسامح (فى أدنى مستوياته) هو " تغير شخصى- اجتماعى إيجابى يحدث للفرد تجاه من أساء إليه يتناسب مع السياق الشخصى الذى حدثت فيه الإساءة" فإنه يمكنهم بعد ذلك أن يتقدموا ليفحصوا إمبريقياً ما إذا كان هذا التغير (التسامح) ذو طبيعة ارتقائية بالضرورة أم لا، وما إذا كانت القصدية تمثل عنصرًا أساسيًا عند ممارسة التسامح أم يمكن أن يحدث التسامح بشكل عفوى، وبهذا يكرسوا لمثل هذه الفـــروض الإضـــافية الفحص الإمبريقى الذى تستأهله.والقارىء مدعو لاختبار هـــذه الـــصياغات الأولية للتسامح فى ضوء مقارنتها بتعريفه هو أو تعريفها هى، وأيضًا فـــى ضوء مقارنتها بالتعريفات التى قدمها المؤلفون المساهمون فى المجلد الحالى، فهدفنا بوضوح هو إحراز تقدم فى الصياغة النظرية لمفهوم التسامح، ولذلك فنحن نرحب بأية استجابات أو ردود أفعال تتعلق بهذا المقترح البحثى.

عرض موجز لمحتويات الكتاب:

يجب علينا وسط هذا الحماس، الذى نشأ لدى كثيـــر مـــن البـــاحثين والممارسيين المهنيين أن نتناول كثيرًا من المشكلات المرتبطـــة بالدراســـة

العلمية للتسامح، ونحلها على نحو ملائم ؛ ليصبح بإمكاننا تطبيق هذا الحماس المبدئى فى إرساء أساس صلب متماسك من المعرفة العلمية. فإذا لم نتناول هذه المشكلات تناولاً يتسم بالصرامة العلمية فمن المحتمل أن يصبح الاهتمام الناشىء بالتنظير والممارسة فى التسامح هامشيًا بالقياس إلى الاتجاه النفسى السائد.

وأول مجموعة من هذه المشكلات: المشكلات المتعلقة بصياغة مفهوم التسامح والمشكلات المنهجية. وقد انتهينا من مناقشة مشكلة تعريف مفهوم التسامح، ولكن ما زالت هناك مشكلات أخرى أيضًا، فعلى سبيل المثال ما زلنا نفتقد الفهم الكامل لتأثيرات الدين والثقافة والمواقف الحياتية فى فهم الناس للتسامح وخبرتهم به، فبدون تناول تأثيرات الأديان والتباينات الثقافية والموقفية فإنه من المحتمل أن تكون تصوراتنا العلمية عن التسامح منفصلة عن الخبرة الإنسانية المُعاشة، وعلى الرغم من تقدم المحاولات الأولية لتطوير مقاييس لقياس التسامح تقدمًا جيدًا، فإنه ما زال غير واضح حتى الآن كيفية الصياغة الإجرائية لمفهوم التسامح ليزداد التقدم العلمى فى هذا المجال، فتكمن كثير من المشكلات المنهجية الشائكة فى الصياغة الإجرائية لمفهوم التسامح، وينبغى تناول هذه المشكلات لابتكار مقاييس مستقلة لقياس مكوناته.

والمجموعة الثانية من المشكلات هى مشكلات جوهرية على نحو كبير، فقدم قليل من الباحثين النفسيين المنتمين إلى الاتجاه البحثى السائد حاليًا تقيمًا نقديًا لمفهوم التسامح، ولخصوا تصوراتهم حول كيفية إدماج مفهوم التسامح ضمن إطار المعرفة العلمية المتعلقة بالعمليات العصبية البيولوجية، والارتقائية، والاجتماعية، والشخصية التى تحكم السلوك الإنسانى والعمليات النفسية. لكن يبدو غير واضح الخطوات التى ينبغى اتخاذها لاستكشاف

المكونات العصبية البيولوجية، والارتقائية، والاجتماعية، والشخصية للتسامح على نحو منظم.

وترتبط المجموعة الثالثة من المشكلات ببحث كيفية التطبيق العملي للتسامح فى سياق العلاج النفسى، والإرشادى، وفى الوقاية، ففى الوقت الراهن قام قليل من الباحثين المتخصصين فى العلاج النفسى والإرشادى باستكشاف إمكانات دمج مفهوم التسامح فى إطار الممارسة النفسية المهنية، ومجالات الصحة النفسية المرتبطة بها، بالإضافة إلى ذلك قام قليل من المنظرين أو الباحثين، وعلى نحو موازٍ باستكشاف إمكانية أن يفضى التسامح إلى إحداث إيذاء عيادى clinical harm لمستقبلى هذه الخدمات النفسية.

وأخيرًا قام قليل من الباحثين بتقديم مقترحات بحثية موجزة تتناول كيفية تطوير أساليب فنية لتعزيز التسامح فى السياقات التطبيقية، وكيفية تقييمها على نحو منظم.

فإذا لم يتم تناول هذه المجموعات الثلاث من المشكلات للإعداد لإرساء " الدراسة النفسية للتسامح " فمن المحتمل أن لا يدمج مفهوم التسامح ادماجًا كاملاً فى إطار نظريات النفسيين وبحوثهم، وقد يجد الباحثون المعنيون بمفهوم التسامح أنفسهم وهم يتحدثون إلى بعضهم بعضًا بدلاً من أن يساعدوا فى دمج قواعد التسامح فى إطار الفهم السائد لعلم النفس الإنسانى وللتغير النفسى، و إذا نجحنا فى المقابل فى إرساء هذه الخطوات المبدئية، فسيكون لمفهوم التسامح مستقبلٌ خصبٌ فى علم النفس النظرى والمهنى.

ونتقدم معًا فى هذا الكتاب عبر الاثنى عشر فصلاً التى تنهض بالآتى :

١- تقدم عرضًا نقديًا للأفكار النفسية والبحوث الموجودة فى التسامح.

٢- توجز القضايا المتعلقة بالتسامح بوصفه مفهومًا، وتبرز القضايا المنهجية التى ينبغى تناولها بهدف إرساء أساس قوى من البحوث والممارسات فى التسامح فى السنوات المقبلة.

وعلى الرغم من تبنى الكتاب نظرة متفائلة فيما يتعلق بإمكانات الدراسة النفسية للتسامح، فإنه يركز وبشكل نقدى على المخاطر، ومواطن الضعف التى ينبغى تناولها مستقبلاً لإرساء دراسة نفسية للتسامح تتسم بالازدهار والدمج الجيد.

ويعالج الجزء الأول من المجلد القضايا المتعلقة بصياغة المفهوم، والقضايا المنهجية الخاصة بالدراسة النفسية للتسامح، وقد كتب الفصل الثانى كل من مارك رى Mark S. Rye وكينث بارجمنت Kenneth L. Pargament ومجموعة من الباحثين الدينيين، وهو يقارن التصورات المتعلقة بالتسامح والمتضمنة فى الديانات العالمية الخمسة.

وقد صُممت هذه الدراسة المقارنة بهدف توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف فى كيفية فهم التسامح ضمن هذه التعاليم الدينية الكبرى. وكتب الفصل الثالث باحثتان هما ليديا تيموشوك LydiaR.Temoshok وبربا شاندر Prabha S. Chandra حيث تفحصان سياق التسامح من خلال تناول السياق الثقافى والموقفى النوعى للأفراد المصابين بفيروس نقص المناعة والإيدز HIV/AIDS الذين يعيشون فى الهند. وتقدم الباحثتان تصويرًا للتسامح يختلف عن التسامح الذى اعتاد المنظرون الأمريكيون رؤيته، وقد عُرض هنا لتوضيح كيف يمكن للسياق الثقافى والموقفى أن يحددا فعليًا فكرتنا عن التسامح. وكتب الفصل الرابع كل من ميشيل ماكلو Michael E.McCullough ووليام هيوت William T.Hoyt وشرايز

راشيل K.Chris Rachal ويعرض تصنيفًا تنظيميًا لإمكانات قياس التسامح إمبريقيًا، ثم يعرض إطارًا عامًا لتقييم الكفاءة القياسية للمقاييس الموجودة، وللمقاييس التى يمكن أن تتطور فى المستقبل.

ويتكون الجزء الثانى من هذا المجلد من أربعة فصول وهى كتبت بهدف مراجعة البيانات المتاحة وإحداث تكامل بينهما، وتعرض الفصول الجهود التنظيرية الجديدة الخاصة بالدراسة النفسية للتسامح، وهى مستمدة من أربعة مجالات فى أسس البحث النفسى. ففى الفصل الخامس يعرض كل من أندرو نيوبيرج Andrew B.Newberg وإيجين دى أكيولى Eugene G.d' Aquili وإستيفانى نيوبيرج Stephanie K. Newberg وفيرشاكا دى ميرسى Vreushka de Marici للجهود التنظيرية الجديدة المتعلقة بالأساس العصبى التطورى neuroevolutionary basis لوُسع التسامح. وفى الفصل السادس: يستعرض إيتين موليت Etienne Mullet وميشيل جيرارد Micele Girardمجموعة من الدراسات المؤثرة التى استهدفت فحص كيف يرتقى الوُسع المعرفى للتسامح cognitive capacity عبر دورة حياة الفرد، وكيف يقوم الناس بإحداث تكامل بين المعلومات الاجتماعية عند اتخاذ قرار بشأن التسامح مع من أساء إليهم. وفى الفصل السابع يناقش جولى جيولا إكسلينExline Julie Juola وروى بوميستر Roy F. Baumeister كيف يمكن أن نبحث منهجيًا وعلى نحو منظم الفوائد والخسائر المترتبة على التسامح ضمن مجال علم النفس الاجتماعى. وفى الفصل الثامن: يعرض روبرت إيمونز Robert A.Emmonse إطارًا عامًا لكيفية دراسة التسامح على نحو جيد فى مجال علم نفس الشخصية.

ويركز الجزء الثالث من هذا المجلد على التقييم النقدى للكيفية التى تم من خلالها (أو التى ينبغى أن يتم من خلالها) دراسة التسامح وتطبيقه فى سياق الإرشاد والعلاج النفسى. ففى الفصل التاسع يناقش واندا مالكولم

Wanda M. Malcolm وليزلي جـــرين بيـــرج Leslie S. Greenberg البحـــوث الخاصة بتطبيق التسامح في العلاج النفسي الفردي، ويوضحان كيف يمكـــن استخدام أساليب تحليل المهمة لتحديد ما إذا كان التسامح يعد في حـــد ذاتـــه عاملاً علاجياً في العلاجات النفسية المبنية على التسامح أم لا. وفي الفـــصل العاشر الذي كتبه كل من كريستينا كـــوب جـــوردن Kristina Coop Gordon ودونالد بوكوم Donald H Baucom ودوجـــلاس ســـنيدر Douglas K.Snyder، حاول المؤلفون إحداث تكامل بين المناحي المتعددة للتسامح وذلك في إطـــار العلاج الزواجي، واقترحوا برنامجًا منظمًا لدراسة الاستراتيجيات الوقائيـــة المبنية على التسامح وتطبيقها في السياق العلاجي. وفـــي الفـــصل الحـــادي عشر: استخدم إيفيرت ورثنجتون Evertt L.Worthington وســـتيفين ســـانداج Steven J. Sandage وجاك بيري Jack W.Berry أســـاليب التحليـــل البعـــدي لاستخلاص بعض الاستنتاجات الجديدة عن كفاءة المنـــاحي الجماعيـــة فـــي تعزيز التسامح، وقدموا مجموعة كبيرة من التوجيهات الإرشـــادية لتطبيـــق الاستراتيجيات المبنية على التسامح في سياق الإرشاد الجمـــاعي والتعلـــيم النفسي و العلاج النفسي. ويوضح كارل ثورسين Carl E.Thoresen وألكـــس هاريس Alex H.S. Harris وفريدرك لوسكن Frederic Luskin في الفصل الثاني عشر مدى الاحتياج إلى دراسة التسامح في سياق علم النفس الصحي والطب السلوكي (هذان المجالان اللذان يهتمان بإجراء بحوث أساســـية، وممارســـة الإجراءات الوقائية بهدف تحسين الصحة الجسمية)، وإمكانات إجراء مثـــل هذه الدراسات. وفي الفصل الثالث عشر يناقش جون باتون Jon Patton منحاه العلاجي الخاص، والقائم على استخدام التسامح (تلك العبارة التي قد يتجنـــب استخدامها هو نفسه في سياق الإرشاد والرعاية القسية) وأخيرًا نعـــالج فـــي الفصل الرابع عشر الموضوعات التي أثارها الكتاب، ونعرض ما نعتقد أنـــه يمثل أهم التوجهات الحديثة في التسامح، وهو الذي ينبغـــي أن تكـــون لـــه الأولوية في البحث والتنظير المستقبلي.

ملخص الفصل:

إن للدراسة النفسية للتسامح جذورًا تاريخية قصيرة كعلم النفس نفسه، وقد اهتم الباحثون والمنظرون بهذا المفهوم فى فترات كثيرة خلال التاريخ القصير لعلم النفس، ولكن أصبح التسامح موضوعًا رئيسًا فى البحث العلمى فى السنوات الحديثة فقط؛ وبناء على ذلك أصبح ممكنا أن نكتب عن تاريخ التسامح فى علم النفس.

ولا تعرض الفصول المتبقية فى هذا المجلد لتاريخ التسامح، ولكنها تستكشف أقصى ما انتهى إليه التسامح من تقدم، فهى تبرز التقدم الخطير فى التنظير والبحث فى التسامح، وتشير إلى المخاطر والإمكانات الواعدة المرتبطة بدراسته وتطبيقه فى النظرية والبحث والممارسة.

وتعد العشرين سنة الأخيرة سنوات مهمة فى ازدهار الدراسة النفسية للتسامح، وسوف تشهد العقود القليلة القادمة إمكانات مثيرة وشيقة فى الاكتشاف العلمى. فاقرأ لنصحبك فى جولة لاستكشاف التطور الشيق الذى حدث حتى الآن ؛ ولإلقاء نظرة خاطفة على الأشياء العظيمة التى ما زالت تتدفق.

المراجع

- Angyal,A.,(1952).The convergence of psychotherapy and religion. Journal of Pastoral care,5(4),4-14.

- Axelrod,R.,(1980a).Effective choice in the Prisoner's Dilemma.Journal of Conflict Resolution,24,3-25.

- Axelrod,R.,(1980b).More effective choice in the Prisoner's Dilemma. Journal of Conflict Resolution,24,379-403.

- Beaven,R. H. (1951). Christian Faith and the psychological study of man. Journal of Pastoral Care,5(Spring),53-60.

- Behan,S.,(1932).Concerning Forgiveness and excuse. Archivfuer die Gesamte psychologie,86,55-62.

- Bonell,J.S.(1950).Healing for mind and body. Pastoral psychology,1, 30-33.

- Boon ,S.D.,&Sulsky,L.M.(1997).Attributions of blame and forgiveness in romantic relationships: A policy- capturing study.Journal of Social behavior and personality,12,19-44.

- Coyle ,C.T.,&Enright,R.D.(1997).Forgiveness intervention with post-abortion men. Journal of Consulting and clinical psychology,65,1042-1045.

- Darby,B.W.,& Schlenker,B.R.(1982).Children's reactions to apologies.Journal of personality and Social Psychology ,43,742-753.

- DiBlasio,F.A.(1993).The role of social workers' religious beliefs in helping family members forgive.Families in Society ,74,163-170.

- DiBlasio,F.A.,&Procotor,J.H.(1993).Therapists and the clinical use of forgiveness.American Journal of Family Therapy,21,175-184.

- Elder,J.W.(1998).Expanding our options: The challenge of forgiveness. In R.D.Enright&J.North(Eds),Exploring forgiveness (pp.150-161). Madison: University of Wisconsin Press.

- Emerson,J.G.,Jr.(1964). The dynamics of forgiveness.Philadelphia: Westminster Press.

- Enright,R.D.,&Coyle,C.T.(1998).Researching the process model of forgiveness within psychological interventions In E.L. Worthington (Ed.) ,Dimensions of forgiveness(pp.139-161). Radnor,PA: Templeton Foundation press.

- Enright,R.D.,Freedman,S.,& Rique,J.(1998).The psychology of interpersonal forgiveness.In R.D.Enright& J.North(Eds),Exploring forgiveness (pp.46-62).Madison: University of Wisconsin Press.

- Enright,R.D.,Gassin,E.A.,&Wu,C.,(1992). Forgiveness: A developmental view. Journal of Moral Education ,21,99-114.

- Enright,R.D.,&Human Development Study Group.(1994).Piaget on the moral development of forgiveness :Identity or reciprocity? Human Development ,37,63-80.

- Enright ,R.D.,& North,J.(1998).Introducing forgiveness.In R. D Enright & J.North (Eds).Exploring forgiveness(pp.3-8).Madison: University of Wisconsin Press.

- Enright,R.D.,Santos,M.J.D.,& Al –Mabuk,R.(1989).The adolescent as forgiver.Journal of Adolescence,12,99-110.

- Fitzgibbons,R.P.(1986). The cognitive and emotive usesofforgiveness in the treatment of anger. Psychotherapy , 23,629-633.

-Freedman,S.,&Enright,R.D.(1996).Forgiveness as an intervention goal with incest survivors. Journal ofConsulting and Clinical Psychology ,64, 983-992.

- Gahagan,J.P.,&Tedeschi,J.T.(1968).Strategy and the credibility of promises in the Prisoner's Dilemma game.Journal of Conflict resolution, 12,224-234.

- Girard,M.,& Mullet,E.(1997).Propensity to forgive in adolescents young adults , older adults, and elderly people.Journal of Adult Development ,4,209-220

- Gorsuch,R.L.(1988).Psychology of religion. Annual Review of Psychology, 39,201-221.

- Hargrave T.D.,&Sells,J.N.(1997).The development of a forgiveness scale. Journal of Marital and Family Therapy ,23,41- 62.

- Hebl,J.H.,&Enright,R.D.(1993).Forgiveness as psychotherapeutic intervention with elderly females.Psychotherapy,30,658-667.

- Heider,F.(1958).The psychology of interpersonal relations.New York: Wiley.

- Hope ,D.(1987).The healing paradox of forgiveness.Psychotherapy, 4,240-244.

- Horai,J.,Lindskold,S.,Gahagan,J.,&Tedeschi,J.(1969).The effects of conflict intensity and promisor credibility on a target' s behavior.Psychonomic Science ,14,73-74.

- Jampolsky,G.G.(1980).The future is now. Journal of Clinical Child Psychology,9, 184-192.

- Johnson,P.E.(1947).Religious Psychology and health. Mental Hygiene ,31,556-566.

- Linn,D.,&Linn,M.(1978). Healing life's hurts: Healing memories through the five stage of forgiveness.New York: Paulist Press.

- Litwinski,L.(1945). Hatred and forgetting. Journal of General Psychology ,33,85-109.

- McCullough,M.E.,Rachal ,K.C.,Sandage ,S.J., Worthington E.L. Brown S.., Hight ,T. L.(1998).Interpersonal forgiving in close relationships :II.Theoretical elaboration and measurement. Journal of Personality and Social Psychology ,75,1586-1603.

- McCullough,M.E.,& Worthington,E.L.,Jr.(1994).Models of interpersonal forgiveness and their applications to counseling: Review and critique.Counseling and Values,39,2-14.

- McCullough,M.E.,& Worthington,E.L.,Jr.(1995).Promoting forgiveness: A comparison of two brief psycho educational interventions with a waiting – list control. Counseling and Values,40,55-68.

- McCullough,M.E.,&Worthington,E.L.,Jr.(1999).Religion and the forgiving personality.Journal of Personality.

- McCullough,M.E.,Worthington,E.L.,Jr., & Rachal ,K.C.(1997).Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology,73,321-336.

- Piaget,J.(1932). Le jugement moral chez l 'enfant.Paris: Alcan.

- Rokeach, M.(1967).Value survey.Sunnyvale ,CA:Halgren Test.

- Rokeach,M.(1973).The nature of human values.New York: Free Press.

- Rusk,H.A.(1950).Dynamic therapeutics in chronic disease. Digest of Neurology and Psychiatry ,18,152.

- Smedes, L.B.(1984).Forgive and forget: Healing the hurts we don' t deserve.New York: Hrper& Row.

- Spidell,S.,& Liberman,D.(1981).Moral development and the forgiveness of sins.Journal of Psychology and Therapy,9,159-163.

- Weiner,B.,Graham,S.,Peter,O.,& Zmuidinas,M.(1991).Public confession and forgiveness.Journal of Personality,59,281-312.

- Worthington,E.L.,Jr.(Ed.).(1998a).Dimensions of forgiveness.Radnor, PA: Templeton Foundation Press.

-Worthington,E.L.,Jr.(1998b).Empirical research in forgiveness: Looking backward,looking forward. In E.L.,Worthington (Ed.), Dimensions of forgiveness(PP.321-339). Radnor , PA:Templeton Foundation Press.

الجزء الأول

القضايا المرتبطة بالمفاهيم والقياس

الفصل الثانى

المنظور الدينى للتسامح

تأليف: مارك رى، وكينث بارجمنت،
وأمير على وجوى بك وإيلوت
دوورف، وتشارلز هيلزى،
وفيزودا نارإينان، وجيمس ويليام

حَثَّتْ الأديان العالمية الكبرى على التسامح منذ آلاف السنين. ويدَّعى معتنقوا تلك الأديان أن التسامح يُحدِث مجموعة من الفوائد الوجدانية والروحية، ويمكن أن يؤدى إلى حدوث تحول مثير فى حياة الفرد. وعلى الرغم من ذلك لم يبدأ العلماء الاجتماعيون فى تطوير النماذج والبناءات النظرية والبحوث الإمبريقية فى التسامح إلا حديثًا (فى الخمس عشرة سنة الأخيرة)، فمن المفترض أن الدراسة العلمية للتسامح حديثة نسبيًا؛ ولهذا يبدو من الحكمة أن يتعلم العلماء الصياغات الدينية للتسامح، وهى صياغات تتسم بقدر كبير من الاستقرار، ففحص المنظور الدينى للتسامح يمكن أن يكون مفيدًا فى أوجه عديدة:

أولاً: يمكن أن تسهم المنظورات الدينية للتسامح فى إلقاء الضوء على كيفية تأثير الدين فى العمليات النفسية المتضمنة فى التسامح، وقد اقترح

بارجمان Paragament ورى Rye (١٩٩٨) أن عدة أساليب عديدة يمكن أن يسهم الدين من خلالها فى التسامح، فبداية يمكن أن يُطهّر التسامح الإنسان، ويجعله متشبعًا بخصال روحية شبيهة بخصال الذات الإلهية، وبهذا يصبح التسامح وفقًا للتعاليم الدينية وسيلة لمحاكاة الله، وتنفيذ هدفه، وإثراء علاقة الفرد بربه، ويزود الدين الفرد الذى يتسامح بعدد ضخم من النماذج التى يمكن أن يتمثلها الفرد، وذلك على الرغم من الظلم العميق الذى تعرض له.كما يقدم الدين رؤىً عالمية يمكن أن تساعد المُساء إليه في إعادة صياغة اتجاهاته نحو من أساء إليه، علاوة على ذلك يمكن أن يساعد الإيمان الدينى الأفراد على مواجهة الشك الذى يحيط بمدى جدوى اختيار استجابة التسامح، فاللجوء إلى مساندة الله أو الجماعة الدينية المرجعية، قد يكون مفيدًا على وجه الخصوص لأولئك الأفراد الذين يمارسون عملية التسامح، ففى دراسة لرى وبارجمان التى أجريت سنة (١٩٩٨)، أوضح المشاركون فى المجموعة التجريبية الذين تدربوا على ممارسة التسامح، أوضحوا أنهم يستخدمون استراتيجيات التسامح المبنية على تعاليم الدين بمعدل أعلى من أفراد المجموعة الضابطة، حتى إذا لم يتم حثهم على استخدامها، ومن أكثر استراتيجيات التسامح التى شاع استخدامها: طلب المساعدة أو المساندة من الله عندما يحاول الفرد أن يتسامح، وتشهد نتائج هذه الدراسة على مدى شيوع اعتماد الناس على الدين عندما يحاولوا أن يتسامحوا.

وقد حاول باحثون آخرون كثيرون فحص ارتباط الدين بالتسامح (للمراجعة ؛ انظر: McCullough&Worthington, in press) وتقترح هذه الدراسات أن الأفراد الأكثر تدينًا يُقدرون التسامح بدرجة أعلى من الأفراد الأقل تدينًا (Gorsuch &Hao,1993; Poloma& Gallup,1991;Rokeach,1973;Shoemaker& Bolt,1977)، وعلى الرغم من أن الأفراد الأكثر تدينًا يميلون إلى تقدير التسامح تقديرًا كبيرًا، فإنه من غير الواضح ما إذا كانوا يتسامحون فعليًا بمعدل أعلى من

الأفراد الأقل تـديناً أم لا (McCullough & Worthington,in press). إن فحـص كيفية فهم التسامح فى إطار الأديان العالمية الكبرى يمكن أن يُعـزز جهـود الباحثين لحل هذه القضايا.

ثانياً: إن فحص المنظور الدينى للتسامح يمكن أن يـساعد البـاحثين الاجتماعيين على أن يُقدروا مدى ثراء الصياغات الدينية الموجودة ومـدى تنوعها بدلاً من وصف التسامح على نحو خاطىء كما لو كان تكويناً كليًا.

وقد ركز معظم التراث النفسى الذى يصف المنظور الدينى للتـسامح علـى المـسيحية (Educational Psychology Study Group ,1990; Enright & Zell,1989;Gassin& Enright,1995;Jones-Haldeman,1992;Pingleton,1989)

واليهودية (Dorf,1998;Newman,1987)، وفحص مؤلفون قلائل تصور الأديان الأخرى للتسامح (Enright,Eastin,Golden,Sarinopoulos,&Freedman, 1992; McCullough&Worthigton , in press)، علاوة على ذلك هناك ندرة فـى المقالات التى تقارن منظور التسامح عبر الأديان.

ثالثاً: إذا فشل الاختصاصيون النفسيون العياديون فـى إدراك القيمـة الدينية التى يوليها الأفراد للتسامح، وفى إدراك الفروق بين مختلف الأديـان فى منظورها للتسامح ؛ فستتسم استجاباتهم بافتقادها للحساسية، ففهم الفروق فى منظور مختلف الأديان للتسامح يكون مفيدًا على وجه الخـصوص عنـد العمل مع عملاء غير مدركين (أو تعلموا على نحو غير ملائم أو أساؤا فهم ماتعلموه)، لقيمة التسامح، وأهمية ممارسته من منظور جماعاتهم الدينيـة ، وفى مثل هذه الحالات قد يستطيع المعالج أو المرشد أو الطبيب الذى تلقـى تدريبًا ملائمًا أن يساعد هؤلاء العملاء على تعلم الكثير من الوسائل المُعينـة على التسامح فى ظل تعاليم أديانهم.

وقد كُتب هذا الفصل محاولةً لجعل الباحثين والممارسيين علـــى ألفـــة بمنظور التسامح لدى معتنقى مختلف الأديان، وذلك على العكس من الفصل الثالث عشر، والذى كتبه جون باتون وركز فيه على تطبيق منظور المسيحية للتسامح على الرعاية التى يقدمها القساوسة، وعلى الرغم مـــن أنـــه يمكـــن تضمين هذا الفصل أى عدد من الأديان، فإننا اقتصرنا فى مناقـــشتنا علـــى الأديان الكبرى فقط، والتى شعرنا أن قراءنا أكثر ألفة بها، وقد طلبنـــا مـــن باحثين ينتمون إلى اليهودية والمسيحية والإسلام والبوذيـــة والهندوســـية أن يجيبوا عن خمسة أسئلة فى التسامح، واُختير الباحثون الذين كتبوا باستفاضة عن منظور أديانهم للتسامح، وأبدوا اهتمامًا بموضوع التسامح، وفيما يتعلـــق بالديانة الهندوسية تم اختيار باحثين اثنين ؛ وذلك لأن كل منهما على درايـــة بمختلف الأسئلة التى يغطيها هذا الفصل.

وقد ثبت أن توليد أسئلة تكون ملائمة لكل الأديان مهمة مثيرة للتحدى فخلفيتنا المسيحية – اليهودية الغربية أثّرت دون شك على أسئلتنا المختـــارة وصياغتنا لها، وكما أشار تشارلز هالزى إن الفروق فى الـــرؤى العالميـــة واللغة تجعل من الصعب أن نقارن بشكل مباشر المفاهيم الأخلاقية الـــشرقية والغربية، ومع ذلك بذل باحثونا جهدًا لسد هـــذه الثغـــرة كلمـــا كـــان ذلـــك ضروريًا؛ ولتفسير لماذا أثارت أسئلة معينة مشكلات.

ولم يكن ممكناً بوضوح عرض منظور كل دين من الأديان الخمـــسة للتسامح عرضًا كاملاً، فهدفنا من هذا الفصل هو تزويد القارىء بنظرة عامة موجزة لكيفية رؤية الأديان المتنوعة التسامح، ولنضع فى أذهاننا أن هنـــاك اختلافات كبيرة بين كل دين من هذه الأديان، وهناك اختلافات أيـــضًا فيمـــا يتعلق بالكيفية التى يفسر بها كل باحث تعاليم دينه ؛ ولهـــذا فـــنحن نحـــذر القارىء من التعميم الزائد من المنظور المحدد لهذه الأديان عن التسامح، كما أن العناصر المؤلفة لمختلف الأديان والأنساق الفلسفية تكون مجتمعة معا فى

بعض الثقافات (Smith,1994)، ولهذا سيكون أقل احتمالاً أن تصنف استجابة الفرد على أنها لا أخلاقية إذا استرشدنا بنسق قيمي واحد، ونأمل في ظل احتفاظنا بهذه المحاذير في أذهاننا، أن تنير الاستجابات التي زودنا بها هؤلاء الباحثون الطريق أمامنا، وتستثير المزيد من التساؤلات لدى الباحثين والممارسين المهتمين بدراسة التسامح.

وقد طلبنا من الباحثين الدينيين أن يجيبوا عن الأسئلة الخمسة التالية :

١- كيف يُعرّف التسامح في ضوء تعاليم دينك؟

٢- ما الأساس الإلهي للتسامح وفقًا لتعاليم دينك؟ من فضلك.. ضَمِّنْ إجابتك أمثلة لإشارات مهمة خاصة بالتسامح مستمدة من آيات الكتب المقدسة.

٣- إلى أي مدى يعد التسامح مهمًا أو محوريًا في تعاليم دينك؟

٤- هل التسامح – في ظل تعاليم دينك – مشروط بإبداء المُسيء أسفه؟ وإذا كان مشروطًا بذلك..فلماذا؟ وهل هناك شروط أخرى لحدوث التسامح؟

٥- هل يستوجب التسامح التصالح مع المُسيء؟ بمعنى آخر هل يكون من المحتمل أن تتسامح مع أخذك قرار بعدم التصالح مع من أساء إليك؟

ونبدأ الآن بمحاولة الإجابة ع الأسئلة الخمس السابقة في ضوء الديانات الخمس.

(١) كيف يُعرّف التسامح في ضوء تعاليم دينك؟

١- اليهودية:

قبل أن نبين موقف التعاليم اليهودية من التسامح سنبدأ بعرض بعض الفروق الفلسفية العامة، والتي ستساعدنا على فهم ماهية التسامح في ضوء

الديانة اليهودية. نستخدم مصطلحى" العفو" و"الاعتذار" عندما يكون الاعتداء ما يزال مستمرًا ولم يُفرض عقاب على مرتكبه (أو لن يكون هناك عقاب لاحق)، فنحن نقول "التمس عُذرًا" عندما نصطدم بشكل مفاجيء بأى شخص، ولكننا لا نتوقع أن نُعاقب على سلوكنا هذا، ويعفو الحُكام عن المساجين على الرغم من أن الاعتداء ما زال موجودًا فى سجلات الشرطة، ولكن مرتكب الاعتداء سيُعفى من العقاب اللاحق.

أما التسامح فيتضمن مرحلة أبعد من ذلك: فالإساءة الأصلية (الاعتداء) فى حد ذاتها تزول، فالدائن الذى يتسامح عن دينه بذلك يمحو الإثم تمامًا عن مرتكبه، وقد يظل الأطراف الذين تعرضوا للإيذاء ويبدون التسامح متذكرين الإساءة، وكذلك يتخذون بعض الحذر فيما بعد ؛ ليتأكدوا أنهم لن يعانوا بهذه الطريقة مرة أخرى، وإذا سامحوا مرتكب العنف فهم يقبلونه " أو يقبلونها " كعضو جديد محتمل أن يطوروا علاقتهم به، ويصبح مرتكب العنف فى حالة "التصالح" عضوًا فى جماعة الأصدقاء والعائلة والجماعة مرة أخرى على الرغم من المشاعر السيئة التى نتجت عن ما فعله أو ما "فعلته"، والناس قد تتصالح دون أن تتسامح، أو تتسامح دون أن تتصالح، ومن أكثر الكلمات العبرية الشائعة فى النصوص اليهودية الكلاسيكية عن "التسامح" كلمتى " mehillah"و" selihah"، وعلى الرغم من أن هاتين الكلمتين تستخدمان على نحو متبادل ككلمتين مترادفتين، فإن كلمة ""mehillah" تعنى فى العبرية تحديدًا زوال الاعتداء وهذا هو "التسامح" - كما عرّفناه سابقًا-، بينما تعنى كلمة " selihah" -خاصة الاستخدام الوارد فى الكتاب المقدس- التصالح.

٢- المسيحية:

هناك عدد من الكلمات الشائعة فى العهد الجديد تدل على التسامح، ومن أكثر الكلمات شيوعًا كلمة " eleao " (والأسماء المشتقة منها) وتعنى إظهار الرحمة (وردت ٧٨مرة)، وكلمة " aphiemi" وتعنى التحرر من

الإساءة وزوالها، والتخلى عنها (وردت ٦٤مــرة)، وهنــاك كلمــة أخــرى استخدمت اســتخدامًا أقــل لكــن بأســلوب لافــت للنظــر وهــى كلمــة "splanchnizomai" وتُفهم عادة على أنها الشعور بالأسف أو إبداء الشفقة نحو شخص ما، وهى مشتقة من كلمة " intestines" وتعنى تدفق ما بداخل الفــرد من مشاعر وأمور داخلية.

ويُفهم التسامح عمومًا على أنه سلوك العفو أو التحرر من الإيــذاء أو الإساءة أو الذنب، فيستلزم على الفرد المتُسامح أن تكون لديــه شــفقة، وأن يحرر أى شخص أساء إليه من أى سلوك أو اتجاه ســلبى؛ يُعــوق العلاقــة القائمة بينهما، ويستلزم على الفرد الذى يُمنح التسامح (المسىء) أن يُظهــر علامات الندم على ما اقترف من سلوك سىء، وأن يُظهر أيضًا سلوكيات تنم عن الأسف العميق والحب؛ مجاراةً للكرم الذى أظهره المتسامح.

٣- الإسلام:

أود أن أتناول المصطلح الذى ورد بهذا السؤال، وهو مصطلح " تعاليم دينية". ربما ينطبق هذا المصطلح بشكل أفضل على الديانات التى ليس لديها كتب إلهية فى لغتها الأصلية، وعلى تلك الديانات التى تم فيها الاستغناء عن التعاليم والنصوص التى قدمها الرُسل الذين تعاقبوا عبر مختلــف القــرون، وتطوير تعاليم جديدة بعيدة تمامًا عن التعاليم الدينية الأصلية.

وفى حالة الإسلام فإن الكتاب الأصلى الموحى به الله إلى رسوله محمد "ص" وهو القرآن الذى يوجد بلغته الأصلية - والأحاديث النبوية والتى تمثل المصدر الثانى للشريعة ما زالا دقيقين ولم يتعرضــا للتحريــف، فالتعــاليم الإسلامية وطرائق أداء الشعائر الدينية وعناصر النظام الشرعى ظلت كمــا أنزلها الله إلى رسوله محمد "ص".

وقد عبر القرآن عن التسامح من خلال ثلاثة مصطلحات: العفو وورد ٣٥ مرة، والصفح وورد ٨ مرات، والغفران وورد ٢٣٤مرة، ويعنى العفـو أن تعفو أو تلتمس المعذرة عن الذنب أو الإساءة أو الفعل البغيض، وأن تتخلى عن العقاب وتصدر عفوًا عن المُسيء. وهناك أمثلة عن استخدام كلمة العفـو فى القرآن، فقد وردت على سبيل المثال فى سورة الشورى بالآية الأربعين:

﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾.

وفى سورة البقرة بالآية السابعة والثمانين بعد المائة: ﴿ أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾ ﴾.

وفى سورة المائدة بالآية الخامسة والتسعين: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٍ ﴿٩٥﴾ ﴾.

ويعنى " الصفح " الانصراف عن الذنب أو الإثم وتجاهله، وهناك أمثلة على استخدام كلمة الصفح، فقد وردت فى سورة البقرة بالآية التاسعة بعد المائة: ﴿ وَدَّ كَثِيرٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِكُمۡ كُفَّارًا حَسَدٗا مِّنۡ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٠٩﴾ ﴾.

وفى سورة الحجر بالآية الخامسة والثمانين ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ﴿٨٥﴾ ﴾.

وفى سورة الزُخرف بالآية التاسعة ﴿ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ ۚ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾.

أما كلمة غفران أو مغفرة فتعنى ستر الذنب ومسامحته والتخفف منه، وهناك أمثلة على استخدام هاتين الكلمتين فى القرآن، فقد ورد فى سورة البقرة على سبيل المثال بالآية الثالثة والستين بعد المائتين: ﴿ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾، وفى سورة الشورى بالآية السابعة والثلاثين ﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾، وفى سورة الأنفال بالآية التاسعة والستين ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾ ﴾ (لمزيد من التفاصيل انظر[١] Lane's Lexicon and Hans Weher's dictionary[٢] وقواميس أخرى بالملاحظات آخر الفصل).

إن الله[٣] ذا المقدرة المطلقة هو الذى يمكنه أن يغفر والغفور اسم من أسماء الله الحسنى التسع والتسعين. ويعنى التسامح – الذى ورد فى القرآن بلفظ مغفرة – ستر أو حجب الإساءة، سواء التى اقترفها الفرد تجاه الله أو أحد مخلوقاته، ومع ذلك ينبغى أن يُقابل التسامح (المغفرة) من قبل الله بالإخلاص من قبل الفرد، فالله العليم يعرف كل شيء متضمنًا ذلك ما فكر فيه الفرد ولم يعبر عنه بكلمات أو أفعال، وقد تكون الإساءة موجهة إلى:

(١) فرد (٢) أو مجموعة من الأفراد أو المجتمع، (٣) أو مخلوقات الله الأخرى مثل الحيوانات والنباتات والتربة والغلاف الجوى والكائنات المائية وكل ما له علاقة بالكائنات الحية. أو (٤) الله تعالى، فيُدرك المسلمون أن الإساءة الموجهة إلى مخلوقات الله هى إساءة موجهة إلى الله ذاته.

٤- البوذية:

يواجه أى فرد مهتم بالبوذية مشكلتين عند محاولته إيجاد تعريف للتسامح فى ضوء تعاليم البوذية. تتمثل المشكلة الأولى فى أن البوذية دين عالمى واُستخدم تاريخيًا بلغات متنوعة، ويمثل هذا التباين اللغوى تباينا فى المفاهيم المطروحة كذلك، وتتمثل المشكلة الثانية فى انتفاء وجود قاعدة موحدة نحو إيجاد مفهوم واحد للتسامح، وتعظُم مشكلة الترجمة التى يواجهها المرء بشكل متعذر اجتنابه -عندما يستكشف المصادر المتباينة للتعاليم البوذية- فقط إذا حاول أن يجد مفاهيم مناظرة أو مكافئة للتسامح فى التصنيفات الأخلاقية الغربية، وفى الحقيقة لا تجد ترجمات دقيقة للمفهوم، ولكن الاختلاف فى المعانى المطروحة للتسامح فى ظل الترجمات المختلفة للبوذية يقود إلى فهم أفضل للمفهوم الأصلى.

وقد جذب انتباهى أن التسامح يتألف عمومًا من عاملين: يتمثل العامل الأول فى زوال التوقع الذى مؤداه أن المُسىء سيتعرض للعقاب، ويتمثل الثانى فى التخلى عن الغضب أو الاستياء من الشخص الذى أساء إليك. ويمثل هذان العاملان تغيرًا فى اتجاه المُساء إليه تجاه المُسىء، وتولى الثقافات البوذية لكلا العاملين قيمةً كبيرةً، ولكنهما بوجه عام يمثلان عاملين منفصلين كفضيلتين مختلفتين تمامًا، وفى قاموس "English- Sinhales Dictionary" الذى أعده مالالاسيكر Malaisekcral[٤] إذا أخذنا اللغة السينهالية التى يستخدمها البوذيون فى سيرلانكا مثالاً فإن مصطلح "يتسامح" يترجم فى اللغة السينهالية

إلـــى " Sama venava and anukampa dakvenava، ويتـــرجم التـــسامح إلـــى Ksamava and dayava، وتكشف الترجمات الحرفية لكلا المفهومين معًا عـــن اقترابهما من فكرة التسامح، ولكن إذا أخذنا الترجمة الخاصة بكل منهما على حدة فلن نصل إلى هذا الفهم لمصطلح التسامح، ويمكن أن تترجم كلمة Sama venava واشتقاقها Ksamava إلى الاصطبار، وهذه الكلمة أكثر شـــمولاً مـــن التسامح، وتشمل الفكرة البوذية عن الاصطبار عاملين هما تحمل الفعل الذى اُقترف ضدك، والتخلى عن الغضب والاستياء من الشخص الذى أساء إليك.

ويُدرك التسامح عادةً على أنه يتضمن فقط التغلب على الاستياء مـــن المُسىء، ويمكن أن تترجم كلمتا Anukampa and dayava إلى شفقة أو رحمة، وتحملنا هاتان الفضيلتان على ألا يكون لنا رد فعل تجاه أى شخص يـــستحق العقاب جراء سلوكياته، وفى التسامح: ينشأ رفض المُساء إليه توقيع العقـــاب على المُسىء نتيجة لتغلبه على استيائه منه، ومن جهة أخرى تؤثر الـــشفقة والرحمة –كفضيلتين من الفضائل البوذية –فى حدوث تغير فـــى اتجاهـــات المُساء إليه تجاه المُسىء، حيث لم يعد المُساء إليه ينظر للمُسىء علـــى أنـــه كذلك، فمن خلال الشفقة والرحمة يصبح المُساء إليه وعلى نحو مثالى متفهمًا لمعاناة المُسىء، ويتخذ خطوات إيجابية لتخفيف المعاناة عن المُسىء علـــى الرغم من أنه لا يستحق كليهما، وفى ظل خصلة الشفقة: تكون صورة المرء عن الشفقة هى أنها التفهم الذى يشعر به المرء تجاه شخص مجرم فى طريقه إلـــى تنفيـــذ حكـــم الإعـــدام عليـــه، ويقـــال إن "الـــشفوق الحقيقـــى هو من يبدى رحمة حتى تجاه من سيكونون قتلتـــه "[٥]، ويمكـــن أن يكـــون للشفقة على وجه الخصوص تأثير فى إعادة تشكيل المُـــسىء الـــذى يـــشعر بالخزى؛ نتيجة لاختلاف سلوكه عن سلوك الشخص الذى أُسىء إليه، ولكـــن لا يمثل هذا عنصرًا مهمًا فى الشفقة.

٥-الهندوسية:

تعد كلمة "Ksama" أو "Ksamata" "من أكثر الكلمات التى تستخدم على نحو شائع لتعبر عن التسامح، وترتبط بكلمات تنم عن الرحمة مثل ""Kripa و"Prasada" و "daya" ، أو الشفقة مثل " Karuna، وقد وردت هذه الكلمات فى النصوص الهندية القديمة، أو فى السياقات العامية حيث تستخدم كثير من الكلمات السنسكريتية الأصلية(*)، وأحيانًا تستخدم مع بعض التعديلات البسيطة، وننتقل إلى السؤال الثانى.

(٢) ما الأساس الإلهى للتسامح وفقاً لتعاليم دينك؟ من فضلك.. ضمن إجابتك أمثلة للإشارات المهمة الخاصة بالتسامح المستمدة من آيات الكتب المقدسة.

١ - اليهودية:

إن الأساس الإلهى الجوهرى للتسامح هى أن الله ذاته يتسامح ؛ ولذلك فنحن فى حذونا لله ينبغى علينا أن نتسامح كذلك، وبناءً على ذلك لاحظ الحاخامات اليهود أن التوراة تدعونا إلى أن "تسلكوا فى جميع طرقه" (تثنية ١١: ٢١)، والسؤال هو: وماذا يتطلب ذلك؟ يجيبون فى ضوء الآيات التالية:

هذه هى طرق القدوس "الرب إله رحيم ورؤوف بطيء الغضب، وكثير الإحسان إلى ألوف، غافر الذنب والمعصية والخطية" (خروج ٦: ٣٤).. كما أن الله رحيم فيجب أن تكون أنت أيضًا رحيمًا..كما أن الله رؤوف فيجب أن

(*) السنسكريتية هى لغة الهند الأدبية القديمة " المترجمة".

تكون أنت أيضًا رءوفًا ". " الرب بار فى كل طرقه، ورحيم فى كل أعماله (مزمور ١٧: ١٤٥)، فكما أن القدوس بار فيجب أن تكون أنت أيضًا بارًا، وكما أن القدوس محب، فيجب أن تكون أنت أيضًا محبًا (سفر ايكيو ٤٩ على تثنية ١١: ٢٢).

والحاخامات لم يهجروا ذلك من أجل عالم المبادىء الدينية، ولكنهم ترجموا ذلك فى شكل قانون واقعى فوفقًا للمشنا وهو مجموعة التعاليم غير المكتوبة التى جُمعت عام (٢٠٠ميلادية) والتى تشكل أساس التلمود، إذا اعتدى شخص على شخص آخر؛ فينبغى عليه أن يدفع ثمن الخسائر التى لحقت به والألم الناتج عن ذلك وثمن العلاج، والوقت الذى ضاع منه، وثمن الإيذاء الذى تعرض له، وبعد وصف كيفية تقدير ثمن كل ما سبق، ينص المشنا على:

" حتى عندما يعوض المعتدى الضحية، فإن الله لا يغفر له حتى يطلب الصفح من الضحية، وكما هو مكتوب " فالان رد امرأة الرجل فإنه نبى فيصلى لأجلك " (خروج ٢٠: ٧). وكيف نعرف أنه إذا لم يسامح المعتدى عليه فإنه يكون قاسيًا؟ " لأنه مكتوب " فصلى إبراهيم إلى الله

فشفى الله أبيمالك " (خروج ٢٠: ١٧) (المشنا، بافا كاما ٨ :٧).

فإذا رفض المُساء إليهم أن يسامحوا أولئك الذين آذوهم على الرغم أنهم التمسوا منهم التسامح ثلاث مرات فى ظل وجود الآخرين فإنهم عندئذ يعتبرون آثمين (التلمود البابليونى، بافا كاما: ٩٢a، توراة المشنا، قوانين التسامح (٢: ١٠)، فالله يريد منا أن نحقق العدل، ونصلح علاقتنا بالآخرين كذلك، واليهود يتسامحون ليس فقط ليحذوا حذو الله ؛ ولكن لأن شرع الله يتطلب التسامح. " لا تنتقم، ولا تحقد على أبناء شعبك، بل حب قريبك كنفسك

" (لاويين ١٩: ١٨)، فتطالب التوراة وفقًا للحاخامات "كل من يتصرف برحمة (بتسامح) مع المخلوقات التابعين سيعامله الله برحمة، وكل من لا يتصرف برحمة مع أتباعه المخلوقين لن يعامله الله برحمة " (بابلونيان، التلمود، شاباتb 151).

وينبغى على المرء أن يشير إلى الفقرات الأخرى الأساسية الكثيرة فى التراث اليهودى فيما يتعلق بالتسامح، ففى عصر التوراة كنا نحصل على تسامح الله من خلال التضحية بحيوان فى المعبد (لاوبين٤-٦)، علاوة على ذلك تتطلب طقوس يوم التكفير الصيام، والتوقف عن العمل، وأداء طقوس خاصة للتطهر من الآثام (لاوبين ٢٧:٢٣،١٦-٣٢).

وعندما تحطم المعبد أخذ المصلون مكان تقديم الأضاحى، وهكذا يسأل اليهود الله أن يسامحهم عند أداء الطقوس الدينية ثلاث مرات يوميًا: "اغفرلنا يا أبانا فنحن اقترفنا إثمًا، اعفو عنا فنحن أخطأنا "، وبالإضافة إلى ذلك تركز أيام التوبة التسعة التى تكون وسط العام اليهودى الجديد (Rosh Ha- Shanah) ويوم التكفير (Yom Kippur)الذى يقع عادة فى سبتمبر على هذا الموضوع.

٢- المسيحية:

إن إله الحب الذى يُحيى صورة الله داخل الإنسان من خلال المسيح (Colossians 1:15) ؛ يُمكّن البشر من التسامح ؛ ويلهمهم به ويتوسط هذه القدرة أو هذا العزم على التسامح المسيح والكنيسة ومن الممكن أى إنسان يتصرف بإخلاص كالجار مثلاً (لوقا ١٠:٢٥-٣٧).

وتعد أكثر الإشارات أهمية توسل المسيح إلى الله أن يغفر لأولئك الذين صلبوه على الصليب، " يا أبتاه اغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما يفعلون " (لوقا ٢٣ :٢٤). وهناك إشارات أخرى مهمة تتضمن الآتى :

متى ٦: ١٢ " فى الصلاة الربانية: " اغفر لنا ذنوبنا كما نغفر نحن أيضًا للمذنبين إلينا ".

لوقا ١١:٤ فى الصلاة الربانية " اغفر لنا خطايانا لأننا نحن أيضًا نغفر لكل من يذنب إلينا ". مرقس ١١: ٢٥ رغم أن هذه البشارة لا ترد فيها الصلاة الربانية، فإن هذه الآية مشابهة لما جاء فى متى لوقا " ومتى وقفتم تصلون فاغفروا إن كان لكم على أحد شيء ".

متى ١٨: ٢١-٢٢ "يسأل بطرس: هل يجب أن يغفر الإنسان لأخيه سبع مرات؟ فيجيب يسوع لا بل سبع وسبعين (٧٧) مرة أو سبعين (٧٠) مرة ".

متى ١٨: ٢٧، ٣٢ فى مثل العبد الذى لا يسامح، فإن السيد يسامح عبده المدين له بمبلغ كبير، لكن هذا العبد لا يقبل أن يسامح عبدًا آخر مدين له بمبلغ بسيط.

وتستخدم الإشارات فى كل هذه الفقرات بعض أشكال العفو aphiemi، وهناك عدد كبير أيضًا من الفقرات التى تُمجّد شفقة الله، والأفعال الإنسانية التى تنم عن الرحمة أو الشفقة، وهذه تعبر عن التسامح غالبًا أو تتضمنه، وأكثرها أهمية الإشارات الآتية:

لوقا ١٠: ٣٣ فى مثل السامرى الصالح، فإن السامرى تحنن على الرجل الذى سرق وضُرب، وتُرك بين الحياة والموت.

لوقا ١٠:٣٧ بعد أن روى مثل السامرى الصالح، يسأل يسوع الناموسى من هو قريب الرجل الذى تُرك على الطريق، فأجاب الناموسى "الذى صنع معه الرحمة "، ولأن السامريين واليهود كانوا أعداء بعضهم بعضًا، والرجل المصاب كان يهوديًا فإن تصرف السامرى يحمل نسيانًا للعداوة وكل مبرراتها.

لوقا ١٥: ٢٠ فى مثل الابن الضال، فإن الأب يرحب بالابن الأصغر الذى عاد بعد أن بدد كل ميراثه " رآه أبوه فتحنن وركض، ووقع على عنقه وقبله ".

تيطس ٣: ٥ " الله خلصنا لا بسبب أعمال برنا لكن بمقتضى رحمته ".

٣- الإسلام :

الأساس الدينى للتسامح ورد بالقرآن والأحاديث، والقرآن هو كلمة الله التى أوحى بها إلى الرسول محمد "ص"، وقد أنزله عليه باللغة العربية، وترجمة القرآن ليست هى القرآن، لأن الله لم يوحِ به لرسوله بأية لغة أخرى غير اللغة العربية، وقد تتضمن ترجمة القرآن رسالة القرآن، ولكنها كلام المترجم، وليست كلام الله، ويحتاج القرآن أن يُفسر فى مواضع كثيرة، وهذا ما فعله الرسول محمد "ص" وسجلته الأحاديث المجمعة، وتحتوى الأحاديث على تقارير عن أقوال الرسول محمد "ص" ومآثره، وما أجازه، وهى المصدر الأول للمعرفة الإسلامية وهى نظام شرعى، ونقدم فى الفقرة التالية مختارات من التعاليم الخاصة بالتسامح مستقاة من القرآن والأحاديث.

الله يغفر:

﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ (آل عمران ١٣٣:١٣٦)[٦].

القائد ينبغي أن يتسامح :

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران ١٥٩).

التعاليم العامة للتسامح :

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ ﴾ (الأعراف ١٩٩: ٢٠٠).

﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ (الشورى ٤٣).

المواقف الأسرية :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ (١٤) ﴾ (التغابن ١٤).

تعاليم الرسول محمد "ص" :

- ورد عن أبى كبش العمرى أن رسول الله "ص" قال: " لا يعفو عبد عن مظلمة يبتغى بها وجه الله عز وجل إلا زاده عزًا يوم القيامة"[٧].

- قال رسول الله "ص": ياعقبة بن عامر صل من قطعك، واعط من حرمك، واعف عمن ظلمك"[٨]

- عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله "ص" ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب "[٩].

وقد ضرب الرسول محمد "ص" مثلاً رائعًا كشخص متسامح فى أموره الخاصة، فقد عاش فى مكة ثلاث عشرة (١٣) سنة بعد أن تم تكليفه بالرسالة وبأن يكون نبى الله إلى البشر، وأثناء هذه الفترة اضطُهد، واضطُهد أتباعه، وقُتل بعضهم، وأخيرًا أراد أعداؤه قتله، وأثناء الثمانى سنوات الأولى لإقامته بالمدينة المنورة طارده أعداؤه، وجلبوا الجيوش لمحاربته، ونجى منهم بعزم، وأثناء الحروب التى دارت بينه وبين أعدائه عبر الثمانى سنوات فقد كثيرًا من أقاربه وأصدقائه المقربين على أيدى قريش، وبعد فتح مكة، أعلن العفو العام عن أولئك الذين لم يشهروا السلاح فى وجهه أثناء دخوله مكة، وقد كتب محمد حسنين هيكل:

وقف الآلآف من المسلمين فى صفوف المعركة متأهبين ينتظرون كلمة واحدة ليدمروا مكة بأكملها ورجالها خلال دقائق، ولكنه لم يكن سوى محمد "ص"..! ولم يكن سوى رسول الله..! فلا نفور، ولا خصومة، أو عداء يمكن أن يجد مكانًا دائمًا فى قلبه، فقلبه خالٍ تمامًا من الظلم والحقد والاستبداد أو الزهو الزائف، وفى أكثر اللحظات حسمًا منحه الله القوة على أعدائه، ولكن محمد "ص" اختار أن يتسامح ؛ وبذلك قدم لكل البشرية، ولكل الأجيال المتعاقبة مثلاً كاملاً فى الطيبة والثقة بالآخرين والنبل والشهامة(١٠).

٣- البوذية:

تواجهنا مشكلة دائمًا عند الحديث عن النظام الدينى فى سياق البوذية حيث أن البوذية فى نقاط أساسية تمامًا ليست دينًا/ديانة قائمًا على وحدانية الإله، ولم تهتم البوذية أبدًا بالخالق الذى صنع هذا العالم بأى نوع من المقاصد الأخلاقية، وهم يدركون العالم على أنه مضبوط أساسًا، وأن العدالة تستمر من خلال الكرما، حيث يجازى المرء على الأفعال الصالحة بالنتائج الجيدة، والأفعال الطالحة بالنتائج السيئة، وبناءً على ذلك يمكن أن تُفهم فكرة الأساس الدينى فى سياق البوذية فى المقام الأول من خلال هذا الفهم الغيبى، والتفسير التقديرى للعالم الذى يُحكم من خلال قانون الكرما.

وتعد فضيلتا الاصطبار والشفقة فضيلتين أساسيتين فى الأفكار البوذية المتعلقة بالدنيا كعالمٍ للمعاناة، والحقيقة الأولى النبيلة هى " أن كل هذه الدنيا معاناة " هذه الجملة تُقر بأن عالم المعاناة يتخلل كل الخبرات التى نمر بها فى الدنيا، والبوذية كدين مخصصة لإنهاء المعاناة بكل أشكالها. إن الوظيفة الرئيسة للشفقة هى تخفيف آلالام الآخرين ومعاناتهم، ولكن الوظيفة الرئيسة للاصطبار هى كف حدوث مزيد من المعاناة للذات والآخرين، والتى تنتج

عن دفع الإساءة بإساءة مماثلة، فالاستياء وهو عكس التسامح لا يكون مُرضيًا أبدًا، حيث تترتب عليه دائمًا آثار مضاعفة للذات والآخرين، ويمكن فهم الاستياء من خلال مقطع من "دامبادا Dhammapada" يمثل مقتطفات من أقوال منسوبة إلى بوذا ذاته:

إن الغضب لا يهدأ أبدًا لدى الأفراد الذين يضمرون مثل هذه الأفكار "أنه آذانى، أنه ضربنى، أنه قهرنى، إنه سرقنى" فالكراهية لاتوقف الكراهية أبدًا فى هذه الدنيا، ومن خلال الحب الودود نبلغ هدفنا، فذلك هو القانون الجليل(١١).

إن الاستياء يسبب معاناة للشخص بشكل مباشر؛ نتيجة للعذاب النفسى الذى يُحدثه، وبشكل أكثر مباشرة يمكن أن يدفع الاستياء الشخص إلى اقتراف سلوكيات وفقًا لقانون الكرما – قانون السبب النتيجة الأخلاقى – سوف تُسبب معاناة للشخص المُخطىء فى المستقبل.إن كره الآخر نتيجة سلوكياته أو سلوكياتها ؛ يولد الظروف اللازمة لمعايشة خبرة أن تكون مكروهًا من الآخرين فى المستقبل، ولذلك يتولد دائمًا الاهتمام الذاتى لدى الشخص للتغلب على الاستياء من خلال الشفقة والاصطبار.

وتعتبر الشفقة والاصطبار من الخصال المميزة "للكمالية" (paramitas) فهما من الخصال الأخلاقية التى تشجع البوذية عليها بدرجة أكبر، و" الفرد اليقظ" هو الذى يتمثل قمة الحياة الدينية البوذية وهدفها، واكتساب هذه الكمالية يُحدث تحولاً فى عمليتى الإعتاق والتنوير، فبدلاً من أن تكونا مفيدتين لفرد واحد تصبحا بمصطلحات النص البوذى موجهتان لرفاهية وفائدة العالم ككل؛ وبذلك يمكننا أن ندرك الأساس الدينى الثانى للشفقة والاصطبار فى البوذية، فيصقل الفرد هاتين الخصلتين بواسطة محاكاة نجاح البوذيين السابقين؛ إكرامًا للآخرين قدر إكرامه لذاته، ولكن الاصطبار والشفقة يُعدان حقان

أكثر تميزًا من كونهما واجبين لأنه لا يكون متطلبًا من الفرد أن يحاول أن يصبح بوذا.

وعندما نضاهى مبادئ البوذية بمبادىء الشريعة البسيطة نسبيًا فى النصوص المقدسة فى الإسلام واليهودية والمسيحية قد يبدو أن البوذية تتقبل على نحو استثنائى عددًا كبيرًا من النصوص التى تحتوى على تصريحات جازمة، وكل البوذيين لا يتقبلون مثل هذه النصوص، ولذلك لا يوجد مبدأ شرعى واحد يُبنى عليه كل النسق الدينى للبوذيين، وفى الحقيقة هناك عدد قليل جدًا من النصوص الفردية التى تحتوى على مثل هذه التصريحات يمكن أن نجدها فى كل تعاليم البوذية، ولا يأخذ التاريخيون المحدثون بهذه التصريحات بوصفها سجلاً لتعاليم جوتاما بوذا مؤسس البوذية، وعلاوة على ذلك فإن حجم المبادىء الشرعية الفردية المقبولة من خلال تعاليم محددة - سواء أكانت محددة من خلال أسس دينية (الزينة البوذية)(*)، أو أسس ثقافية (التبيت البوذية)- يمكن أن يكون ضخمًا بحكم تصنيفها كمبادىء شرعية، ويمكن أن نتأمل هذه المبادىء كمخطوطات أكثر من كونها مبادىء شرعية أم مقاطع من الكتاب المقدس.

ولذلك من المستحيل أن نقدم قائمة بالمراجع الكبرى التى تختص بالاصطبار والشفقة فى النصوص البوذية، ولا يعنى هذا أن هناك اتفاقًا قليلا على أن هاتين الخصلتين مرغوبتان لازدهار حياة الإنسان، ونقدم مختارات عن الاصطبار من أسطورة أريا سورا جاتاكمالا، وهى مجموعة نصوص سردية هندية من القرون الوسطى، وهى يمكن أن تجعلنا نتذوق كيفية تصوير هاتين الفضيلتين.

(*) الزينة: فرقة بوذية تؤمن بأن فى ميسور المرء أن ينفذ إلى طبيعة الحقيقة عن طريق التأمل "المترجمة".

"إن مبعث الفخر الحقيقى فى الحياة الحالية للفرد كريم الأصل، والسخى فى الحياة الأولى، والقوى على نحو استثنائى، أو الثرى هى ما يتعلق بالفضيلة، فالأشجار تزينها البراعم المتفتحة، والماء ينهمر من السحب منخفضة الانحدار مع برق السماء بغير انقطاع، والبحيرات تزينها زهور اللوتس ونحلها المنتشى، والبشر يتحلون بالكمالية التى تؤدى إلى الكمالية، وسواء أكانت الفضيلة هى الصحة أم العمر أم الثروة أم الجمال أم الأصل.......(فهذه الفضائل) على أية حال ترجع إلى النزوع الطبيعى للشخص، ولا ترجع إلى التأثيرات الخارجية، وبالأحرى على الفرد أن يُظهر كيف كان يتصرف فى الماضى، وبمجرد أن يدرك الفرد أن هذا هو قانون الوجود غير القابل للتغيير، وأن الحياة عابرة وعرضة للزوال، فإنه ينبغى عليه أن يكف عن الشر، ويشعر بالميل إلى فعل الخير، وهذا هو السبيل إلى الشهرة والسعادة، ومن جهة أخرى يشبه القلب الفاسد النار التى تلتهم طيبات المرء نفسه وطيبات الآخرين كلية، وبناءً على ذلك إذا خاف الفرد من الشر ؛ فينبغى عليه أن يبذل جهدًا عظيمًا لاجتناب مثل هذا الفساد، وذلك من خلال السعى لفعل العكس، وكما تُطفىء النار عندما تواجه نهرًا كبيرًا مترعًا بالماء، مهما كان استعارها، كذلك يصبح القلب الحاقد هادئًا إذا مال الفرد للاصطبار، فالاصطبار يعد دعامة أساسية فى هذه الحياة الدنيا، وفى الآخرة. مارس الاصطبار وسوف تتجنب الشر من خلال القضاء على جذوره، والنتيجة أنك ستستثير لديك مشاعر طبيعية لميلك الودود، وستكون محبوبًا وفخورًا بذلك، وبهذا تفوز بالسعادة[١٢].

٥-الهندوسية:

ونعرض هنا إجابة الباحث الأول، يرى الباحث أن عدد التعاليم ووجهات النظر المختلفة التى اكتشفت فى الهندوسية تجعل من الصعب تحديد الأساس الدينى للتسامح، ومع ذلك هناك اتفاق عبر التعاليم الهندوسية، ولنبدأ بمفاهيم مثل التسامح والواجب والاستقامة والاصطبار والشفقة والتحمل فكل هذه المفاهيم نوقشت فى الأساطير و الشريعة الدينية (رسائل الاستقامة)، وبالنسبة لأولئك الذين يرغبون فى اتباع سبيل الشريعة الدينية للهندوسية (الاستقامة)، فمن المهم أن يمارسوا كل المفاهيم السابق الإشارة إليها، وأيضًا الكرما (قانون السبب والنتيجة) التى تعم التفكير الهندوسى مناسبة هنا، فمن خلال الكرما يواجه الأفراد عواقب أفعالهم فى التناسخ التالى، وبناءً على ذلك يمكن أن يفترض المرء أن افتقاد التسامح والمشاعر السلبية والغضب الشديد جدًا والذى لم يتم التوصل لحل له يمكن فقط أن يُسقط الميلاد المستقبلى. أخيرًا هناك أمثلة متعددة على التسامح الإلهى فى النصوص المقدسة للهندوسية، ففى تعاليم سرآى فاشنافا (الطائفة الدينية الأكبر تمامًا) يتسم الإله فيشنو بخصال العفو والرحمة وغيرها من الخصال، لكن قيل إن زوجته الإلهة لاكشماى – سرآى تمثل بصورة مصغرة خصلتى التسامح والرحمة، وهى مرسومة من خلال التصوير الزيتى على قلب فيشنو، وينبغى أن نلاحظ أن تعاليم الهندوسية هى تعاليم لا تقر بوجود إله موحد، والتعاليم الهندوسية بحكم تعريفها لا تركز على قضية التسامح الإلهى.

وننتقل إلى عرض إجابة الباحث الثانى عن السؤال نفسه. إن الدليل على التسامح كهبة إلهية للبشر التائبين يمكن أن نكتشفها أكثر فى التعاليم الهندوسية المبكرة جدًا وذلك بالقياس إلى التسجيل التوراتى الذى يرجع إلى ما قبل عصر فديك Vedic period (١٠٠٠-٥٠٠٠ سنة قبل الميلاد) فى الهند،

ففى الرجفيدا Rig-Veda هناك صلوات للتسامح تُوجه للرب فارونا، وهو الحاكم الجبار الجالس على عرشه فى الفردوس الأعلى، ويمكن أن يحرر فارونا - فى ظل النظام الكونى - البشر من عبودية آثام الكذب والسُكر والتى تمثل اضطرابًا فى هذا النظام الكونى، ويكون فارونا كريمًا جدًا مع أولئك التائبين، ويمحو الآثام المتراكمة على مدى أجيال من أجلهم، ويوجد لدى فارونا مئات من العلاجات أيضًا للأثم الذليل، ويمكن أن يزيل الإثم أو يُطيل عمر الآثم، وتأمل الاستقامة أن تراه فى العالم الآخر ينعم بالسعادة.

ونعرض أشهر صلاة موجهة لفارونا للتسامح أُخذت من واحد من أقدم أجزاء الرجفيدا (٧,٨٩):

" دعنى الآن أيها الملك فارونا أدخل بيت الطين وليس فيما بعد، إنك تملك الرحمة؛ فاصفح عنى أيها الإله العظيم. عندما تدوى السماء بالرعد فإننى انطلق مرتجفًا مثل الريح التى تمضى مسرعة، إنك تملك الرحمة فاصفح عنى أيها الإله العظيم. أيها الإله الساطع القوى خلال رغبتى فى امتلاك القوة اقترفت إثمًا، وانحرفت عن الطريق المستقيم، إنك تملك الرحمة ؛ فاصفح عنى إيها الإله العظيم. إن الظمأى اكتشفوا سيادة ملكه أثناء وقوفه وسط فيضان الماء، إنك تملك الرحمة؛ فاصفح عنى أيها الإله العظيم، أوه فارونا مهما كانت الإساءة التى نكون قد اقترفناها كبشر فى حق المُضيف المقدس، فنحن انتهكنا قوانين ملكك لقصور تفكيرنا فلا تعاقبنا ياالله على خطايانا"[١٣].

إن المبادىء الشرعية وكتب القانون التى تحكم الطوائف الهندوسية الأربع، ومراحل الحياة التى سُجلت أثناء العصر الكلاسيكى للهندوسية تتعامل مع الآثام (papa) والتكفير (prayascitta) ويقال أن تسامح مانو The Manu-Samhita) 500 سنة قبل الميلاد، ٢٠٠ سنة ميلادية (ينظم من خلال المُشرع

مانو، ويصف التكفير الذى يقود إلى تسامح الآلهة والمجتمع، و يتضمن هذا التكفير الأفعال التى تنم عن الإحسان والطهارة، والصيام والامتناع عن المسكرات وأداء الطقوس الدينية وتلاوتها، مع تقبل مجتمعى لمثل هذه التصرفات.

وبالرجوع إلى فارونا فى هذا الكتاب يؤكد تواصله مع التسامح الفيداوى Vedic forgiveness.

٣- إلى أى مدى يعد التسامح مهمًا أو محوريًا فى تعاليم دينك؟

١-اليهودية:

نظرًا لأن يوم التكفير Day of Atonement يعد من أكثر الأيام قدسية فى السنة اليهودية الدينية؛ لذلك يعتبر التسامح بوضوح موضوعًا محوريًا فى اليهودية، فيمكن أن يسامحنا الله فى هذا اليوم فقط إذا سامحنا أولئك الذين أسأنا إليهم، وتسامح الله لا يشغل وحده منزلة أساسية فى اليهودية، ولكن تسامح الإنسان أيضًا يشغل هذه المنزلة الأساسية فى الديانة اليهودية.

ووفقًا للحاخامات اليهود: منذ أن سامح إبراهيم " أفيميلكا" أصبح التسامح علامة مميزة لسلالة إبراهيم، فهو الهبة المميزة التى منحها الله لهم.

٢-المسيحية:

يعد التسامح لدى المسيحى الورع جزءًا محوريًا دينيا وأخلاقيًا فى التعاليم المسيحية، فهو يمثل إمكانية وواقعية حدوث تغير وتحول لدى الفرد فى علاقته بالآخرين، وعلاقة الآخرين به.

٣-الإسلام:

أولئك الذين يرغبون فى أن تتم مسامحتهم على إساءاتهم؛ ينبغى عليهم أن يتعلموا مُسامحة الآخرين، وإذا كانوا ينشدون مغفرة الله لهم بصورة خاصة؛ فينبغى عليهم أن يتعلموا مسامحة الآخرين على إساءاتهم، فإذا كانوا يرغبون فى أن يتغاضى الله عن هناتهم؛ فينبغى عليهم أن يتعلموا التغاضى عن هنات الآخرين، ويعد التسامح ضروريًا لمبررين هما:

١- إنه مهم جدًا للآخرة أو الحياة الأخرى فالمرء يتسامح بهدف التماس التسامح، والتماس التسامح يعد علامة على التواضع، ومسامحة الآخرين تعد علامة على الشهامة.

٢- التماس التسامح ومسامحة الآخرين يجلب السعادة فى العالم الدنيوى، وعلاوة على ذلك يُحسّن التسامح العلاقات مع الناس حيث إنه يُكسب الفرد المتسامح السمعة الطيبة والاحترام.

وتستمر القبائل والأسر فى العالم الحديث فى الضغائن الدموية على مدى أجيال، لأنهم لم يتمكنوا من أن يتسامحوا، والإسلام يُعلمنا المسلك الوسط بين أدر خدك للآخر، وعدم إنهاء الضغائن الدموية للأبد، فالانتقام بعد حدوث الإساءة مسموح به ولكن يُفضل أن نتسامح. يقول الله فى القرآن فى سورة الشورى فى الآية الثانية والأربعين:

﴿ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ ﴾

- يترجم الباحث "يوسف على" هذه الآية على النحو التالى:

جزاء إساءة إساءة مثلها (فى الدرجة) ولكن إذا الشخص تسامح وتصالح ؛ فأجره على الله.

- ويترجمها الباحث "محمد أسد " التفسير التالى:

ولكن تذكر أن محاولة مقابلة الشر بمثله قد تصبح شرًا أيضًا؛ ولذلك فمن يعفو (عن عدوه) ويتصالح ؛ فإن أجره على الله، فالله يقينًا لا يحب الآثمين (الشورى الآية ٤٢- محمد أسد).

يُلاحظ أن كلتا الترجمتين للآية نفسها صحيحة، فقدم أحدهما ترجمة حرفية (يوسف على)، وقدم الآخر معنىً تفسيريًا أكثر للآية (محمد أسد). إن الانتقام ممن أساء إلينا يكون مسموحًا به فقط فى حدود الإساءة المقترفة، ودون تجاوز حدودها، ولكن هناك احتمال كبير لحدوث تجاوز عند مقابلة الإساءة بمثلها، وبذلك يصبح الضحية مُسيئًا. إن التسامح هو الحماية، ويجلب للمتسامح الخير الكثير من الله.

٤- البوذية:

إن باب التسامح المركب فى حد ذاته كما اتضح من قبل لا يعد بابًا محوريًا فى التعاليم البوذية، ولكن بابى الاصطبار والشفقة يعدان بابين محوريين ومهمين فى التعاليم البوذية خصوصًا ؛ لارتباطهما بطبيعة بوذا وتصرفاته، وفى الواقع يمكن القول إن الشفقة تعد أساس كل الممارسات البوذية.

٥- الهندوسية:

أولئك الذين يرغبون فى اتباع سبيل الدين -كما ذكرنا سابقًا - ينبغى عليهم أن يمارسوا التسامح والشفقة والاصطبار..إلخ. بناءً على ذلك يُعتبر التسامح مهمًا فى التعاليم الهندوسية.

٤- هل التسامح - فى ظل تعاليم دينك - مشروط بإبداء المُسىء أسفه؟ وإذا كان مشروطاً بذلك.. فلماذا؟ وهل هناك شروط أخرى لحدوث التسامح؟

١- اليهودية:

يكون الضحية مضطرًا أن يتسامح فحسب إذا كان الآثم يجتاز عملية التراجع teshuvah، وإذا فشل الآثم فى أن يجتاز عملية التراجع، فقد يستمر الضحية فى اختيار أن يتسامح من قبيل الإحسان، وأحياناً يكون ذلك التصرف غير حكيم ؛ لأنه قد يعوق المعتدى عن الانهماك دائمًا فى عملية التراجع، وقد يجعله يفكر أو يجعلها تفكر فى أن المرء قد يقترف الإساءة نفسها مرات كثيرة دون أن يتكبد أية خسائر، وعندما تكون الإساءة أقل خطورة ؛ قد يُمنح التسامح من قبل الضحية مباشرة ؛ وبذلك يمكنه أو يمكنها أن تتقدم فى الحياة، أو لأن استعادة العلاقة تكون أكثر أهمية بالنسبة له أو لها عن اعتراف المعتدى بالإساءة. عمومًا على الرغم من أن التعاليم اليهودية لا تنظر للتسامح المطلق نظرة إيجابية، فإنها تصر على أن الآثم يجنى التسامح خلال اجتيازه عملية التراجع، وهذا أفضل أساسًا للمعتدى، ويحمى ضحايا محتملين آخرين من أن يُساء إليهم، وتتضمن عملية التراجع كما وُصفت فى الفصل الثانى لمايمونيدز Maimonides "قوانين التسامح" الخطوات التالية :

١- اعتراف المرء بأنه اقترف خطأً.

٢- اعتراف المرء العام بإثمه أمام الله والمجتمع.

٣- التعبير العام عن الأسف.

٤- الإعلان العام بإقرار المسيء بأنه لن يأثم بهذا الشكل مرة أخرى.
هذه الخطوات الأربعة قد تحدث بكاءً معتدلاً واستعطافا للتسامح مع الآثم، وفى حالة الإساءات الأكثر خطورة قد تتضمن أيضًا تغيير اسم الآثم.
٥- تعويض الضحية عن الضرر الذى لحق به، ويصاحبه سلوكيات الإحسان إلى الآخرين.
٦- التماس الآثم الصادق لتسامح الضحية إذا كان ضروريًا بمساعدة أصدقاء الضحية، ولأكثر من ثلاث مرات، (وكذلك أكثر من ثلاث مرات إذا كان الضحية معلمه).
٧- تجنب الظروف التى تتسبب فى حدوث الإساءة، حتى لو كان الانتقال إلى منطقة جديدة.
٨- التصرف على نحو مختلف عندما يُواجه الموقف نفسه مرة أخرى.

٣- المسيحية :

وفقًا لنموذج المسيح المصلوب (لوقا ٢٣:٣٤) فإن التسامح أو على الأقل التوسل إلى الله لأن يغفر لا يعتمد فى المقام الأول على التوبة، ولكن فى مواقف واقعية متنوعة تنشأ المشكلة التى وصفها ديتريش بونهوفر Dietrich Bonhoeffer ب " العفو الرخيص"(١٤) والتى تعنى هنا "التسامح الرخيص"، فالتسامح لا ينبغى أن يُعرض بشكل آلى أو انطلاقًا من دافع أن تصبح شهيدًا؛ وبذلك تكون أفضل من بعض الخصوم وهكذا.

٤- الإسلام:

يتضمن هذا السؤال وجود حالات إساءة محددة من قبل أحد الأطراف تجاه أطراف أخرى، ولكن مواقف الحياة الواقعية لا تكون دائمًا واضحة هكذا، فالطرفان قد لا يتفقان حول ما يعد إساءة ومن هو المُسيء، وفى مثل هذه الحالات قد يكون التحكيم وحل النزاع متطلبًا، ويُعلّم الله المسلم من خلال القرآن أن:

﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات :٩).

فإذا كانت التوبة موجودة، فإنها تُحدث رباطًا بين الطرفين المتنازعين، ومع ذلك فالتسامح لا يتطلب إبداء التوبة من قبل المُسيء، لكن عندما نسأل الله المغفرة؛ عندئذ تكون التوبة متطلبة.

٥- البوذية:

يوضح الجزء الذى اخترناه من أريا سورا جتاكامالا Arya Sura' s Jatakamala أن الاصطبار لا يعتمد على إبداء المسيء أى توبة أو أسف، وهذا يكون أكثر وضوحًا حتى فى الحالة التى يصطبر فيها المساء إليه فى اللحظة التى أُسيء إليه فيها، حيث يتحمل الانتهاك دون إبداء مقاومة، وعلاوة على ذلك يتيح الاصطبار للمساء إليه ممارسة الشفقة، وقد أوضح أريا سورا ذلك أيضًا، عندما حدثنا عن قصة الناسك الذى عذبه الملك الغاضب، ليختبر تفانيه فى الاصطبار، والقصة تتسم بالمبالغة، ونحن متأكدون من ذلك، ولكنها تتيح لنا أن ندرك بوضوح أن الاصطبار والشفقة يمكن أن يمارسا على نحو مستقل عن أى فعل يصدره المُسيء أو أى تغير حادث لقلبه:

وحتى مع قطع يده اليمنى (بوذا القادم) فإنه واصل فى الحقيقة التزامه بالاصطبار، وشعر بألم أقل من حزنه، حيث تخيل المعاناة المرعبة والشديدة المُدخرة للملك المدلل الذى قطع يده. لقد شعر بالأسف للملك ؛ حيث إنه كرجل مريض خذله أطباؤه، وظل ساكنًا.... وبعد ذلك واصل الملك فى ذلك الحين قطع اليد الأخرى للزاهد على نحو وافٍ وكلا ذراعيه وأذنيه وأنفه

وقدميه، ولكن عندما سقط السيف الحاد على جسده فإن ذلك القديس المثالى لم يشعر بالغضب والأسى ؛ فهو يعرف تمامًا أن آلية الجسم ينبغى أن تكون لها نهاية، وهو اعتاد جيدًا ممارسة الاصطبار تجاه الناس، وحتى أثناء تقطيـــع جسده إربًا نظر صامتًا، وظلت روحه كاملة فى اصطبارها المتواصل، ولـــم يشعر بالحزن لنزعته الرقيقة، ولكن رؤية الملك يهجر سبيل الفضيلة سبب له كربًا، فالأرواح الرحيمة التى تملك قوة عظيمة للحكم لاتزعجها كثيرًا الشدائد التى تُبتلى بها كانزعاج الآخرين لها(١٥).

٦- الهندوسية:

يقول الإله سرآى Sri (المعروف على نحو أكثر شـــيوعًا بلاكـــشماى Lakshmi) أنه ينبغى أن نتسامح حتى لو لم تبد الروح التى تُخلّـــد الوحـــشية التوبة، ويبدو واضحًا أن هذا التسامح أكبر كثيرًا من أن يكون معياريًا، إنـــه إلهى، وسلوكيات تسامحه تناقض تسامح الإله فيشنو فى الأســـلوب، ففـــشينو يتسامح فقط إذا وُجدت التوبة، ويمكن أن تجد مزيدًا من المعلومات فى هـــذا الموضوع فى المقالات الآتية :

"The Goddess Sri:Blossoming Lotus and Breast Jewel of Vishnu" (16)

وهناك حالتان نموذجيتان and " Sri: Giver of Fortune ,Bestower of Grace." (17) للتسامح فى أسطورة رامايانا، فيقول الإله لاكشماى أو سرآى فى تناسخه ك " سيتا" (زوجة راما فى أسطورة رامايانا) إنه ينبغـــى أن تتـــسامح مـــع: (١) الغراب حتى لو آذاها، (٢) نساء لانكا الشريرات حتى لو ضايقوها، ويفيـــد هذان المثالان كدليل على تكريس الأخيرة للتسامح عند الحديث عن النعمـــة الإلهية، وبمصطلحات دينية يمنح الرب والإله التسامح إذن سواء أكانت هناك توبة أم لم توجد.

ويكون المرء أكثر واقعية فى العلاقات الإنسانية، وهناك قصص أخرى توضح هذه القضايا، ففشينو فى تناسخه الدنيوى ك "راما" سامح سوجريفا Sugriva بعد أن أبدى التوبة، وعرض سوجريفا أن يساعد راما، ونسى الأخير مايتعلق بذلك، وانتظر راما لفترة طويلة، وغضب لتأخر سوجريفا فى تقديم المساعدة، وأرسل له شقيقه لكشمانا ليذكره بوعده المنسى؛ فاعتذر سوجريفا، وسامحه راما بقوة، وهنا يوجد تصالح كامل، ولكن فى أسطورة ماهبهاراتا Mahabharata عندما أهان أمراء كورافا Kaurava الملكة دروبادى Draupadi فى البهو الملكى، وابتهجوا لذلك ابتهاجًا شديدًا، لم تسامحهم الملكة على ذلك، ولم يكن متوقعًا منها أن تسامحهم طالما أنهم لم يبدوا توبتهم، وننتقل الآن إلى إجابة السؤال الخامس.

٥- هل يستوجب التسامح التصالح مع المُسىء؟ بمعنى آخر هل يكون من المحتمل أن تتسامح مع أخذك قرار بعدم التصالح مع من أساء إليك؟

١- اليهودية:

لا يستوجب التسامح التصالح، ولا يتطلب التصالح التسامح، فقد أسامح المسىء ولكن أقرر أننى لا أرغب فى أن أرتبط به أو بها بعد ذلك، وعلى أية حال لدينا الحق دائمًا فى أن نختار أصدقاءنا، وعندما يكون المُسىء فردًا من أفراد الأسرة يكون هذا الحق أكثر تقييدًا، فطبيعة الأسر تتطلب أن نبذل قصارى جهدنا لننسجم معهم، حتى لو لم نكن نحب فردًا محددًا فى الأسرة بدرجة كبيرة، وتفرض الصداقات الطويلة علينا على نحو مماثل التزامًا أخلاقيًا أن نبذل قصارى جهدنا للتغلب على الإساءة واستعادة العلاقة؛ فيستحق أفراد الأسرة والأصدقاء الطيبون هذا الجهد بفضل الدعم الذى قدموه

لنا على مدى سنوات، وتوليهم واجب الدعم المستقبلى، ولكن حتى فى ظل هذه الحالات قد تتسبب بعض الإساءات فى أن نرفض أن نتصالح مع الشخص الذى آذانا، على الرغم من أننا سامحناه أو سامحناها بصدق وبوعى، ولا يتطلب التسامح على أية حال أن ننسى الإساءة، وبعض الذكريات تكون مؤلمة جدًا بحيث لا تسمح بعلاقات حميمة أعمق، كما أنه لا يتطلب حدًا أدنى من اللطف تجاه أولئك الذين اقترفوا أشياء فظيعة فى حقنا كذلك.

وعلى العكس قد أختار أن أتصالح مع شخص على الرغم من أننى لم أسامحه أو أسامحها، ويكون فشلى فى أن أتسامح خطأً من جانبى إذا اجتاز المسىء عملية التراجع التى وصفناها آنفًا، وإذا لم يتراجع المسىء فعندئذ لن أكون ملزمًا أن أسامحه أو أسامحها، وقد يحثنى حبى للشخص وأملى فى إقامة علاقات مستقبلية معه (أو معها) على أن أتصالح معه(أو معها) على الرغم من الأشياء غير المتسامحة التى فعلها (أو فعلتها) معى.

والمثال المؤلم على هذه الحالات الأخيرة هو علاقة اليهود المعاصرين بالألمان المعاصرين، فعلى الرغم من أن الغالبية العظمى من اليهود والألمان الأحياء الآن لم يكونوا موجودين أثناء محرقة اليهود؛ فإن معظم الألمان ليس لديهم موقفًا أخلاقيًا ليلتمسوا التسامح من اليهود؛ فهم لم يقترفوا أى إثم على أية حال، وعلى الرغم من ذلك فهم قد يشعرون بالذنب لتصرفات آبائهم وأجدادهم، ومعظم اليهود المعاصرين ليس لديهم على نحو مماثل موقفًا أخلاقيًا لكى يسامحوا الألمان ؛ فلم يكونوا هم الذين عانوا من التصرفات النازية بشكل مباشر. إن اليهود ما زالوا يشعرون ببعض الازدراء والخوف من الألمان؛ لأنه فى كثير من الحالات مات أفراد الأسر اليهودية موتًا فظيعًا على أيدى النازيين، وعلى الرغم من أن التسامح بين الألمان واليهود

المعاصرين ليس ممكنًا منطقيًا، فإن التصالح بينهما ممكن وضرورى، ويمكن أن يقرر اليهود والألمان تذكر الماضى؛ ولكن لترسيخ علاقات جديدة بينهما فى الحاضر والمستقبل تتسم بأنها أكثر إيجابية ورسوخا، ويمكن أن يكــون التصالح معقولاً إذا فعل الألمان كل ما بوسعهم لتعويض ضحايا المحرقــة، ومنع تكرار هذه الأفعال الفظيعة، وتوطيد أسس جديدة لعلاقات إيجابية، وهذا هو ما فعلته بالضبط الحكومات الألمانية بعد أحداث المحرقــة مــن خــلال برامجهم للإصلاح، ومساندتهم الدبلوماسية لدولة إسرائيل، وترحيبهم باليهود السوفيت وسطهم. إن التصالح يكون صعبًا دون وجود التسامح، فــلا يــزال كثير من اليهود يشعرون بالتحفظ فيما يتعلق بالذهاب لألمانيا أو حتى شــراء المنتجات الألمانية، ولكنه ممكن وفى بعض الأحيان كما فى هذه الحالة يكون مرغوبًا فيه.

٢- المسيحية:

لا توجد شروط مسبقة للتسامح، ومع ذلك يعد التسامح شرطًا مــسبقًا للتصالح، وينبغى ألا يحجب المسيحيون أنفسهم عن إمكانية التصالح، ومــع ذلك يجب أن نكون واقعيين فى إدراك أن التصالح قد لا يحدث أحيانًا.

٣- الإسلام:

إن التصالح يكون مرغوبًا ولكنه ليس أساسيًا لحدوث التــسامح، فــإذا شعر الضحية أن المسىء لديه عيب شخصى خطير، وهذا العيب ليس فــى صالحه (أو صالحها) فإنه لا يتصالح مع المسىء(أو إنها لا تتصالح)، وأحيانًا يكون أفضل لسلامة المرء أن لا يواصل علاقاته العادية مع أنواع محددة من الشخصيات، ولكن لا ينبغى عليه أن ينفصل كليةً عن أشقائه المسلمين.

٤- البوذية:

تعتمد الإجابة عن هذا التساؤل على ما الذى يعتبره المرء تصالحًا، فالتصالح بوضوح كما افترضت فى إجابتى السابقة ليس ضروريًا لممارسة الشفقة، ولكن إذا نظر المرء للتصالح على أنه تعبير عن قيمة المسىء والاحتياج إليه ؛ فهذا إذن هو الخاصية المميزة للشفقة، وكما قال جاتاكامالا: "إن معاناة الآخرين هى التى تجعل الأُناس الطيبين يعانون، فهم يتحملون معاناتهم هم أنفسهم، ولكنهم لا يتحملون معاناة الآخرين"(١٨).

وباختصار هناك اتفاق عام فى التعاليم البوذية على أن المرء ينبغى أن يكون صارمًا فى ضبط انفعالاته وأفعاله، ولكن فى الوقت نفسه ينبغى عليه أن يكون متسامحًا تمامًا مع أفعال الآخرين ومتفهمًا لها، خاصة أفعال أولئك الذين آذوه.

٥- الهندوسية:

تتألف الهندوسية كما ذكرنا آنفًا من تعاليم متعددة، وكثير منها ستترجم هذا السؤال على نحو مختلف، ولذلك سيكون مستحيلاً أن نعرض قانونًا موحدًا فيما يتعلق بالتسامح والتصالح يكون مقبولاً، ويُمارس من قبل كل الأفراد فى إطار مختلف التعاليم البوذية، وأمثلة القصص التى تحض على التسامح والتصالح فى إطار التعاليم البوذية تكون عمومًا ذات طبيعة دينية.

المناقشة:

نود أن نقدم تعليقات قليلة فيما يتعلق بأوجه التشابه والاختلاف فى مناحى التسامح عبر الأديان، وينبغى أن يُنظر لهذه التعليقات بحذر للمبررات

التالية: (١) أننا علماء اجتماعيون ولسنا باحثين متخصصين في الدين المقارن. (٢) إن بنية الفصل لم تتح للباحثين المنتمين للأديان الخمسة تقديم تعليقات شاملة، ومع ذلك نأمل أن تفيد هذه المناقشة كنقطة بداية للحوار بين الأديان عن طبيعة التسامح.

ويتسق التسامح مع الرؤى العالمية لكل الأديان التى عُرضت فى إطار هذا الفصل، فتم تناول التسامح على نحو واضح فى اليهودية والمسيحية والإسلام والهندوسية، ويصنف التسامح فى البوذية ضمن مفاهيم الاصطبار والشفقة، علاوة على ذلك يعد التسامح مهمًا فى إطار كل دين من هذه الأديان، فأوضح باحثونا المسيحيون واليهود أن التسامح يعد محوريًا فى تعاليم أديانهم، ويعد الاصطبار والشفقة على نحو مماثل محوريان فى التعاليم البوذية، ويعد استقبال التسامح من الله مسألة دينية أساسية فى الإسلام، ويُقدّر الإسلام فى الأصل التسامح المتبادل بين الأشخاص؛ نظرًا لأن الله يُقدر التسامح، بالإضافة إلى ذلك يُقدّر الإسلام التسامح المتبادل بين الأشخاص؛ لأنه يمكن أن يُصلح العلاقات وييسر السلام، ولكن قرار المرء أن يسامح المسىء إليه هو حق مكفول للضحية وليس قرارًا مُلزمًا دينيًا، ويتضح أن التسامح فى الهندوسية مكافىء فى أهميته أهمية صفات جوهرية كالشفقة والواجب والتحمل ومفاهيم أخلاقية أخرى.

وليس مثيرًا للدهشة أن تزودنا الأديان ذات النشأة المتشابهة بمبررات متشابهة للتسامح، ففى الديانات الإبراهيمية (كاليهودية والمسيحية والإسلام) يُتوقع من البشر أن يحاكوا الله الذى يتسامح بالطبيعة، وعلاوة على ذلك يتقبل الأفراد التسامح من الله كدالة لرغبتهم فى أن يسامح بعضهم بعضًا، ويقود التسامح فى الحقيقة إلى المكافأة فى الحياة الدنيا و فى الآخرة، وعلى العكس يعد التسامح ضروريًا فى البوذية؛ لإنهاء معاناة الذات والآخرين؛ ولتحقيق

التنوير، وفى الهندوسية يعد التسامح ضروريًا إذا اختار المرء اتباع سبيل الاستقامة، ووفقًا للبوذية والهندوسية ستعاود القضايا التى لم يتم التوصل إلى حل لها للظهور مثل الغضب فى التناسخ اللاحق أثناء الكرما.ويتضح أن الإسلام والمسيحية يشجعان التسامح بغض النظر عما إذا كان المسىء قد عبر عن توبته أم لا، وتؤكد اليهودية بوضوح قواعد محددةً لمتى ينبغى أن يتسامح الضحية، وكما أوجزنا فى قانون التسامح لمانموندز: يكون الضحية ملزمًا أن يتسامح فقط بعد أن يعبر المسىء عن توبته، ويجتاز عملية التراجع، وعلى الرغم من أن الضحية قد يختار أن يتسامح حتى لو فشل المسىء فى اجتياز عملية التراجع، فإن هذا يكون معوقًا للتسامح خاصةً إذا كانت الإساءة شديدة، وتصور بعض القصص الهندوسية المقدسة أن التسامح الإلهى يتم دون إبداء التوبة، وتوضح قصصًا أخرى أن إبداء التوبة يعد شرطًا مسبقًا لاستقبال التسامح من الله، ويؤمن البشر بمجموعة من المعايير المختلفة فضلاً عن إيمانهم بالله، ويتضح أن البشر لا يكون مطلوبًا منهم أن يتسامحوا عندما يفشل المسىء فى إبداء التوبة.

وتصف النصوص المقدسة فى بعض الأديان الأفراد الذين يتسامحون على الرغم من معاناتهم الإيذاءات العميقة، ويتضح فى هذه الديانات أن التسامح لا يعتمد على درجة شدة الإساة، وتتضمن الأمثلة تسامح المسيح عليه السلام مع جلاديه، وتسامح محمد عليه الصلاة والسلام مع أولئك الذين اضطهدوه، وضرب بوديست مثلاً بالزاهد الذى عذبه الملك الغاضب. أما موقف الهندوسية فى هذا الأمر فهو غير واضح، وقد لاحظ بيك وفقًا لقانون

تسامح مانيو أن بعض الآثام تعتبر غير قابلة لأن تُغفر (مثل قتل براهمين المخل وشرب الخمر والسرقة ومعاشرة المرء الجنسية لزوجة معلمه، والارتباط بشخص اقترف أى آثام)، ولكن يظل غير مؤكد كيف ينظر الهندوس المعاصرين لهذه المعتقدات، وقد جاهد اليهود ضحايا المحرقة

النازية أثناء الحرب العالمية الثانية فى هذه القضية بطريقة شديدة جدًا كمـا وصفها كتاب سيمون ويسنثال الـصادر سـنة (١٩٧٦) والمعنـون "عبـاد الشمس"، واستمر اليهود يفكرون فى ما إذا كان التسامح ممكنًا أو مرغوبًا بعد مثل هذه الإساءة الرهيبة. أخيرًا هناك آراء مختلفة لدى الباحثين فيما يتعلـق بما إذا كان التسامح ضروريًا للتصالح، فأوضح باحثونا اليهود والمسلمون أن التصالح لا يعد شرطًا مسبقًا للتسامح، وأوضح الباحث البـوذى أن الـشفقة والتصالح يرتبطان ارتباطًا وثيقًا، على الرغم من أنه قد لاحـظ أن المـرء يمكن أن يكون شفوقًا فى ظل غياب التصالح، وأوضح الباحث المـسيحى أن التسامح ينبغى أن يسمح دائمًا بإمكانية التصالح، ومع ذلك سلم بأن التصالح قد لا يحدث دائمًا، وينبغى أن نلاحظ (Smedesk 1996) أن المؤلفين المسيحيين يميزون بوضـوح بين التسامح والتصالح، وأوضحت ناريانا (الباحثة الهندوسية) أنه لا يوجـد قانون موحد فى هذا الأمر يمكن تطبيقه فى ظل التعاليم الهندوسية المختلفة.

والخلاصة :

نأمل أن يبدأ الباحثون والاختصاصيون العياديون المعنيون بالتـسامح فى دراسة التصورات النظرية الثرية للتسامح التى تزودنا بها التعاليم الدينية، ونحن نعتقد أن هناك حكمة فى الرؤى التى تطرحها التعاليم الدينية، والتـى نعتبرها قضايا مهمة وُجدت قبل أن يوجد علم النفس كعلم رسمى، وكما أشار هوستين سميث سنة (١٩٩٤) إن الرغبة فى الاستماع تعد الخطوة الأولى فى فهم التعاليم الدينية، والفهم الدينى لمفاهيم من قبيل التسامح قد يزود الباحثين الاجتماعيين باستبصارات نفسية عن طبيعة الخبرات الإنسانية، تستحق على الأقل أن الاستكشاف مستقبلاً.

الملاحظات:

1- Edward William Lane ,Arabic- English Lexicon (Lahore, Pakistan: Islam Book Center,1982). Originally published by William and Norgate, London,England,1863.

2- J.M.Cowan,ed.,The Hans Wehr Dictionary of Modern Written Arabic, 3rd ed.(Ithaca:Spoken Language Services,Inc.,1976).

٣- الله هو اسم الكائن الأعلى فى اللغة العربية، وفى الإنجليزية يسمى GodH أو Hebrew

Eloh أو Elohism. والله هو الخالق وهو المنشيء والواجد لكل شـــيء فى الكون، ونستخدم فى هذه المقالة لفظى الله وGod كلفظين مترادفين.

4- G.P.Malalasekcra,English –Sinhalese Dictionary (Colombo: Gunasens, 1982).

5- Peter Khoroche ,trans., ,When the Buddha was a Monkey: Arya Sura' s Jatakamala,202-203.

٦- استخدمنا فى هذا الفصل الترجمة التالية للقرآن:

Muhammed Asad ,trans.,The Message of the Qur' an (Gibralter:Dar AL-Andalus,1980). كما رجعنا إلى تراجم أخرى كترجمة عبد الله يوسف على :

Abdullaḥ Yusuf Ali ,trans.,The Holy Qur' an , Text, Translation and Commentary (Brentwood, MD: Amana Corporation,1989)

وترجمة:

Muhammed Marmaduke Pickthal, trans,.The Glorious Qur' an. Text and Explantory Translation, various publishers.

7- Fazle Karim, trans., Mishkat al- Masabih under the title AL-Hadis,Vol.1,No.339 (Lahore,Pakistan: The Book House,1938),548.

8- Fazle Karim ,trans., AL-Hadis,No.192w,p.548.

9- Imam Al-Nawawi, Riyadh-Us-Saleheen , S. M.Madni- Abbasi ,trans., Vol.1,No.45 (Karachi, Pakistan: International Islamic Publishers {Pvt} Ltd.,1990),43.

10- Muhammad HusaynHaykal ,The Life of Muhammad ,Ism' ail Ragi A.aL-Faruqi,trans.(North American Trust Publications,1976), 408.

11- A.P.Buddhadatta,trans.,Dhammapadam: An Anthology of Saying of the Buddha(Colombo: Apothecaries,n.d.),2.

12- Peter Khoroche,When the Buddha was a Monkey: Arya Sura' s Jatakamala,202-203.

13- Ralph T.H.Griffith,trans.The Hymns of the Rig –Veda(Delhi: Motilal Banarsidass,1973 Reprint),378.

14- Dietrich Bonhoeffer,The Cost of Discipleship, R.H.Fuller,trans.(New York :Macmillan,1963).

15- Peter Khoroche,When the Buddha was a Monkey: Arya Sura' s Jatakamala,202-203.

16- Vasudha Narayanan, " The Goddess Sri: Blossoming Lotus and Breast Jewel of Vishnu", in The Divine Consort: Radha and The Goddesses of India ,eds. John S.Hawley and Donna Wulff (Berkeley Religious Studies Series,1982).

17- Vasudha Narayanan , " Sri: Giver of Fortune ,Bestower of Grace," in Devi: Goddesses of India ,eds. John S.Hawley and Donna Wulff (University of California Press,1996).

18- Peter Khoroche ,When the Buddha was a Monkey: Arya Sura' s Jatakamala,178.

المراجع

- Dorff,E.N.(1998).The elements of forgiveness: A Jewish approach.In E.L.Worthington.Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness(pp.29-55).Radnor,PA: John Templeton Press.

- Educational Psychology Study Group (1990).Must a Christian require repentance before forgiving ? Journal of Psychology and Christianity,9,16-19.

- Enright,R.D.,Eastin,D.L.,Golden ,S.,Sarinopoulos,I.,Freedman ,S.(1992). Interpersonal forgiveness within the helping professions :An attempt to resolve differences of opinion. Counseling and Values,36,84-103.

- Enright,R.D.,&Zell,R.L.(1989). Problems encountered when we forgive one another. Journal of Psychology and Christianity, 8,52-60.

- Gassin,E.A.,&Enright,R.D.(1995).The will to meaning in the process of forgiveness.Journal of Psychology and Christianity,14,38-49.

-Gorsuch,R.L.,&Hao ,J.Y.(1993).Forgiveness: An exploratory factor analysis and its relationship to religious variables. Review of Religious Research ,34,333-347.

-Jones-Haldeman ,M.(1992).Implications from selected literary devices for a new testament theology of grace and forgiveness.Journal of Psychology and Christianity,11,136-146.

-McCullough ,M.E.,& Worthington ,E. L. ,Jr.(in press).Religion and the forgiving personality.Journal of Personality.

- Newman ,L.E.(1987).The quality of mercy: On the duty to forgive in the Judaic tradition. Journal of Religious Ethics,15,155-172.

- Paloma,M.M.,&Gallup, G.H.,Jr.(1991).Varieties of prayer: A survey report. Philadelphia: Trinity Press International.

- Pargament , K.I., Rye,M.S.(1998).Forgiveness as a method of religious coping.In E.L.Worthington ,Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness(pp.59-78).Radnor, PA: John Templeton Press.

- Pingleton,J.P.(1989).The role and function of forgiveness in the psychotherapeutic process. Journal of Psychology and Theology,17,27-35.

- Rokeach,M.(1973).The nature of human values.New York: Free Press.

- Rye,M.S.,&Pargament, K.I.(1998).Forgiveness and romantic relationships in college: Can it heal the wounded heart? Manuscript submitted for publication.

- Shoemaker,A.,&Bolt,M.(1977).The Rokeach Value Survey and perceived Christian values. Journal of Psychology and Theology,5,139-142.

- Smedes,L.B.(1996).The art of forgiving.Nashville ,TN:Moorings.

s religions: Aguide to our-Smith ,H.(1994).The illustrated world wisdom traditions.New York: HarperCollins.

- Wiesenthal,S.(1976).The sunflower.New York: Schocken Books.

الفصل الثالث

معنى التسامح فى سياق موقفى وثقافى نوعى

لدى الأشخاص الذين يعيشون فى ظل الإصابة بفيروس نقص المناعة/ الإيدز في الهند...

تأليف: ليديا تيموشوك وبربارا شاندرة

يبدو واضحًا أن آليات التسامح المتبادل بين الأشخاص والتسامح كعملية نفسية داخلية ستتباين وفقًا للإطار الثقافى للفرد وموقفه الحياتى كذلك (مثل السن، والنوع، والحالة الاقتصادية - الاجتماعية، والحالة الصحية، والحالة الزواجية والعائلية..إلخ)، والهدف الأساسى لهذا الفصل هو استكشاف معنى التسامح فى سياق ثقافى محدد هو الهند، وفى ظل حالة صحية محددة هى إصابة الفرد بفيروس نقص المناعة الإنسانى (HIV)، ذلك الفيروس الذى يسبب أزمة نقص المناعة المكتسبة المعروفة بالإيدز (AIDS). والهدف الثانى هو وصف الأسس النظرية لتطوير منهج قياس يكون ملائمًا للحالة الصحية لعينة الدراسة وللسياق عبر الثقافى، ويكون كذلك قابلاً للتطبيق وصادقًا.

إن وباء نقص المناعة /الإيدز (HIV/AIDS) يشكل ظاهرة بيولوجية ونفسية واجتماعية جديدة؛ حيث إنه يؤثر على صحة الفرد المصاب، ويؤثر كذلك على كل جوانب حياة الأشخاص الذين يعيشون فى ظله، ونرمز للأشخاص الذين

يعيشون فى ظل فيروس نقص المناعة والإيدز بالحروف التاليــةPLWHA ()[*]، وتتضمن جوانب الحياة التى تتأثر بالفيروس العلاقــات الزواجيــة، والعلاقــات الحميمة، وإنجاب الأطفال، والأبوة، وأداء وظائف العمل، والوظائف الاجتماعية، وكذلك التنعم النفسى والروحى (Temoshok,1990,1998) وربمــا يزودنــا نقــص المناعة /الإيدز كحالة صحية بنموذج جوهرى لدراسة تأثير التسامح على نوعية الحياة، وقد يُقال إن الإدراكات الخاصة بنقص المناعة /الإيدز تشبه بدرجة كبيرة الإدراكات الخاصة بالسرطان فى الولايات المتحدة منذ خمسين عامًــا: حيــث يدرك الإيدزعلى أنه عادة مرض مُهلك، وهو مرض عُــضال أساسًــا مــرتبط بشعور المحيطين بالفرد والفرد نفسه بالعار بسبب الإصــابة بهــذا المــرض، وشعور المصاب باليأس (على الرغم من التقدم فى الخيارات العلاجية باستخدام مجموعة من العلاجات، التى حسنت مقدرة الأطباء على علاج نسبة جوهريــة من الأفراد المصابين بنقص المناعة /الإيدز، ولكن فى الدول المتقدمة فى المقام الأول وليس الدول النامية)، ومرض نقص المناعة مختلف عن السرطان علــى الرغم من ذلك، فهو مرض مُعدٍ، قابل للانتقال بواسطة اثنــين مــن القــوى الإنسانية الداخلية، وهما النشاط الجنسى والتناسل.

إن الخوف الشديد، ووصمة العار التى تحيط بانتقاله لدى أولئك الأفــراد الحميمين للإنسان المصاب، تلقى دورًا مركزيًا على مفهــوم التــسامح متعــدد الأبعاد بالنسبة لأولئك الأفراد الذين يعيشون مــع المرضــى، والأفــراد الــذين يحبونهم، وتثير عدة تساؤلات: كيف يتوافق الرجال والنساء المصابون بــنقص المناعة مع الرغبات الطبيعية فى أن يمنحوا الحياة لأطفالهم؟ ورؤيتها مــستمرة من خلالهم، وخوفهم الواقعى من أن أطفالهم قد يولدن مصابون بنقص المناعة، أو إذا استثنوا من هذا المصير المحتوم، فإنهم قد يصبحون أيتام فى سن صغيرة

(*) اختصار: Person living with HIV/AIDS "المترجمة"

جدًا؟ (Goldscmidt.Temoshock,& Brown,1993)، وكيف يتوافق الأفراد المصابون مع أولئك الذين انتقلت العدوى من خلالهم؟ وكيف يسامحونهم؟ ويسامحون الله، أو أية كائنات روحية سمحت لهذه المأساة أن تحدث؟

نقص المناعة/الإيدز فى الهند:

السياق الوبائى :

إن أبعاد وباء نقص المناعة (HIV) تفوق الخيال، ففى بداية سنة (١٩٩٨) انتقلت العدوى بفيروس نقص المناعة إلى ما يزيد عن ثلاثين مليون فرد على مستوى العالم، ذلك الفيروس الذى يسبب الإيدز، ووفقًا لتقديرات برنامج الأمم المتحدة عن معدلات الإصابة بنقص المناعة /الإيدز، ولتقديرات منظمة الصحة العالمية، فإن (١١,٧) مليون فرد فقدوا حياتهم بسبب الإصابة بهذا المرض (UNAIDS&WHO,1998)، والعدوى بفيروس نقص المناعة مركزة فى العالم النامى، وبدرجة أكبر فى البلدان الأقل قدرة على توفير الرعاية للأفراد الذين انتقلت إليهم العدوى، وحديثًا جدًا ازدادت معدلات العدوى بسرعة فى أوربا الشرقية، وجنوب أفريقيا، وبلدان كثيرة فى آسيا متضمنة الهند بؤرة اهتمامنا فى هذا الفصل.

وعلى الرغم من أن إشراف المنظمات المعنية بالصحة غير كامل فى الهند، فإنها تُقدّر أن ما يقرب من أربعة(٤) ملايين فرد فى الهند يعيشون مع أفراد مصابين بفيروس نقص المناعة، وهذا ما جعل الهند أكبر دولة من حيث عدد المصابين بفيروس نقص المناعة على مستوى العالم (UNAIDS&WHO,1998)، وقد صرح مدير منظمة الصحة العالمية جنرال جرو بروندتلاند Gro Brundtland فى سبتمبر سنة (١٩٩٨) بأن ما يزيد

كثيرًا عن سبعة (٧) ملايين هندى قد يكونون مصابين بفيروس نقص المناعة(Agence France- Press,1998)، وتبين عند اختبار النساء الحوامل فى مدينة بونديتشيرى Pondicherry بالهند أن معدل العدوى بينهن يقرب من (٤%).

الجمهور الأكثر استهدافًا :

تُعزى الإصابة بفيروس نقص المناعة فى الهند أساسًا إلى النشاط الجنسى الذى تنتقل من خلاله العدوى، على الرغم من أنه فى بعض المقاطعات على وجه التحديد مقاطعة مانيبور Manipur فى الشمال الشرقى يحل الوباء بسرعة بين المتعاطين من خلال الحقن، وأكثر القطاعات السكانية تأثرًا ممارسى الجنس كمهنة (البغايا)، وسائقى النقل (UNAIDS& WHO,1998).

سائقو النقل :

تضاعفت نسبة الإصابة بفيروس نقص المناعة أربع مرات لدى سائقى النقل فى المقاطعة الجنوبية لمداراس Madras من (١,٥%) فى سنة (١٩٩٥) إلى (٦,٢%) بعد مضى عام واحد فقط (UNAIDS&WHO,1998)، وعلى المستوى القومى يزداد معدل الإصابة الحالى بالنسبة لسائقى النقل زيادة كبيرة جدًا عن معدلات الإصابة لدى الجمهور العام. فمن بين كل ألف (١٠٠٠) سائق يتعرض عشرة سائقين للعدوى، بينما يتعرض (٠.٥%) من الجمهور العام للعدوى من بين كل ألف (Rao,Pilli,Rao,&Chalam,1999).

وليس مثيرًا للدهشة أن ينتشر فيروس نقص المناعة فى الهند بوجه عام بعد نقل الشاحنات فى ظل وجود أكبر شبكة طرق فى العالم فيها، وعدد سائقى نقل يُقدّر بخمسة ملايين سائق، فسائقو النقل الذين يكونون بعيدين عن أسرهم مدة طويلة، يلجأون إلى البغايا الذين يكونون فى متناولهم على الطرق العامة؛ للإنعاش الجنسى، وفى دراسة مسحية أجريت سنة (١٩٩٤) على خمسة آلاف وسبعمائة وتسعة سائقين من سائقى المسافات الطويلة، تبين أن (٨٧%) منهم كان لديهم أكثر من رفيقة، ولكن (١١%) فقط كانوا يستخدمون العازل الطبى أثناء لقائهم الجنسى معهن (Rao et al., 1999)، وأوضح (٨٧%) من السائقين، من بين السائقين غير المتزوجين الذين تراوحت أعمارهم من إحدى وعشرين سنة وحتى ثلاثين سنة، أوضحوا أن لهم رفيقات يمارسون الجنس معهن، بلغ عددهن من إحدى وثلاثين فتاة وحتى ستين فتاة، وذلك أثناء الإثنى عشر شهرًا التى يقضونها فى السفر. ويُعتقد أن سائقى النقل يصابون بالفيروس من خلال البغايا اللاتى ينتمين للبيئات الأوربية، حيث ينتشر فيروس نقص المناعة هناك انتشارًا كبيرًا، وبالتالى ينتشر المرض على طول الطرق بين البغايا غير المصابات، وكذلك بين الزوجات الحاليات، أو زوجات المستقبل لسائقى النقل، ورفقائهم عندما يعودون إلى منازلهم، وعادة تكون الإصابة أكثر فى القرى الريفية (Mann & Tarantola,1996)، وفى كل السياقات الزواجية التى تتضمن زوج مصاب بفيروس نقص المناعة، يوجد تقريبًا رجل نقل العدوى إلى زوجته، أو رفيقته بعد أن اكتسب العدوى من خلال البغايا (Chandra,1996).

النساء اللاتى يمارسن الجنس كمهنة:

إن النساء اللاتي يمارسن الجنس كمهنة (البغايا) فى كل العالم يكن مستهدفات بدرجة مرتفعة؛ لأن يصبن بفيروس نقص المناعة، والأمراض الأخرى التى تنتقل العدوى بها من خلال الجنس، ويعانين من نوعية حياة أكثر انخفاضًا، وذلك بالقياس بالنساء المصابات بالفيروس و لا يزاولن الجنس كمهنة(d'Cruze-Grote,1996)، وقد انتشر فيروس نقص المناعة من سنة (١٩٨٦) وحتى سنة (١٩٩٤) بين النساء اللاتى يزاولن الجنس كمهنة فى آسيا فى مادورىMadurai بالهند (٥٤,٧%)، وانتشر بنسبة تزيد عن (٣٠%) فى مناطق أخرى بالهند (Mann& Tarantola,1996).

إن صناعة الجنس فى الهند، بالإضافة إلى بلدان أخرى فى آسيا، تُظهر غالبًا الظروف الحاكمة للبغاء الاضطرارى، والاستغلال الجنسى (Muecke,1992). فالعمل الجنسى التجارى عمومًا يعد نتيجة مباشرة للضغوط الاقتصادية، وهو ليس عملا اختياريًا، وعندما تعتمد البغايا على مال العميل لتدفع ثمن الطعام والمسكن، أو الدواء، فإنهن لا يكن فى موقف يتيح لهن أن يكن عنيدات فيما يتعلق بطلب استخدام العازل الطبى (Mann,Tarantola,&Netter,1992)، وبمجرد أن تنتقل إليهن العدوى بفيروس نقص المناعة الذى يتعذر اجتنابه بالفعل فى المناطق التى ينتشر فيها الفيروس انتشارًا مرتفعًا، فإن بقاءهن وأطفالهن على قيد الحياة يصبح مشكلة عاجلة، وتستنفذ كل الجهود.

ويشن البوليس عادة حملات على بيوت الدعارة فى بومباى (بومبيى سابقًا)؛ لاختبار النساء المصابات بفيروس نقص المناعة على نحو قسرى، ويضع من يجدهن مصابات فى مراكز الحجز، ووفقًا للتقرير الذى أوردته جريدة البرقية الجديدة فى عدد أغسطس سنة (١٩٩٦)، لا يعاملن هناك

كضحايا بل كمجرمات، وتعنى الحملات الفجائية أن النساء البغايا يتركن خلفهن أموالهن، ومتعلقاتهن، وحتى أطفالهن، ويعد السل (TB) من الأمراض الشائعة فى مراكز الحجز، وتصاب النساء اللاتى انتقلت إليهن العدوى بفيروس نقص المناعة بسهولة بالسل، وكثير من هؤلاء النساء اللاتى خُطفن من نيبال شمال الهند، أو من مناطق أخرى، وأُجبروا على ممارسة الدعارة، لا يكن قادرات على الرجوع إلى منازلهن ليحصلن على المساندة من قبل أسرهن وجماعاتهن.

وتتفاقم هذه المشكلة بالنسبة للفتيات الصغيرات اللاتى تم بيعهن لممارسة الدعارة من قبل أسرهن، وبناءً على ذلك يكن جوارى لممارسة الجنس بالمعنى الحقيقى، وليس لديهن حقوق ولا يوجد من يلجأن إليه للمساعدة، وتكون الإناث الصغيرات على وجه الخصوص أكثر قابلية للعدوى بفيروس نقص المناعة؛ نظرًا لقابليتهن الأكبر لأن يُجرحن؛ ولأن الخلايا العُنقية غير الناضجة تتيح للفيروس أن يقترب من مجرى الدم بسهولة، ويكون الخوف من الإيدز هو المسئول بشكل أساسى عن الطلب الملتوى للفتيات الصغيرات، وللأطفال الصغار"، وذلك وفقًا لتقرير أوفيليا كالسيتاس سانتوس المقرر الخاص لحقوق الإنسان، الذى أعدته بناءً عن دراسة عن الأطفال الذين يمارسون البغاء، نُشرت سنة (١٩٩٦) عن طريق الأمم المتحدة.

ما معنى أن تكون مصابًا بنقص المناعة فى الهند:

تؤدى الإصابة بفيروس نقص المناعة إلى شعور المريض بالعار، والانعزال، والتمييز فى المعاملة، ويعتبر مرض نقص المناعة "مرضًا قذرًا" ناتجًا عن السلوك السيء، ويعتبر أعضاء عائلة المريض أنه من المخزى

غالبًا أن يكون فى عائلتهم شخص مصاب بنقص المناعة، ويرتبط فيـروس نقص المناعة /الإيدز بالخزى، والـذنب، وشـعور المـريض بأنـه آثـم (Bharat,1995)، وعلى الرغم من زيادة انتشار فيروس نقص المناعـة فـى الهند، فإن معرفة الأفراد بكيفية انتشار الفيروس لا تزال ضئيلة جدًا، فيحمل نقص المناعة فى طياته أنه مرض ينتقل بالعدوى، وهو مـرض عُـضال، وغير قابل للشفاء، وهذا مماثل لكيفية إدراك النـاس لمـرض الجُـذام فـى الماضى، ويضاف إلى ذلك الاتجاه المنتشر هناك والذى مؤداه: أن الأشخاص الذين يصابون بهذا الفيروس هم أشخاص فاسقون، ومن ثم فإنهم يـستحقون المعاناة التى يقاسونها نتيجة إصابتهم بفيـروس نقـص المناعـة /الإيـدز (Bharat1995;Ahuja,Parker&Yeolakar,1998).

مثيرات المشقة الخاصة بالإصابة بفيـروس نقـص المناعـة والمرتبطـة بالحاجات الطبية ونظام الرعاية الصحية:

يتعامل الأشخاص المصابون بفيروس نقص المناعة مع مثيرات مشقة متعددة فى بلد كالهند، موارده هزيلة، ووصول الرعاية الصحية لمـستحقيها ضئيل، ويُولِّد نقص المعرفة المتعلقة بالمرض اتجاهات سلبية نحو الأفـراد المصابين، حتى لدى من يقدمون الرعاية الصحية، ولذلك يتعامل الأشخاص المـصابون بفيـروس نقـص المناعـة مـع مثيـرات مـشقة متعـددة (Chandra&Prasadarao, فى المطبعة).

وتتضمن مثيرات المشقة الصحة الجسمية الهزيلة، ونضوب المـوارد الاقتصادية؛ نظرًا للصعوبة التى يجدها المريض فى الالتزام بتنفيذ أى عمل ذو طبيعة نظامية، ورعاية الأسرة، بالإضافة إلى تكاليف العلاج.

وتعد صعوبة الوصول إلى رعاية صحية ملائمة مصدرًا آخر من مصادر المشقة المنتشرة التى يعانى منا مريض الإيدز فى الهند، وقد تم تحديد مجموعة من العوائق التى تؤثر على جودة الرعاية الصحية، متضمنة عوائق مرتبطة بالمريض (مثل إدراك مرض نقص المناعة على أنه مرض عُضال، ومقاومة الأسر الإفصاح عن أن لديها فردًا أُصيب بالعدوى)، وهناك عوائق مرتبطة بنظام توصيل الرعاية الصحية (مثلاً الشخص المصاب بالإيدز الذى ينشد المساعدة لدى طبيب فى عيادة ريفية، يُحوله الطبيب عادة إلى مركز طبى متخصص فى منطقة حضرية، وهذا يكون صعب الوصول إليه نظرًا لبعد المسافة وللتكاليف المادية) (Chandra & Prasadarao فى المطبعة).

فقليل من المرضى يمكنهم تحمل التكاليف الباهظة لمجموعة العقاقير الخاصة بالإيدز، والتى أحدثت اختلافًا مثيرًا فى تخفيض نسب الوفيات بالإيدز فى الولايات المتحدة، وأوربا الغربية منذ سنة (١٩٩٧)، ونقص وصول هذه العقاقير قد يكون أحد مبررات الاهتمام المتزايد بأساليب العلاج البديلة (سواء " التقليدية " أو" غير المألوفة")، وقد لاحظت شاندرا أن ما يقرب من (٦٥%) من مرضى الإيدز الذين يحضرون إلى العيادات التى تقدم الرعاية والارشاد فى بنجالو، قد جربوا فى بعض الأحيان بعض الأساليب العلاجية البديلة، ولسوء الحظ قليل من هذه العلاجات من ثبتت فاعليته، وكثير منها له آثار جانبية خطيرة، ومعظمها لا تفعل أكثر من استنفاذ مزيد من موارد الأسرة (,Chandra& Prasadarao فى المطبعة).

ردود الأفعال النفسية المصاحبة للإصابة بفيروس نقص المناعة :

هناك عدد من المشكلات النفسية الاجتماعية المرتبطة بإصابة الفرد بفيروس نقص المناعة، ومن أكثرها انتشارًا وصمة العار التى تصم المصاب،

والتمييز فى المعاملة، والانعزال، وهذه المشكلات تؤدى فى المقابل إلى تولد مشاعر الاغتراب، والذنب، واليأس لدى المريض المصاب بالإيدز، والناس التى تعرف أن نتائج تحاليلها إيجابية يصبحون غالبًا مكتئبين اكتئابًا حادًا، وقد يظهرون أفكارًا انتحارية (Ahuja et al.,1998;Chandra,Ravi, Desai,&Subbakrishna,1998)، وقد أوضح (٣٣%) من مرضى نقص المناعة (HIV) الذين يترددون على عيادة فى مومباى معاناتهم من القلق والاكتئاب المرتبطين بالخوف من اقتراب الموت، ووصمة العار الاجتماعية المرتبطة بالإصابة بفيروس نقص المناعة /الإيدز (Ahuja et al.,1998)، وفى دراسة للتحصينات الشخصية، تبين أن نسبة انتشار المرض النفسى لدى الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة بلغت (٥٠%)، بينما بلغت نسبة انتشارها (١٠%) لدى الأفراد غير المصابين بالفيروس (المجموعة الضابطة)، وكان الاكتئاب من أكثر الأمراض التى لوحظت (٢٣%) (Madan,Singh,&Colechha,1997)، فيرتبط الاكتئاب غالبًا بشعور الفرد أنه فعل شيئًا سيئًا، وبكون فساد أخلاقه بات أمرًا يصعب تغييره، بالإضافة إلى وصمه بوصمة العار، والانعزال (Chandra&Prasadarao, فى المطبعة).

وقد أوضحت تقارير مراكز علاج فيروس نقص المناعة (HIV) أن نسب انتشار الأفكار الانتحارية لدى الأفراد المصابين بلغت (٢٥%) عبر مسار المرض (Jacob,Eapen,John,&Jojn,1991)، وتشاهد الأفكار الانتحارية، ومحاولات الانتحار عادة لدى الشخص سريعًا عقب إخباره أن نتائج تحاليله إيجابية، وفى سياق وصمة العار الاجتماعية التى تصم المصاب بالفيروس، ومعاناته من الانعزال، وعندما يعانى الفرد آلامًا غير متحكم فيها (Chandra et al.,1998).

ويكون الأفراد مضطرين إلى مواجهة مثيرات المشقة المتعددة هذه فى ظل غياب الإرشاد المنظم، ويلجأ القائمون على الخدمات الاجتماعية غالبًا إلى أساليب المواجهة القائمة على المساندة الأسرية، أو الروحية.

التعامل مع المصابين بفيروس نقص المناعة داخل الأسر:

تمارس الأسرة دورًا محوريًا فى المجتمع الهندى، ويُعرف الفرد غالبًا على أنه جزء من أسرته أو أسرتها، ويرتبط تقدير الذات لدى الفرد عادة بتقدير أسرته، وتقبلها له، وفى ظل هذه الظروف يكون لمستوى تسامح الأسرة مع المريض، وتقبلها له تأثيرًا مهمًا على شعور الفرد بجدارته الذاتية، وتعتبر العدوى بفيروس نقص المناعة لدى الأسر فى الهند عارًا، يمكن أن يؤدى إلى نبذ أسرة المصاب من قبل أفراد المجتمع، وتُعبر الأُسر غالبًا عن غضبها من الفرد المصاب؛ لأنه ألحق الخزى بالأسرة، ويلومونه، وتُغرس هذه الاتجاهات على مقربة من الشخص المصاب، وآنذاك يشعر أنه مسئول عن كل المشكلات التى حدثت لأعضاء الأسرة، ويشعر بالذنب تجاههم.

ويحدث الانعزال، والتمييز فى معاملة الفرد المصاب أيضًا داخل الأسرة، فسوء فهم كيفية انتقال العدوى، والخوف من انتقالها أثناء الاحتكاك المتقطع بالمريض، ينتج عنهما غالبًا العزلة الذاتية، و /أو فرض الأسرة العزلة على المريض بعيدًا عن الزوجة، والأطفال (مثلاً يأكل ويغتسل وينام منعزلاً) (Chandra & Prasadarao, فى المطبعة)، وحتى عندما لا تهجر الأسر أفرادها المصابين هجرًا صريحًا، وتستمر فى منحهم الحماية والرعاية، فإن هؤلاء الأفراد يشعرون غالبًا بأنهم معزولون وجدانيًا عن باقى أفراد الأسرة.

وعلى الرغم من أن الأسرة يمكن أن تكون مصدرًا للمشقة للأفراد المصابين بالفيروس، فإنها يمكن أن تكون أيضًا مصدرًا لتقوية المصاب، وتخفيف معاناته، وقد تناولت إحدى الدراسات نوعية الحياة لدى الذكور المصابين بفيروس نقص المناعة فى الهند، وكشفت نتائجها عن وجود ارتباط قوى بين نوعية العلاقة الزواجية، والتنعم الذاتى subjective well-being (Krishna,1996)، وارتبطت نوعية الحياة الأفضل (ذاتيًا) على وجه التحديد

بإشباع الحاجات الوجدانية، وقد عبر معظم المشاركين عن أن علاقاتهم رديئة بزوجاتهم، ومع ذلك فليس واضحًا ما إذا كان ذلك حدث قبل إصابتهم بالفيروس أو أنه ترتب على إخبارهم زوجاتهم بإصابتهم بالفيروس (ومن المحتمل نقلهم العدوى لهن)، وعلى أية حال تتصل نتائج هذا البحث اتصالاً وثيقًا بالتخطيط لأساليب التدخل الخاصة بأسر الأفراد المصابين بالفيروس.

مثيرات المشقة المرتبطة بالنوع داخل الأسر :

يعد الخزى مصدرًا مهمًا للمشقة، وتحديدًا لدى الرجال الذين اكتسبوا العدوى خلال ممارسة الجنس من خلال علاقاتهم الجنسية المتعددة، أو من خلال البغايا، ويتضخم الشعور بالخزى بدرجة كبيرة لدى الرجال الذين انتقلت إليهم العدوى بهذه الأساليب غير الشرعية، إذا نقلوا العدوى فيما بعد إلى زوجاتهم (Chandra&Prasadarao, فى المطبعة) .

ويعد الغضب رد الفعل المتكرر لدى النساء اللاتى أصبن بالعدوى دون أن يقترفن أى ذنب، ولشعورهن بأنهن ضحايا فى موقف صرن فيه سريعى التأثر بالعدوى بالفيروس، ولتأملهن لأنفسهن، وقد أصبحن عاجزات عن منع العدوى (Radhakrishnan,1995). ونشرت جريدة البرقية الجديدة فى عددها الصادر فى أكتوبر سنة (١٩٩٦) هذه القصة المأساوية المألوفة فى الهند: أصبح الزوج مصابًا بفيروس نقص المناعة(-HIV) من خلال علاقاته الجنسية غير الشرعية بالبغايا، وبالتالى انتقلت العدوى لزوجته، وبعد ذلك وُجه اللوم للزوجة من أقارب الزوج؛ لأنها نقلت له العدوى بالفيروس، وعندئذ أُلقيت الزوجة المصابة بالفيروس (+HIV) إلى الشوارع لتعول نفسها وأطفالها، الذين أصبحوا عُرضة للمرض، والانتهاك والاستغلال الجنسى إذا كن إناثًا، والاستهداف اللاحق للعدوى بفيروس (HIV).

ويعد إنجاب أطفال واستمرار نسل الأسرة من المظاهر المهمة للثقافة في الهند، ويكون هذا المظهر الثقافى لدى النساء أكثر من الرجال، والغالبية العظمى من النساء اللاتى انتقلت إليهن العدوى يكن صغيرات و أرامل؛ لأن أزواجهن توفين من قبل بمرض الإيدز، ونادرًا ما يُسمح للأرامل بأن يتزوجن مرة أخرى، وبالتالى تتكبد النساء اللاتى انتقلت لهن العدوى عبء مثيرات مشقة متعددة وخطيرة: كونها أصيبت بالفيروس، والترمل، وعجزها عن أن تتزوج مرة أخرى، وعجزها عن أن يكون لديها أطفال (مزيد من الأطفال)، ونظرًا لأن الأساليب العلاجية التى تمنع حدوث عدوى بالفيروس أثناء الحمل غير متاحة للغالبية العظمى من النساء فى البلدان النامية، متضمنة الهند، لذلك عندما تصبح السيدة المصابة بالفيروس حاملاً، فإنها تُنصح عادة بإنهاء الحمل (Chandra& Prasadarao,2000).

الدين فى الهند ودوره فى التسامح :

تنطوى الإصابة بفيروس نقص المناعة على إدانة للأشخاص الذين أصيبوا بالعدوى نتيجة لاقترافهم آثام، وهذا المعنى الضمنى السلبى يؤدى بشكل أو بآخر إلى أن يستدمج الأشخاص المصابون بالفيروس اللوم الاجتماعى الذى يوجهه لهم الآخرين، ثم يتحول هذ اللوم المستدمج إلى حالات داخلية عقابية من الخزى، والشعور بالذنب، وأثناء محاولة هؤلاء الأشخاص مواجهة المعاناة الداخلية، والخارجية أيضًا المرتبطة بالعدوى بالفيروس، والإصابة بالإيدز، قد يتجهون إلى الدين والقيم الروحية كمحاولة لأن يصلوا إلى الارتياح، والفهم، وإدراك معنى لمرضهم (Pargament,1997

لمناقشة المواجهة من خلال الدين)، ويمكن أن يكون التسامح مكونًا مهمًا من مكونات مثل هذه المواجهة (Pargament &Rye,1988)، فيمكن أن ينخفض الشعور باللوم عندما يسامح المرء ذاته، وعندما يسامح الله، أو أية كائنات روحية أخرى على عدم علاج حالة المرض (Winiarski,1991).

القلسفة الهندوسية ونظرية الكرما :

إن الغالبية العظمى من الهنود ينتمون إلى الديانة الهندوسية (٨٣%)، على الرغم من وجود عدد من الديانات فى الهند، ويلى الهندوس المسلمون (١١%)، ثم المسيحيون (٢%)، والسيخيون(*) (٢%)، والبوذيون(٠.٧ %)، واليانيون(**) (٠.٥%)

(Microsoft Corporation ,1996)، وبناء على ذلك تقتصر مناقشتنا على الهندوسية (انظر الفصل الثانى حيث يناقش التسامح فى إطار الديانات الأخرى). وتستخدم الهندوس غالبًا نظرية كرما(***) لتفسير المعاناة وسوء الحظ (Radhakrishnan ,1995) ووفقًا لهذه النظرية، هذه الحياة بكل ألمها وسرورها تتحدد من خلال الفضائل، والنقائص المتراكمة، الناتجة عن كل الأفعال التى اقترفها الفرد فى الحياة السابقة (ما تزرعه سوف تجنيه). ويمكن إبطال الذنوب المتراكمة من خلال التكفير عنها، وأداء الطقوس الدينية، والعمل وفقًا لمبدأ الثواب أو العقاب، أو من خلال اعتزال الرغبات الدنيوية (O' Flaherty,1996). فيُعتقد وفقًا لهذه النظرية أن كل فعل يقود إلى

(*) ظهرت السيخية حوالى عام ١٥٥ب.م، وتتميز بتأثرها بالإسلام، حيث ترفض الوثنية، والعزل الطبقى.

(**) دين نشأ فى القرن السادس عشر، قوامه تحرير الروح بالمعرفة والإيمان، وحسن السلوك (المترجم)

(***) تقوم هذه النظرية على العاقبة الأخلاقية الكاملة لأعمال المرء بوصفها العامل الذى يقرر فى ضوئه قدر ذلك المرء فى (الاعتقاد البوذى) فى طور تناسخى تالٍ (المترجم) "المترجمة".

نتيجتين: الألم أو السرور القابل للملاحظة بطريقة مباشرة، وترسيخ الميـــل (مثل الميل إلى تكرار نفس الفعل خلال دورة النشاط والبعـــث)، والميـــول تكون مكتسبة وموروثة، وتنتقل هذه الميول من الحياة السابقة إلى الحياة بعد البعث، وعلى الرغم من أنه قد تتغير أو تتعدل، فإن النتيجة المباشرة لا يمكن الإفلات منها.

والفرد وفقًا لنظرية الكرما يكون مسئولاً عن كل شيء حدث في حياته أو حياتها، ويكون عُرضة للمحاسبة عليه، على الرغم من أنه قد يكون حدث كمشكلة في الحياة السابقة. وهناك تقبل للأحداث السارة وغير السارة ؛ على اعتبار أنها من صنع المرء، وبناءً على ذلك يكون الفرد مسئولاً عن أفعاله أو أفعالها في ضوء الفلسفة الهندوسية، ولا يلوم حظه السيء، ويُـدرك الـــشقاء أكثر من السعادة، على أنه أكبر معلم للمرء، فحتى الشقاء يمكـــن أن يمـــنح المرء نوعًا من السلوان.

التسامح :

يُعرّف التسامح في الفلسفة الهندوسية على أنه ظرف غير مصطنع لعقـــل الشخص، حتى لو تعرض للسب أو الضرب، ويوصف التسامح أيضًا بأنه القدرة على الاحتمال، وانعدام تهيج العقل حتى لو كان هناك مبررٌ للتهيج، وتعتبر حالة التسامح خطوة مهمة في الوصول إلى الاتزان أو التحمل، حيـــث يعـــدان مـــن الفضائل، ويُعتقد أن التسامح يكون لفظيًا، وعقليا، ويكشف عن نفسه من خـــلال الاتجاهات، والمشاعر، والأفعال (Radhakrishnan,1995; Sinha,1995).

وتُميز الفلسفة الهندوسية بين التسامح، وعدم الغضب. فعنـــدما لا يحـــدث تغير في عقل الشخص الذي تعرض للإيذاء أو الاضطهاد، فإنه يكون قد تسامح، ولا يوجد غضب على نحو حقيقي في التسامح. أما في حالـــة عـــدم الغـــضب،

فيحدث قمع للغضب لكنه لا يزال موجودًا بالعقل، فهو يتسرب إلى العقل مثـــل السم البطىء.

الإصابة بفيروس نقص المناعة والتسامح :

إن الصراعات المرتبطة بالتسامح والتحمل واضحة تمامًا لدى الأفراد الذين تعرضوا لابتلاء مثل فيروس نقص المناعة والإيدز، على الرغم من أن الفلسفة الهندوسية والتعاليم فى الثقافة الهندية تؤكد قيمة هـــذين المفهـــومين، والسؤال الأول الذى يسأله الهندى الذى ابتلى بأى مرض هو " هل فعلت أى خطأ أستحق عليه معاناة هذا المرض، أو إنه عقاب على الآثام التى اقترفتها فى الماضى؟ "، ثم يستخدم الشخص المصاب نظرية كرما لإيجـــاد معنـــى للموقف، وقبل أن يصل الفرد لمرحلة الاتزان يمر غالبًا بعمليـــة الغـــضب، ويشجب عدم عدالة الموقف، ويشعر بعدم التسامح مع الأشخاص أو المواقف التى يدركها على أنها مسئولة عن حالته المرضية.

دراسة استطلاعية للاتجاهات المرتبطة بالتسامح لدى أسر المصابين بالفيروس:

أجرت شاندرا دراسة متطورة من خلال عيـــادات رعايـــة وإرشـــاد مرضى نقص المناعة فى المعهد القومى للصحة النفسية والعلوم الاجتماعية العصبية فى بنجالور، بهدف فحص اتجاهات الأسر التى يوجـــد بهـــا فـــرد مصاب بفيروس نقص المناعة والإيدز، واستخدمت الباحثة أسلوب المقابلـــة، حيث قابلت اثنين وخمسين فردًا مصابًا بفيروس نقص المناعة، بواقع خمس وعشرين سيدة، وسبعة وعشرين رجلاً، وركزت الباحثة أثنـــاء المقـــابلات تركيزًا خاصًا على التسامح.

اتجاهات أعضاء الأسرة:

كان من الملاحظات المثيرة للانتباه أن (٦٧%) من أعضاء الأسر يلومون أفراد الأسرة المصابين على إصابتهم بالفيروس، وأوضح (٤٥%) من أفراد الأسر أنهم لن يسامحوا أفراد الأسرة المصابين على ذلك، وظهر أن الرجال أقل تسامحًا من النساء، فعلى سبيل المثال ذكر أب مباشرة عقب وفاة ابنه البالغ ستًا وعشرين عامًا بمرض الإيدز " ما كان ينبغى أن يولد هذا الابن فى أسرتنا، وأنا لا يمكننى أن أسامحه أبدًا على ما فعله بنا، نحن لم نؤد أية طقوس جنائزية خاصة به، ونشعر أنه ينبغى أن يقاسى بالأسلوب نفسه الذى جعلنا نقاسى من خلاله " وقد وجه هذا الأب اللوم لابنه على أحداث سلبية أخرى حدثت للأسرة، حتى تلك الأحداث التى لم تكن مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بمرض الابن.

اتجاهات المصابين نحو أفراد الأسرة الآخرين :

إن الأفراد المصابين يكونون غير قادرين غالبًا على التسامح مع أفراد الأسرة على هذه الأحداث التى أدت إلى انتقال العدوى بالفيروس إليهم، وهذا كان حقيقة خاصة لدى النساء المصابات بالفيروس، حيث إنهن يوجهن اللوم إلى الأسرة، والتقاليد الاجتماعية لجعلهن مستهدفات للإصابة بالفيروس، فعلى سبيل المثال ذكرت أرملة مصابة تبلغ ثماني وعشرين سنة" إنهما والداى اللذان لن يمكننى مسامحتهما أبدًا، ما كان ينبغى لهما أن يزوجانى شخصًا ذا عادات سيئة، لكن كان ينبغى عليهما أن يعلمانى، ويساعدانى على أن أصبح مستقلة، وأنا ألوم والدىّ أكثر من زوجى على حالتى الراهنة، ولن أكون قادرة على مسامحتهما ".

وقد سئلت النساء عمن يشعرن أنه مسئول عن حالتهن الراهنة (وكان مسموحًا لهن أن يذكرن استجابات متعددة)، فأوضحت (٧٠%) منهن أن الله هو المسئول، وذكرت (٨٠%) منهن أن أسرهن هى المسئولة، بينما حمّلت (٤٠%) منهن المسئولية لرفقائهن الذين يمارسن الجنس معهن، وذكرت ثلاثة نساء فقط أنهن مسئولات بدرجة ما عن انتقال العدوى إليهن، وقد أوضحت كل النساء اللاتى شعرن أن أسرهن هى المسئولة عما حدث لهن، أوضحن أنهن لن يمكنهن التسامح مع أسرهن بسهولة.

نتائج المقابلة فيما يتعلق بقضية تسامح الرجال فى مقابل تسامح النساء :

ظهرت النساء أثناء المقابلات غير متسامحات، فيما يتعلق بالمواقف التى جعلتهن مستهدفات للعدوى فى المقام الأول، ولعجزهن على أن يُغيرن هذه المواقف، ومع ذلك كن قادرات على ترويض بعض هذه المشاعر غير المتسامحة من خلال تقبل العدوى بفيروس نقص المناعة على أنه " قدر".

أما الرجال فكانت القضية الأساسية بالنسبة إليهم هى التسامح مع الذات، وذلك لأنه من المحتمل أن تكون العدوى بالفيروس لدى الرجال الهنود غالبًا نتيجة مترتبة على تبنيهم السلوك المُخاطر، وأما النساء فإنهن يكتسبن العدوى من خلال الزوج أو الرفيق (Chandra,1996).

وكانت معظم النساء اللاتى تمت مقابلتهن ممن يزاولن الجنس كمهنة(البغايا)؛ نظرًا لصعوبة الأوضاع الحياتية، وقد كن غير قادرات على التسامح مع الرجال الذين نقلوا العدوى إليهن، ولذلك يبدو أن عدم تسامحهن نبع من الغضب، وقد كن غير قادرات أيضًا على أن يسامحن الآخرين، والمجتمع بوجه عام على عزلهن، وتحميلهن مسئولية انتشار فيروس نقص المناعة، وإذا وضعنا هذه الظروف فى الاعتبار فإنه يصبح مفهومًا أن البغايا

المصابات بالفيروس لديهن صعوبة فى إيجاد حل لمشاعر عدم التسامح لديهن من خلال الدين.

الملاحظات المتعلقة بالحالة الوجدانية :

لوحظ أثناء تسجيل القصص المتعلقة بالتسامح أن مستوى التسامح ونمطه يتباينان كدالة للحالة المزاجية للفرد، والأحداث الراهنة. فالأشخاص الذين وُجد أنهم مكتئبون، أو غاضبون، كان مستوى التسامح لديهم منخفضًا، فارتبط الغضب عادة بعدم التسامح مع الشخص، أو الأشخاص المدركين على أنهم سبب الإصابة بالعدوى، وبعدم التسامح مع الله، وكان الحزن والاكتئاب ظاهرين لدى الأفراد الذين شعروا أن الآخرين لا يسامحونهم، عادة فى سياق العلاقات المتبادلة، وظهرت علاقة قوية بين حالة التنعم وحالة التسامح، على الرغم من أنه سيكون من الصعب تحديد أيهما سبب وأيهما نتيجة.

تناول قضية التسامح :

كان واضحًا لدى الأشخاص المصابين بالفيروس الذين تمت مقابلتهم أنهم يستخدمون طرائق مختلفة فى التعامل مع قضية التسامح، فمال الأفراد ذوو الاتجاهات غير المتسامحة إلى إبعاد أنفسهم عن أسرهم وعن نظام الرعاية الصحية، ومال هؤلاء الأفراد أيضًا إلى الاستمرار فى نقل سلوكيات المخاطرة وتكرار تعاطى المواد النفسية.ومن جهة أخرى وُجد أن الأفراد الذين كانوا قادرين على أن يسامحوا الله والآخرين أكثر ميلاً للقيم الروحية وأكثر التزامًا بالنصائح المتعلقة بالرعاية الصحية، وكانوا أكثر تقبلاً لهذه الظروف، متضمنة المعاناة التى يلاقونها من جراء الإصابة بالفيروس، وكان

لدى هؤلاء الأفراد مخاوف أقل من الموت. وشعر معظم المشاركين في الدراسة أن الله سوف يسامحهم، أو أن المعاناة المستمرة الآن كانت عقابًا كافيًا يكفل لهم ظروفًا أفضل لاحقًا، أو في حياتهم المقبلة.

وتوحى هذه الملاحظات وغيرها أنه من المهم أن نبلور إطارًا نظريًا يشمل التسامح كظاهرة مركبة لدى الأفراد الذين أصيبوا بالعدوى، ولدى أولئك الذين تأثروا بالفيروس والإصابة بالإيدز، وإذا وضعنا في الاعتبار الطبيعة العامة لوباء نقص المناعة فإنه من المفيد أن نطبق هذا الإطار في تطوير مناهج ملائمة لمثل هذا النوع من البحوث عبر الحضارية الخاصة بفيروس نقص المناعة ونوعية الحياة. ويتحقق ذلك من خلال منظمة الصحة العالمية، كما نتناولها في الفقرة التالية.

أسس لدراسة التسامح بوصفها بُعدًا من أبعاد نوعية الحياة لدى المصابين بفيروس نقص المناعة:

نوعية الحياة والتسامح والإصابة بفيروس نقص المناعة /الإيدز:

يُلاحظ أنه من المهم أن نتناول مفهومى التسامح ونوعية الحياة، حيث يعد التسامح مكونًا معقدًا من مكونات نوعية الحياة، ولأن مفهوم نوعية الحياة يندرج ضمن الصحة، وإن كان أكثر رحابة من مفهوم الصحة، وذلك لكى نحقق فهمًا أفضل للتأثير البيولوجى النفسى الاجتماعى للإصابة بفيروس نقص المناعة /الإيدز، فتحتاج نوعية الحياة لأن تفهم على أنها مفهوم متعدد الأبعاد، يُجسد العلاقات المركبة المتبادلة بين الصحة الجسمية، والتنعم الروحى، والحالة النفسية، والمواجهة، وأداء الوظائف الخاصة بالدور والعمل، والعلاقات الاجتماعية، والقيم الثقافية، بالإضافة إلى الأهداف الشخصية، والمعتقدات، والاهتمامات (e.g. Testa & Simonson,1996).

جهود منظمة الصحة العالمية فى فحص نوعية الحياة :

نظرًا لأن تركيزنا فى إطار هذا الفصل على الهند، لذلك تقتصر مناقشتنا لأدوات قياس نوعية الحياة على الميدان الدولى، والجهد المتطور لمنظمة الصحة العالمية فى تطوير أدوات لفحص نوعية الحياة (WHOQOL)، تلائم الدراسات الدولية، وعبر الحضارية. وتتكون هذه الأداة من ستة أبعاد (جسمية، ونفسية، وروحية، ومستوى الاستقلال، والعلاقات الاجتماعية، والبيئة)، ويحتوى كل بعد على عدد من المظاهر أو الأبعاد الفرعية (WHOQOL.Group,1993,1994). وقد أثبتت نتائج الدراسة الاستطلاعية الدولية لخمسة عشر(١٥) مركزًا من المراكز المشاركة المنتشرة فى كل العالم، أثبتت اتسام هذه الأداة بالثبات والصدق عبر الحضارى (WHOQOL Group,1995).

فحص نوعية الحياة لدى الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة :

يُلاحظ أنه مع الانتشار السريع لفيروس نقص المناعة على مستوى العالم أدركت منظمة الصحة العالمية ضرورة تطوير وحدة قياس دولية لنوعية الحياة، تركز بشكل خاص على فيروس نقص المناعة /والإيدز (Temoshok & the WHOQOL Group,1997)

والجهد المنهجى والنظرى الذى نتناوله فى هذا الفصل حفزته المداولات التى تمت بين الخبراء الاستشاريون بوحدة الصحة النفسية بمنظمة الصحة العالمية سنة (١٩٩٧)، ومنهم تيموشوك Temoshok وشاندرة Chandra، وقد فحص الاستشاريون بمنظمة الصحة العالمية مقياس نوعية الحياة ؛ للتحقق من مدى ملائمته للأفراد المصابين بفيروس نقص المناعة /الإيدز، ومدى قابليته للتطبيق عليهم، واستنتج الاستشاريون ضرورة التوسع قليلاً فى الأبعاد الموجودة التى تعالج المظاهر الروحية، والدين، والمعتقدات

الشخصية. وبناءً على ذلك يتطلب الأمر بذل أقصى جهد لجعل المقياس مناسب لاهتمامات الأفراد المصابين بفيروس نقص المناعة /الإيدز (WHO/Division of Mental Health /Temoshok,1997)، ويندرج التسامح الذى يمارس دورًا رئيسًا ضمن هذا البعد.

وقد صاغ خبراء منظمة الصحة العالمية التسامح على أنه ذو بعدين: تسامح الفرد مع الآخرين، ومسامحة الآخرين للفرد (WHO/Division of Mental Health/Temoshok,1997)، وتقترح هذه الصياغات تناول أربعة مجالات بحثية منفصلة هى :

(١) ما إذا كان الناس يتسامحون مع أنفسهم (فى حالة الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة /والإيدز، تسامح المصابين مع إصابتهم بالعدوى).

(٢) ما إذا كانوا يتسامحون مع الآخرين - الأسرة، والرفقاء، ومن يقدمون لهم الرعاية، و" الله"، والكائنات السماوية، أو القوى الروحية (مثل التسامح مع الآخرين الذين يعتقدون أنهم السبب فى إصابتهم بالعدوى، والذين فشلوا فى حمايتهم، وقادوهم إلى المواقف التى نتج عنها إصابتهم بالعدوى، أو سببوا لهم ابتلاءات أخرى).

(٣) ما إذا كان الآخرون يسامحونهم (مثل مسامحتهم على كونهم يمثلون عبئًا عليهم، وعائقًا، أو لأنهم انتهكوا ثقتهم فيهم).

(٤) ما إذا كان الله أو القوى الروحية ستسامحهم.

الإطار النظرى لبحث التسامح وفيروس نقص المناعة /الإيدز :

فكر الباحثون فى كيفية تطوير هذين المفهومين فى ظل استخدام نموذج ومنهج يتسمان بدرجة أكبر من النظام لفحص التسامح (بشكل منفصل عن

مظاهر نوعية الحياة الأخرى)، ولذا طورت تيموشوك إطارًا نظريًا نعرضه في جدول (٣,١)، وهذا الإطار مبنى بدرجة كبيرة على خبرتها في التعامل مع الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة / الإيدز في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوربا على مدى الست عشرة سنة الماضية Temoshok& (Moulton,1991;Straits,Temoshok,&Zich,1990)، وهذا الإطار يصف مجموعة كبيرة من السياقات المتصلة بالتسامح وهى :السياق البيولوجى، وسياق الذات، وسياق العلاقات الشخصية المتبادلة، وسياق الرعاية الصحية، وسياق المجتمع، والسياق الروحى، وفى كل سياق يُفترض أن عواقب محددة ذات طبيعة وجدانية، ومعرفية، ونفسية اجتماعية، وسلوكية، وثيقة الصلة بنوعية الحياة، يفترض أن ترتبط بالتسامح من جهة، وافتقاد التسامح من جهة أخرى، ويوجد افتراض ضمنى أيضًا مؤداه أن التسامح عبر السياقات سيرتبط بالعواقب الصحية الأفضل، بينما سيرتبط افتقاد التسامح بالعواقب الصحية الأسوأ، فالأفراد الذين يكونون قادرين على أن يتسامحوا، ويشعروا بالتسامح على مستويات متعددة فى كل مرحلة من مراحل المرض، سيكونون أفضل من حيث الحالة الصحية العامة، وذلك بالقياس بأولئك الذين يفتقدون القدرة على التسامح.

ويمكن أن يتولد عدد من الفروض المتعلقة بالارتباط بين التسامح، ونوعية الحياة، والعواقب الصحية لدى المصابين بفيروس نقص المناعة / الإيدز، بناءً على هذا الإطار النظرى. فإذا تناولنا سياق العلاقات الشخصية المتبادلة مثلاً فيمكن أن يفترض المرء أن الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة / الإيدز الذين يكونون قادرين على أن يسامحوا الآخرين، وينصرفوا عن المشاعر غير البناءة للغضب، والمرارة، أو خيبة الأمل، سيكون من المحتمل أن يكونوا قادرين على التماس المساندة الاجتماعية من قبل الآخرين، واستقبالها بكفاءة أكبر.

ويرتبط شعور الفرد بأنه قد تمت مسامحته بالشعور بأنـــه محبـــوب، ومتصل بالآخرين بأسلوب إيجابى، والشعور بتقدير الذات المرتفع، وتـــرتبط كل هذه الحالات بالعواقب الصحية الأكثر إيجابية، وعلى العكـــس بالنـــسبة لمشاعر الذنب، والعزل، واللوم الذاتى (Benson,1996; Pert,1997). وبقـــدر أهمية المساندة الاجتماعية خاصة بالنسبة للأفراد المصابين بفيروس نقـــص المناعة /والإيدز، الذين يواجهون وصمة الإصابة بالعدوى، والعزلة، والتمييز فى المعاملة من قبل مصادر متعددة، سيفترض أن يرتبط التسامح فـــى هـــذا السياق بزيادة نوعية الحياة (Zich& Temoshok,1987).

ويُفترض على المستوى البيولوجى أن ينشأ عن افتقاد التسامح حالات سلبية مثل المشقة، والخوف، والغضب، والتـــى تقلـــل التـــوازن الحيـــوى homeostasis، وينتج عنها قصور فسيولوجى اجتماعى، ونفسى، ووصـــفت تيموشوك فى موضع آخر الارتباطات النفسية العصبية المناعية التى يفترض أن تؤثر من خلالها الظاهرة النفسية الاجتماعية (متـــضمنة التـــسامح) فـــى التوازن الحيوى ووظائف المناعة، و بالتالى العواقب الصحية لمرض الإيدز (Solomon ,Kemeny & Temoshok,1991;Temoshok,1993,1997).

تطوير منهج ملائم لفحص السياقات المتعددة للتسامح:

ركزت معظم مقاييس التسامح فى التراث النفسى على سياق العلاقـــات المتبادلة بين الأشخاص (McCullough,Worthington,&Rachal,1997)، على الرغم من أن لبعضها مقاييس فرعية تتعلق بالذات أو السياق الروحى (Wade,1989). وفى حدود علمنا لم يتناول أى منها التسامح فى سياق المجتمع، أو فى ســـياق الرعاية الصحية هذين السياقين تحديدًا وثيقى الصلة بالأشـــخاص المـــصابين بفيروس نقص المناعة / والإيدز. ولكى نقيس أو نفحص مستويات التـــسامح، أو افتقاد التسامح عبر السياقات، والمعروض فـــى جـــدول (٣،١) قررنـــا أن نجرى تعديلاً على المنهج الذى استخدمته تيموشوك ليلائم فحص ثلاثة أنمـــاط من النماذج العامة لردود الأفعال للأحداث المثيرة للمـــشقة متـــضمنة الحالـــة الصحية (Temoshok & Dreher,1992;Temoshok,1997).

جدول (٣,١)

العواقب والنواتج المفترضة للسياقات المختلفة للتسامح

التسامح				
السياقات المتصلة بالتسامح	العواقب الإيجابية الوجدانية والمعرفية	العواقب النفسية الاجتماعية	العواقب السلوكية	النواتج الصحية
السياق الروحى	الحب والأمل، والشفقة	الأمل والتخلص من الذنب	التكامل الروحى ↑	
السياق المجتمعى	الرعاية، وتحمل المسئولية	التضامن الاجتماعى	السلوك الأخلاقى المسئول، والإيثارى ↑	
سياق الرعاية الصحية	الثقة والتمكين	التشجيع والمشاركة	الإخلاص ↑ والمشاركة ↑	
سياق العلاقات الشخصية المتبادلة	الاسترضاء والقبول	استعادة العلاقة	الحميمية ↑ المساندة الاجتماعية ↑	
سياق الذات	القبول والتوكيد	تقدير الذات	سلوكيات المواجهة الرعاية الذاتية الأفضل	النواتج الصحية الأفضل
السياق البيولوجى	الانصراف الذهنى عن المشاعر السلبية والاسترخاء	التماسك والتوازن	التوازن الحيوى	أداء الوظائف الجسمية بشكل أفضل ↑

افتقاد التسامح				
السياقات المتصلة بالتسامح	العواقب السلبية الوجدانية والمعرفية	العواقب النفسية الاجتماعية	العواقب السلوكية	النواتج الصحية
السياق البيولوجى	الغضب والخوف والمشقة	عدم التوازن وعدم التماسك والبغض الذاتى	التوازن الحيوى ↓	حدوث خلل
سياق الذات	القلق والاكتئاب والشعور بأنه ذُبح		السلوكيات الذاتية غير البناءة	نواتج صحية سيئة
سياق العلاقات الشخصية المتبادلة	المرارة والاجترار	الصراع والنزاع	الطلاق والتعاطى والانتقام والانتهاك ↓	
سياق الرعاية الصحية	عدم الثقة وعدم التمكين	التثبيط	الإخلاص. مزيد من سلوك التحاشى	
السياق المجتمعى	يحمل الضغينة ومشاعر الانتقام	العزلة الاجتماعية	السلوكيات غير المسئولة المضادة للمجتمع	
السياق الروحى	اليأس	القنوط	الانتحار القتل	

صورة موجزة عن تشابه منهج القياس:

يُلاحظ أنه فى ظل استخدام المقالات الموجزة التى تضمنها مقياس تيموشوك للمواجهة. يطلب من المشاركين قراءة مقالات موجزة أو فقرات تصف كل منها ردود أفعال شخص لمواقف مثيرة للمشقة (مثل تشخيص

الفرد بأنه مصاب بفيروس نقص المناعة أو السرطان، وازدياد أعراض المرض سوءًا، أو حدوث نكبة طبيعية). ويوصف الشخص فى كل مقالة بأنه يفكر، ويشعر، ويتصرف بأساليب تتسق مع نماذج محددة ومميزة للمواجهة (مثل: "أسلوب المواجهة التكيفى، وأسلوب المواجهة القائم على العجز فى مقابل الأمل، ونمط المواجهة "C") (Temoshok&Dreher,1992)، ويطلب من المشاركين أن يقدروا إلى أى مدى يتشابهون مع الشخص فى كل صورة، أو يختلفون عنه وفقًا لمقياس تقدير يتراوح من واحد إلى عشرة، ويكون نوع الشخص فى كل فقرة مطابقًا لنوع المشارك ونظرًا لأن المقالات التى يتناولها المقياس لأناس آخرين، لذلك عندما نطلب من المشارك أن يُقدّر مدى تشابه سلوكه وانفعالاته مع سلوكيات وانفعالات الآخرين (بدلاً من أن يُقدر انفعالاته هو وسلوكياته على مجموعة من بنود المقياس)، فإننا بذلك نتغلب على الآليات الدفاعية للمشارك التى تجعله لا يروى الحالات، والسلوكيات غير المرغوبة اجتماعيًا، أو نقلل منها، وبناء على ذلك فإن هذا المنهج مفيد على وجه التحديد فى فحص نماذج المواجهة، مثل "نمط المواجهة C" الذى يُعرف بأنه كون الفرد أقل قدرة على التعبير عن ما نطلق عليه الانفعالات السلبية، أو حتى كونه أقل وعيًا بها (مثل الغضب والحزن والخوف) ويُظهر بدلاً منها الوجه المرضِ اجتماعيًا للعالم (Temoshok&Dreher,1992).

وهذا المنهج الخاص بفحص نماذج استراتيجيات المواجهة قد عُدل ليستخدم فى دراسات عديدة تضمنت الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة / والإيدز (Solano et al.,1993)، وأُناس عايشوا أحداث صدمية مؤخرًا (Temoshok&Moulton,1991)، وأُناس مصابون بالسرطان (Temoshok & Dreher,1992)، وخبرتى العامة بتطبيق هذا المنهج على قطاعات سكانية مختلفة فى الولايات المتحدة وأوربا، هى أنه منهج مقبول، وحتى محبذ من

قبل المشاركين (صدق ظاهرى ملائم)، وهو منبــأ قــوى ودال بالعواقــب الصحية (صدق تنبؤى مرتفع) (cf.Messick,1995).

تعديل منهج المقالات المختصرة المتشابهة لفحص التسامح:

يبدو أن هذا المنحى الخاص بفحص المفاهيم المركبة مثــل نمــاذج استراتيجيات المواجهة ملائم لفحص المعانى، والسياقات المتعددة والمركبــة للتسامح. (وعقب الاجتماع العام لاستشاريي منظمة الصحة العالميــة ســنة (١٩٩٧) الذين أوصوا بضرورة تطوير مناهج لفحص نوعية الحياة الخاصة بالأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة /الإيدز)، يمكن فحص التسامح داخل كل سياق من السياقات المعروضة فى جدول (٣,١)، فى ضوء بعدين هما: التسامح فى مقابل عدم التسامح، والشعور بالتسامح مقابل الشعور بعدم التسامح. والمقالات الموجزة التى تناولها المقياس للأفــراد الــذين يــشغلون موضعًا متطرفًا فى نهاية كل بعد من البعدين تــم تطويرهــا مــن خــلال تيموشوك بالنسبة لسياقين من السياقات المعروضة فى جدول (٣,١) وهمــا سياق الذات والسياق الروحى (cf.appendix 3.1).

وقامت شاندرة بترجمة المقالات الموجزة التى تناولها المقياس من اللغة الإنجليزية إلى الكانادا (وهى اللغة القومية بنجالور بالهند) مع إجراء تعــديلات لجعلها ملائمة ثقافيًا، وبالإضافة إلى ذلك صاغت مقالتين للسياق الشخصى بناءً على عملها مع المرضى المصابين بفيروس نقص المناعة فى بنجالور، وعلى وجه التحديد دراستها الاستطلاعية التى وصفناها سابقًا، وقد أعيــدت ترجمــة هذه المقالات إلى اللغة الانجليزية، وهى معروضة فى الملحق (٣,٢) .

اختبار ألفا للمقالات الموجزة الخاصة بالتسامح:

. على الرغم من أن سياقى " الرعاية الصحية " و "المجتمع " متضمنان فى الإطار النظرى لسياقات التسامح (جدول ٣,١)، فإن المؤلفتين لم تطـورا حتى الآن مقالات موجزة أو فقرات تختص بهذين السياقين، وعندما أجـرت شاندرة اختبار ألفا للمقالات الموجزة المعروضة فـى ملحـق (٣,٢)علـى المرضى المصابين بفيروس نقص المناعة الذين شاركوا فى المقابلات التـى ركزت على قضايا متعلقة بالتسامح (تم وصفها سابقًا)، كان من الواضح أن سياق "الرعاية الصحية " تحديدًا كان من السياقات الحاسـمة التـى ينبغـى تضمينها. وارتبطت المشاعر التى تعكس افتقاد التسامح، والتى تـم التعبيـر عنها فى المقابلات، ارتبطت بالرعاية الصحية للمهنيين، خاصـة إذا كانـت الرعاية الصحية التى يتلقاها المرضى لها خبرات سلبية، فقد أعلـن بعـض الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة /الإيدز فى المقابلات، أنهم غير قادرين على التسامح مع الأشخاص العاملين فى الرعايـة الـصحية الـذين أخبروهم لأول مرة بإصابتهم بالعدوى بفيروس نقص المناعة.

إن رد فعل المرضى يكون بالغضب المفهوم الناجم عن غياب الوسائل العلاجية الفعالة، أو صعوبة الوصول إلى مجموعة الأساليب العلاجية المتاحة فى البلاد المتطورة؛ لذلك فالأشخاص المصابون بـالفيروس تكـون لـديهم اتجاهات غير متسامحة، تجاه أولئك الذين يدركونهم على أنهم يقدمون لهـم رعاية صحية غير ملائمة.

وقد اقترحت شاندرة فى ضوء نتائج اختبار ألفـا أن سـياق الرعايـة الصحية للتسامح يمكن توسيعه نظريًا ليتضمن الإرشاد، والرعايـة النفـسية الاجتماعية، والرعاية الطبية النفسية بالإضافة إلى العلاج الطبى. وفى ضوء

خبرة شاندرة تبزغ قضايا التسامح غالبًا فى العلاج النفسى، أو الإرشاد عندما يكون العميل غير قادرعلى أن يسامح المعالج؛ لأنه لم يجعل حالته المرضية أفضل، أو يتعلق بما إذا كان المعالج قد سامح العميل على سلوكياته السابقة (متضمنةً تلك السلوكيات التى قد تكون أسهمت فى أن يصاب الفرد بالعدوى بفيروس نقص المناعة). وتنشأ قضايا التسامح فى موقف العلاج النفسى أيضًا بعد معرفة العميل أنه أُصيب بالعدوى، أو بعد تعاطى المواد النفسية، أو قيامه بالسلوكيات التى تنطوى على مخاطرة انتقال العدوى بفيروس نقص المناعة إلى الآخرين.

وأخيرًا اقترحت شاندرة أيضًا فى ضوء نتائج اختبار ألفا أنه من المحتمل أن يكون هناك حاجة إلى مقالات موجزة إضافية ؛ لفحص التسامح المركب فى سياق العلاقات الشخصية المتبادلة، ويتضمن ذلك سياق العلاقات الزواجية، وكذلك الأصدقاء والأسرة، فيعد التسامح على سبيل المثال من القضايا البارزة فى سياق العلاقات المتبادلة، فيما يتعلق بكيفية انتقال العدوى، وفيما يتعلق كذلك بالعلاقات اللاحقة، خاصة عند الاستجابة للاتجاهات السلبية للأسرة، أو الأصدقاء الذين قد يُدركون على أنهم تخلوا عن الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة. ونظرًا لأنه قد توجد درجات مختلفة من التسامح فى كل موقف من المواقف الخاصة بالعلاقات الشخصية المتبادلة؛ لذلك سيعتمد الفحص الأكثر دقة على أن يكون لدينا مقالات موجزة نوعية متصلة بكل موقف. ومن الواضح أننا نحتاج إلى تضمين المقياس سياقات مهمة، ووثيقة الصلة بالتسامح، وذلك لكى نفهم الصورة العريضة، والمركبة للتسامح مع الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة، وينبغى أن يتوازن هذا الاحتياج وفقًا لمقتضيات الزمن اللازم للفحص، ولتعاون المشاركين فى الدراسة.

تعليقات استنتاجية:

حاولنا أن نستكشف بأقصى شمولية ممكنة معنى التسامح لدى الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة فى السياق الثقافى فى الهند كموقف صحى نوعى، وقد بدا واضحًا لنا مدى تعقد هذه المهمة، عندما أدرك المرء بالضبط الخلفية المتطلبة لمواصلة هذه الرحلة الاستكشافية. وقد تضمنت مجموعة العوامل الأولى التى بدأنا بها مناقشة الفصل: المجال الوبائى لفيروس نقص المناعة / الإيدز فى الهند وطبيعته، والأكثر أهمية ما تعنيه الإصابة بالعدوى بهذا الفيروس فى الهند، ومثيرات المشقة المرتبطة بالتفسيرات الثقافية فى ضوء الفروق النوعية (الفروق فى تفسيرات الذكور والإناث)، وردود أفعال الأسرة، ونسق الرعاية الصحية، وتتعلق مجموعة العوامل الأخرى التى ناقشناها فى ثنايا هذا الفصل بالدين فى الهند، ودوره فى التسامح، وكيف يمارس الأشخاص المصابون بفيروس نقص المناعة / الإيدز الدين.

إن خبرة شاندرة الإكلينيكية فى بنجالور بالهند، ودراستها الاستطلاعية لاهتمامات الأشخاص المصابين بالفيروس، واتجاهاتهم فيما يتعلق بالتسامح، تم الاسترشاد بها فى تعديل منحى مرن هو منهج المقالات الموجزة المتشابهة، وفى توسيعه، واختبار كفاءته القياسية من خلال اختبار ألفا؛ وذلك لفحص مختلف سياقات التسامح لدى الأشخاص المصابين بالفيروس فى الهند. وقد بُنى منحانا فى فحص التسامح أيضًا على أساس مجموعة من الجهود المتقاربة، نذكر منها خبرة تيموشوك فى العمل مع الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة / الإيدز فى الولايات المتحدة وأوربا، واستخدامها منهجًا لفحص المفاهيم المركبة الأخرى، وذلك بهدف فحص

تأثير العوامل النفسية الاجتماعية على الحالة الصحية، ومن الجهود التي استرشدنا بها كذلك مبادرة منظمة الصحة العالمية لتطوير أداة لقياس نوعية الحياة تلائم الدراسات عبر الحضارية للأشخاص المصابين بالفيروس.

وقد حفز المنحى البيولوجي النفسي الاجتماعي للصحة والمرض الذى اقترحه إينجل Engel لأول مرة سنة (١٩٧٧)، حدوث بعض التغيرات المهمة فى الرعاية الطبية والإكلينيكية (العيادية)، ولكن تمثل تأثيرها البحثى الأكبر فى مساندة المنحى، ولم تزودنا بإطار نظرى لتوليد الفروض واختبارها. فمن الواضح أن فائدة المنحى البيولوجي النفسي الاجتماعي، وعلى وجه التحديد مقدرته على أن يُطبق ويُوظف فى العالم الواقعى، تعتمد على ترجمته، وتعديله ليلائم الخصائص المميزة لمرض محدد مثل فيروس نقص المناعة / الإيدز (Temoshok,1990).وقد لخصنا فى هذا الفصل إطارًا نظريًا لدراسة التسامح بوصفه بعدًا من أبعاد نوعية الحياة لدى الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة / الإيدز، ووصفنا أيضا كيفية تطبيق منهج المقالات الموجزة المتشابهة، المستخدم فى بحث بيولوجي نفسى اجتماعى سابق، فى فحص التسامح لدى الأشخاص المصابين بفيروس نقص المناعة فى الهند. وقد زودنا القارىء بتفاصيل عن رحلتنا الاستكشافية، وذلك بهدف توضيح عملية تطوير إطار نظرى، وأدوات لإجراء بحث بيولوجي- نفسي- اجتماعى هادف، على عامل نفسى اجتماعى مهم (التسامح)، فى ظل سياق موقفى وثقافى نوعى (الإصابة بفيروس نقص المناعة /الإيدز فى الهند). ونأمل من خلال وصفنا لرحلتنا أن نكون قد قدمنا بعض الأفكار للأشقاء الباحثين، البيولوجيين – النفسيين – الاجتماعيين، الذين يباشرون غزوهم فى طرق بحثية أخرى فى سياقات موقفية وثقافية أخرى.

ملحق (٣,١)

أمثلة للمقالات الموجزة للتسامح الملائمة لأمريكا الشمالية وأوربا وأستراليا :

السياق الروحى: شعور الفرد بأنه قد تمت مسامحته

كان رد الفعل الأول لجون عندما أُخبر بأنه أصيب بفيروس نقص المناعة هو الصدمة، ولكن تدريجيًا بدأ جون يشعر أن إصابته بالفيروس نعمة إلهية، وانعكاس لتخليص " الله" له من ذنوبه، فهناك أشياء فعلها فى حياته، وأخرى لم يفعلها، كان غير فخور بها، ولكن رغم كل نقائص جون، كان يعتقد أن الله يحبه بدرجة كبيرة لأنه أرسل له فيروس نقص المناعة كنداء لإيقاظه من غفوته، وقد أثر النداء، فجون أصبح يدرك أسرته، وأصدقاءه وما فعله فى حياته فى ضوء فلسفة حياتية جديدة تمامًا، وأصبح لحياة جون الآن هدف جديد هى أن يكون مع الله، وقلبه معمور بالأمل.

إلى أى مدى تعتقد أنك مشابه لجون (ضع دائرة من فضلك على الرقم الذى يمثل اختيارك على التدريج التالى).

مشابه تمامًا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠مختلف تمامًا.

السياق الروحى: التسامح مع "الله"

أدركت مارى أن فيروس (HIV) يعد مرضًا خطيرًا، ومهددًا للحياة، ولم يكن من السهل عليها أن تتفهم هذا، وأن تتفهم أن "الله" قد أراد أو سمح بأن تصاب بالعدوى بالفيروس، ولكن بعد ذلك أدركت أن إصابتها بالفيروس هى جزء من مشيئة "الله "، وانعكاس لحكمته المعروفة، وهى لم تفهم كل شيء متعلق بهذه المشيئة حتى الآن، ولكنها تقبلت أن " الله " لديه مبرر وهدف لهذا، ولذلك أحبت " الله" من قلبها وعقلها .

إلى أى مدى تعتقد أنك مشابه لمارى (ضع دائرة من فضلك على الرقم الذى يمثل اختيارك على التدريج التالى).

مشابه تمامًا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ مختلف تمامًا.

السياق الروحى: شعور الفرد بأن "الله" لن يسامحه

عندما علم جون بأنه أصيب بفيروس نقص المناعة، كان مثل من ضُرب بطن من الحجارة. فأخيرًا ها هى آثامه تلاحقه. وإصابته بالفيروس هى مجرد عقاب من "الله" له على ما فعله، وما لم يفعله فى حياته. فالله العادل ينتقم منه، واستخدم الفيروس سلاحًا للانتقام، فهو يستحق ما حدث له، ومن المحتمل أكثر من ذلك، وكان جون متأكدًا أن الأمور ستصير إلى الأسوأ عندما يتخلى "الله" عنه تمامًا فى آخر الأمر، وأنه سيتركه لمصيره البائس، فالله يفصله عن بنية الحياة، ولا يريد أن يفعل المزيد من أجله، لقد شعر جون باليأس.

إلى أى مدى تعتقد أنك مشابه لجون (ضع دائرة من فضلك على الرقم الذى يمثل اختيارك على التدريج التالى).

مشابه تمامًا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠مختلف تمامًا.

السياق الروحى: عدم التسامح مع "الله"

تساءلت مارى: لماذا فعل "الله" ذلك معى؟ أى نوع من الآلهة ذلك الذى يُثقلها، أو يثقل أى إنسان آخر بشقاء فيروس نقص المناعة؟ إن الحياة بالنسبة لها كانت مليئة بالتعاسة، والبغض، وأُضيف إليها الآن بلاء عظيم مثل مرض الإيدز، و" الله" هو الذى فعل كل ذلك، أو على الأقل سمح لكل ذلك

أن يحدث، فهل فعل كل ذلك لأنه ليس إلهًا عظيمًا، أو طيبًا، أو لأنه لا يهتم على الإطلاق بالبشر؟ وهناك احتمال آخر هو أنه غير موجود، ولكن فيروس نقص المناعة والإيدز موجودان، وأصبح قلب مارى قاسيًا، وأدارت ظهرها " لله " الذى استطاع أن يبتليها بمثل هذا المرض.

إلى أى مدى تعتقد أنك مشابه لمارى (ضع دائرة من فضلك على الرقم الذى يمثل اختيارك على التدريج التالى).

مشابه تمامًا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠مختلف تمامًا.

السياق الذاتى: التسامح مع الذات

لقد تقبلت مارى الآن أنها مصابة بفيروس نقص المناعة بدرجة كبيرة، مثلما تقبلت حقيقة أن بعض مظهرها الجسمى لم يعد صحيحًا تمامًا، نعم من المحتمل أن تكون بعض أفعالها ساهمت فى المقام الأول فى إصابتها بفيروس نقص المناعة، ولكنها توقفت عن توجيه اللوم لنفسها عن هذه الأخطاء الماضية، فمهما كان ما حدث، ومهما كان ما فعلته، أو لم تفعله، فإنه لا يوجد سبيل لتغيير هذه الأشياء، فهى تقبلت ذلك، وشعرت الآن بنوع من السلام الداخلى فيما يتعلق بذلك، وعلى أية حالٍ، فكرت مارى أن نقائصها تعد جزءًا منها، ومما كانت عليه بوصفها إنسانةً، فالأهم هو الصورة الكلية ، التى تشتمل على النقائص وكل شىء آخر، وما تفعله إزاء هذا. لقد شعرت مارى بالرضا عن نفسها ككل.

إلى أى مدى تعتقد أنك مشابه لمارى (ضع دائرة من فضلك على الرقم الذى يمثل اختيارك على التدريج التالى).

مشابه تمامًا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠ مختلف تمامًا.

السياق الذاتى: عدم التسامح مع الذات

كانت مارى تفكر دائمًا فى "ما الذى كان بإمكانها أن تفعله؛ حتى لا تنتهى حياتها بالإصابة بفيروس نقص المناعة، فما كان يدور فى رأسها، خاصةً أثناء الليل هو هذا " لولم أفعل ذلك فقط..... إذا فعلت ذلك فقط......". ولامت نفسها على ما فعلت، وما لم تفعل، ولامت نفسها كذلك على ما كانت عليه، فلو كانت شخصًا آخر لما حدث لها ذلك، ولكن شعرت مارى فى أعماقها أنها لن يمكنها تغيير ما كانت عليه، وأنها أساسًا لم تكن إنسانة صالحة، ولهذا فليس مستغربًا أن تصاب بفيروس نقص المناعة، فهى استحقت هذا المرض المفزع، مثلما استحقت الأشياء السيئة الأخرى التى حدثت لها فى الحياة .

إلى أى مدى تعتقد أنك مشابه لمارى (ضع دائرة من فضلك على الرقم الذى يمثل اختيارك على التدريج التالى).

مشابه تمامًا ١ ٢ ٣ ٤ ٥ ٦ ٧ ٨ ٩ ١٠مختلف تمامًا.

ملحق (٣،٢) مقالات التسامح الموجزة الخاصة بالهنود، التى أُعيدت ترجمتها إلى الإنجليزية

السياق الروحى: شعور الفرد بأنه قد تمت مسامحته

لقد صُدم راجو عندما عرف أنه أصيب بفيروس نقص المناعة، ولكن تدريجيًا كان يشعر وبطريقة ما أنه شىء حسن أن يكتسب العدوى بالفيروس، فهو آسف على بعض الأفعال التى اقترفها فى حياته، وهو يعتقد أنه مهما

كان ما حدث، فإن "الله" يحبه، وأنه أرسل له المرض تحذيرًا له، ولذلك فهـو يدرك معنىً جديدًا لأسرته، وأصدقائه ولذاته أيضًا، والآن يوجد لديه هـدف لحياته، ولديه أيضًا بعض الأمل.

السياق الروحى: التسامح مع "الله"

لقد أدركت ساروجا أن فيروس نقص المناعة (HIV) مرض خطيـر، ومهدد للحياة، وقد وجدت مبدئيًا أنه من الصعب عليها أن تتقبل هذا، ولكنها تشعر الآن أنه جزء من خلق "الله"، فإذا كان " الله " قد أصابها بالعدوى، فإنه قد يكون لديه بعض المبررات، أو الأهداف من ذلك. إنها ليست غاضبة من " الله "، وفى الواقع هى تصلى إلى " الله " أكثر من أى وقت سابق.

السياق الروحى: شعور الفرد أن "الله" لم يسامحه

شعر موهان بحمل ثقيل فى رأسه ؛ عندما أصبح مدركًا أنـه أصـيب بالعدوى. فالأخطاء التى اقترفها سببت له مشكلات أخيرًا، واعتقد أن الإصابة بالفيروس هى عقاب من " الله" على أعمال محددة فعلها، أو لم يفعلهـا فـى حياته، فكان لديه شعور بأن "الله" ينتقم منه، وكان يتوقع مزيدًا من المشكلات، وأن "الله" لن يساعده على أية حال فى مرضه، بل سيمحوه من الحياة نفسها، وكان موهان حزينًا جدًا، ويشعر أنه لا يوجد أمل فيه كإنسان على الإطلاق.

السياق الروحى: عدم التسامح مع " الله"

تساءلت ساروجا لماذا فعل الله ذلك معها؟.أى نوع من الآلهة ذلك الذى يُثقلها، أو يثقل أى إنسان آخر بشقاء فيروس نقـص المناعـة؟. إن الحيـاة

بالنسبة لها كانت مليئة بالتعاسة والبغض وأُضيف إلى العالم الآن بلاء عظيم مثل مرض الإيدز، و"الله" هو الذى فعل كل ذلك، أو على الأقل سمح لكل ذلك أن يحدث. فهل فعل كل ذلك لأنه ليس إلهًا عظيمًا أو طيبًا، أم لأنه لا يهتم على الإطلاق بالبشر؟ وهناك احتمال آخر هو أنه غير موجود، ولكن فيروس نقص المناعة والإيدز موجودان؟. وأصبح قلب ساروجا قاسيًا، وتوقفت عن الصلاة "لله" الذى استطاع أن يبتليها بمثل ذلك المرض.

السياق الذاتى: التسامح مع الذات

تقبلت (رضها) الآن حقيقة أنها مصابة بفيروس نقص المناعة، بالأسلوب نفسه الذى تقبلت به حقيقة أن بعض مظهرها الجسمى لم يعد صحيحًا. نعم، من المحتمل أن تكون إصابتها بالفيروس فى المقام الأول ناجمة عن أفعالها، ولكنها توقفت عن لوم نفسها على أخطائها السابقة، ومهما كان ما حدث، ومهما كان ما فعلته، أو لم تفعله فإنه لا يوجد سبيل لتغيير تلك الأشياء، فهى تقبلت ذلك، وشعرت الآن بنوع من السلام الداخلى فيما يتعلق بذلك، وعلى أية حال، فكرت رضها أن نقائصها تعد جزءًا منها، ومما كانت عليه كإنسانة، فالأهم هو ما تكون عليه ككل إنسانة ، بكل نقائصها، لقد شعرت رضها بالرضا عن نفسها ككل.

السياق الذاتى: عدم التسامح مع الذات

كانت رضها تفكر دائمًا فى ما الذى كان بإمكانها أن تفعل، حتى لا تنتهى حياتها بالإصابة بفيروس نقص المناعة، فما كانت تفكر فيه، خاصة أثناء الليل هو ذلك " لو لم أفعل ذلك فقط.....إذا فعلت ذلك فقط.......".

ولامت نفسها على ما فعلت وما لم تفعل، ولامت نفسها كذلك على ما كانت عليه، فلو كانت شخصًا آخر لما حدث لها ذلك، ولكن شعرت "رضها" في أعماقها أنها لن يمكنها تغيير ما كانت عليه، وأنها أساسًا لم تكن إنسانة صالحة، ولهذا فليس مستغربًا أن تصاب بفيروس نقص المناعة، فهي استحقت هذا المرض المفزع، مثلما استحقت الأشياء السيئة الأخرى التي حدثت لها في الحياة .

الذات في سياق العلاقات الشخصية المتبادلة: عدم التسامح

تقبلت رضها الآن حقيقة أنها مصابة بفيروس نقص المناعة، ولكنها لم تستطع أن تسامح زوجها الذي تسبب في انتقال العدوى إليها، وهي تشعر بالحزن لتعرضها لكل هذه الأحداث. وتشعر في أحيان كثيرة أن ما حدث غلطتها هي لأنها لم تكن حذرة، فكونها واعية بعادات زوجها السيئة، يحتم عليها أن تكون أكثر حرصًا على عافيتها وصحتها، ويحتم عليها أن تأخذ احتياطها؛ لسلامتها؛ ولسلامة أطفالها، وهي تشعر بالذنب إلى أبعد حد لأنها سمحت لأن يحدث لها ما حدث.

سياق العلاقات الشخصية المتبادلة: شعور الفرد بأن الآخرين سامحوه

عندما علم مادن أنه أصيب بفيروس نقص المناعة، كان حزينًا جدًا. إنه قلق جدًا على أسرته أكثر من قلقه على نفسه، وهو حزين جدًا أن أسرته ستتعرض للإهانة نتيجة إصابته بالفيروس، ومع ذلك تقبلته أسرته (متضمنة أبويه وأشقاءه وشقيقاته) على ما هو عليه، فهم لم يوجهوا اللوم له على إصابته بالفيروس، ويعتنون به بقدر استطاعتهم، وهو يشعر أنهم سامحوه على الرغم من كل المشكلات التي سببها لهم.

سياق العلاقات الشخصية المتبادلة: شعور الفرد بأن الآخرين لم يسامحوه

راكيش حزين جدًا لأنه مصاب بفيروس نقص المناعة، ولـذلك فهـو دائمًا مكتئب، وقد صدمت أسـرته، وأصـدقاؤه عنـدما عرفـوا بإصـابته بالفيروس، ورفضوه تمامًا، وزوجته وأسرته يتصرفون كما لو كـان غيـر موجود، ويتجاهلونه، وهم غاضبون جدًا منه؛ لما ألحقه بهم، ويشعر راكيش أنهم لم ولن يسامحونه، على الألم الذى سببه لهم.

سياق العلاقات الشخصية المتبادلة: عدم التسامح مع الآخرين

لقد شعرت جاية بالاكتئاب إلى أبعد حد؛ عندما فكـرت فـى إصـابتها بفيروس نقص المناعة، وتساءلت عن مبرر معاناتها، وهى لم تقتـرف ذنبًـا، وهى تشعر أنه ما كان ينبغي عليها أن تتزوج، فزواجها كـان سـبب انتقـال العدوى إليها، وهى غاضبة جدًا من زوجها ؛ لأنه منحها هذه المعاناة، وتشعر أنها لن تستطيع أن تسامحه أبدًا، وهى غاضبة أيضًا من أبويها، لأنهما جعلاها تتزوج فى سن صغيرة من فاسق سيء الخلق، وهى تشعر أنه كـان ينبغـى عليهما أن يعرفا عنه معلومات أكثر، وأن يكونا أكثر حذرًا، وتشعر جاية أنها لن تستطيع أن تسامح أسرتها، وزوجها على وضعها فى هذه المعاناة.

سياق العلاقات الشخصية المتبادلة: التسامح مع الآخرين

تدرك راضها أنها أصيبت بالعدوى من خلال زوجها، وفى بادئ الأمر كانت غاضبة منه جدًا ؛ لأنه نقل إليها العدوى، ولكنها تقبلت ذلك الآن، ولـم تعد غاضبة منه، وهى تشعر أنه يحاول قدر استطاعته أن يُسهل الأشياء مـن أجلها، وهو أيضًا يعانى، وهى تعتنى به ولا تحمل أية مشاعر سلبية تجاهه.

المراجع

- Agence France –Press.(1998,September 14). India admits dramatic rise in number of HIV carriers, AFP with Globe Online. News about India.
- Ahuja,A.S.,Parkar ,S.R.,& Yeolaker,M.E.,(1998).Psychosocial aspects of seropositive HIV patients. Journal of the Association of Physicians of India,46,277-280.
- Benson,H.(1996).Timeless healing: The power and biology of belief. New York: Scribner's.
- Bharat ,S.(1995).HIV/AIDS and the family: Issues in care and support. Indian Journal of Social Work,56,177-193.
- Bhatnagar,A.(1998,June).Why forgive? Life Positive,pp.12-16.
- Chandra,P.S.(1996,February).Sexual control and awareness of STDs among HIV-infected women.Proceeding of the Third Asia Pacific Conference on Social Science and Medicine , Perth, Western Australia.
- Chandra,P. S., & Prasadarao,P. S. D.V(2000).Sressors in HIV infection in a developing country. In K.H. Nott, & K. Vedhara (Eds.), Psychosocial and biomedical interactions in HIV infection. London: Harwood Academic Press.
- Chandra,P.S.,Ravi V.,Desai,A., & Subbakrishna ,D.K. (1998).Anxiety and depression among HIV infected heterosexuals: A report from India.Journal of Psychosomatic Research, 45,401-409.

- d 'Cruz-Grote ,D.(1996).Prevention of HIV infection in developing countries. Lancet ,348,1071-1074.

- Engel ,G.L.(1977). The need for a new medical model: A challenge for biomedicine.Science, 196,19- 136.

- Goldschmidt, M. Temoshok , L.,& Brown, G.R.(1993).Women and HIV/ AIDS: Challenging a growing threat. In C.A. Niven & D. Carroll (Eds.),The health psychology of women(pp.91-106).London: Harwood Academic Press.

- Jacob,K.S.,Eapen,V.,John,J.K.,&John,T.J.(1991). Psychiatric morbidity in HIV- infected individuals.Indian Journal of Medical Research, 93, 62-66.

- Krishna,V.A.S.(1996).A study on the subjective well-being and the quality of marital life among male HIV patients. Unpublished masters of philosophoypsychiatric social work dissertation. Bangalore, Indian: NIMHANS.

- Madan,P.C.,Singh,N.,&Golechha,G.R.(1997).Sociodemographic profile and psychiatric morbidity in HIV-seropositive defense personnel. Indian Journal of Pschiatry ,39,200-204.

- Mann ,J.M.,& Tarantola, D.J.M.(Eds.)(1996).AIDS in the World II: Global dimensions ,social roots, and responses.Oxford, UK: Oxford University Press.

- Mann,J.M.,Tarantola,D.J.M.,& Netter,T.W.(Eds.).(1992).AIDS in the world: A global report. Cambridge ,MA: Harvard University Press.

- McCullough, M. E., Worthington, E. L.,& Rachal, K. C. (1997). Interpersonalforgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology ,73,321-336.

- Messick,S.(1995).Validity of Psychological assessment: Validation of inferences from persons' responses and performances as scientific inquiry into score meaning.American Psychologist ,50,741-749.

- Microsoft Corporation.(1996).India. In Microsoft, Encarta 96 Encyclopedia. Microsoft Corporation, Funk&Wagnalls.

- Mueke ,M.(1992). Mother sold food , daughter sells her body: The cultural continuity of prostitution. Social Science and Medicine,35, 891-901.

- O Flaherty,W.D.(1996).Hinduism.In Microsoft ,Encarta 96 Encyclopedia Microsoft Corporation , Funk& Wagnalls.

- Pargament ,K [illegible]997).The psychology of religion and coping: Theory ,research ,and practice. New York: Guilford Press.

- Pargament, K.I. ,&Rye , M.S.(1998).Forgiveness as a method of religious coping.In E. L. Worthington, Jr.(Ed.), Dimensions of forgiveness :Psychological research and theological perspectives (pp.201-223).Radnor, PA: Templeton Press.

- Pert,C.B.(1997).Molecules of emotion.New York: Scribner.

- Radhakrishnan ,S.(1995).Religion and society.Indus, India: HarperCollins.

- Rao,K.S.,Pilli,R.D.,Rao,A.S.,&Chalam,P.S.(1999).Sexual Lifestyle of long distance lorry drivers in India: Questionnaire survey.British Medical Journal 318,162-163.

- Sinha , J.(1985).Indian psychology: Vol.2Emotion and will. New Delhi: Motilal Banarsidass.

- Solano, L., Costa, M. Salvati ,S.,Coda,R.,Aiuti,F.,Messaroma,I.,& Bertini,M. (1993).Psychosocial factors and clinical evolution in HIV infection: A longitudinal study.Journal of Psychosomatic Research ,37,39-51.

- Solomon,G.F.,Kemeny,M.,&Temoshok,L.(1991).Psychoneuroimmunologic aspects of human immunodeficiency virus infection.In R.Ader,D.L.Felten ,&N.Cohen(Eds.) Psychoneuroimmunology (2nd ed.,pp.1081-1113).New York: Acadimic Press.

- Straits,K., Temoshok,L.,&Zich,J.(1990).Across –cultural comparison of psychosocial responses to having acquired immune deficiency syndrome and related conditions in London and San Francisco.In L. Temoshok ,& A. Baum (Eds.), Psychosocial perspectives on AIDS: Etiology, prevention , and treatment (pp.139-166). Englewood Cliffs, NJ: Erlbaum .

- Temoshok,L.R.(1990).Applying the biopsychosocial model of research on HIV /ADIS. In B. Bennett, J.Weinman ,&P. Spurgeon (Eds.), Current developments in health psychology (pp.129-158). London: Harwood Academic.

- Temoshok,L.R.(1993).HIV/ADIS ,psychoneuroimmunology, and beyond: A commentary and review.Advances in Neuroimmunology,3;87-95.

- Temoshok,L.R.(1997). Thecomplexity of cause: Linking emotional dynamics to health outcomes in cancer and HIV/AIDS.In A. Vingerhoets ,F.van Bussel ,& J.Boelhouwer(Eds.), The (non) expression of emotions in health and disease (pp.15-24).Tilburg ,The Netherlands: Tilburg University Press.

- Temoshok ,L. R.(1998).HIV/ADIS. In H. S. Friedman (Ed.) , Encyclopedia of mental health (Vol. 2 ,pp.375-392).San Diego: Academic Press.

- Temoshok,L.,& Dreher,H.(1992). The Type C connection : The behavioral links to cancer and your health.New York: Random House.

- Temoshok ,L., & Moulton ,J.M.(1991).Dimensions of biopsychosocial research on HIV disease: Perspectives from the UCSF Biopsychosocial AIDS Project In P.M.McCabe,N.Schneiderman ,T.Field ,& J. Skyler (Eds.) , Sress ,coping and disease (pp.211-236).Englewood Cliffs , NJ: Erlbaum.

- Temoshok,L.R., & the WHOQOL Group.(1997).HIV/ADIS and quality of life: An international perspective. Geneva: WHO Division of Mental Health and Prevention of Substance Abuse.

- Testa,M.A.,& Simonson,D.C.(1996).Assessment of quality of – life outcomes.New England Journal of Medicine ,334,835-840.

- UNAIDS.(1998).Epidemiological fact sheet on HIV/AIDS and sexually transmitted diseases.Geneva: UNAIDS/WHO Working Group on Global HIV/AIDS and STD Surveillance.

- Wade ,S.H.(1989).The development of a scale to measure forgiveness. Unpublished doctoral dissertation ,Fuller Graduate School of Psychology , Pasadena , CA.

- WHOQOL Group.(1993).Study protocol for the World Health Organization project to develop a Quality of Life Assessment Instrument (WHOQOL). Quality of Life Research ,2, 153-159.

- WHOQOL Group.(1994). The development of the World Health Organization Quality of Life Assessment Instrument (the WHOQOL). In J.Orley & W.Kuyken (Eds.),Quality of Life assessment: International perspectives (pp.41-57). Berlin: Springer Verlag.

- WHOQOL Group.(1995).The World Health Organization Quality of Life Assessment (WHOQOL): Position paper from the World Health Organization.Social Science and Medicine ,41,1403-1409.

- WHO/Division of Mental Health/ Temoshok ,L.R.(1997).Report on the consultation regarding quality of life and HIV/AIDS.Geneva: WHO.

- WHO/UNAIDS.(1998).Report on the global HIV/AIDS epidemic , June 1998.Geneva: WHO Working Group on Global HIV/AIDS and STD Surveillance.

- Winiarski, M.G.(1991). Spiritual issues in AIDS – related psychotherapy.In M.G.Winiarski (Ed.) ,AIDS –related psychotherapy (pp. 183-187). New York: Pergamon Press.

- Zich, J.,& Temoshok ,L.(1987). Perceptions of social support in persons with AIDS and ARC. Journal of Applied Social Psychology,17,193-215.

الفصل الرابع

ما الذي نعرفه (أو نحتاج أن نعرفه) عن قياس مفهوم التسامح

تأليف: ميشل ماكلو وويليام هويت وكريس راشال

إن تحسين المقاييس المتاحة التى تقيس التسامح يعد من أهم المهام الضرورية لخلق مستقبل مدعم للدراسة النفسية للتسامح (McCullough &Worthington,1995; McCullough,Worthington ,& Rachal,1997; McCulough ,Sandage,Rachal ,& Worthington,1997) ويبدو الآن أن كثيرًا من مظاهر التسامح قد قيست على نحو ملائم من خلال المقاييس الموجودة، ومع ذلك فهناك كثير من مظاهر التسامح الأخرى لم نستطع دراستها على نحو ملائم إلى الآن؛ نظرًا لأن أدوات قياسها لم تتطور بعد، وبالإضافة إلى ذلك ما زال لدينا كثير من التساؤلات عن كيفية استخدام المقاييس الموجودة بأساليب تزيد من فعالية أدائها.

ونبدأ الفصل الراهن بمراجعة ما نعرفه عن قياس المفاهيم المرتبطة بالتسامح، ونتناول كذلك كثيرًا من القضايا الأكثر إلحاحًا، والمتعلقة بمستقبل قياس هذه المفاهيم المرتبطة بالتسامح.

الإطار النظرى لقياس التسامح (٣ x ٢ x ٤)

لقد طورنا نظامًا تصنيفيًا لمقاييس التسامح الأساسية الموجودة، وكل المقاييس المتضمنة فى هذا التصنيف تعتبر أن الفرد هو وحدة التحليل، على الرغم من أن التسامح قد يُلاحظ ويُقاس فى مستوى العلاقات الثنائية، وعلى مستوى الأسرة، والجيران، وعلى مستوى قطاع السكان الأرحب، ومع ذلك فإن هذه الاعتبارات تتجاوز مجال هذا الفصل.

إن نظامنا التصنيفى (٣x٢x ٤) يصنف الأدوات الحالية وفقًا لثلاثة أبعاد، ويشير البعد الأول إلى مستوى الخصوصية الذى يُقاس فى ظلها التسامح، ويصنف ماكلو McCullough وورثنجتون Worthington سنة (١٩٩٩) مقاييس التسامح الموجودة إلى ثلاثة مستويات وفقًا للخصوصية: التسامح فى ظل الإساءة النوعية، والتسامح فى ظل العلاقات الثنائية، والتسامح النزوعىdispositional forgiveness، فمقاييس الإساءة النوعية تقيس مدى تسامح الشخص مع مُسىء معين على إساءة محددة، ويمثل مقياس الإساءة النوعية للتسامح- ظاهريًا- مدى تسامح الشخص (أو التماسه التسامح) فى سياق إساءة شخصية واحدة، ومحددة.

وتمثل مقاييس التسامح فى ظل العلاقات الثنائية – ظاهريًا – المدى الكلى لتسامح الفرد (أو التماسه التسامح) فى ظل علاقة واحدة عبر إساءات متعددة، وهذه المقاييس الثنائية تكون أكثر عمومية من مقاييس الإساءة النوعية، حيث إنها تجمع (على الأقل نظريًا) استجابات التسامح الخاصة بالأفراد فى ظل علاقة واحدة عبر إساءات كثيرة، ويمكن أن نعتبر المقاييس الثنائية إلى حد ما، وعلى نحو غير محدد، نوعًا من المتوسط الموزون لمجموع استجابات التسامح الخاصة بالفرد عن إساءة محددة تحدث على نحو متكرر فى ظل علاقة واحدة. وتمثل مقاييس النزوع للتسامح – ظاهريًا – ميل الشخص لأن يمنح التسامح (أو يلتمسه) عبر إساءات شخصية متعددة

تحدث فى ظل علاقات متعددة، وبناءً على ذلك فإن مقاييس النزوع للتسامح تمثل (على الأقل نظريًا) نوع من المتوسط الموزون لمجموع استجابات التسامح الخاصة بالشخص عبر إساءات متعددة وفى ظل علاقات متعددة.

والبعد الثانى الذى قد تصنف مقاييس التسامح الموجودة وفقًا له هو اتجاه المقاييس، فمعظم المقاييس تقيس التسامح فى اتجاه منح التسامح (مثلاً من منظور الشخص المتسامح)، وقليل منها أيضًا يقيس التسامح فى اتجاه قبول التسامح أو التماسه (مثلاً من منظور المعتدى)، وذلك لأن البحوث التى فحصت سياق التماس التسامح من قبل الآخرين، أو قبوله منهم هى بوضوح بحوث قليلة (Gassin ,1998; Meek,Allbright ,& McMinn,1995). ومقاييس التسامح من منظور الشخص الذى ينشد التسامح من قبل الآخرين أو يتقبله هى مقاييس غير متطورة على نحو مماثل.

والبعد الثالث الذى قد تصنف مقاييس التسامح الموجودة وفقًا له هو الطريقة التى يقاس بها التسامح، فالتسامح فى ظل إساءة نوعية (مثل منح التسامح للآخر واستقباله) قد يقاس ظاهريًا بأربعة أساليب على الأقل:

الأول: باستخدام أساليب التقرير اللفظى، فالمُساء إليه يمكن أن يعبر عن مدى تسامحه، أو تسامحها مع المُسىء إليه أو إليها (أو يمكن أن يعبر المُسىء عن مدى التماسه أو التماسها التسامح ممن أساء إليه).

والثانى: باستخدام أساليب التقرير من خلال طرفى العلاقة، فالطرف المُسىء يمكن أن يعبر عن مدى التسامح الذى منحه إياه الطرف المُساء إليه (أو يمكن أن يعبر الطرف المُساء إليه عن مدى شعور المُسىء إليه بأنه قد تمت مسامحته).

والثالث: يمكن أن يقيس ملاحظ خارجى(الاختصاصى العيادى أو أى طرف ثالث) مدى تسامح الطرف المُساء مع من أساء إليه (أو التماس المُسىء تسامح من أساء إليه).

والرابع: قياس السلوكيات البناءة، أو الهدامة تجاه الطرف المُسيء، وهذه الأساليب التى لاتعتمد على التقارير اللفظية أو المكتوبة، يمكن أن تستخدم لنستدل من خلالها على مدى تسامح الطرف المُساء إليه مع المُسيء، أو إلى أى مدى ينشد الطرف المُسيء تسامح المُساء إليه، ونستخدم فى الأجزاء التالية[1] من هذا الفصل تصنيف (٣x ٢x ٤) لمراجعة المقاييس المتاحة لقياس مفاهيم التسامح.

مراجعة مقاييس التسامح الموجودة:

مقاييس التسامح الخاصة بالإساءة النوعية: يقيس مقياس التسامح فى مستوى الإساءة النوعية مدى تسامح الشخص (أو التماسه التسامح) عن إساءة شخصية واحدة، وتستخدم مقاييس الإساءة النوعية للإجابة عن تساؤلات من قبيل "هل سامحت هذه الإنسانة والدها عن هجره لها ولوالدتها؟" أو "هل ينشد هذا الشخص التسامح من زوجته على خيانته لها؟، ومعظم مقاييس التسامح الموجودة تقيس التسامح فى ظل هذا المستوى من الخصوصية (McCullough & Worthington ,1999).

مقاييس منح التسامح فى ظل الإساءة النوعية :

مقاييس التقرير اللفظى: منذ ما يقرب من عشرين سنة قام علماء النفس الاجتماعيون بقياس منح التسامح فى ظل إساءة نوعية، باستخدام مقاييس التقرير اللفظى المكونة من بند واحد (Darby & Schlenker,1982)، وحتى اليوم لا يزال الارتباط بمثل هذا المقياس للتسامح الصادق ظاهريًا، وذو البند الواحد لا يزال يُمهد الطريق لقضية التحقق من صدق المقياس بأساليب

أكثر تعقيدًا(Subkoviak et.,1995; McCullough et al.,1998).وقد بـدأ البـاحثون مبكرًا فى أوائل سنة (١٩٨١) فى تطوير مقاييس متعددة البنود خاصة بمنح التسامح فى ظل الإساءة النوعية، وذلك من خلال التقرير اللفظى، فطـورت ترانير Trainer سنة (١٩٨١) مقياس تقرير ذاتى مكون من تسعة بنود لقياس التسامح فى ظل الإساءة النوعية، أطلقت عليه " مقياس التسامح العام " (مثل غياب المشاعر العدائية، وتوقف الحقد، وظهور المشاعر الإيجابية، وتمنـى المعافاة للمُسىء)، وطورت ثلاثة مقاييس للتقرير الذاتى بالتوازى مع مقياس التسامح العام فى ظل الإساءة النوعية، وهذه المقاييس الثلاثة تقيس الدافعيـة للتسامح: الدافعية داخلية المنشأ (أربعة عشر بنـدًا)، والدافعيـة الوسـيلية expedient motivation (عشرة بنود)، ودافعية الدور المتوقـع role –expected motivation (عشرة بنود). وقد أظهرت المقاييس الأربعة اتساقًا داخليًا، تراوح من (٧٧,) وحتى (٨٩,) ((Trainer ,1981، واستخدم بـارك Park وإينريـت Enright سنة (١٩٩٧) سبعة بنود من التسعة بنود المكونة لمقيـاس ترانيـر للتسامح العام، وأضافا إليها ثلاثة بنود، واستخدما الدرجة الكلية على العشرة بنود (بلغ اتساقها الداخلى باستخدام معامل ٨٧,) كمقياس للتسامح العام.

وارتبطت الأربعة مقاييس الفرعية للتسامح فى بحث ترانير (١٩٨١) بحجم اللوم الذى يوجهه المُساء إليه لمن أساءوا إليه، وإظهار عـزو مـتفهم لسلوك المُسىء، والاحتفاظ بمشاعر المرارة، والعداء تجاه المُسىء. وعلاوة على ذلك، وُجدت فروق مهمة فى الارتباطات الخاصة بالمقـاييس الفرعيـة الأربعة، بما يوحى بأنهم قد يقيسون مظاهر مختلفة للتسامح.

ومن ناحية ثانية يفند التحليل العاملى صدق نموذج العوامل الأربعـة؛ لوصف العلاقات المتبادلة بين بنود المقاييس الأربعة، ومعظم بنود التـسامح العام، وبنود الدافعية للتسامح داخلية المنشأ تشبعت على العامل الأول، الذى

يفسر (١٨%) تقريبًا من مجموع التباين الكلى للبنود. وبدا هذا العامل مُممثلاً للتسامح على نحو أكثر ملاءمة (ففى الواقع نحن مرتاحون إلى اعتبار البنـد الذى يتشبع تشبعًا قويًا على هذا العامل الأول، بندًا مفردًا يقيس مدى تسامح المستجيب مع من أساء إليه أو إليها). وبدا العامل الثانى مُمـثلاً للغـضب، ولوجهة نظر فى التسامح تتسم بالواقعية، وعدم التفهم، وتعكـس اسـتخدام المستجيب للتسامح كوسيلة للانتقام من المُسيء، أو لدعم صورة الذات التـى تعرضت للإيذاء. وبدا العامل الثالث ممثلاً لشكل من التسامح، كان مـدفوعًا من خلال الشعور باليأس بشأن قابلية الآراء الأخـرى للتطبيـق والـشعور بالواجب والإيمان الدينى الراسخ، ومع ذلك مع تـسليمنا بالجهـد المـشجع المبدئى الذى أُجرى على هذه المقاييس، فإنه من المحتمل أن يكـرس لهـا انتباهًا أكبر فى البحوث المستقبلية.

وقد تطور كثير من مقاييس التقرير الذاتى التى تقيس منح التـسامح، وذلك على مدى عشرين سنة تقريبًا منذ بحث ترانير سنة (١٩٨١). فمنذ ما يزيد عن عشر سنوات، طور واد Wade (١٩٨٧، ١٩٨٩) مقيـاس تقريـر ذات مكون من واحد وثمانين بندًا، تهدف قياس تسعة أبعاد للتـسامح، وقـد استخدم هذا المقيـاس فـى كثيـر مـن الجهـود البحثيـة (& McCullough Dreelin,1993; Davidson & Jurkovic,1993; Worthington, 1995; Rhode,1990)، وقد أظهرت المقاييس الفرعية لمقياس "واد" الخصائص المعروفة للصدق "، وميزت بنجاح بين الأفراد الذين أعلنوا أنهم تسامحوا مع من أسـاء إلـيهم، وأولئك الذين لم يعلنوا عن تسامحهم تجاه مـن أسـاء إلـيهم (Wade,1989)، وظهر أن المقاييس الفرعية مرتبطة أيضًا التـنعم الروحـى (Dreelin,1993)، والنرجسية (Davidson &Jurkovic,1994).

ووصف ماكلو وآخرون سنة (١٩٩٨) نتائج أربع دراسات، طورت مقياسًا مكونًا من اثنى عشر بندًا، مبنى على بنود مقياس واد (١٩٨٩) فى التسامح، وأطلقوا عليه بطارية الدوافع المرتبطة بالاعتداء (TRIM) (the Transgression – related Interpersonal Motivations Inventory)، وهى مصممة لقياس العنصرين السلبيين الدافعيين، اللذين وردا بإيجاز فى نظرية ماكلو وآخرين سنة (١٩٩٧) عن طبيعة التسامح المتبادل بين الأشخاص، وهذين العنصرين السلبيين هما: (١) الدافعية لتحاشى المُسيء (التحاشى)، و(٢) الدافعية لالتماس الانتقام (الانتقام). وأساس التسامح وفقًا لماكلو وآخرين هو الانخفاض النسبى لهذين العنصرين الدافعيين المتبادليين بين الأشخاص، وهكذا يعتبر انخفاض دافعية التحاشى، والانتقام مكافئين لل " تسامح ". وارتبط المقياسان الفرعيان فى بطارية (TRIM) ارتباطًا مرتفعًا بكثير من المفاهيم، التى تعد محورية فى نظرية ماكلو وآخرين فيما يتعلق بالتسامح، متضمنة الرضا عن العلاقة، والوفاء، والحميمية، وإبداء الاعتذار، والتفهم، والاجترار، وأثبت التحليل العاملى على نحو مؤكد أيضًا أن الدرجات على المقياسين الفرعيين متميزة عن الدرجات على باقى المفاهيم، وتنبأ المقياسان كذلك بما يقرب من (٥٠%) من التباين (R المتعدد = ٠.٧٠) على مقياس التسامح ذو البند الواحد، وتنبأ المقياسان أيضًا بإعادة توطيد العلاقة الحميمة التى تعقب الإساءة الشخصية المتبادلة.

وطور إينريت وتلاميذه فى جامعة واسكينسين ماديسون Wisconsin-Madison مقياسًا آخر مهمًا من مقاييس التقرير الذاتى (Subkoviak et al., 1995; Subkoviak , Enright ,& Wu,1992)، وقد استخدمت بطارية إينريت فى التسامح (EFI) (Enright Forgiveness Inventory) المكونة من ستين بندًا (٦٠) فى عديد من الدراسات، وتبين أنها تتسم بكثير من الخصائص القياسية (السيكومترية) المرغوبة، وتهدف هذه البطارية قياس سبعة مظاهر للتسامح

مع الآخر وهى: ظهور تغيرات إيجابية وجدانية، ومعرفية، وسلوكية، وغياب الانفعال، والمعرفة، والسلوك السلبى، وكان معامل الاتساق الداخلى للمقاييس الفرعية الستة مرتفعًا، ومعامل الاتساق الداخلى للدرجة الكلية مرتفعًا أيضًا (٩٠.) (Subkoviak et al., 1995; McCullough,1995). وارتبطت الدرجة الكلية على بطارية (EFI) لدى بعض العينات الفرعية ارتباطًا سلبيًا بمقاييس الاكتئاب، والقلق (Subkoviak et al.,1995)، وبالإضافة إلى ذلك هذه البطارية حساسة للمعالجات التجريبية المصممة لتيسير التسامح (Coyle & Enright,1997).

وقبل تصميم بطارية (EFI) إينريت وهيبل Hebl سنة (١٩٩٣)، استخدم ألمابوك Al-Mabuk وإينريت وكارديس Cardis سنة (١٩٩٥)، وفريدمان Freedman وإينريت سنة (١٩٩٦)، استخدموا مقياسًا مكونًا من ثلاثين (٣٠) بندًا، أطلقوا عليه مقياس المبيان النفسى للتسامح، وقد صمم هذا المقياس لقياس السبعة مفاهيم نفسها التى تقيسها بطارية (EFI)، وكان معامل الثبات الداخلى للدرجة الكلية على هذه البنود أعلى من (٩٠) (Al-Mabuk et al., 1995; Freedman & Enright ,1996; Hebl & Enright ,1993) وعلى الرغم من أن المبيان النفسى للتسامح ذو الثلاثين(٣٠) بندًا حساس للمعالجات التجريبية التى تيسير التسامح (Freedman &Enright ,1996)، فإن البطارية المكونة من ستين (٦٠) بندًا استخدمت بدلاً من المبيان النفسى للتسامح فى أكثر من دراسة حديثة من خلال إينريت وتلاميذه[٢] (Coyle & Enright, 1997).

مقاييس التقارير اللفظية للرفقاء: نحن مدركون أنه لا يوجد مقياس يقيس مدى إدراك المُسيء أن المُساء إليه قد سامحه أو سامحها على ما اقترف من إساءة. وإذا سلمنا بطبيعة مفهوم التسامح كعملية متبادلة أساسًا بين الأشخاص، فإن ذلك يعد سهوًا عظيمًا فى تطوير مقاييس التسامح. وينبغى أن تكون هذه المقاييس مرتبطة ب:

(١) فهم تأثير التسامح على المُساء إليه، و(٢) ضرورة دراسة التسامح الذى يتعلق بإساءة نوعية تحدث فى ظل العلاقات الثنائية، بدلاً من دراسته على نحو بسيط فى المستوى الفردى (Exline &Baumeister, الفصل السابع فى هذا المجلد).

مقاييس التقرير اللفظى للملاحظ: إن مقاييس التسامح القائمة على التقرير اللفظى للملاحظ ينبغى أن تكون مناظرة للمقاييس الأخرى التى تقيس المفاهيم النفسية، ومبنية على المقابلة، مثل مقياس تقدير الاكتئاب لهاميلتون الذى يقيس الأعراض الاكتئابية (Hamilton,1960)، والمقابلة المنظمة نمط "A " التى تقيس نمط السلوك "A" (Rosenman et al., 1964)، وهذه المقاييس أيضًا تشكل أساس تطوير مقاييس التقرير الذاتى.

وبالإضافة لقيام ترانير بتطوير أول مقياس تقرير ذاتى متعدد البنود لقياس منح التسامح عن إساءة نوعية، قامت سنة(١٩٨١) أيضًا بتطوير أول مقياس لمنح التسامح (see Trainer Table E)، ، وهذا المقياس يُكمل من خلال تقدير ترانير، ويستخدم هذا المقياس فقط للتحقق من صدق المقاييس الأخرى التى طورتها، ولكن هذا المنحى فى القياس يستحق الإشارة إليه، فتقوم ترانير بتصنيف درجة تسامح الشخص عن إساءة نوعية وفقًا لفئات تصنيفية ثلاث: مرتفع ومتوسط ومنخفض، وذلك بناءً على الظهور النسبى، أو الغياب النسبى لخصائص عديدة تعكس التسامح، وهذه الخصائص وجدانية ومعرفية وسلوكية (مثل الغياب النسبى للمشاعرالعدائية، ومشاعر المرارة، وظهور الإيماءات الدالة على الإرادة الجيدة..إلخ).

ويعرض مالكومMalcom وجرينبيرج Greenbergفى الفصل السابع فى هذا المجلد نظام تقدير لقياس أمثلة للتسامح فى ظل الإساءة النوعية، وذلك

من خلال تحليل عملية العلاج النفسى التى تصور من خلال كاميرا فيديو، ويتضمن نظام القياس هذا تطبيق مقياس تقدير على جلسات العلاج النفسى المصورة، حيث يناقش المعالج والعميل الإساءة الشخصية التى عانى منها العميل. ويعد منحى مالكوم وجرينبيرج مبدئيًا منحىً مبتكرًا، ومن الممكن أن يكون مفيدًا تمامًا فى فحص التسامح الذى يظهر أثناء العلاج النفسى.

المقاييس السلوكية: قد تفسر الدرجات المشتقة من المناحى السلوكية على أنها " تسامح "، وهذه المناحى قد تم استكشافها فى سياقات تجريبية عديدة، فلعبة مشكلة السجين على سبيل المثال هى موقف مصطنع مختلط الدوافع، حيث يواجه اللاعبان وعلى نحو متكرر أن يختارا استراتيجية التعاون، أو التنافس، والهدف من اللعبة هو فوز اللاعب بأكبرعدد ممكن من النقاط. فإذا تعاون اللاعبان فى أية محاولة، فإن كل منهما يفوز بثلاث نقاط، وإذا تعاون أحدهما، وتراجع الآخر عن التعاون، فإن اللاعب المتراجع يفوز بخمس نقاط، ولا يحصل اللاعب المتعاون على أية نقطة، وإذا تراجع كلا اللاعبين عن التعاون فكلاهما يحصل على نقطة واحدة، ويعرف التسامح إجرائيًا فى هذه اللعبة على أنه الحركة المتعاونة عند الاستجابة للحركة التنافسية للاعب الآخر (Axelrod,1980a,1980b)، فبدلاً من تبادل الحركة التنافسية مع الحركة التنافسية للاعب الآخر، فإن اللاعب المتسامح يختار أن يستجيب للتراجع عن التعاون، من خلال إعادة تأكيد رغبته، أو رغبتها فى أن يلعب اللعبة بشكل متعاون.

وينبغى أن نهتم بتناول مقاييس سلوكية أخرى أيضًا، وتمثل المعالجات المعملية غالبًا موقفًا مهددًا لتقدير الذات لدى المشاركين، وتكون مؤذية بالنسبة لهم، وهذا يمنح المشاركون الفرص للتصرف ببعض الأساليب تجاه الشخص الذى يمثل مصدر التهديد لتقدير الذات، أو مصدر الإيذاء للذات،

وفى مثل هذه السياقات المعملية قد يعتبر كف الاستجابات العدوانيــة تجــاه المعتدى مظهرًا مهمًا للتسامح. ومن الاستجابات العدوانية التى تم فحصها:

(١) التقويمات غير المرغوبة للمعتدى، التى يُعتقد أنها تــؤثر علـــى فرص المعتـــدى فـــى الفـــوز بوظيفـــة أو منحـــة (Bushman& Baumeister, 1998;Caprara,Coluzzi,Mazzotti,Renzi,& Zelli,1985;Kremer & Stevens, 1983; Zillman & Cantor, 1976).

و(٢) نقل مشاعر الاشمئزاز للمعتدى، أو أية منبهات مؤذيـــة أخـــرى (Caprara et al., 1985,1987; Collins & Bell,1997).

و(٣) اتخاذ قرارات تكبد المعتدى وقتًا، ومـــالاً، وبعـــض المـــصادر الأخرى (Brown,1968; Caprara et al.,1987). وفى معظم الحالات، ينبغى أن يهتم الباحثون بتعميم المشاركين لاستجاباتهم فى ظـــل هـــذه الـــسيناريوهات المعملية، على الاعتداءات الشخصية المتبادلة التى تحدث خارج المعمل.

ولحسن الحظ ظهر أن مثل هذه المقاييس المعملية للعـــدوان الانتقـــامى تُعمم تعميمًا جيدًا على المواقف غير المعمليـــة (Anderson& Bushman,1997). وسواء أكانت مثل هذه السلوكيات التى تُقاس فى الألعاب مختلطة الـــدوافع، أم فى السيناريوهات المعملية المخترعة، كمقاييس تقليدية للتقرير الذاتى، تتـــسق واقعيًا مع التسامح أم لا، فإن مقاييس تقرير الآخر، أو تقرير الملاحظ ما زالت بالطبع خاضعة للفحص، وسوف تكون شائقة بدرجة كبيرة لنظرية التسامح.

مقاييس استقبال التسامح والتماسه فى ظل الإساءة النوعية :

نحن مدركون أن هناك بحوثًا قليلة حتى الآن فيمـــا يتعلـــق بكيفيـــة استقبال التسامح، أو التماسه من الآخر فى ظل الإساءات النوعية وقد فحص

ميك وآخرون (Meek et al,1995) باستخدام مقياس تقدير مكون من بند واحد شبيه بمقاييس ليكرت) مدى شعور المستجيب بأنه قد تمت مسامحته، وذلك بعد اعترافه بالاعتداءات المحددة التى اقترفها. وهناك جهود قليلة مكتملة منشورة فى هذا المجال.

مقاييس التسامح الثنائى:

يقيس مقياس التسامح فى المستوى الثنائى ميل الشخص العام للتسامح مع رفيق محدد على إساءة محددة حدثت فى ظل العلاقة التى تربطهما معًا، وتتناول قياسات الإساءة التى تحدث فى ظل العلاقات المتبادلة أسئلة من قبيل السؤالين الآتيين: " هل يميل هذا الزوج إلى التماس التسامح من زوجته عندما يسىء إليها؟ "، و "هل يميل هذا الموظف إلى التسامح مع رئيسه؟". وهكذا فإن مقاييس التسامح الخاصة بمستوى العلاقة تكون أقل تحديدًا، وذلك بالقياس إلى مفاهيم التسامح الخاصة بالإساءة النوعية، حيث إنها تحاول أن تقيس ميل الشخص لأن يتسامح (أو يلتمس التسامح) مع رفيق تربطه به علاقة محددة، بدلاً من التسامح على إساءة نوعية.

و لم نطلع فى الوقت الحالى، سوى على أداة واحدة تقيس التسامح فى المستوى الثنائى، وهى مقياس هارجراف Hargrave وسيلز Sells الذى صمم سنة (١٩٩٧)، ويطلقان عليه مقياس القرار المتصل بالعلاقة، ونرمز له ب (IRRS) (Relationship Resoluation Scale)، وهذا المقياس مكون من أربعة وأربعين (٤٤) بندًا، تتطلب الإجابة عليهم الاختيار بين بديلين، هما "نعم " و"لا"، وهو مصمم لقياس إلى أى مدى يكون الشخص الذى تعرض لإساءات خطيرة من قبل عضو محدد من أعضاء أسرته: (١) مستمر فى الشعور

بالألم الناتج عن الإساءة، و(٢) سامح عضو الأسرة على الإساءة التى حدثت فى الماضى، ويتكون مقياس الألم من أربعة مقاييس فرعية، تصف :الخزى، والغيظ، والتحكم، والتشوش، ويتكون مقياس التسامح من أربعة مقاييس فرعية تصف: الاستبصار، والفهم، وإعطاء الفرصة لتقديم تعويض من قبل المُسيء، وسلوك التسامح الصريح. وقد تراوح الاتساق الداخلى للمقاييس الثمانية من (٫٦٣) وحتى (٫٨٧). وتجاوز الاتساق الداخلى لمقياسى الألم والتسامح (الدرجات الكلية) (٫٩٠) (Hargrave & Sells,1997)، وطُبق المقياسان على عينة مكونة من المرضى المترددين على العيادات الخارجية لتلقى لعلاج النفسى؛ لمعاناتهم مشكلات مع أحد أفراد الأسرة، وعينة من الأسوياء الجامعيين، الذين ما زالوا يدرسون، والمتخرجون، وتبين أن درجات المرضى منخفضة وبشكل دال على المقاييس الأربعة للتسامح (ومرتفعة على المقاييس الأربعة للألم) بالقياس إلى درجات الجامعيين الذين لم يتلقوا إرشادًا، أو علاجًا نفسيًا من قبل. وقد أظهرت المقاييس الفرعية للألم والتسامح أيضًا نمطًا مركبًا من الارتباطات مع مقاييس التقرير اللفظى الإكلينيكية الأخرى المتصلة بمفهومى التسامح والألم.

وسييسر الفحص الأعمق لمقاييس التسامح الثنائى دراسة التسامح من منظور العلاقات الزواجية - الأسرية، والعلاقات الحميمة الأخرى. ومن الممكن أن تتطور مثل هذه المقاييس بالنمط نفسه الذى تطورت به المقاييس الخاصة بالعلاقات النوعية الأخرى، مثل مقاييس تبنى المنظور الثنائى dyadic perspective -taking measures للونج Long وأندروس Andrews التى صمم سنة (١٩٩٠)، وهى تقيس مقدرة الأزواج و الزوجات على تبنى منظور بعضهم بعضًا، وينبغى أن تتطور أيضًا مقاييس التقرير اللفظى للملاحظ، والمقاييس السلوكية للتسامح فى مستوى العلاقات النوعية.

مقاييس النزوع للتسامح :

تقيس مقاييس التسامح على المستوى النزوعى ظاهريًا نزوع الشخص العام أو ميله لأن يتسامح مع الآخرين (أو يلتمس التسامح بعد إيذائه شخصًا آخر)، وتحاول المقاييس التى تقيس التسامح فى هذا المستوى أن تفحص الأسلوب العام للاستجابة الذى يتجاوز الإساءات الفردية، أو حتى العلاقات الفردية.

مقاييس النزوع لمنح التسامح:

التقديرات الذاتية: يوجد عدد من مقاييس التقرير الذاتى المفيدة فى قياس النزوع للتسامح مع الآخرين، ومن أكثر المقاييس التى تستخدم على نطاق واسع مقياس التبديد – الاجترار dissipation- rumination الذى فحصه كابرا Caprara وتلاميذه لعدة سنوات (Caprara,1986;Caprara,Barbaranelli, & Comrey,1992;Caprara,Manzi, &Perugini,1992;Caprara et al.,1985). فالتبديد وفقًا لكابرا هو مقدرة الفرد على التغلب على المشاعر المريضة، أو على الرغبة فى أن ينتقم بعد أن أُستفز. أما الاجترار فهو ميل الفرد لأن يحتفظ بالكرب الانفعالى أو حتى يعززه، والرغبة فى الانتقام بعد أن تعرضه للايذاء من قبل شخص آخر (Caprara& Pastorelli,1989) ويتكون مقياس التبديد – الاجترار من خمسة عشر (١٥) بندًا على نمط بنود مقياس ليكرت (مثل "عندما يسىء إلىّ أحد فإننى أنتقم منه عاجلاً أو آجلاً، وبمجرد أن يُساء إلىّ لا أتسامح بسهولة ")، وظهر أنه يتسم باتساق داخلى ملائم (معامل ألفا =٧٩, للنسخة الايطالية، و ٨٩, للنسخة الانجليزية)، وتبين أن الدرجات على المقياس ترتبط ارتباطًا إيجابيًا بدرجة انتقام الأفراد من أحد

الأشخاص بعد التعــرض للاعتــداء، أو أى تهديــد آخــر لتقــدير الــذات (Caprara,1986;Caprara et al.1985;Collins &Bell,1997). وفى العشرة سنوات الأخيرة تم تطوير مقاييس شبيهة أيضًا. فطور ماجور وآخرون سنة (١٩٩٢) مقياسًا يتناول النزوع للتسامح تجاه الآخرين، أطلقوا عليــه التــسامح تجــاه الآخرين (FOS) (Forgiveness of Others Scale)، ويتكون هذا المقياس مــن خمسة عشر بندًا مثل مقياس التبديد – الاجترار (وتتطلب الإجابة الاختيــار بين بديلين " صح " – " خطأ ")، ويقيس المقياس رغبة الناس فى أن ينتقموا بعد تعرضهم للإساءة الشخصية، أو رغبتهم فى كبح الحقد، والتــسامح مــع الآخرين، وقد أظهر المقياس اتساقًا داخليًا ملائمًا. وهناك مقياســان آخــران يقيسان النزوع للتسامح اشتقا من جنس بنود مقياس ماجور همــا اســتخبار المعتقدات الخاصة بالانتقام (BARQ) (Beliefs about Revenge questionnaire) لإيمونز Emmons الذى ظهر سنة (١٩٩٢)، ومقياس الانتقــام لــستوكليس Stuckless وجورانسون Goranson الذى ظهر سنة (١٩٩٢). وقد ظهــر أن لمقياس التبديد – الاجترار، ومقياس التــسامح تجــاه الآخــرين، ومقيــاس المعتقدات الخاصة بالانتقام ارتباطات متعددة مهمة، تتضمن ارتباطهم بالتفهم، والثقة المتبادلة، والمقبولية، والمجاراة الاجتماعية، وظهر كذلك أن الأفــراد الذين يقعون على نهاية درجات التسامح على هذه المقاييس، تكــون لــديهم قابلية منخفضة للتهيج، والكرب الانفعالى، ويظهرون مستويات منخفضة من الغضب، والعدائية.

ونحتاج أن نفحص إمبريقيًا الارتباطات الإمبريقية بين الدرجات علــى مقياس التبديد– الاجترار، ومقياس التسامح مع الآخرين، والمعتقدات الخاصة بالانتقام، فمن خلال الحكم على التشابه الدلالى لمحتوى بنودهم، قــد يكــون محتملاً أن تشترك هذه المقاييس فى نسبة كبيرة من التباين العام، وستــساعد

المقارنات المكثفة للخصائص القياسية (السيكومترية) لهذه المقـاييس علـى اتساع دائرة الأدوات التى يستخدمها الباحثون، والاختصاصيون العيـاديون فى فحص النزوع للتسامح.

وقد طور إينريت وهيبل مقياس تقرير ذاتى مهم لقياس النزوع لمـنح التسامح للآخرين سنة (١٩٩٣)، وأطلقا عليه مقياس الرغبة فـى التـسامح، ويتكون مقياسهما من ستة عشر بندًا، فيُطلب من المستجيبين أن يقرأوا سـتة عشر سيناريو، حيث يتخيلون أنفسهم أنهم تعرضوا للإيذاء من قبل شـخص آخر، وعلى المستجيبين أن يختاروا الاستجابة التى تنطبق عليهم مـن بـين عشرة استجابات على كل موقف إساءة من المواقف الـستة عـشر، وذلـك ليوضحوا (١) كيف يتوقعون أن تكون استجابتهم للإساءة؟، وكيف يفـضلون أن يستجيبوا للإساءة؟، حتى لو كانوا لا يعتقدون أنه ينبغى عليهم اختيار شكل محدد من الاستجابة. ويعتبر التسامح اسـتجابة مـن الاسـتجابات العـشرة للسيناريوهات المفترضة، وتمثل الدرجة الكلية عدد المرات التى اختار فيهـا المستجيبون استجابة التسامح للسيناريوهات المفترضـة. ويُقـدر الاتـساق الداخلى لهذا المقياس (معامل ألفا = ٧٠,) (Hebl & Enright ,1993) واسـتخدم مابوك وإينريت وكرديس سنة (١٩٩٥) اثنى عشر بنـدًا مـن بنـود هـذا المقياس، وأظهر هذا المقياس المختصر اتساقًا داخليًـا تـراوح مـن (٤٧,) وحتى (٧٥,). وتبين أن درجات المبحـوثين علـى هـذا المقيـاس ازدادت بعـد مـشاركتهم فـى برنـامج تـدخل ركـز علـى تـشجيع التـسامح (AL-Mabuk,Enright, & Cardis,1995; Hebl & Enright,1993). وقـد تطـورت مناحى أخرى بالإضافة للمقاييس؛ لفحص المظاهر النزوعية لمنح التـسامح للآخرين خلال السنوات المتعاقبة، وقد فحص روكيتش القيمة التى يعزوهـا الأفراد لكونهم متسامحين من خلال دراسته المسحية للقـيم سـنة (١٩٦٧)،

ويتطلب المقياس أن يرتب المستجيب ثمانى عشرة قيمة نهائية، وثمانى عشرة قيمة وسيلية (متضمنة قيمة أن تكون متسامحًا) وفقًا لأولّيّاتها النسبية فى الأنساق القيمية للمستجيبين، وتبين أن الأفراد الذين يميلون إلى أن يكونون أكثر تدينًا، وأكثر تمسكًا بالتقاليد، وأقل اتسامًا بالأفكار الميكافيلية، يميل هؤلاء الأفراد أن يضعوا قيمة التسامح فى موضع مرتفع فى أنساقهم القيمية، وذلك بالمقارنة بالأفراد المنخفضين فى هذه السمات الشخصية (للمراجعة انظر (McCullough &Worthington,1995,1999).

وأخيرًا فحص جورسش Gorsuch وهو Hoa سنة (١٩٩٣) بنود مجموعة من مقاييس التقرير اللفظى التى تقيس ميل الأفراد لأن يتسامحوا، أو ينتقموا عندما يتعرضون للإيذاء على نحو متعمد من قبل الآخرين، وقد أعلن الباحثان أن عددًا من المقاييس التى تقيس التدين تميز بين الأفراد الذين يحصلون على درجات منخفضة على مقاييس التسامح هذه، وأولئك الذين يحصلون على درجات مرتفعة، ونظرًا لأن هذه البنود تقدم لعينة ممثلة قوميًا للجمهور العام، لذلك ينبغى أن تفحص بجدية لتطوير مقاييس لقياس النزوع للتسامح.

مقاييس تقدير الرفقاء: لا توجد أدوات قياسية (سيكومترية) متاحة حاليًا لقياس النزوع نحو التسامح من منظور الآخر ذي الأهمية بالنسبة للشخص الذى يمنح التسامح.

مقاييس تقرير الملاحظ: لم يتم تطوير مقاييس تقريرخاصة بالملاحظ أيضًا، تقيس النزوع للتسامح.

المقاييس السلوكية: وأخيرًا: لم يتم تطوير مقاييس سلوكية تقيس التسامح النزوعى من خلال ملاحظة الاستجابات السلوكية للأفراد، وتكوين حكمًا عنها، وذلك عبرعديد من المواقف الحياتية الحقيقية.

مقاييس النزوع لالتماس التسامح واستقباله:

لم نطلع على أية أدوات قياسية فى الوقت الراهن حاولـت أن تقـيس ميول الأفراد لالتماس التسامح (أو استقباله) من قبل الأفـراد بـرغم مـن اقترافهم إثمًا شخصيًا فى حقهم.

الخلاصة :

من الواضح أن قياس التسامح تقدم خلال عقدين تقريباً، ومن المحتمل أن تعكس الطاقة التى خُصصت لتطوير مقاييس تقرير لفظى للتسامح فى ظل الإساءة النوعية، تعكس حقيقة مؤداها أن التنظير المتعلق بالتسامح ركز على منح التسامح الذى أعقب الإساءة، أو الانتهاك، وقد يرجع التأكيد النسبى على مقاييس منح التسامح أيضًا إلى حقيقة مفادها أن البحث فى الوقت الراهن لـم يركز على المظاهر الشخصية المتبادلة للتسامح بالقدر نفسه الذى ركز فيـه على المظاهر النفسية الداخلية، أو مظاهر الصحة النفسية للتسامح، ومع ذلك فإن الدراسة العلمية للتسامح ستستفيد كثيرًا من الجهود البحثية المخصـصة لزيادة أساليب القياس المتاحة، وعلى الرغم من وجود مقاييس تقرير لفظـى لقياس التسامح فى ظل الإساءة النوعية، فإنه لا يوجد سوى قليل من المقاييس التى تقيس التسامح فى مستوى العلاقات الثنائيـة، أمـا تطـوير المقـاييس السلوكية فتجاهله الباحثون تجاهلاً تامًا، ولاتوجد مقاييس خاصـة بالتمـاس التسامح، أو استقباله على المستوى النزوعى، ونأمل أن تُملأ هذه الثغـرات فى المقاييس فى السنوات المقبلة.

المجالات الأخرى للتطوير القياسى :

إذا تغيرت الإجراءات المتبعة فى كيفية تطوير مقاييس التسامح، واستخدامها فى البحث فإن المجال البحثى الكلى للتسامح سوف يتقدم بدرجة كبيرة، بالإضافة إلى زيادة نطاق المقاييس المتاحة لقياس التسامح، فأولاً وفى المقام الأول نحن نوصى الباحثين فى أن يبدأوا فى زيادة استخدام نظرية القياس الكلاسيكية مع نظرية القابلية للتعميم generalizability theory، وبذلك يمكنهم قياس تعقد التسامح بأسلوب أكثر معلوماتية وبراعة.

وقد بزغت أربع قضايا قياسية إضافية من منحى القابلية للتعميم، للتفكير المتعلق بقياس مفاهيم التسامح:

أولاً: نوصى بأن تُقاس مفاهيم التسامح على نحو متكرر من خلال استخدام أكثر من طريقة من طرائق القياس.

ثانيًا: نوصى الباحثين بالتفكير فى مستوى الخصوصية الملائم الذى يقاس التسامح فى ظله لنتناول مشكلة البحث تناولاً ملائمًا.

ثالثًا: نوصى الباحثين فى أن يبدأوا فى استكشاف (وتوخى الحرص فى الضبط التجريبى)مصادر التغاير التى يمكن أن تؤثر فى درجات التسامح.

رابعًا: نوصى الباحثين فى أن يحددوا شبكات المعارف المتضمنة فى قياس التسامح، قبل أن يجمعوا البيانات الخاصة بصدق المفهوم، ونستكشف كل موضوع من هذه الموضوعات الرئيسة فى الجزء المتبقى من الفصل.

نظرية القابلية للتعميم كنظرية مساعدة لنظرية القياس التقليدية :

اعتادت نظرية القياس التقليدية أن تصيغ درجات الأفراد على مقياس التسامح على أنها مجموع إضافة مكون الدرجة الحقيقية، ومكون الخطأ،

وتعكس الدرجة الحقيقية الوضع الحقيقى للأفراد على المفهوم موضع الاهتمام (مثل إلى أى مدى يسامح الأشخاص فى الواقع من يعتبرونه معتد ، وإلى أى مدى لديهم حقًا نزوع حقيقى للتسامح...إلخ)، ويشير مكون الخطأ إلى التباين فى القياس، الذى يكون متغيرًا عبر القياسات المتكررة، وبذلك يعد الاجـــراء المتبع فى قياس الوضع الحقيقى للأفراد على المفهوم موضع القيـــاس غيـــر صحيح، وتفسر معاملات الثبات (مثل معامل ألفا) فى ظل افتراضات نظرية القياس التقليدية على أنها نسبة التباين الكلى للمقياس الذى يُعزى إلى الدرجة الحقيقية.

واهتم علماء القياس النفسى المتبنون لنظرية القياس التقليدية، وعلـــى نحو نموذجى، بثلاثة مصادر لخطأ التباين؛ نظرًا لتأثيره على ثبات المقاييس، وهذه المصادر الثلاثة هى: (١) الخطأ الناتج عن عدم الاســتقرار الزمنـــى. (٢) والخطأ الناتج عن التغاير بين البنود. (٣) والخطأ النـــاتج عـــن عـــدم الاتساق بين اثنين من المحكمين فى كيفية تطبيق مقياس التقدير على المنبهات نفسها، ويتم تقدير مصادر الخطأ على التوالى بمعاملات إعادة الاختبار (مثل معامل ثبات الاختبار- إعادة الاختبار "بين المفردات") ومعاملات الاتـــساق الداخلى (معامل كرونباخ)، ومعاملات الثبات بين المحكمين (مثل معـــاملات الثبات داخل المفردات, انظر Shrout & Fleiss,1979). والقصور الخطير فـــى تقدير نظرية القياس التقليدية لمدى قابلية المقياس للاعتماد عليه، هـــى أنهـــا لا تسمح للباحث أن يتناول مصادر الخطأ المتعددة فى آن واحـــد، وعنـــدما يسهم خطأن، أو أكثر فى تباين المقياس فإن اختبارات الثبات التقليدية تغالى دائمًا فى تقدير نسبة التباين الذى يُعزى إلى الدرجات الحقيقية (Hoyt,1998).

وتعد نظرية القابلية للتعمـــيم منحـــىً متـــسعًا فـــى القيـــاس النفـــسى (GT;Cronbach,Gleser ,Nanda,& Rajaratnam,1972) لا يقتصر علـــى فحـــص مصدر واحد للتباين الخارجى فى أى وقت. ونظرية القابلية للتعميم بالنـــسبة

لنظرية الثبات التقليدية شأنها شأن التحليل العاملى بالنسبة لتحليل التباين فى اتجاه واحد (ANOVA) (Hoyt & Melby,1999)، وعلى الرغم من أن نظرية القابلية للتعميم لا تعد منحىً جديدًا فى القياس النفسى، فإنها ستعد منحىً جديدًا يستخدم فى تطوير المقاييس الخاصة بمفاهيم التسامح، فباستخدام منحى القابلية للتعميم سيحاول الباحثون فى وقت متزامن تحديد كل المظاهر (أو الأبعاد بالإضافة إلى الملاحظات التى قد تكون مصنفة) التى قد تؤثر على الدرجات على مقياس التسامح فى أى تطبيق مفترض، وفحص إسهامها النسبى فى تباين الدرجة.

وفى حالة مقياس التقرير الذاتى لمنح التسامح فى ظل إساءة نوعية على سبيل المثال (مثل مقياس واد Wade للتسامح) ستتضمن مثل هذه المظاهر البنود (المظهر الذى يقوم ثبات الاتساق الداخلى فى نظرية القياس التقليدية بتقديره)، والزمن (المظهر الذى يقوم ثبات إعادة الاختبار بتقديره فى نظرية القياس التقليدية)، ومثل هذه المظاهريمكن تحديدها، وتقديرها على نحو محدد ومتزامن فى منحى القابلية لتعميم المقياس المتطور، وكذلك يمكن تحديد تفاعل تلك التاثيرات وفحصها، والقضية الأكثر أهمية من وجهة نظر منحى القابلية للتعميم ليست الدرجة الحقيقية للمشارك، لكن كل الظروف (أو مستويات المظاهر) التى قد تعمم فى ظلها الدرجة المفترضة.

وعلى الرغم من أن المظاهر تعادل عمومًا مصادر التباين فى الدراسات الخاصة بالقابلية للتعميم، فإن مظهر القياس الذى يعد خطأً فى إحدى مرات التطبيق قد يكون جوهريًا عندما يتم تناول المفهوم موضع الاهتمام من منظور آخر(Cronbach,1995). إن نظرية القابلية للتعميم تجعل الفروق المألوفة بين الثبات والصدق غير واضحة، وذلك من خلال تبنى منحى مرن حساس للسياق فى تفسير نتائج دراسات القابلية للتعميم، (Cronbach et al., 1972).

ويوضح جدول (٤,١) تصميمًا عامليًا متعامدًا تمامًا ٤(الضحايا) x ٣ (المسيئون)x ٢(الإساءة) للقابلية المفترضة لتعميم دراسة فى التسامح، وعدد الحالات صغير فى كل مستوى من العوامل الثلاثة؛ وذلك لأغراض التوضيح، فلتقدير مكونات التباين على نحو يمكن الوثوق فيه، من المهم أن نضمن الدراسة عددًا أكبر من الضحايا والمسيئين، أو ندرس مجموعات صغيرة متعددة مكونة من الضحايا والمسيئين (Smith,1978). ونوضح بشكل أكثر عيانية، يمكن أن يفكر القراء فى الضحايا على أنهم طلاب (أو ابن أو ابنة)، والمسيئين على أنهم معلمون (أو آباء)، ومن المفترض أن كل الضحايا معروفون لكل الأفراد فى مجموعة المسيئين، وطُلب من الضحايا أن يوضحوا إلى أى مدى سامحوا المسيئين على إساءة بسيطة، وأخرى شديدة حدثت فى الماضى القريب، والأرقام المدونة بالخلايا (ijk) هى التقديرات التى تعكس درجة تسامح الضحية (i) مع المسىء (j) بعد الإساءة (k) (ويرمز الرقم ١ إلى الإساءة الشديدة، والرقم ٢إلى الإساءة البسيطة).

وتمثل هذه المجموعة من النتائج تصميمًا عامليًا متعامدًا تمامًا، ويستخدم تحليل القابلية للتعميم نفس الإجراءات شأنه شأن التحليل العاملى للتباين، وتفحص هذه الدراسة للقابلية للتعميم سبعة مصادر للتباين فى التقديرات: ثلاثة مصادر خاصة بالتأثيرات الرئيسة، وثلاثة مصادر خاصة بالتفاعل ثنائى الاتجاه، ومصدرًا واحدًا خاصًا بالتفاعل ثلاثى الاتجاه (المختلط مع تباين الخطأ نظرًا لأن التصميم فى دراسات القابلية للتعميم يتضمن ملاحظة واحدة فى كل خلية)، ومع ذلك فهو يختلف عن تحليل التباين فى اتجاه واحد (ANOVA)، فيركز تحليل التباين على اختبار التأثيرات الرئيسة، والتفاعلات للدلالة الإحصائية، بينما يركز تحليل القابلية للتعميم على حجم هذه التأثيرات، وتقدير التباين الذى يُفسر من خلال كل تأثير، وكل

تفاعل فى هذا النموذج، وتوضح مكونات التباين هذه الأهمية النسبية لكل مصدر من مصادر التباين السبعة فى تحديد التسامح.

جدول (٤,١) تصميم قابلية دراسة التسامح للتعميم

الرفيق (i)	١		٢		٣	
الإساءة (k)	شديدة	بسيطة	شديدة	بسيطة	شديدة	بسيطة
الفاعل (i)١	X١١١	X١١٢	X١٢١	١٢٢X	X١٣١	١٣٢ X
الفاعل (i) ٢	٢١١X	٢١٢ X	٢٢١X	٢٢٢ X	٢٣١X	٢٣٢ X
الفاعل (i) ٣	X٣١١	٣١٢X	X٣٢١	٣٢٢X	٣٣١X	٣٣٢ X
الفاعل (i) ٤	٤١١X	٤١٢X	٤٢١X	٤٢٢X	٤٣١ X	X٤٣٢

إن مكونات التباين الخاصة بالضحية (i)، والمُسىء (j)، والعلاقة (التفاعل ij) تعد ذات اهتمام خاص فيما يتعلق بتحديد المستوى الملائم لقياس التسامح (الذى ناقشناه من قبل). وينصب فحص الحجم النسبى لمكونات التباين على المشكلات التالية :

١- إلى أى مدى يعد التسامح دالة لنزوع الضحية للتسامح، أو إلى أى مدى يختلف الضحايا فى متوسط رغباتهم فى التسامح؟

٢- إلى أى مدى يعد التسامح دالة لقدرة المُسىء على التماس التسامح (على سبيل المثال إلى أى مدى يختلف المسيئون فى متوسط مستوى التسامح الذى انتزعوه من أولئك الذين أساءوا إليهم؟

٣- إلى أى مدى يعد التسامح دالاً على الخصال المميزة للضحية - والمسيء- والعلاقة التى تربطهما معًا (على سبيل المثال هل يكون من الأكثر احتمالاً أن يسامح بعض الضحايا مُسيئًا بعينه وذلك بالقياس إلى الضحايا الآخرين)؟ وإذا توسط التسامح فى العلاقة متغير الولع likingعلى سبيل المثال فإنه سيكون متوقعًا أن يكون تباين العلاقة فى ظل التسامح كبيرًا؛ نظرًا لأن الولع ظاهرة ثنائية إلى حد كبير (Kenny,1994).

ودراستنا المفترضة للقابلية للتعميم تقسم التباين الخاص بالتسامح إلى مكونات، تتضمن التباين الذى يُعزى إلى شدة الإساءة (k)، والتباين الذى يُعزى إلى تفاعل شدة الإساءة مع التأثيرات الخاصة بكل من الضحية والمسيء (تفاعلات ik، jk على التوالى)، بالإضافة إلى المكون المتبقى، وتتناول هذه المكونات أيضًا المشكلات المتعلقة بقابلية المقياس للاعتماد عليه، وعلى الرغم من أن هذه المشكلات تعد أساسًا مشكلات شيقة أيضًا، لكن ينبغى على الباحثين أن يكونوا واعيين بإلى أى مدى يكون من المحتمل أن تعمم مستويات التسامح المفترض للضحية عبر الإساءات، داخل وبين العلاقة.

جدول (٤،٢)

تفسير مكونات التباين من خلال دراسة القابلية للتعميم

المكون	المشكلة أو القضية موضع الاهتمام
I	إلى أى مدى يعد التسامح دالة للخصال المميزة للفاعل" الضحية"(التباين الخاص بالفاعل فى نموذج العلاقات الاجتماعية)؟
J	إلى أى مدى يعد التسامح دالة للخصال المميزة للرفيق"المسيء" (التباين الخاص بالرفيق فى نموذج العلاقات الاجتماعية)؟

إلى أى مدى يعد التسامح دالة للخصائص المميزة للعلاقة الثنائية التى تربطهما معًا (التباين الخاص بالعلاقات الثنائية فى نموذج العلاقات الاجتماعية)؟	Ij
إلى أى مدى يعد التسامح دالة لحجم الإساءة؟	K
هل يختلف الفاعلون" الضحايا" فى رغبتهم فى التسامح مع رفقائهم وفقًا لشدة الإساءة (إساءة شديدة فى مقابل إساءة بسيطة)؟	Ik
هل يتباين الرفقاء"المسيئون" فى قدرتهم على استقبال التسامح وفقًا لاختلاف درجة شدة الإساءة (إساءة شديدة فى مقابل إساءة بسيطة)؟	Jk
إلى أى مدى يعد التسامح دالة لعوامل عشوائية أو منظمة غير مشروطة فى هذه الدراسة	التباين المتبقى

ويفحص التأثير الرئيس للإساءة ما إذا كانت مستويات التسامح تتباين عبر شدة الإساءة، كما هو متوقع (Girard &Mullet,1997)، ويفحص التفاعل (ik) ما إذا كانت درجة تسامح الضحية ستختلف عبر مستوى الإساءة، ويشير مكون تباين (ik) الصغير نسبيًا إلى أن الأفراد الذين يتسامحون بسهولة فى حالة الإساءات العادية البسيطة، يكونون أكثر رغبة أيضًا فى أن يتسامحوا فى حالة الانتهاكات الشديدة، ومن ناحية أخرى، إذا كان تباين (ik) فى التسامح كبيرًا، فإن ذلك يعنى أن الضحايا الذين يكونون أكثر تسامحًا فى حالة الإساءات البسيطة قد لا يكونون أكثر تسامحًا بعد تعرضهم لإيذاء شديد، وفى هذه الحالة ينبغى على نظريات التسامح أن تكون دقيقة حتى تحدد حجم الإساءة فى تنبؤاتها، وينبغى أن يتحكم مقياس التسامح فى ظل الإساءة النوعية فى شدة الإساءة، حتى نقيس مفهومًا موحدًا، ويتناول تفاعل (jk) قضية مماثلة فيما يتعلق بقابلية المسىء لالتماس التسامح من المُساء إليه: فهل

أولئك الأفراد الذين يكونون أكثر التماسًا للتسامح بعد اقترافهم انتهاكات بسيطة، يكونون أيضًا أكثر التماسًا للتسامح بعد اقترافهم إساءة شديدة؟ فإذا كان التباين المرتبط ب (jk) بسيطًا جدًا فى دراسة القابلية للتعميم، فذلك يوحى بأن إجابة السؤال السابق هى " نعم "، أما إذا لم يكن بسيطًا، عندئذ ينبغى أن يأخذ متغير شدة الإساءة بعين الاعتبار فى النظريات، والبحوث التى تتناول الفروق الفردية فى القابلية للتسامح.

وبالإضافة إلى المظاهر التى حددناها فى جدولى (٤,١) و(٤,٢)، فإنه يمكن فحص مصادر أخرى للخطأ، تكون موضع الاهتمام عند قياس التسامح، وهذه المصادر يمكن فحصها على نحو منفصل، أو عند اقترانها بمصادر أخرى أشرنا لها هنا. ومن الواضح أن استقرار التسامح عبر الزمن (مثل ثبات إعادة الاختبار) من الموضوعات المهمة بالنسبة للباحثين: فإلى أى مدى يتنبأ تسامح أحد طرفى العلاقة اليوم بوضعه النسبى على مفهوم التسامح نفسه فى المستقبل؟ وعندما نستخدم مقاييس متعددة البنود للتسامح لقياس هذا المفهوم، فإن قابلية التسامح للتعميم عبر البنود (ثبات الاتساق الداخلى) تكون موضع الاهتمام أيضًا.

زيادة طرائق القياس بوصفها معيارًا ذهبيا :

بدأ الباحثون حديثًا يعولون على حقيقة أن معظم دراسات التسامح اعتمدت تقريبًا، وعلى نحو مفرط، على طريقة واحدة فى قياس التسامح اعتمادًا على التقارير الذاتية لشخص واحد: الشخص المتسامح المفترض، وهناك دراسات قليلة تناولت الأمور من منظور المعتدى (Baumeister,Exline & Sommer,1998;Exline & Baumeister, , الفصل السابع فى هذا المجلد)، والقصور الخطير الذى يفرضه الاعتماد المفرط على التقارير الذاتية

للمتسامح يتمثل فى أن مقدار الفروق الفردية غير المعروف على هذه المقاييس يختلط مع تحيزات الاستجابة، أو الفروق بين المشاركين فى تفسيراتهم لمقاييس التقدير (Hoyt,1998;Kenny,1994)، ولسوء الحظ يتسم التباين الناجم عن تحيزات الاستجابة بالثبات (فيعد على سبيل المثال كدرجة تباين حقيقية فى ظل تحليلات الثبات التقليدية)، ولذلك فإن معامل الصدق فى الدراسات التى تستخدم مقاييس التقرير الذاتى للتسامح تنخفض إلى مدى غير معروف؛ نتيجة لهذا الخلط، والقوة الإحصائية تتناقص بالتوازى بمقدار غير معروف.

ولعلاج القصور الذى فرضه القياس من خلال استخدام طريقة واحدة فى القياس، ينبغى على الباحثين أن يناضلوا ليكملوا التقارير الذاتية للتسامح من منظور الفرد المتسامح للأمور، بالتقارير الذاتية المستمدة من رؤية آخرين (متضمنة الرفقاء الذين تربطهم علاقة بالفرد المتسامح)، ومقاييس التقدير التى يكملها طرف ثالث، أو مقاييس سلوكية، وهذا لا يوحى بأن مثل هذه المقاييس ستتقارب بالضرورة، فتوقع أنها قد لا ينتج عنها نتائج متقاربة فى الواقع يكون هو المبرر تمامًا لاستخدام طرائق متعددة فى القياس. فإذا وجدنا على سبيل المثال أن الوجدان المتفهم المقرر ذاتيًا يتماثل مع التسامح المقرر ذاتيًا (McCullough et al.,1997,1998) ولكن لا يتماثل مع المقاييس السلوكية التى يفترض أنها تقيس التسامح، أو إدراكات المعتدى لمدى تسامح المُساء إليه معه أو معها، عندئذ نتعلم بعض الأشياء المهمة عن حدود الارتباط بين التفهم والتسامح.

قياس التسامح فى مستوى خصوصية ملائم :

من المحتمل أن يكون لفحص التسامح فى مستوى خصوصية ملائم عواقب مهمة؛ لتطوير نتائج بحثية ثابتة تتعلق بالتسامح، وخاضعة لإطار نظرى. ووفقًا لمبدأ التجميع aggregation principle الذى فُحص فى البداية من

خلال فيشبين Fishbein وآجزين Ajzen سنة (١٩٧٤) ثم فحصه لاحقًا روشتون Rushton وبرانيرد Brainerd وبرسيلى Pressley سنة (١٩٨٣) وإيبستين Epstein سنة (١٩٨٣) وكورسش Corsuch (١٩٨٤، ١٩٨٨)، فإنه من الأكثر احتمالاً وفقًا لهذا المبدأ أن ترتبط الدرجات على مقاييس نفسية بالدرجات على مقاييس نفسية أخرى ترصد سلوكيات فى مستوى الخصوصية نفسه الذى ترصده المقاييس الأولى، ونتيجة لهذا المبدأ فإنه من الأكثر احتمالاً أن ترتبط المقاييس التى تقيس حدثًا سلوكيًا مفردًا بالمقاييس الأخرى وثيقة الصلة بهذا الحدث السلوكى المفرد نفسه، وبالإضافة إلى ذلك من الأكثر احتمالاً أن ترتبط المقاييس التى تقيس متغيرًا ما (مثل التسامح) فى مستوى علاقة نوعية بالمقاييس الأخرى التى تقيس خصائص العلاقة النوعية، وأخيرًا من الأكثر احتمالاً أن ترتبط المقاييس التى تقيس سمة شخصية عمومًا، أو ميل شخصى، بالمقاييس الأخرى التى تقيس سمة شخصية عمومًا أو ميل شخصى. إن دراسة القابلية للتعميم الملخصة فى جدولى (٤،١) و (٤،٢) يمكن أن تستخدم لتوضيح مبدأ الخصوصية فى سياق نظرية القابلية للتعميم.

إن الأفراد يكونون غير متسقين عند استجاباتهم للإساءات المتعددة التى تحدث لهم فى ظل علاقة واحدة (التباين الذى يعزى إلى مكونات ال k و ik وjk فى جدول ٤،١)، وقد يرتبط عدم الاتساق على نحو منظم بشدة الإساءة، التى تناولناها فى هذا المثال، ولكنه قد يكون دالة أيضًا لعوامل أخرى لم نفحصها (مثل خصائص العلاقة بين المُساء والمُسيء إليه) .

فالأفراد قد يكونون متسقين فى ميولهم للتسامح فى ظل علاقة واحدة، ولكنهم يتباينون عبر العلاقات (مكونى j و ij فى جدول ٤،١)، ومن المحتمل أن تكون سلوكيات التسامح دالة جزئيًا على الأقل لمظهر أو لأكثر من مظاهر العلاقة.

إن فشل الباحثين فى توجيه الانتباه إلى مبدأ الخصوصية عند انتقاء المقاييس الملائمة للتسامح يجعلهم مستهدفين للفشل فى التوصل إلى علاقات مهمة، كما أنه يحدث تشوشًا نظريًا أيضًا. فعلى سبيل المثال تخيل السيناريو التالى: دكتور (أ) مهتم بقياس الارتباط بين التسامح والتوافق الزواجى، ولاختبار فرضه الذى مؤداه " أن التسامح يعزز التوافق الزواجى "، قدم دكتور (أ) مقياس واد للتسامح (١٩٨٩)، واختبار والاس للتوافق الزواجى (١٩٥٩) لعينة مكونة من ثلاثمائة زوج، وتوصل دكتور (أ) إلى ارتباط درجات المشاركين على مقياس واد للتسامح بدرجاتهم على مقياس والاس للتوافق الزواجى، وبلغت قيمة الارتباط (r= ١٦,) عند معامل ثقة أكبر من ٠١,، وبناء على ذلك استنتج دكتور (أ) أن التسامح يرتبط بالتوافق الزواجى.

ومن الممكن أن يكون هذا الاستنتاج مشكوكًا فيه نظريًا وإمبريقيًا، فما تم قياسه لم يكن تسامحًا بأى معنى من المعانى العامة، ولكن تقرير الأفراد لمقدار مسامحتهم لأزواجهم على إساءة شخصية محددة (تلك الإساءة المفترضة التى اختارها كل زوج دون توجيه من قبل الباحث)، وهكذا فعلى الرغم من أن دكتور (أ) بدا مهتمًا بالتسامح فى مستوى العلاقة الثنائية، (على سبيل المثال: درجة تسامح الزوج أو الزوجة مع شريك حياته أو حياتها)، فإنه استخدم مقياسًا للتسامح فى ظل حادث نوعى (درجة تسامح الزوج أو الزوجة مع شريك حياته أو حياتها على إساءة واحدة مفردة)، وبلغة نظرية القابلية للتعميم كان الافتراض الضمنى لدكتور (أ) هو أن التسامح فى إساءة نوعية سيعمم على إساءات أخرى تحدث فى إطار العلاقة الثنائية، وسيرتبط ارتباطًا مرتفعًا بالمقياس الجيد الذى يقيس التسامح فى ظل العلاقة الثنائية، وإذا كانت درجة التسامح متسقة عبر الإساءات التى تحدث فى ظل العلاقة فإن هذا الافتراض لن يكون مشكوكًا فى صحته، ومع ذلك إذا تباين الفاعلون

"الضحايا" فى رغبتهم فى أن يتسامحوا بشأن إساءات متعددة اقترفها فرد واحد فعندئذ سيكون قياس التسامح قياسًا خاطئًا فى دراسة دكتور (أ)، والعاقبة المحتملة هى إضعاف حجم التأثير المُلاحظ وتخفيض القوة الإحصائية(٣) ، ومن الواضح أن معامل الارتباط الذى حصل عليه دكتور (أ) (r= ‎.١٦) هو ارتباط دال إحصائيًا، ولكن ما معنى هذا الارتباط المتوسط؟

ونظرًا لأن المقياس المستخدم فى قياس التسامح كان غير ملائم، فإن فرض دكتور (أ) خضع لاختبار ضعيف (ودُعم فقط دعمًا غير واضح)، والاختبار الأفضل لفرض دكتور (أ) سيتمثل فى استخدام مقياس أقل نوعية لقياس التسامح. ولاختبار ما إذا كان الأزواج المتسامحون ينعمون بنوعية علاقة زواجية أفضل، يمكن أن يجمع دكتور (أ) أمثلة عديدة للتسامح الذى يحدث فى ظل كل علاقة زواجية، أو يطور مقياسًا لقياس التسامح كخاصية عامة للعلاقة الزواجية.

ونحن لا نحاول القول بأنه من غير الملائم إطلاقًا أن نفحص علاقات المتغيرات فى ظل مستويات مختلفة من الخصوصية، فعلى سبيل المثال سيكون من المثير للدهشة إذا وجدنا أن مستوى تفهم الأفراد للشخص الذى آذاهم لا يرتبط بالمعنى الإمبريقى بمقدرتهم النزوعية على التفهم dispositional capacity for empaty، ومن الواضح كذلك أن نرجسية ذلك المتغير النزوعى a dispositional variable تعد مُنبِئَة بإلى أى مدى سينهمك الأفراد فى سلوك عدوانى تجاه المُسيء الذى هدد تقديرهم لذواتهم فى السيناريو المعملى (Bushman & Baumeister,1998)، وستعتبر هذه السيناريوهات المعملية بالطبع مقاييس للإساءة النوعية فى تصنيف ٣ x ٢ x ٤. ولكننا نشير إلى أنه دون وجود نظرية جيدة تفسر كيف ترتبط المفاهيم فى أحد مستويات الخصوصية بمفاهيم التسامح التى قيست فى مستويات خصوصية مختلفة، فإن مثل هذا الجهد الإمبريقى:

(١) يحجب حقيقة مؤداها أن التسامح من المحتمل أن يحدث فى ظل مستويات مختلفة من الخصوصية.

(٢) ويتجاهل حقيقة مؤداها أن القابلية الملائمة للتعميم بين مستويات الخصوصية لايكون لها معنى مؤكد.

(٣) ويؤدى إلى إضعاف الارتباطات (إذا كانت القابلية للتعميم عبر المستويات محدودة).

ضبط مصادر التغاير فى تقديرات التسامح:

بمجرد أن يتم قياس التسامح فى مستوى خصوصية ملائم، فمن المحتمل أن تحدث الأهداف المرجوة، وهى ضبط الخطأ الناتج عن القياس، والباحثون عادة يفكرون فى ضبط الخطأ الناتج عن القياس من خلال التوزيع العشوائى وفقًا للضبط التجريبى، أو من خلال الضبط الإحصائى، ومن المحتمل أيضًا أن تمتد مصادر الخطأ غير المقصود إلى تقديرات التسامح من خلال الضبط التجريبى الضعيف للتعليمات المقدمة للمشاركين فى البحث، فى كثير من الدراسات (McCullough,Worthington,&Rachal,1997,study 1) يوجه الباحثون المستجيبين إلى أن يستدعوا انتهاكًا عانوه بدرجة من الدرجات فى الماضى، ثم يوضحوا إلى أىٍ مدى سامحوا المسيئين إليهم على ما اقترفوه من إساءة، ومن المحتمل أن تُحدث مهمة التقدير هذه خطأ القياس من خلال مصادر متعددة.

وعندما يكون المستجيبون غير مقيدين فى اختيار الانتهاك الذى يقومون بتقديره فى مثل هذه المهمة، فإن الباحثين لا تكون لديهم فكرة عن أنواع الاعتبارات التى تحكم اختيارات المستجيبين، فسيختار بعض المستجيبين دون شك الانتهاكات الحديثة التى مازالت بارزة، نظرًا لأنهم

يحاولون بشكل فعال أن يستكشفوا كيفية مواجهتها، وقد يختار مستجيبون آخرون مصادر المرارة القديمة التى ما زالت بارزة؛ لأنهم يناقشونها فى إطار جلسات العلاج النفسى.

وقد يظل آخرون يختارون الإساءات التافهة؛ لأن مثل هذه الإساءات هى فقط التى يكونون قادرين على استدعائها. وقد يختار بعض الأفراد الانتهاكات التى اقترفها شخص تربطهم به علاقة حميمة، بينما قد يختار آخرون انتهاكًا اقترفه زميلاً، أو أحد المعارف، أو شخص غريب. ونظرًا لأن عوامل من قبيل حداثة الإساءة، وبرزوها، وشدتها المدركة، وهوية المُسيء بالنسبة للمُساء إليه من المحتمل أن تؤثر فى تقديرات التسامح (ونظرًا لأن مصادر الخطأ هذه يكون من الصعب أن تُضبط حتى من خلال الأساليب الإحصائية)، فيكون من المحتمل أن تُحدث خطأً يؤثر سلبًا على قدرتنا على فهم العمليات النفسية المؤثر فى التسامح.

ويمكن أن تضبط مصادر تباين الخطأ هذه فى تقديرات التسامح من خلال نوعين من التصميمات:

أولاً: عندما يكون هدف الباحث هو قياس ميل الشخص العام للتسامح، ولكن يُقاس التسامح فى ظل علاقة واحدة فقط بكل مسىء، فإن الخطأ الناجم عن تأثيرات المُسىء، والمُساء إليه، والعلاقة الثنائية التى تربطهما يكون مختلطًا، ومن الممكن أن يحدث كمًا كبيرًا من التشويش فى درجات التسامح (Hoyt,1998)، وأحد طرائق تخفيض هذا الخلط هو تضمين القياس رفقاء متعددين، وأكثر من إساءة، كما هو موضح بجدول (٤,١).

ثانيًا: ويمكن أن تُضبط مصادر الخطأ هذه (على الأقل جزئيًا) من خلال فحص التسامح فى سياق انتهاكات شخصية محددة. وتمثل دراسات التدخل الحديثة التى أجراها إينريت وتلاميذه مثالاً لهذا المنحى (Coyle &

Enright,1997;Freedman &Enright,1996)، وقد تم اختيار عينة المشاركين فى كلتا الدراستين بدقة، نظرًا لأنهم يعانون انتهاكات متشابهة، ففى دراسة كويل وإينريت (١٩٩٧) كان كل المشاركين رجالاً يشعرون أنهم أوذوا من قبل زوجاتهم اللاتى قررن أن يجهضن أجنتهن؛ لأنهم يرون أنهم ساعدوهن على أن يصبحن حوامل، وعلى الرغم من أن الإجهاض حدث فى أوقات متباينة فى الماضى ومن المحتمل أن تكون له مستويات بروز مختلفة لكل رجل فى الدراسة، فإن التركيز على انتهاك متماثل بدرجة كبيرة أو قليلة من المحتمل أن يساعد على استبعاد الخطأ الذى يؤثر على درجات الرجال على المقياس الذى يقيس إلى أى مدى سامح هؤلاء الرجال رفيقاتهن، وفحصت دراسة فريدمان وإينريت، وعلى نحو مشابه، إلى أى مدى سامحت النساء الرجال من أفراد أسرهن، الذين أساؤا معاملتهن جنسيًا عندما كنا أطفالاً، فالتركيز مرة أخرى على نمط انتهاك محدد اُقترف من قبل أفراد تربطهم نوع من العلاقة بالمشاركين من المحتمل أن يساعد فى ضبط مصادر التباين المتعددة التى ستسهم بطريقة أخرى فى حدوث تباين الخطأ.

تحديد شبكة المعارف المتصلة بقياس التسامح قبل جمع بيانات "صدق التكوين"

صدق التكوين هو عملية تحديد المفاهيم النفسية التى تفسر الأداء على المقياس (Cronbach & Meehl,1955) وينبغى أن ترتبط الدرجات على المقياس الذى يقيس التسامح وبدرجة ملائمة بالمتغيرات التى تحدد نظرية محددة فى التسامح أنها ترتبط به، وبناءً على ذلك فإن محاولة تطوير مقاييس لقياس التسامح تتمتع ب " صدق التكوين " يقتضى أن تحدد أساليب معالجة التسامح المتاحة – نظريًا – مجموعة من الصياغات الاحتمالية المتعلقة بكيفية ارتباط التسامح بمفاهيم أخرى موضع الاهتمام (وبمقاييس هذه المفاهيم)، ويُطلق

كرونباخ وميهل على هذه المجموعة من الصياغات الاحتمالية شبكة المعارف المتصلة بالمفهوم.

ويوضح كرونباخ وميهل سنة (١٩٥٥) فى مقالتهما الرائدة فى صدق التكوين أن المفاهيم التى لها تاريخ علمى قصير تميل لأن يكون لها شبكات معارف ضئيلة، وفى التطور المبكر للمفهوم لن يكون معروفًا لنا سوى القليل عن كيفية ارتباط المفهوم بمفاهيم أخرى؛ نظرًا ل: (١) ستوجد قليل من الأطر النظرية المتماسكة، (٢) ستكون دراسات القياس النفسى المتوفرة فى مراحلها الأولية. وهذا يصف تمامًا حال دراسات التسامح -الأطر النظرية المتاحة لم تحفز بدرجة كبيرة البحوث الإمبريقية، وكثير من مقاييس التسامح المتوفرة ترتبط على نحو غير دقيق بالمعالجات النظرية للتسامح -، وهذا يمثل بدقة ما هدف كرونباخ وميهل إلى توجيهنا لتوقع حدوثه، ولكن هذا لايعنى أن كل ذلك هو ماينبغى أن يكون.

ولتجاوز هذا الوضع الراهن لتطور القياس النفسى ينبغى أن يبدأ الباحثون فى ربط صياغاتهم النظرية للتسامح (ومقاييسه) بشبكات نظرية أكثر رحابة، وبناءً على أفضل نظرية وأفضل بحث نثير التساؤلات الآتية: ما المفاهيم (وتعريفاتها الإجرائية) والمتغيرات التى ينبغى أن تفسر التغير فى التسامح؟، وأى هذه المفاهيم ينبغى على نحو سببى أن يكون سابقًا للتسامح؟ وأى منها يكون مصاحبًا للتسامح؟، وأى منها يكون ناتجًا عن التسامح؟، وما القوة التى ينبغى أن تكون عليها هذه العلاقات؟، وفى أى مستوى من الخصوصية(التسامح فى ظل إساءة نوعية، أو ظل علاقة ثنائية، أو التسامح كنزوع أو ميل عام) ينبغى أن ترتبط المقاييس التى تقيس مفاهيم التسامح، بالمقاييس التى تقيس مفاهيم أخرى؟ ولا يوجد فى الوقت الراهن شبكة معارف شاملة تتيح لنا أن نحدد ما إذا كانت ارتباطات متغيرات التسامح

بالمتغيرات الأخرى موضع الاهتمام (كالعدائية، وتوجيه اللوم، والتفهم، والروحانية، والأمل، والقلق..الخ)، والتى كشفت عنها البحوث الحديثة، تعد فعلاً دليلاً على صدق تكوين مثل هذه المقاييس للتسامح، أو دليلاً ضد صدق تكوينها.

عنصر آخر فى صدق التكوين هو تحديد أى المفاهيم (والمقاييس الخاصة بهذه المفاهيم) التى ينبغى أن تكون مستقلة عن التسامح (والمقاييس الخاصة بمفاهيم التسامح هذه)، وفحصها. فمثل هذه الممارسات النظرية والإمبريقية – مهام استكشاف صدق التمييز– تم تجاهلها فى الأغلب فى بحوث القياس النفسى المعاصرة فى التسامح، وكل القضايا التى أُثيرت هنا ينبغى أن ينصب الباحثون على تناولها كمحاولة لفهم صدق تكوين المقياس السيكومترى المصمم لقياس مفهوم التسامح.

الخلاصة:

حاولنا خلال هذا الفصل أن نُضفى قدرًا من الوضوح على الجهود الإمبريقية الموجودة، والتى كُرست لقياس التسامح. وقد رأينا من خلال تنظيم المقاييس الموجودة وفقًا لثلاثة أبعاد (خصوصية القياس، واتجاهه، وطرائقه) رأينا أن بعض الجهود الإمبريقية أُحرزت فى مجالات محددة، ولكن بعض المجالات الأخرى ما زالت ضعيفة أو غير مستكشفة تمامًا، وظلت المجالات غير المستكشفة منطقة علمية مجهولة.

وللتخطيط لهذه المنطقة العلمية الجديدة –وتوسيع ما نعرفه سابقًا– نوصى الباحثين أن يعالجوا الدراسات القياسية (السيكومترية) المستقبلية، التى تتناول التسامح بالتروّي والصرامة المنهجية نفسيهما اللذان يوجدان فى

مجالات البحوث العلمية – الاجتماعية الأخرى. ويزودنا إطار القابلية للتعميم – يزود أسلوبنا فى التفكير – بأفضل جسر نظرى، لجعل استراتيجيات البحث القياسى (السيكومترى) تتلاءم مع التعقيد الذى قد يشكل أساس التسامح فى ظل التطبيقات البحثية المحددة، وعلاوة على ذلك ينبغى على الباحثين أيضًا أن يبدأوا فى استخدام مقاييس متعددة للتسامح تكون ملائمة للتطبيقات البحثية المحددة، وينبغى عليهم أن يختاروا التصميمات البحثية التى تقلل درجة التباين الدخيل، وينبغى على الباحثين أيضًا أن يستمروا فى تطوير مجموعة من الصياغات الاحتمالية المستنبطة نظريًا، التى تربط مفاهيم التسامح المحددة (ومقاييسها) بالمفاهيم الأخرى (ومقاييسها)، فتناول هذه الأمور القياسية (السيكومترية) فى الدراسات المستقبلية سيساعد فى زيادة اتساع ما نعرفه عن هذه المجموعة من المفاهيم المهمة والشيقة، وزيادة عمقه.

ملاحظات :

١– يتسم هذا البعد الخاص بالطريقة الثالثة على نحو واضح بالمرونة plastic. فمفاهيم التسامح يمكن قياسها بأكثر من أربعة مناهج، متضمنة التحليل الكيفى، وتحليل المضمون، والمناهج المعتمدة على تحليل اليوميات، والمناهج الفسيولوجية، والمناهج الأرشيفية، والمناهج التاريخية – القياسية (السيكومترية)، وتجاهلنا لهذه المناهج لايعنى أننا نعتقد أنها غير صادقة، ولكن يعكس حقيقة مؤداها أنه لا توجد مقاييس فى الوقت الراهن تستخدم هذه المناهج، ولهذا فتضمين مثل هذه المناهج فى تصنيفنا سيكون غير جدير بالأهمية، ومن الواضح أن كل هذه التصنيفات تمثل مناهج بديلة يمكن قياس التسامح من خلالها، وأن كلاً منها يستحق أن يستكشف فى حد ذاته.

٢- استخدم ماكلو وورثنجتون وراشال سنة (١٩٩٧) أيضًا مقياس التسامح ذا البنود الخمسة، وقد تم اشتقاق هذه البنود والتعليمات من بطارية ال "EFI " وأجرى تعديل لها (Subkoviak et al., 1995)، وعلى الرغم من أن مقالة ماكلو وآخرون فشلت فى أن تنسب هذه البنود إلى سبكوفياك وآخرين، فإن إينريت يوصى الباحثين بأن يمتنعوا عن استخدام هذه المجموعة من البنود المشتقة من بطارية ال "EFI " فى بحوثهم، ويطالب الباحثين المعنيين بقياس التسامح باستخدام بطارية ال " EFI " الكاملة المكونة من ستين (٦٠) بندًا.

٣- إن حجم التأثير فى دراسة دكتور " أ " من المفترض أيضًا، وعلى نحو ساخر، أن يتضخم إلى حد ما من خلال تحيز الاستجابة المرتبطة، نظرًا لأن الشخص ذاته يقوم بتقدير التسامح، والتوافق الثنائى لكل علاقة. والتأثير الجوهرى لهذه التحيزات غير المضبوطة السابقة واللاحقة، فى حجم التأثيرات يمكن أن يتم تقديره فقط من خلال إجراء دراسة فى القابلية للتعميم ذات تباين متعدد (Hoyt,1998).

المراجع

- Al-Mabuk,R.H.,Enright ,R.D., &Cardis ,P. A.(1995). Forgiveness education with parentally love- deprived late adolescents.Journal of Moral Education, 24,427-444.

- Anderson,C.A.,&Bushman,B.J.(1997).External validity of " trivial " experiments :The case of laboratory aggression. General Psychology Review,1,19-41.

- Axelrod, R.(1980A).Effective choice in the Prisoner' s Dilemma.Journal of Conflict Resoluation,24(3),3-25.

- Axelrod,R.(1980b).More effective choice in the Prisoner' s Dilemma.Journal of Conflict Resoluation,24(3),379-403.

- Baumeister ,R.F.,Exline,J.J.,&Sommer,K.L.(1998).The victim role ,grudge theory , and two dimensions of forgiveness.In E.L.Worthington (Ed.), The foundation of forgiveness (pp.79-104). Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Brown,B.R.(1968).The effects of need to maintain face on interpersonal bargaining.Journal of Experimental Social Psychology,4,107-122.

- Bushman,B.J.,&Baumeister ,R.F.(1998). Threatened egotism ,narcissism ,self-esteem, and displaced aggression: Does self –love or self –hate lead to violence ? Journal of Personality and Social Psychology,75,219-299.

- Caprara,G.V.(1986).Indicators of aggression: The dissipation rumination scale.Personality and Individual Differeces,7,763-769.

- Caprara ,G.V.,Barbaranelli ,C.,& Comrey ,A.L.(1992). A personological approach to the study of aggression.Personality and Individual Differences,13,77-84.

- Caprara,G.V.,Coluzzi ,M.,Mazzotti,E.,Renzi,P.,&Zelli,A.(1985). Effect of insult and dissipation –rumination on` delayed aggression and hostility.Archivio di Psicologia, Neurologia e Psichiatria,46,130-139.

- Caprara,G.V.,Gargaro,T.,Pastorelli,C.,Prezza,M.,Renzi,P.,&Zelli,.(1987). Individual differences and measures of aggression in laboratory studies.Personality and Individual Differences,8(6),885-983.

- Caprara,G.V.,Manzi ,J.,&Perugini,M.(1992).Investigating guilt in relation to emotionality and aggression. Personality and Individual Differences,13,519-532.

- Capara,G.V., & Pastorelli,C.(1989).Toward a reorientation of research on aggression. European Journal of Personality ,3,121-138 .

- Collins,K.,& Bell, R.(1997).Personality and aggressions: The dissipation – rumination scale. Personality and individual Differences, 22,751-755.

- Coyle,C.T.,&Enright,R.D.(1997).Forgiveness intervention with post- abortion men.Journal of Consulting and Clinical Psychology, 65(6) ,1042-1046.

- Cronbach,L.J.(1995).Giving method variance its due.In P.E.Shrout & S.T.Fiske (Eds.) , Personality research , methods , and theory: A festschrift in honor of Donald Fiske (pp.145-157).New York: Wiley.

- Cronbach, L.J., Gleser, G. C., Nanda ,H. ,& Rajaratnam ,M.(1972).The dependability of behavioral measurements: Theory of generalizabilityfor scores and profiles. New York: Wiley.

- Cronbach,L.J.,& Meehl,P.E. (1955).Construct validity in psychological tests.Psychological Bulletin,52,281-302.

- Darby,B.W.,& Schlenker,B.R.(1982).Childern s reactions to apologies.Journal of Personality and Social Psychology ,43,742-753.

- Davidson, D.L.,& Jurkovic ,G. J. (1993,April).Forgiveness and narcissism : Consistency in experience across real and hypothetical hurt scenarios.Paper presented at the annual convention of the Christian Association for Psychological Studies ,Kansas City, MO.

- Dreelin,E.D.(1993).Religious functioning and forgiveness. Unpublished dissertation , Fuller Graduate School of Psychology, Pasadena ,CA.

- Epstein, S.(1983).Aggregation and beyond: Some issues on the aggregation of behavior.Journal of Personality,51(3),360-392.

- Fishbein ,M.,& Ajzen ,I.(1974).Attitudes toward objects as predictors of single and multiple behavioral criteria. Psychological Review,81,59-74.

- Freedman,S.R.,& Enright ,R.D.(1996).Forgiveness as an intervention goal with incest survivors. Journal of Consulting and Clinical Psychology , 64,510-517.

- Gassin, E. A. (1998).Receiving forgiveness as moral education: A theoretical analysis and initial empirical investigation.Journal of Moral Education,27,71-87.

- Girard,M.,&Mullet,E.(1997).Forgiveness in adolescents, young, middle-aged ,and older adults. Journal of Adult Development,4,209-220.

- Gorsuch,R.L.(1984).Measurement: The boon and bane of investigating religion.American Psychologist,39,228- 236.

- Gorsuch,R.L.(1988).Psychology of religion.Annual Review of Psychology, 39,201-221.

- Gorsuch,R.L.,&Hao,J.Y.(1993).Forgiveness: An exploratory factor analysis and its relationship to religious variables.Review of Religious Research ,34(4),333-347.

- Hamilton,M.(1960).Rating scale for depression.Journal of Neurology ,Neurosurgery and Psychiatry,23,56-62.

- Hargrave ,T.D., &Sells, J.N.(1997).The development of a forgiveness scale.Journal of Marital and Family Therapy,23(1),41-62.

- Hebl , J.H.,& Enright,R.D.(1993).Forgiveness as a psychotherapeutic goal with elderly females. Psychotherapy,30,658-667.

- Hoyt, W.T.(in press).Rater bias: When is it a problem and when can we do about it ? Psychological Methods.

- Hoyt,W.T.,& Melby,J.N.(1999).Dependability of measurement in couunseling psychology: An introduction to generalizability theory.Counseling Psychologist,27,325-352.

- Kenny,D.A.(1994).Interpersonal perception: Asocial relations analysis. New York: Guilford Press.

- Kremer,J.F.,&Stephens,L.(1983).Attributions and arousal as mediators of mitigation s effect on retaliation. Journal of Personality and Social Psychology, 45 (2),335-343.

- Locke ,H.J.,&Wallace ,K.M.(1959).Short marital-adjustment and prediction tests: Their reliability and validity.Marriage and Family Living ,21,251-255.

- Long ,E.C.J.,& Andrews,D.W.(1990).Perspective taking as a predictor of marital adjustment.Journal of Personality and Social Psychology ,59,126-131.

- Mauger,P.A.,Perry, J.E.,Freeman ,T.,Grove ,D.C.,McBride,A.G., & McKinney ,K.E.(1992).The measurement of forgiveness: Preliminary research. Journal of Psychology and Christianity,11(2),170-180.

- McCullough, M.E. (1995). Forgiveness as altruism: A social –psychologicaltheory of forgiveness and tests of its validity. Unpublisheddoctoral dissertation ,Virginia Commonwealth University ,Richmond.

- McCullough,M.E.,Rachal,K.C.,Sandage, S.J.,Worthington,E.L.,Jr., Brown ,S. W. ,&Hight,T.L.(1998). Interpersonal forgiving in close relationships II: Theoretical elaboration and measurement.Journal of Personality and Social Psychology,75,1586-1603.

- McCullough,M.E.,Sandage,S.J.,Rachal,k.c.,Worthington,E.L.,Jr. (1997,August).A sustainable future for the psychology of forgiveness. Paper presented at the annual meeting of the American Psychological Association,Chicago,Il.

- McCullough,M. E.,& Worthington, E. L., Jr.(1995).Promoting forgiveness : Acomparison of two brief psychoeducational group interventions with a waiting –list control. Couseling and Values,40,55-68.

- McCullough ,M.E.,& Worthington,E.L.,Jr.(2000).Religion and the forgiving personality.Journal of Personality.

- McCullough,M.E.,Worthington,E.L.,Jr.,& Rachal,K.C.(1997).Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology, 73(2),321-336.

- Meek,K.R.,Albright,J.S.,& McMinn,M.R.(1995).Religious orientation, guilt confession, and forgiveness. Journal of Psychology and Theology 23(3),190-197.

- Park,Y.O.,&Enright ,R.D.(1997).The development of forgiveness in the context of adolescent friendship conflict in Korea. Journal of Adolescence , 20(4),393-402.

- Rhode,M.G.(1990).Forgiveness, power, and empathy.Unpublished doctoral dissertation , Fuller Granduate School of Psychology, Pasadena; GA.

- Rokeach,M.(1967).Human Values Survey. Sunnyvale ,CA:Halgren Tests.

- Rosenman,R. H.,Friedman,M.,Straus,R., Wurm,M.,Kositchek ,R.,Hahn,W.,& Werthessen, N.T.(1964).A predictive study of coronary heart disease. Journal of the American Medical Association ,189,113-124.

- Rushton,J.P.,Brainerd,C.J.,&Pressley ,M.(1983).Behavioral development and construct validity: The principle of aggregation.Psychological Bulletin, 94(1),18-38.

- Shrout,P.E.,& Fliess, J.L.(1979).Intraclass correlations: Uses in assessing rater reliability.Psychological Bulletin,86,420-428.

- Smith,P.(1978).Sampling errors of variance components in small sample generalizability studies.Journal of Educational Measurement, 3,319-346.

- Subkoviak,M.J.,Enright,R.D.,&Wu,C.(1992,October).Current developments related to measuting forgiveness.Paper presented at the annual meeting of the Midwestern Educational Research Association, Chicago,IL.
- Subkoviak,M.J.,Enright,R.D.,Wu,C.,Gassin, E.A.,Freedman,S., Olson, L.M.,&Sarinopoulos ,I.(1995).Measuring interpersonal forgiveness in late adolescence and middle adulthood.Journal of Adolescence,18,641-655.
- Trainer,M.F.(1981).Forgiveness: Intrinsic, role expected ,expedient , in the context of divorce.Unpublished doctoral dissertation, Boston University.
- Wade , S. H.(1987). A content analysis of forgiveness. Unpublished master s project, Fuller Graduate School of Psychology, Pasadena ,CA.
- Wade , S. H.(1989).The development of a scale to measure forgiveness. Unpublished doctoral dissertation , Fuller Graduate School of Psychology, Pasadena ,CA.
- Zillman,D.,& Cantor,J.R.(1976).Effect of timing of information about mitigating circumstances on emotional responses to provocation and retaliatory behavior.Journal of Experimental Social Psychology,12, 38-55.

الجزء الثانى

البحوث النفسية الأساسية

الفصل الخامس

الارتباطات النفسية العصبية للتسامح

تأليف: أندرو نيوبيرج وأوجين داكولى
وستيفن نيوبيرج وفيرشكا
دى مارسى

إن التسامح عملية عصبية معرفية، ووجدانية معقدة، ذات مظاهرمتعددة، وتدرك على نحو متزايد على أنها مظهر مهم للعلاج النفسى، والتغير السلوكى؛ ولذلك يتطلب الفهم الكامل للتسامح معرفة بالآليات العصبية النفسية التى تشكل أساس التسامح، وخاصةً تلك الآليات المتعلقة بالشعور بالذات، وإدراك الألم الموجه للذات، وسلوك الانتقام، وهذا يتطلب فى المقابل مراجعة عملية التسامح، والوصف العلمى لظواهرها.

ومن المهم أيضًا أن نأخذ فى اعتبارنا أية أصول تطورية محتملة للتسامح، وهذه قد توحى بآليات عصبية نفسية، وأيضًا آليات اجتماعية، ويستلزم هذا التحليل إذن مراجعة علم الفسيولوجى- العصبى، ومراجعة شاملة لوظيفة المخ التى قد ترتبط بفعل التسامح. وأخيرًا سنتأمل النموذج المبدئى لآليات التسامح، والذى نأمل أن يقودنا على الأقل إلى الاختبار الإمبريقى لاحتمال الاتجاه مستقبلاً لبحث هذا المفهوم.

الأساس العصبى التطورى لإدراك الأذى والانتقام:

عندما ندرس تطور سلوك التسامح، فمن المهم أن نفحص وظائف المخ الإنسانى المتعددة، التى تستنبط من وظائف مخ الحيوانات الأكثر بدائية، ويطلق على هذا النمط من العمليات العصبية التطورية مصطلح "عمليات تدمّغ" encephalization (Laughline ,McManus,& d' Aquili,1992) إن تدمّغ وظائف المخ عند تطور الكائنات البدائية والإنسان؛ يتيح لآليات البقاء الفطرية أن تكون ممثلة فى المخ الذى يتطور بطريقة جديدة، ولكن فى شكل مُعدّل على نحو كبير، وبناءً على ذلك فإن الوظائف الجديدة، والتى حدث لها " تدمغ" يمكن أن تكون مختلفة تمامًا عن الوظائف الأولية التى بُنيت على أساسها، وتكون هذه الوظائف الجديدة فى كثير من الأحيان متشابهة بنائيًا أو شكليًا، فعلى سبيل المثال تطور الفصان الأمامى، والأمامى الجبهى فى الأصل لتوجيه السلوك الحركى البسيط، ومع ظهور الأجناس المتماثلة طور الفصان الأمامى، والأمامى الجبهى قدرة إضافية للحيوان للتخطيط للسلوكيات الحركية ووضع أوليّة لها، ولتطوير سلوك موجه نحو هدف، وتنظيمه، .(Pribram &McGuinnesss,1975; Stuss & Benson,1986)

وأخيرًا لم تعد السلوكيات الحركية هى فقط التى تخضع للفصان الأمامى والأمامى الجبهى، ولكن الاستجابات المعرفية والوجدانية تم التخطيط لها، ووضع أولوية لها من خلال هذين الفصين، ولذلك فعلى الرغم من أنه يبدو أن وظائف الفصين الأمامى والأمامى الخلفى قد بعدت كثيرًا عن أن تكون مسئولة عن الحركة البسيطة للكائن، فإنها تمثل تطورًا دقيقًا ومجردًا بدرجة كبيرة للوظيفة التى كانت فى الأساس مبنية على السلوك الحركى(Joseph,1990)، وأصبح واضحًا أنه لكى نفهم بدقة السلوكيات المعقدة للإنسان، وخاصةً تلك التى تعد حاسمة، وجزءًا لا يتجزأ من الثقافة، فإنه يجب على المرء أن يفهم ما يماثل هذه السلوكيات لدى الكائنات الشبيهة بالإنسان، وهذا هو المنحى الذى يجب أن نتبناه، إذا أردنا أن نصل لأى فهم جوهرى للسلوك المعقد للإنسان مثل التسامح.

ويجب أن نبدأ من خلال استكشاف السلوكيات الأكثر فطرية لدى الجنس البشرى والحيوانات الأخرى؛ وذلك لكى نفهم التسامح، ويجب أن نذكر هنا أنه قد توجد آليات أخرى، منفصلة عن الآليات التطورية (مثل الآليات الدينية والاجتماعية)، التى تمارس دورًا فى ارتقاء عملية التسامح لدى الجنس البشرى، ولأغراض هذا الفصل، وتركيزه على الآليات العصبية النفسية، سندرس الأساس التطورى المحتمل لمثل هذه الآليات.

وحيث إن التسامح يبدو أنه يستلزم دائمًا أن تتعرض الذات للإيذاء، فقد يبدأ المرء فى تحديد طبيعة الإيذاء الموجه للذات، وكيفية حدوث هذا الإيذاء على المستوى التطورى، وعلى المستوى العصبى النفسى. إن إدراك الإيذاء الموجه للذات له ركائز عديدة:

(١) الشعور بالذات. (٢) والقدرة على تقويم السلوك المتماثل كسلوك مؤذ أو نافع (فكرة انسجام السلوكيات ذات النوع نفسه). (٣) وتذكر الحدث وذلك لكى نربط هذا الإيذاء بالفرد الذى اقترف الإساءة. وكما وصفنا يبدو أن هذه الركائز أيضًا هى ركائز التسامح، ويمكن أن تساعد فى فهم كيفية حدوث التسامح على أية حال.

الشعور بالذات :

يعد جيشويند Geschwind (١٩٦٥) ولوريا Luria (١٩٨٠) تحديدًا أول من أثبتا أن الفصيص الجدارى الأسفل inferior parietal lobule، وخاصة فى الجانب السائد من المخ يشكل أساس المقدرة على التجريد والتصنيف. بعبارات أخرى القدرة على توليد فئات للأشياء من مفردات، وتحويل العلاقات إلى أشياء، وتعد هاتان العمليتان ظرفين ضروريَّيْن للغة التى تنشأ

من خلال ارتقاء هذه المنطقة من المخ وتطورها.ومن المحتمل أن يصبح الفصيص الجدارى الأسفل مهمًا وظيفيًا فى مستوى البسيسن الأسترالى Australo pithicene فى التطور إذا كان لبنية الجمجمة بأية حال أهمية (LeGros Clark,1963)، ومن المحتمل أن أهم ارتقاء هو مُدخل إحساسات الجسم والوظائف، والوظائف النفسية كذلك، التى تتشكل فى صورة إحساس موحد بالذات، وتشكل بالفعل انعكاسًا ذاتيًا للذات، ويجب أن نلاحظ هنا أن الفصيص الجدارى الأسفل فى كلا الشقين، السائد وغير السائد، يكون له ارتباطات متبادلة مع الجهاز الطرف، الذى يعد جزءًا متضمنًا من المخ فى تعديل الوجدان.(Joseph,1990; Kandel,Schwartz,&Jessell,1993. فمن المحتمل أن الفصيص الجدارى الأسفل فى الشق السائد من المخ هو الذى يُعدل الشعور بالذات (Joseph,1990)، لذلك فالذات تكون متشربة بالعاطفة، عندما تقاسى على نحو شديد، بسبب المزاج الوجدانى للشق السائد، وقد أثبت باحثون عديدون على نحو متقن أنه عندما نجعل الشق السائد فى حالة نوم من خلال استخدام ملح حامض البربيوترات، فإن الوجدان الاكتئابى هو ما يتم التحرر منه فى الشق غير السائد، وعندما نجعل الشق غير السائد فى حالة نوم، فإن التيه أو الهوس الخفيف hypomania هما ما يتم التحرر منهما فى الشق السائد(Hommes& Panhuysen,1971) ويتوسط الجهاز الطرفى فى كل شق هاتين الاستجابيين الوجدانيتين (Joseph, 1990; Kandel et al.,1993) ولذلك فالشعور بالذات الذى يعد أهم جزء هو وظيفة الفصيص الجدارى الأسفل فى الشق السائد، وهذا الشعور يميل إلى أن يكون مرتبطًا بالوجدان الإيجابى بدرجات قليلة، ويرتبط غالبًا ببعض الدرجات بالهوس. وهذا يفسر جزئيًا لماذا يكون لدى مرضى الاكتئاب الشديد صراع خطير مع شعورهم بالذات، ويؤكدون ذواتهم على نحو واثق بدرجة كبيرة (Deitz,1991; Jackson,1991; Segal & Blatt,1993; Mukherji ,1995).

إن تضخم إدراك الأنا أو الذات يعنى أننا نميل لأن ندرك أنفسنا بدرجة أكبر من إدراكنا للأفراد الآخرين (Jackson,1991)، ويُفهم من هذا أنه بما أن الذات هى التى ينبغى إدراكها، لذلك يجب تحليل كل المدخلات المتعلقة بالذات وتقويمها (Laughlin et al.,1992) وعملية تضخم الذات هذه قد تكون متضمنة الفص الجدارى الخلفى الأعلى، والجهاز الطرفى، حيث إن هاتين المنطقتين متضمنتان فى منح الشعور بالذات، والشعور بالتكافؤ الوجدانى على التوالى، وهذا الإدراك المتضخم للذات يعد ضروريًا من المنظور التطورى، وذلك لبقاء الذات فوق كل الأشياء الأخرى، وإذا لم يحدث مثل هذا التضخم للذات، فإن هذا يجعل الشخص أقل اهتمامًا بحماية ذاته أو ذاتها، وينشأ تضخم إدراك الذات أيضًا نتيجة لإدراكنا لعواطفنا وأحاسيسنا، والتى يتم إدراكها على أنها جزء من ذاتنا، وليس على أنها عادة جزء من شخص آخر (مع الاستثناء المحتمل للحالات غير المترابطة)، وهذا الإدراك يُولد الشعور الكبير بالذات وبكل الأشياء التى تحدث لها، وإدراكها.

انسجام النوع :

يتمثل العنصر الثانى فى إدراك الأذى فى فكرة "انسجام النوع" conspecific congruence، والذى يشير إلى العلاقة المُدركة غير الطبقية بين فرد معين ومجموعة من الأنواع الأخرى (أو الأفراد الأخرى) فى الجماعة. ويعد انسجام النوع -بالإضافة إلى التنظيم الطبقى- واحدًا من أكثر القوى النفسية الاجتماعية المؤثرة التى تُحدث النظام، والعلاقات، والأدوار داخل الجماعات الاجتماعية للإنسان (والثدييات الأخرى)، وتحددها، ويكون الانسجام أفقيًا داخل المجتمع، ويمثل العنصر النفسى الاجتماعى "للديموقراطية الأصلية"، فى حين يكون التنظيم الطبقى رأسيًا داخل المجتمع،

ويمثل -حيث يكون- عنصر" الأرستقراطية الأصلية" فى تنظيم المجتمـــع، ومع ذلك يبدو أن كلتا القوتين تكونان موجودتين إلى حد بعيـــد داخـــل كـــل الجماعات الإنسانية الاجتماعية المستقرة.

والمثال المثير لتمازج هاتين القوتين النفسيتين الاجتماعيتين سيتمثل فى المهاجمة البدنية للعبد لسيده فى القرون الوسطى عندما ادّعى الأخير حقه فى أن يقضى الليلة الأولى مع العروس الجديدة للعبد (ius primae noctis) وعلى الرغم من ندرة مثل هذه الحوادث، فإنه من المعروف أنها حدثت، وفى مثل هذه الحالة يلجأ العبد إلى مبدأ انسجام النوع فى مواجهـــة التنظـــيم الطبقـــى الراسخ والمؤثر جدًا، وبناءً على ذلك يساعد انسجام النوع فى إحداث التوازن داخل الجماعة الاجتماعية، حيث يفهم كـــل أعـــضاء الجماعـــة أدوارهـــم، وعلاقاتهم بكل الأفراد الآخرين بالجماعة، ومن الواضح أن كلاً من التنظـــيم الطبقى وانسجام النوع لهما فائدة تطورية تتمثل فى المساعدة علـــى الحفـــاظ على سلامة البنية الاجتماعية للجماعة، وللتنظيم الاجتماعى ذاته فائدة تكيفية واضـــحة للجماعـــة الإنـــسانية، والأنـــواع الأخـــرى (d'Aquili ,1972)، إذن السلوكيات التى تساعد فى تدعيم البنية الاجتماعية يكون لها فائدة تكيفية.

وعندما نتأمل تطور التسامح وآلياته، نلاحظ أن انسجام النوع والتنظيم الطبقى يمارسان دورًا فيه، حيث يكون انسجام النوع محوريًا فى فهم جوهر هذه الظاهرة، ومن المحتمل أن يُكتسب انسجام النوع لدى الكائنات الإنسانية من خلال تراكيب فى المخ تُشكل أساس القدرة على تكوين فئـــات تـــصنيفية للجماعات، وفقًا لأوجه التشابه المُدرك بين البشر والحيوانات الأخرى، فلدى الكائنات الإنسانية وظائف معرفية ووجدانية فى المخ ذات مرتبة عليا، تتـــيح له إدراك فئة "إنسان"، والأهم من ذلك إدراك فئة "جماعتى" أو "قبيلتى"، وهذا يمثل الأساس العصبى الجوهرى فى بزوغ الانسجام النوعى. ويـــتم التأكيـــد على انسجام النوع عندما يسلك كل أعضاء الجماعة سلوكًا حسنًا ليحـــافظوا على توازن الجماعة.

ويستخدم الأفراد انسجام النوع لتقويم سلوكيات الأفراد، بهدف تحديـــد ما إذا كانوا قد ينتجون تغيرًا فى الاتجاه السلبى أم الإيجابى، ومن المثير أن المنطقة نفسها فى المخ (الفص الجدارى السفلى) التى ناقشناها من قبل فيمـــا يتصل بالقدرة على التجريد والتصنيف، هى ذات المنطقة من المخ التى تزود الفرد بفئات ووظائف منطقية – ونحوية (Brue, Desimone ,& Gross, 1986; Burton & Jones,1976; Geschwind,1965;Jones&Powell,1970;Seltzer & Pandya,1978; Zeki,Symonds,& Kaas,1982)، ومقارنات من قبيل " أكبر من، و" أصغر من "، و " مساوِ ل " تصاغ أيضًا من خلال هذا الجزء من المـــخ، وتمثـــل هـــذه المقارنات أيضًا النزعة الوجدانية المحددة بواسطة الارتباطات بـــين الفـــص الجدارى الأسفل والجهاز الطرفى، ومن الواضح أن هذه الوظيفة تعد أساسية لمبدأ انسجام النوع، وتغير الانسجام مع مرءوس متكافىء إيجابيًا، يُدرك من قبل المرءوس على أنه عطف أو ود، مع تعهد لاحق بالعودة بشكل ما إلـــى الانسجام لكى يتوازن التنافر، ويُدرك التغير فى الانسجام الذى يكون متكافئًا سلبيًا من خلال المرءوس على أنه إيذاء، أو هجوم على الذات، ومن المحتمل أن تتولد لدى المرءوس رغبة لاحقة فى الانتقام لاستعادة الانسجام.

ونحن نفترض أن مبدأ انسجام النوع لا يمكن أن يـــتم دون أن يحـــدث ارتقاء للفصيص الجدارى الأسفل، بما يتيح حـــدوث إدراك لتكـــافؤ الأنـــواع، وإدراك لتنافرها، ومن المهم أن نضيف أنه إذا أصبحت فكرة انـــسجام النـــوع مُدمّغة ضمن المخ الإنسانى، فإن هذه الوظيفة تتوسع لتتضمن ليس فقط إدراك انسجام الأنواع، ولكن تتضمن أيضًا فى آخر الأمر إدراك انسجام العالم ككل، وبناءً على ذلك يمتلك البشر إدراكًا لعلاقة ذواتهم بالعالم ككل (Jackson,1991). وقد يُطلق على هذه العلاقة " انسجام الذات – العـــالم "self- world congruence؛ نظرًا لأنها تتضمن أن الشخص يكون لديه فهم محدد لذاته، وللانسجام الـــذى

يوجد بينه وبين سائر الموجودين فى العالم الخارجى، وسوف ندرس انسجام الذات – العالم فى موضع لاحق فى هذا الفصل، ولكن نواصل الآن تناول الارتباط بين الانسجام، وإدراك الإيذاء، والانتقام.

قد تحدث عملية التسامح أو الانتقام فى مواجهة التغير فى انسجام النوع لدى المرءوس المتكافىء سلبيًا، ويبدو أن الانتقام يكون هو المنحى الأكثر فاعلية فى استعادة الإنسجام(Berscheid ,Boye,& Walster,1968) على حين يبدو أن التسامح يستعيد الانسجام بأسلوب مختلف. إن تطور سلوك الانتقام لدى الإنسان فى بادىء الأمر يكون أيسر فى فهمه من تطور سلوك التسامح، فيبدو أن سلوك الانتقام يرتبط بشكل أكثر وضوحًا بحفظ الذات ومظهره الثقافى والثانوى هو العدل، الذى يعد دون شك محوريًا فى الحفاظ على المجتمعات والثقافات.

ويبدو أن قانون "العين بالعين والسن بالسن" موجود فى كل الثقافات بشكل أو بآخر، فهو المظهر الأكثر بدائية للعدل، والأكثر وضوحًا للانتقام، والانتقام الحقيقى كما مارسه الجنس البشرى، يعد دون شك تطورًا مهمًا لفكرة حفظ الذات، وحيث إن سلوك الانتقام مبنى على تغير سلبى فى انسجام النوع، لذلك يتطلب الانتقام الحقيقى شعورًا بالذات، ووجود حافز داخلى لتسوية التنافر بين فردين، وبناءً على ذلك عندما يتعرض فرد ما إلى الإساءة أو الإيذاء يوجد لديه دافع قوى لرد الأذى، وهذا يُحول عدم التوازن إلى انسجام، وعلى الرغم من أن هذا قد يمثل أساس الانتقام، فإنه ليس المثال الوحيد على انسجام النوع، فمنح الأفراد المهيمنين اجتماعيًا هبات سخية، أو تقديمهم هدايا، مثل تقديم البتلاتشpatlatch بين المواطنين الأمريكين فى الشمال الغربى أثناء أعياد أرستقراطيين قبائل الأنجلو ساكسون التى تقام فيها مآدب للطعام والشراب، فمثل هذه العطايا تسبب فقدان توازن

فى انسجام النوع، وينتج عنها تعهد مستقبل هذا الكرم بـأن يـرده بـشكل أو آخر، ويوجد العديد من الأمثلة على اضطرار البشر استعادة التـوازن، الذى يُقضى عليه عندما يُنتهك انسجام النوع، ومع ذلك فنحن مهتمون هنا فى إطار هذا الفصل بفقدان التوازن الذى يحدث فقط من خلال الأذى أو الضرر المدرك، والذى يولد رغبة لدى الطرف الذى تعـرض للإيـذاء لاسـتعادة التوازن عن طريق الانتقام.

الذاكرة طويلة المدى للأحداث المؤذية:

هناك عنصر آخر ينبغى أن يوضع فى الاعتبار قبل أن يكون بالإمكان حدوث السلوك الانتقامى الإنسانى الكامل، فبالإضافة إلى الـشعور بالـذات، وتضخمها، ومبدأ انسجام النوع، فهناك عنصر نهائى ذكرناه سابقًا فيما يتعلق بإدراك الإيذاء، ويتمثل فى تطور الذاكرة طويلة المدى للأحداث السببية، فمن الواضح أن الفرد الذى لا يمكنه أن يحتفظ بحادث الإيذاء فى الـذاكرة لأيـة فترة ذات دلالة؛ لن يمكنه أن ينتقم من مقترف الإيذاء، وقد حـدد مـورفى Murphy سنة(١٩٨٨) مثلاً التسامح على أنه إنكار الاستياء، والذى يختلـف عن النسيان، والذى يفسره على أنه مجرد أحداث حدثت، وبناءً علـى ذلـك يتطلب التسامح ذاكرة للإطار السببى الذى يدخل فى نطاقه أن إيذاء الذات قد حدث، وبذلك يتذكر المُساء إليه المُسيء والأحداث المؤذية. ويرى مورفى أن التسامح يساعد الفرد على تجنب العواقب المؤلمة الناجمـة عـن الاحتفـاظ بالانفعالات السلبية المرتبطة بالاستياء، ونحن نؤكد أن التسامح فى المستوى الفطرى جدًا يتضمن إنكار الانتقام (Enright & the Human Development Study Group ,1991; North,1987)، وإنكار الانتقام يكون مدمغًا جدًا فى المـخ مـن قبل، ويمثل نسخة متطورة من ظاهرة التسامح.

والتساؤل الآن هو: ما التراكيب والوظـائف العـصبية التـشريحية، والعصبية النفسية التى يجب أن تتطور لكى تظهر هذه العناصر التى سـبق الإشارة إليها (الشعور بالذات، وتضخمها، ومبدأ انسجام النـوع، والـذاكرة طويلة المدى للأحداث المؤذية (وتغذى الغريزة الفطرية لحفظ الذات؟) يُلاحظ أن تلك العناصر التى نطلق عليها " مُركب الانتقام " revenge complex ليست مبنية على أية تركيب عصبى مفرد فى المخ، ولكنها مبنية على عـدد مـن التراكيب المرتبطة ببعضها فى شبكات عصبية معقدة، ويحدث تطور للذاكرة طويلة المدى من خلال ارتقاء نسق ذاكرة اللوزة– قرن آمون - hippocampel amygdalar (Milner, 1970; Mishkin, 1978;Rawlins,1985; Sarter & Markowitsch,1985). ويتضمن ذلك ارتباطات عصبية بين الجهاز الطرفى (وخاصةً قـرن آمـون واللوزة) وأجزاء عديدة فى القشرة المخية. ومن الصعب أن نؤكد متى يحدث نسق الذاكرة طويلة المدى، ولكنه قد يكون موجودًا لدى الكائنـات البدائيـة الشبيهة بالإنسان (Laughlin & d'Aquili,1974).

وعندما نعود لتطور التسامح، يمكننا أن نفهم كيفية ارتبـاط التـسامح بعناصر إدراك الإيذاء والانتقام ارتباطًا عصبيًا نفسيًا، فقد يفهم المرء علـى المستوى الحدسى الفائدة التكيفية لسلوك التماس الانتقام كسلوك مرتبط بمبـدأ انسجام النوع، وتقترح بعض الدراسات بالفعل أن الأفـراد الـذين ينتقمـون بطريقة أو بأخرى عندما يؤذون الآخرين يميلون لأن يكونوا أقـل تعرضًـا للإيذاء من قبل الآخرين (Baron,1973,1974;Rogers,1980)، ويمكن أن نفهـم الفائدة التطورية لسلوك التسامح دون شك بطريقة أبعد ما تكون عن الحدس، فيتكون التسامح من تخلى الأفراد عن حقهم فى أن يثأروا ممن أخطـأ فـى حقهم، واستعادة التوازن، وإعادة ترسيخ مبدأ انسجام النوع بأسلوب معتـاد، وقد نتوصل إلى كيفية حدوث التسامح لدى الكائنات غير الإنسانية المتماثلة،

وذلك من خلال تأمل عالم الحيوان من حولنا، فتُصدر الحيوانات عددًا من سلوكيات التصالح، متضمنةً إصدار الإيماءات التى تنم عن الخضوع، والتى تساعد على إنهاء الشجار بين الأنواع (الحيوانات)، ومن المحتمل أن يكون التسامح هو السلوك المماثل على مستوى القشرة المخية لهذه الأنماط من السلوك، ولكن سيكون من الضرورى إجراء دراسات مستقبلية على مثل هذه السلوكيات لدى الحيوانات؛ لنقيم الدليل على أى إدعاء يربط على وجه التخصيص سلوكيات الحيوان بتسامح الإنسان.

لماذا التسامح؟

نثير فى البداية التساؤلين الآتيين: لكن لماذا نشأ التسامح؟ وما فائدته التكيفية؟.للإجابة عن هذين التساؤلين دعنا نعود إلى الخصلة المثيرة للجنس البشرى والمتمثلة فى تضخيم الذات، وتضخيم درجة الإيذاء الذى اقترف فى حق الذات العظيمة أو المجيدة (Lynch,1991). فسوء الفهم المبالغ فيه للإساءة من قبل المُساء إليه، ينتج عنه محاولة أن يثأر لنفسه ردًا على هذا الإيذاء، وعلى الرغم من أن الذى اقترف الإساءة هو مبدئيًا إنسان مثله، فإن المساء إليه "أو المساء إليها" سيدرك الحاجة المفرطة للثأر على نحو أكثر إفراطًا، ومن خلال عمل هذه الآلية، يكون من المستحيل تقريبًا استعادة التوازن على نحو دقيق، فكل محاولة لاستعادة التوازن ينتج عنها عدم توازن إضافى، وإذا لم يوقف هذا النسق العصبى النفسى، فإنه يمكن أن يؤدى إلى حدوث التشوش الاجتماعى الذى يُحدث سلوك التجنب، ويزيل التسامح غالبًا وعلى نحو لافت للنظر الولع للقتال لدى الخصم المناوئ للمرء(Enright,1996)، وعلى الرغم من أن التسامح لا يزيل العدائية دائمًا، فإنه عادة يفعل هذا (Komorita,Hilty, &Parks,1991)

إن ملاحظة الآخرين للتسامح، أوعلى الأقل عدم مقابلة الأذى بمثله، قد تكون له خاصية لافتة للنظر، تتمثل فى توليد مشاعر التفهم والدفء تجاه الضحية الذى تعرض للإيذاء، من قبل الملاحظين الذين يكونون عادة غير متضمنين بأية حال فى الشجار المبدئى أو المواجهة.

(Kanekar & Kolsawalla, 1977;Kanekar & Merchant,1982). ويمكن أن يكون لتولد هذه المشاعر مترتبات اجتماعية رائعة وعميقة، فعلى سبيل المثال زاد عدد الأفراد الذين اعتنقوا المسيحية زيادةً شديدةً أثناء الاضطهاد العاشر العظيم الذى تعرض له المسيحيون على يد رومان إمبير؛ وذلك نتيجة لمشاعر التفهم والدفء اللتين تولدتا لدى كثير من الملاحظين المتأملين لمعاناة المسيحين، وتسامحهم مع من اضطهدوهم، وكان القول المسيحى المأثور فى القرن الثالث هو " إن دم الشهداء هو بذرة المسيحى "، ويبرز هذا القول التأثير العصبى النفسى للتسامح على كثير من الأفراد الذين يلاحظون ببساطة سلوك التسامح، وأثر التسامح على كثير من الملاحظين يكون عادة هو ذات الأثر على الخصم المعادى، وأعنى بهذا الزيادة المفاجئة فى مشاعر التفهم والدفء تجاه المتسامح، وعلى الرغم من أن هذه الاستجابة تعد استجابة شائعة، فإنه من الواضح أنها ليست استجابة عامة، والأفراد المشخصون على أنهم يعانون اضطراب الشخصية المعادية للمجتمع antisocial personality disorder لايبدو أن لديهم استجابات تتسم بالتفهم الحقيقى تجاه الشخص المتسامح، وأفراد آخرون مماثلون أيضًا قد يكون لديهم نقص فى مثل هذه الاستجابة. ولكن يمكن القول بوجه عام إن الاستجابة المتسمة بالتفهم تجاه الشخص المتسامح قد تجعل التسامح مكتملاً.

وتلخيصًا لما سبق، إن نشوء سلوك التسامح يكون مفيدًا للجماعة الاجتماعية، فى أنه يجعلها تميل إلى أن توقف الزيادة التصاعدية لسلوك

الانتقام، ويُبنى مثل هذا السلوك الانتقامى المتصاعد على سوء تفهم وجدانى لأهمية الذات، وما يترتب عليه من سوء تقدير لِكَمِّ الانتقام اللازم لاستعادة انسجام النوع، وبناءً على ذلك إذا اقتربت التفاعلات الانتقامية من المستوى المُهلك، فإن التسامح قد ينقذ – موضوعيًا– حياة الفرد.علاوة على ذلك قد يكتسب الفرد المتسامح ميزة مهمة متمثلة فى الدعم الاجتماعى الناتج عن الانحياز الإيجابى المؤثر الذى يحدث لدى الملاحظين تجاه المتسامح، وعمومًا فالمزايا الاجتماعية للتسامح، ومزاياه بالنسبة للفرد المتسامح تفوق المخاطر التى تنشأ لدى الفرد الذى نادرًا نسبيًا ما يتسامح، وكما ذكرنا من قبل، إن الفرد المتسامح قد يستفيد وجدانيًا أيضًا من سلوك التسامح.

وهناك احتمال آخر هو أن التسامح بطبيعته ليس له فائدة تكيفية، ولكنه يرتبط بسمة أخرى تفى بالفائدة التكيفية، مثل القدرة على تكوين أسرة، وجماعات اجتماعية .(Buss,Haselton,Shackelford,Bleske, & Wakefield,1998) وعلى الرغم من أننا لا يمكننا أن نستبعد هذا الاحتمال فى الوقت الراهن، فإنه من المحتمل أن التسامح قد يمارس دورًا فى السلوكيات المرتبطة به، وبناءً على ذلك إذا كان من الأكثر احتمالاً أن التسامح يتطور لدى الأفراد ليُكونوا جماعات اجتماعية فإنه قد يكون سلوكًا مساعدًا على تيسير تماسك الجماعة كما ذكرنا سابقًا.

وهناك نقطة أخرى جديرة بالاهتمام تتعلق بماذا يعنى تخلى الفرد عن حقه فى الانتقام على المستوى العصبى النفسى، وللإجابة عن هذا السؤال ينبغى أن يثير المرء السؤال الآتى:

ماذا يعنى تخلى الفرد عن أى شيء على المستوى العصبى النفسى؟.
أو على نحو أكثر دقة: ماذا يعنى تخلى الفرد عن حقه فى أى شيء على المستوى العصبى النفسى؟. يُلاحظ أن النموذج المطروح لتفسير هذا السلوك الإنسانى لإدراك الإيذاء والانتقام هو نموذج تأملى أكثر من كونه نموذجًا

نفسيًا عصبيًا، ونبدأ فى محاولة الإجابة عن السؤال السابق.فى البداية يكـون الفصيص الجدارى السفلى ضروريًا لإدراك المفاهيم المجردة، وبمجـرد أن يحتفظ المخ بها، فإنه يمكنها أن ترتبط ببعضها بعـضًا بواسـطة مكافئـات وجدانيةemotional valences دقيقة أو غيردقيقة بدرجة مـا، وسـواء أكـان المعالج اللغوى بالمخ brain' s linguistic operators أطلق عليها اسـمًا أم لـم يطلق عليها، وهنا قد تكون وظيفة الجهاز الطرفى متـضمنة، وذلـك لكـى يساعد على توفير التكافؤ للعلاقة بين مفهوم الذات، ومفهوم الانتقام.

ويعنى التكافؤ الإيجابى (الانتقام المحدد تجاه شخص معين) أن الانتقـام يعد جزءًا من الذات. ويعنى التكافؤ السلبى أن الانتقام لايعد جزءًا من الـذات، ولكنه يمثل جزءًا من الآخر، وبناءً على ذلك لايجذب الذات إلى سلوك الانتقام، ونحن سنفترض أن التسامح أوالتخلى عن الانتقام يتضمن تحولاً للتكافؤ المؤثر بين الذات، والانتقام "المحدد"، من التكافؤ الإيجـابى إلـى التكـافؤ الـسلبى، ويستدعى هذا التفسير نظرية كلية فى "إحداث التكافؤ المؤثر " وذلك كطريقـة ممكنة لربط المفاهيم نظريًا (والمجال هنا لا يسمح بمزيد من التفصيل).

الضوابط الاجتماعية لسلوك الانتقام:

لقد رأينا كيف نشأ إدراك الأذى والانتقام كمظاهر دماغية لوظيفة حفظ الذات الأكثر بدائية، وذلك بهدف استعادة التوازن وتـصحيحه وفقًـا لمبـدأ انسجام النوع، والهدف الواضح " كان زيادة التماسك الاجتماعى من خـلال تثبيط الاعتداء على حقوق الآخرين"، ونحن نفترض أيضًا أن سلوك الانتقام يتعدل بدرجة ضئيلة، ويمكن بسهولة أن ينطوى على انتقام مفـرط متبـادل نتيجة التقدير المفرط للذات، مع ما يترتب عليه من سوء تقدير لما نحتاجـه لاستعادة التوازن، وقد كان لهذا التقدير المبالغ فيه للذات فوائد تكيفية إلى حد

ما على المستوى التطورى، ومع ذلك نتج عنه سلوك الانتقام الذى يمـــارس غالبًا بأسلوب خاطىء وغير متحكم فيه، ولقد رأينا " محاولة التطور البيولجى تصحيح هذا من خلال نشوء التسامح "، الذى ربما يعد مظهرًا لتدمغ إيماءات الخضوع البدائية.

ومن خلال وضع سلوك الانتقام فى المقدمة يمكـــن للمـــرء أن يميـــز محاولة التطور الثقافى تعديل هذا السلوك مباشرة، ودعم ســـلوك التـــسامح، وتتيح أجزاؤه العصبية حدوث تعديل وتحكم أفضل فى الانتقام، وقـــد حـــدد بعض الباحثين شعور "الالتزام" بالتسامح على أنه أحد دوافع لفرد للتـــسامح. (Rowe,Halling,Davies,Leifer,Powers,& Van Bronkhors,1989).

العدل والقانون:

كان مفهوم العدل وفيما بعد القانون هو أحد الآليات الثقافية التى تحـــاول التحكم فى سلوك الانتقام، فيحاول العدل أن يتجنب التقدير المفرط للذات مـــن خلال المحاولة الاجتماعية لتحديد طبيعة الإســـاءة علـــى نحـــو موضـــوعى، والتحديد الدقيق لماهو ضرورى لاستعادة الانسجام.

وسواء أكان الحكم للمجلس القبلى، أم قرار عاهل، أم حكم دار القضاء، فنحن نتعامل فى كل الحالات مع محاولة اجتماعية ثقافيـــة لتـــصحيح ســـلوك الانتقام غير المثالى، ونحن نرى فى هذه الحالة مفهومًا يتطور ثقافيًا، هو فـــى حد ذاته مظهر دماغى لحفظ الذات، وهذا مثال جيد للمستويات الثلاثة لتطـــور فكرة رئيسة واحدة، مستويان ناشئان عن التطور البيولوجى، ومستوى ناشىء عن التطور الثقافى.

المعنى الروحي والتسامح:

عند محاولة التحكم في سلوك الانتقام تبرز الآلية الثانية وهي إقــرار كثير من المجتمعات وعلى نحو إيجابي التسامح، ودعمه بقوة. إن الإقــرار الإيجابي للتسامح لا يعد عالمي ثقافيًا، على الرغم من أنه شائع، وهذا علــى عكس تطور العدل على الأقل في أكثر أشــكاله بدائيــة، فالتــسامح يحتــل الصدارة في النظام النظري للمسيحية، ويكون أكثر تبجــيلاً عنــد انقطـــاع العلاقات الودية من التسامح المقيد بالشعائر الدينيـــة، ومــع ذلــك فالــدعم الاجتماعي للتسامح ما زال قوة مساعدة في تعديل الانتقام.

ويبدو أن أكثر أسلوب مألوف لإقرار الثقافات الإيجابي للتسامح يكون من خلال غرسه عن طريق الروحانيات، أو من خــلال المعــاني الدينيـــة. بعبارات أخرى، يُقال إن الله (أو الآلهة) يحــب المتــسامح، ويــنعم عليـــه، فالثقافات يمكنها أن تقوم بذلك، ومن الممكن أن تنشأ الروحانيات علــى أيـــة حال -كفئة ثقافية- من خــلال التطــور البيولــوجي للخبــرات المتكاملـــة nitary experiences، وبعبارات أخرى، نحن عرضنا نموذجًا يوضح كيف يحدث هذا، يتضمن من بين ما يتضمن، حدوث خدر كامل أو جزئي في المدخل إلـــى الفص الجداري الخلفي الأعلى (d' Aquili&Newberg,1993a,1993b) وحدوث خدر في مدخل هذه المنطقة من الممكن أن ينتج عنه تدريجيًا خبرات متكاملة أكبــر، يمكن ترتيبها عبر متصل. عند النهاية الــصغرى للمتــصل توجــد الخبــرات الجمالية، حيث يكون إدراك التكامل عبر التنوع أكبر بدرجة طفيفة مــن خــط الأساس، وعندما نتحرك عبر هذا المتصل، تكون الخبــرات المتكاملـــة علـــى التوالي أكثر قوة، مثل الحب الرومانسي، والورع الــديني، وحــالات النــشوة المتعددة، والوعي الكوني، وأخيرًا ما نطلق عليه الوجــود المطلــق المتكامــل (ABU) (Absolute Unitary Being).

والوجود المطلق المتكامل هو حالة متكاملة تتلاشى فيها الحدود الفاصلة بين الموجودات المتمايزة فى العالم. فيزول إدراك المكان والزمان، ويتلاشى الانقسام إلى أنا– والآخر (d' Aquili & Newberg, 1993a,1993b)، وتكون الخبرات عند النهاية الصغرى لمتصل الدين – الجمال خبرات شائعة. أما الخبرات عند النهاية الكبرى للمتصل فتكون نادرة جدًا، ومع ذلك فالمهم عند تناول التسامح هوأن الشعور بالسمو، الذى يُصاغ الآن فى صورة الله، أو الآلهة، أو أية مصادر أخرى مؤثرة، يمكن استخدامه على نحو إيجابى لإقرار أى سلوك، أو أى عُرف يعتبرمهمًا من قبل الثقافة، وهذا يساعد على توفيرالضبط الاجتماعى، حتى يحدث انسجام النوع من خلال استخدام الروحانيات لإقرار السلوكيات والأحاسيس التى تدعمه.

ولكن ارتباط الروحيانيات بالتسامح يكون ببساطة أكبر قليلاً من أية قضية إقرار إيجابى للثقافة، وكما لاحظنا من قبل يُولد التسامح عادة مشاعر إيجابية لدى المتسامح، ولدى الخصم العدوانى الذى تمت مسامحته، ويبدو أن هذه المشاعر الإيجابية مرتبطة بتقليل الشعور بالذات لدى الفرد المتسامح، وينتج عنها تخفيض توكيد الأنا، ومن المحتمل أن يرتبط هذا النوع من الحالات بدقة بخبرة التكامل المتوسطة (وهى عكس المشاعر السلبية المرتبطة بصعوبة الوصول إلى الشعور بالذات لدى مرضى الاكتئاب)، من قبل الفرد المتسامح، والشخص الذى تمت مسامحته كذلك، وكما أوضحنا فى بحوث أخرى، يميل هذا التكامل حتى المتوسط منه لأن يُدرك على أنه خبرات روحانية تتجاوز الوجود المادى، وبذلك فإن الخبرة المتكاملة المتوسطة للفرد المتسامح قد تميل إلى دعم الإقرار الإيجابى للثقافة لسلوك التسامح، وتوضح للمتسامح أنه بإصداره سلوك التسامح، قد دخل (أو دخلت) عالم الروحانيات.

عمليات التسامح :

لقد وصفنا التسامح من قبل بأنه عملية عصبية معرفيـــة معقــدة ذات مكونات متعددة. ولكى نفحص الآليات النفسية العصبية المحتملة الأساســية للتسامح، ينبغى أن نتناول الوصف العلمى لعملية التسامح، وهذا يــستلزم أن نتتبع التسامح من مراحله المبكرة وحتى نهايته، وبالطبع يكون من الــصعب أن نتقيد بوصف صارم عند وصف شيء معقد كالتسامح، والتــسامح كمــا سنتناوله، يمكن أن يحدث فى كثير من الأحيان من خلال عدد من المسارات المختلفة، ولكن من خلال تناول أكثر المظاهر اتساقًا لعملية التسامح، قد نكون قادرين على تحديد مسارات وأنماط محددة تــشكل علــى الأقــل المطالــب الصغرى اللازمة لحدوث التسامح، ومثل هذا التحليل قد تم بالفعل من خلال باحثين عديدين، وهؤلاء الباحثين اقترحوا نماذج أكثر شمولية لعملية التسامح، وقد بُنيت هذه النماذج على نظريات نفــسية، وعلــى الارتقــاء الأخلاقــى، والوصف الواقعى لعمليات التسامح (Fow,1996)، وبناءً على هذا التحليــل، يمكن أن نضع الآليات النفسية العصبية الأساسية للتسامح مع بعضها بعــضًا عند الوصف النفسى للتسامح، وتقسم النماذج النفسية عمومًا عملية التــسامح إلى المكونات الآتية:

(١) إدراك الإيذاء الموجه إلى الذات.

(٢) والتعهد بالتسامح.

(٣) والنشاط المعرفى والوجدانى.

(٤) والفعل السلوكى (McCullough &Worthington,1994).

إدراك الإيذاء الموجه إلى الذات :

برهن النفسيون أنه لكى يكون التسامح قابلاً للحدوث بأية حال، ينبغى أن يكون هناك إدراك لوقوع إيذاء أو ضرر للذات (Close,1970;Enright,1996;Row et al.,1989) وقد يأخذ الإيذاء أو الضرر صورًا كثيرة، يمكن تصنيفها فى فئتين رئيسيين بناءً على الأساس العصبى الذى وصفناه من قبل. تتعلق الفئة الأولى بالإيذاء الذى يحدث بشكل مباشر للفرد، ويمكن أن يكون هذا الإيذاء فى صورة سلوكيات بدنية، أو نفسية، أو جنسية، أو لفظية (وهذه تتضمن الإيذاء الذاتى الذى يلحق بالفرد) تُلحق الأذى بالفرد بشكل مباشر، ويمكن أن يحدث الإيذاء أيضًا بواسطة آلية ثانية، فقد يدرك الفرد أن ذاته قد أوذيت نتيجة للإيذاء الذى اقترفه تجاه صديق له أو قريب، وهناك إيذاء للذات يعد ثانويًا بدرجة أكبر وهو الإيذاء الناتج عن اقتراف شخص آخر بعض السلوكيات تجاه الكائنات الإنسانية الأخرى عمومًا، وقد يتسبب هذا الإيذاء الموجه للآخرين فى حدوث إيذاء للذات ؛ نظرًا للخوف الجديد المتولد لدى الفرد من الآخرين، وفقدانه الثقة، وخيبة أمله فيهم نتيجة سلوكهم المحرض على الإيذاء، وبناءً على ذلك لكى يفكر الفرد فى التسامح، ينبغى أن تحدث بعض أشكال الإيذاء التى تغير انسجام النوع الموجود لديه، أو إذا حدث إيذاء للانسجام القائم بين الذات – العالم، ناتج عن أشياء أخرى غير آدمية فى العالم.

ولكى يحدث ضرر للفرد، ينبغى أن يوجد شعور بالذات، وأهم من كل ذلك، ينبغى أن توجد الذات التى يمكن إيذاؤها، قبل أن يكون بالإمكان إيذاؤها فعليًا، وبالإضافة إلى ذلك، ينبغى أن نميز بين الشعور بالذات، والفرد الذى تسبب فى إلحاق الأذى بها، وبمجرد أن يتم تحديد الأذى على أنه حدث للذات، يمكن تحديد مصدر هذا الأذى، ويمكن أن يكون الأذى أذىً مستثارًا ذاتيًا، حيث يكون الشخص الذى تعرض للأذى هو أيضًا المتسبب فى الأذى،

والأمثلة على الأذى المتسبب فيه ذاتيًا قد نجدها لدى الأفراد الـذين يعـانون القلق، والاكتئاب، واضطرابات الأكل، واضطرابات الشخصية، وحتى لـدى أولئك الأفراد ذوى تقدير الذات المنخفض، وبالرغم من ذلك، ففى مثل هـذه الحالات، يكون هناك تمييز غالبًا بين ذلك الجزء من الذات الذى تسبب فـى الأذى، وذلك الجزء الذى استقبل الأذى، ويمكن أن يقترف الإيذاء من خلال شيء آخر أو فرد آخر غير الذات، ويمكن أن يكون الإيذاء المتـسبب فيـه الآخرين فى صورة إيذاء جسدى، أو نفسى، أو جنسى، أو لفظـى، وهكـذا هناك عادة علاقة الفاعل – المفعول به (ناتجة مباشرة عن انسجام النـوع أو انسجام الذات – العالم) بين مقترف الإيذاء، والذات التى لحـق بهـا الأذى، ويتم تناول هذه العلاقة فى إطار سببى، وتتطلب القدرة على عمل تمييز بين الذات والآخر.

ويبدو أيضًا أن وضع متطلبات الإيذاء فى إطار سببى يعد مظهرًا مهمًا للتسامح، فإذا لم يستطع المرء اقتفاء أثر السببية فى الحدث الذى نـتج عنـه إلحاق الأذى بشخص محدد أو موضوع معين فإنه لن يكـون بالإمكـان أن يتسامح. علاوة على ذلك من المهم أن يكون قادرًا على أن يظل محتفظًا فى الذاكرة طويلة المدى بمجموعة الأحداث السببية التى نـتج عنهـا الإيـذاء، وأيضًا الفرد أو الأفراد المسئولون عن حدوث الإيذاء، فتعـد القـدرة علـى التفكير السببى، وتذكر الإيذاء ومرتكبوه عنصران ضروريان سابقان لبـدء حدوث عملية التسامح، وإذا افتقد الفرد أية قدرة من هاتين القدرتين فإنه لـن يكون بالإمكان تذكر الحدث الذى يتطلب التسامح، أو تحديـد الهـدف مـن التسامح، أو الفرد الذى سيسامحه، وعلى الرغم من أن هذه العبارات تبـدو بديهية، فإنها قد تختبر لدى قطاع معين من المرضى الذين يعـانون جلطـة المخ أو أمراض التدهور العقلى، حيث تضطرب القدرة على إدراك التسلسل السببى، أو القدرة على تذكر الأحداث. ولكن حتى الآن لم يقدم تقريرًا عـن مثل هذه الدراسات فى الإنتاج البحثى المتاح.

وبعد أن تتعرض الذات للإيذاء، فإنها تفسر الأذى فيما يتعلق بانسجام النوع، أو بالتوجه إلى العالم الخارجي (انسجام الذات- العالم)، اعتمادًا على طبيعة المُسيء، وطبيعة الإساءة، وقد يُحدد الأساس النفسي لهذه التفسيرات من خلال عوامل كثيرة، وتساعد الخبرات السابقة مع الوالدين في تشكيل شعور الفرد بالأخلاق، والمعايير المتعلقة بالسلوك (Bonar,1989;Shontz& Rosenak,1988) ووفقًا لتنظير لابسلي Lapsley سنة (١٩٦٦) فإن الأطفال والأفراد يطورون مفاهيم الخير والشر، وأيضًا القواعد والتصنيفات الخاصة بالسلوك المعياري.

ومن المحتمل أن ينشأ الارتقاء النفسي العصبي للمفاهيم المجردة مثل الخير والشر، والصواب والخطأ، والعدل والظلم، مع نمو الفص الجداري السفلي، فيتيح هذا الفص وارتباطاته بالجهاز الطرفي، استخدام هذه المفاهيم المتعارضة من قبل الفرد؛ لكي يُرسّخ مجموعة من المعايير والقواعد، التي يتم تقدير الأحداث والإيذاءات المستقبلية في ضوئها، وعندما يحدث إيذاء، وتتم مقارنته بالفهم السابق للعلاقة بين الذات والآخر، يكون هناك عدم انسجام، وهذا الإيذاء الذي أحدث عدم الانسجام، يكون معوقًا في حد ذاته، وأيضًا يكون مفهومًا أن العلاقة الجديدة بين الذات والآخر أصبحت الآن أردىء.علاوة على ذلك ترتبط هذه العلاقة الرديئة بالعالم بالانفعالات السلبية، مثل الغضب ؛ نظرًا لأن المرء يدرك الذات على أنها أسوأ مما كانت عليه قبل حدوث الحدث المؤذي (Fow,1996).

العمليات المعرفية والوجدانية:

ينبغي أن يُصحح عدم الانسجام بمجرد أن تُدرك كل عواقب الإساءة، وهذا التصحيح كما وصفناه سابقًا قد يحدث من خلال سلوك الانتقام أو التسامح (Enright,1996)، وقد يُبنى القرار المبدئي بالتعهد بالتسامح على

عدد من الاعتبارات الوجدانية والمعرفية، متضمنةً الضوابط الاجتماعية، ومزايا أخرى وصفناها سابقًا.

ويتطلب التسامح عمليات معرفية عصبية معقدة، مثل أن يتم تحليل الإدراك الجديد للذات وعلاقتها بالعالم، وبهذا يحدث توفيق بين الإدراك القديم والجديد للذات فى آخر الأمر (Enright,1996; North,1987;Fow,1996). ويمكن أن يحدث ذلك من خلال كثير من العمليات الممكنة، العصبية- المعرفية، والوجدانية، فعلى سبيل المثال أحد الحلول الممكنة لأية مشكلة مفترضة هى أن نستحضر الله الذى يصنف المسئولية، أو على الأقل يفسر سبب أى سلوك إيذاء مفترض، وهكذا فإن المرء قد يصوغ الحدث على أساس أن الله هو الذى أراد لهذا الحدث أن يحدث، لمبررات لا يمكنه تفسيرها ما لم يكن لديه معرفة دينية، ونظرًا لأن الله له دور فى حدوث هذا الحدث المؤذي، فإن المرء الذى كانت لديه أصلاً تفسيرات لهذا الحدث، يدرك الآن أن علاقته بهذا الحدث مختلفة، ولذا هو فى وضع ينبغى أن يتسامح فيه. ومن المحتمل أن يوجد عدد غير محدود من المناحى لإيجاد حل للتنافر، أو عدم الانسجام الداخلى والخارجى المرتبط بالحدث المؤذي، فلكى يحدث التسامح المتبادل بين الأشخاص، فإنه قد يتضمن آليات مثل التبادلية، والاهتمام المشترك، ورغبة كلا الجانبين فى استمرار العلاقة المتناغمة، والشعور بأن الصلح ينبغى أن يحدث، وأن المُسيء ينبغى أن يتحمل مسئولية أفعاله أو أفعالها (Martin,1953).

وتتضمن المظاهر الشخصية للتسامح مفاهيم الثقة، والخير، وغياب الغضب، وغياب الحاجة إلى الانتقام أو الثأر، ومن المحتمل أن تصبح كل هذه المظاهر متضمنة كجزء من العملية المعرفية، والوجدانية اللازمة لحدوث التسامح (Cunningham,1985,1992; Enright &the Human Development Study Group,1991)، وبغض النظر عن المنحى المستخدم لتعديل انسجام النوع، أو انسجام الذات –

العالم، فيما يتعلق بالإساءة المقترفة، ففى نهاية الأمر يوجد نوع من استعادة التوازن، حيث يدرك الفرد العالم مرة أخرى بأسلوب تكون الإساءة المقترفة متضمنةً فيه، ولكنها لم تعد تسبب أى إزعاج له.

ومن الأكثر احتمالاً أن ينشأ جزء من قدرة المُساء إليه على التسامح من قدرته على تحديد الفرد المُسىء إليه، وإبداء التفهم تجاهه (Rowe et al., 1989). فيدرك المُساء إليه أن المُسىء إليه إنسان أيضًا، وأنه قادر على اقتراف أخطاء، وقد يدرك المُساء إليه أيضًا أنه ينبغى عليه مسامحة المُسىء بنفس القدر الذى يرغب أن يتسامح به الآخرون معه، وذلك إذا عكسنا الموقف، وفى ظل هذا المنحى قد يفكر المرء فى أن هناك شعور بالانسجام بين المتسامح والمُسىء إليه (كما وصفناه سابقًا فى الجزء الخاص بالضوابط الاجتماعية لسلوك الانتقام)، حيث يدرك كل منهما الآخر على أنه إنسان.

وبناءً على ذلك توجد كثير من المتغيرات التى تدخل ضمن عملية التسامح فيما يتعلق باستعادة انسجام النوع، أو انسجام الذات – العالم، وتدخل ضمن القدرة على تغيير الاستجابة الانفعالية تجاه المُسىء أيضًا، والنتيجة النهائية هى حدوث انسجام جديد للنوع، أو انسجام بين الذات – العالم، يتضمن المُسىء، وفعل الإساءة، وتعديل هذه الإساءة .(Rowe et al., 1989). وبمجرد أن يزول عدم الانسجام، فهناك إدراك مُعدل للذات وعلاقتها بالآخرين، والعالم الخارجى، وهذا يخفف من مشكلة التشوش الانفعالى الناجم عن عدم الانسجام ذاته، ويترتب عليه الشعور بتقبل الإساءة (Bergin,1988)، وينبغى أن نلاحظ أن المُسىء يعد جزءًا من الإدراك الأصلى، والجديد للعلاقة بين الذات والعالم. وهذا يفسر مثلاً لماذا تكون الإساءة المقترفة من قبل رفيق الحياة أكثر إيذاءً. فهى تكون كذلك نظرًا لعمق العلاقة بين المُسىء والمُساء إليه من جهة، ولكن من جهة أخرى يكون من السهل جدًا حدوث التسامح، نظرًا للثقة السابقة والحب.

النشاط السلوكى :

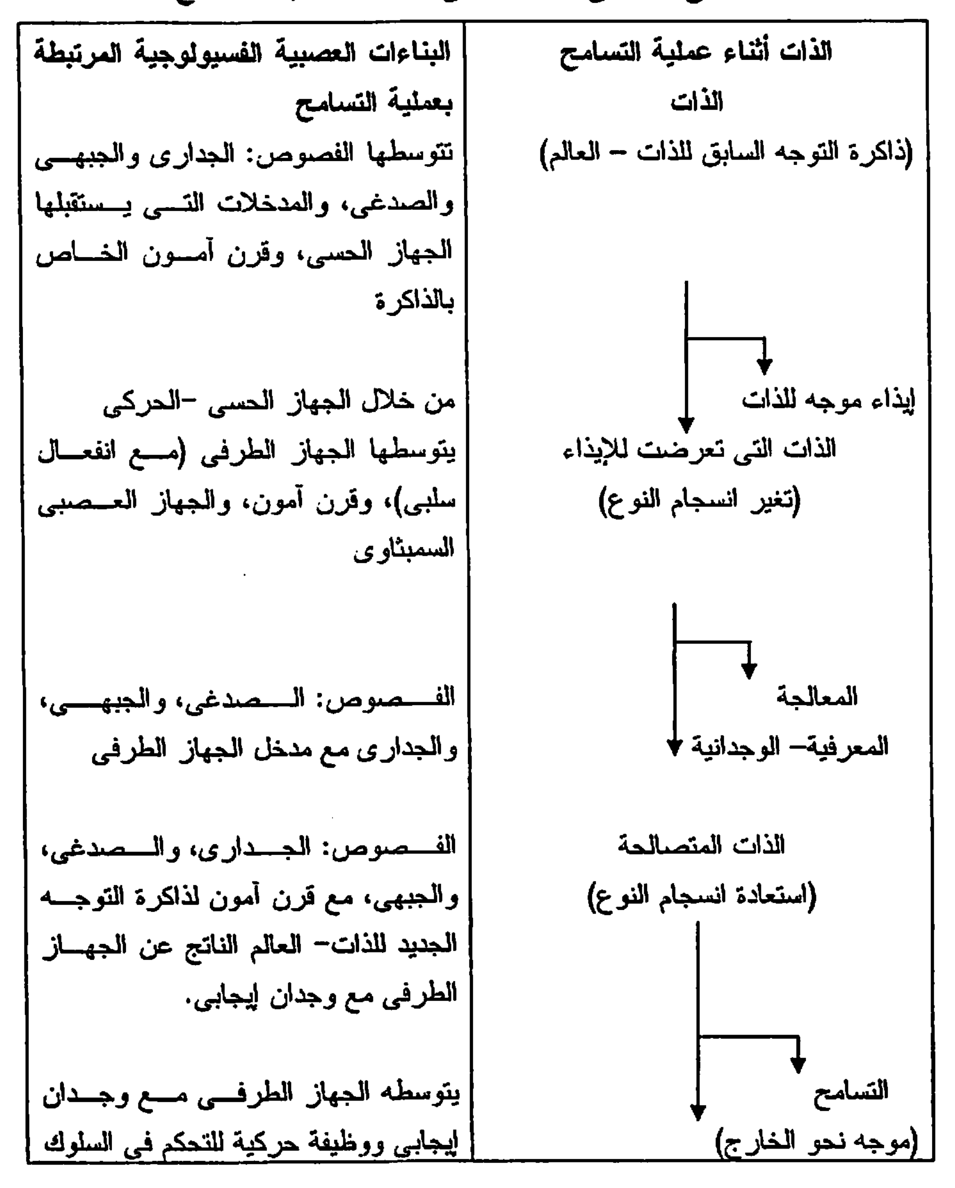
يمكن توجيه الاستجابة الوجدانية الإيجابية الناتجة عن حل التنافر نحو الخارج، تجاه الفرد المُسىء من خلال النشاط السلوكى، ويتضمن مثل هذا النشاط السلوكى التغيرات الحركية واللفظية، ويعكس بوجه عام الحالة الوجدانية الأكثر إيجابية للتسامح، وبالإضافة إلى انخفاض الغضب العام والاستياء، فهناك زيادة مصاحبة فى مظاهر الحنو والتفهم تجاه المُسىء، وهذا قد يرتبط بالشعور المدرك للانسجام بين المتسامح والمُسىء (كجزء من الانسجام المُعدل الحديث المتبادل بين الذات – الآخر أو الذات – العالم)، فكل منهما يدرك الآخر الآن على أنه إنسان، وأنه قابل لأن يُخطىء، ولأن يبتلى بالألم وغيره.

النموذج العصبى النفسى المتكامل للتسامح:

نحن الآن مستعدون لافتراض نموذج عصبى نفسى لعملية التسامح مبنى على التحليل العصبى الفسيولوجى، والوصف الظاهراتى اللذين وصفناهما سابقًا، وهذا النموذج (انظر الشكل ٥،١) يهدف فقط إلى تزويدنا بفهم أساسى للأساس العصبى النفسى للتسامح. وحيث إن التسامح يعد ظاهرة معقدة، لذلك فمن غير الممكن تطوير نموذج صارم يقوم بكل شىء، وبالرغم من ذلك فمن المحتمل أن المكونات الأساسية للتسامح تتبع نسبيًا النمط الذى وصفناه، مع مزيد من التفاصيل اعتمادًا على الحدث المؤذي، والعلاقة بين المُسىء والمُساء إليه، والانسجام المتبادل بين الشخص المُساء إليه والآخرين، والانسجام بين ذاته والعالم. ولكى نطور نموذجنا نتقدم خلال المراحل الكبرى لعملية التسامح، ونفترض وجود بناءات محددة فى المخ تكون مؤثرة فى كل جزء من أجزاء التسامح.

شكل (٥.١)

النموذج العصبى الفسيولوجى المبسط لعملية التسامح



الذات أثناء عملية التسامح	البناءات العصبية الفسيولوجية المرتبطة بعملية التسامح
الذات (ذاكرة التوجه السابق للذات – العالم)	تتوسطها الفصوص: الجدارى والجبهى والصدغى، والمدخلات التى يستقبلها الجهاز الحسى، وقرن آمون الخاص بالذاكرة
إيذاء موجه للذات الذات التى تعرضت للإيذاء (تغير انسجام النوع)	من خلال الجهاز الحسى -الحركى يتوسطها الجهاز الطرفى (مع انفعال سلبى)، وقرن آمون، والجهاز العصبى السمبثاوى
المعالجة المعرفية– الوجدانية	الفصوص: الصدغى، والجبهى، والجدارى مع مدخل الجهاز الطرفى
الذات المتصالحة (استعادة انسجام النوع)	الفصوص: الجدارى، والصدغى، والجبهى، مع قرن آمون لذاكرة التوجه الجديد للذات– العالم الناتج عن الجهاز الطرفى مع وجدان إيجابى.
التسامح (موجه نحو الخارج)	يتوسطه الجهاز الطرفى مع وجدان إيجابى ووظيفة حركية للتحكم فى السلوك

وحيث إن التسامح يتطلب حدوث إيذاء موجه للذات، كما ذكرنا من قبل، لذلك فالشرط الأول هو أن يكون لدى المُساء إليه شعور بالذات، ومن المحتمل أن يتطلب الشعور بالذات أن يكون الفص الجدارى الخلفى العلوى سليمًا، وخاصة فى الشق السائد من المخ، حيث إن هذا الجزء من المخ - كما ذكرنا سابقًا- يساعد فى التمييز بين الذات والآخر، كما أن هذا الجزء من المخ يحدد الأشياء النوعية التى يمكن أن تسبب إيذاءً للذات، والارتباطات الداخلية بين الفصوص الجدارية والأمامية والصدغية (مع المدخلات التى تأتى من خلال الجهاز الحسى الحركى) تساعد فى تشكيل ما قد نطلق عليه "الدورة الأولية" التى تربط بين الذات والعالم الخارجى، وعلاقة الشخص بالمُسىء، وهذه العلاقة هى التى تساعدنا على فهم الانسجام الموجود بين الأنواع، أو الانسجام بين الذات والعالم الخارجى، وهذه العلاقة تثبّت فى المخ بواسطة دوائر ذاكرة قرن آمون، ومن المحتمل أن تثبّت بواسطة تكوين اللوزة. ويحافظ قرن آمون على ذاكرة الفرد للخبرات السابقة الحسية والمعرفية والوجدانية، وينسق بينهم فى شكل وصف كلى للذات وعلاقتها بالأنواع الأخرى والعالم الخارجى.

فمن الضرورى أن يدخل الإيذاء الأولى أو الإيذاء الموجه إلى الذات إلى المخ من خلال واحد أو أكثر من الأجهزة الحسية الحركية، وعندما يدخل تتم مقارنته بالمعلومات الموجودة فى الذاكرة الخاصة بالذات وعلاقتها بالعالم الخارجى، فإذا كان هناك عدم انسجام بينهما فإن استجابة المشقة الخاصة بالذات التى تعرضت للإيذاء قد تسبب تنشيطًا للجهاز العصبى السمبثاوى، بواسطة الجهاز الطرفى والمهاد التحتانى (والأخير هو الذى ينظم النشاط فى الجهاز العصبى السمبثاوى). وهذا يُحدث لدى الفرد الشعور بالقلق وعدم الارتياح، كذلك يُولد شعورًا حشويًا شديدًا؛ نتيجة تغير معدل ضربات القلب،

وضغط الدم، وهرمونات المشقة العديدة. علاوة على ذلك فإن المشاعر السلبية الناتجة عن قرن آمون تعد استجابة لإدراك الطبيعة الضارة لعدم الانسجام أو التنافر، واحتمال وجود خطر ناجم عن افتقاد الانسجام. إن استجابة المشقة الناتجة عن النشاط فى الجهاز العصبى السمبثاوى وما يصاحبها من إطلاق مادة النوربينفرين، قد ينتج عنها تغير فى المطواعية العصبية neuronal plasticity (Kolb &Whishaw,1998)، وكلما حدثت استجابة المشقة هذه على نحو متكرر، دون أن يتخللها فترات يحدث فيها الانسجام، فإنه قد ينتج عنها آثار دائمة بدرجة كبيرة فى الجهاز الدورى والعصبى والمناعى (Newberg & Newberg,1998). وهكذا فالاستجابة الانفعالية السلبية للحدث المؤذي قد يتضاعف تأثيرها، و يمكن أيضًا أن تمنح القوة الوجدانية التى تساعد فى التوصل لحل لعدم الانسجام (Rowe et al ,1989).

ويؤدى هذا الاضطراب إلى أن يبدأ المخ بعد ذلك فى تحليل عدم الانسجام، وبذلك يمكن التوصل لإيجاد حل له فى النهاية، وهذا الحل يتم التوصل إليه من خلال المعالجة المعرفية والوجدانية داخل الفصوص الصدغية والجبهية والجدارية، والتى تعد مسئولة عن الوظائف العليا، كما تحدث معالجات معرفية ووجدانية فى الجهاز الطرفى أيضًا، وأخيرًا فإن العمليات المعرفية والوجدانية في القشرة المخية، مع المساعدة الناتجة عن التغيرات والمطواعية العصبية تحدث فهمًا مُعدلاً للذات، أو تولد ذاتًا متصالحة فى علاقتها بالأنواع الأخرى أو بالعالم الخارجى، ويحتمل أن يتضمن جزء من هذه العملية المعرفية الوجدانية حدوث نشاط متزامن فى الشقين الأيمن والأيسر بالمخ، فيُستخدم الشق الأيمن غالبًا على نحو إبداعى لحل المشكلات التى تظهرها العمليات المجردة، واللغوية للشق الأيسر، وعندما يتم التوصل لحل لهذه المشكلات، فإنه يحدث تنشيط للجهاز

الباراسمبثاوى من خلال إطلاق الشق الأيمن (الذى ساعد فى حل المشكلة)، وينتج عن هذا التنشيط الشعور بالسعادة والراحة لأن المشكلة تم حلها، وعلى المستوى الظاهراتي، يوصف فعل التسامح بأنه كالإلهـام (Row et al.,1989) الذى يعد بدقة نمطًا من الخبرة مرتبطًا بقدرة الشق الأيمن على حل المشكلة، وما يترتب على ذلك من إطلاق الجهاز العصبى الباراسمبثاوى، ويؤدى ذلك أيضًا إلى حدوث نشاط إضافى فى الجهاز الطرفى مثل عملية توجيـه هـذه المشاعر الإيجابية للخارج، فقد يبدأ توجيهها نحو الفرد المُسىء، وفى الواقع، وبكلمات أكثر تحديدًا لا تسلط المشاعر الإيجابية للخـارج، ولكنهـا تـرتبط بواسطة الشبكة العصبية بالتمثيل الخيالى للفرد المُسىء فى مركز الإحـساس بالمخ، والتى يعايشها الفرد على المستوى الظاهراتى كمـشاعر خارجيـة، وسوف ينتج عن هذا فى نهاية الأمر ترسيخ المشاعر والسلوكيات الإيجابيـة الموجهة (بواسطة الوظائف الحركية المسئولة عن التحكم فى السلوك) نحـو الفرد المُسىء، كجزء من الفهم المُعدل للذات، وعلاقتها بالعـالم الخـارجى، ويكون لهذه المشاعر الإيجابية تأثيرات مفيدة على الفرد المُساء إليه أيـضًا؛ وذلك من خلال تخفيض التأثير السلبى للتغيرات التى تحدثها المشقة، والتـى تلازم عدم التوصل لحل لعدم الانسجام. وقد يتوسط هذه التـأثيرات المفيـدة انخفاض نشاط الجهاز العصبى السمبثاوى، أو زيادة نشاط الجهاز العـصبى الباراسمبثاوى، وهناك فائدة تكيفية أيضًا لمثل هذه العملية (وصفناها من قبل فى الجزء الخاص بالتطور العصبى للتسامح).

خلاصة ومتضمنات :

قد يساعدنا التحليل العصبى النفسى للتسامح أيـضًا فـى فهـم الآليـات المحددة، التى قد يُسهم من خلالها التسامح فى تحسين كفاءة الوظائف النفـسية، ويمكن قياس بعض التأثيرات المباشرة للتسامح من خلال اسـتخدام المؤشـرات

اللا إرادية، والمؤشرات العصبية الفسيولوجية الأخرى، بالإضافة إلى المؤشرات النفسية التقليدية، فارتبط انخفاض معدل ضربات القلب، ومعدل التنفس، والقلق، والاكتئاب، ومشاعر العدائية والغضب، وتحسن تقدير الذات، ارتبط بالممارسات العديدة المصممة بهدف زيادة نشاط الجهاز العصبى الباراسمبثاوى مثل التأمل (d'Aquili&Newberg,1993a; Newberg& Newberg,1998)، وقد تحدث مثل هذه التغيرات حتى لدى المرضى الذين يمرون بعملية التسامح، وقد نفكر أيضًا فى الدراسات التى تستخدم أساليب المخ التخيلية فى قياس المظاهر المتعددة للوظيفة المخية التى ترتبط بالتسامح، وقد أوضحنا أيضًا أن التسامح قد يُحسّن استقرار الفرد داخل الجماعة، والذى قد يُحسّن بدوره العلاقات الشخصية. علاوة على ذلك تعد عملية التسامح فى حد ذاتها مهمة تقريبًا لتقوية الروابط الشخصية.

إن تشجيع التسامح قد يعد أسلوبَ تدخلٌ علاجىٌ فعالٍ حتى الآن بمترتباته التحولية، ويساعد التحليل العصبى النفسى للتسامح فى تحديد الأجزاء المحددة من الجهاز العصبى المُتضمنة فى عملية التسامح، ويحدد التوجهات المستقبلية للبحوث والتطبيقات الإكلينيكية، وأخيرًا يقترح النموذج النفسى العصبى أن التسامح أساسًا قد تكون له تأثيرات مفيدة على الجسم، مثل انخفاض مستويات هرمونات المشقة، وحدوث تحسُن فى أنماط النوم، وبعبارات أخرى، قد يسير التسامح والشفاء جنبًا إلى جنب، ومن الصعب إحراز أحدهما دون الآخر، ويمكن أن يبدأ التحليل العصبى النفسى للتسامح فى وصف لماذا يعد التسامح ظاهرة مهمة نفسيًا وجسميًا وروحيًا.

المراجع

- Baron,R.A.(1973).Threatened retaliation from the victim as an inhibitor of physical aggression.Journal of Personality Research,7,103-115.
- Baron,R.A.(1974).Threatened retaliation as an inhibitor of human aggression: Mediating effects of the instrumental value of aggression. Bulletin of the psychonomic society ,3, 217-219.
- Bergin, A.E.(1988).Three contributions of a spiritual perspective to counseling, psychotherapy, and behavioral change. Counseling and Values, 33,21-31.
- Berscheid ,E.,Boye,D.,& Walster,E. (1968). Retaliation as a means of restoring equity. Journal of Personality and Social Psychology,10,370-376.
- Bonar,C.A.(1989). Personality theories and asking forgiveness.Journal of Psychology and Christianity, 8, 45-51.
- Bruce,C.J.,Desimone,R.,&Gross,C.G.(1986).both striate and superior colliculus contribute to visual properties of neurons in superior temporal polysensory area of Macaque monkey. Journal of Neurophysiology ,58,1057-1076.
- Burton ,H.& Jones ,E.G.(1976).The posterior thalamic region and its cortical projections in New World and Old World monkeys. Journal Comparative Neurology,168, 249-302.

- Buss,D.M.,Haselton,M.G.Shackelford ,T.K.,Bleske A.L.,& Wakefield, J.C.(1998).Adaptations ,exaptations, and spandrels.American Psychologist, 53,533-548.
- Close,H.T.(1970).Forgiveness and responsibility: A case study. Pastoral Psychology,21,19-25.
- Cunningham,B.B.(1985) B.B.(1985).The will to forgive: A Pastoral theological view of forgiving.Journal of Pastoral Care,39,141-149.
- Cunningham,B.B.(1992).The healing work of forgiving: A pastoral care response to alienation and abandonment.Review and Expositor,89,373-386.
- d' Aquili ,E.G.(1972).The biopsychological determinants of culture. Reading ,MA: Addison-Wesley Modular Publications.
- d' Aquili ,E.G.(1975). The biopsychological determinants of religious ritual behavior,Zygon,10(1),32-58.
- d' Aquili ,E.G.,& Newberg,A.B.(1993a)Mystical states and the experience of God:A model of the neuropsychological substrate. Zygon,28(2),177-200.
- d' Aquili ,E.G.,& Newberg,A.B.(1933b). Liminality, trance, and unitary states in ritual and meditation. Studia Liturgica,23(1),2-34.
- Deitz,J.(1991). The psychodynamics and psychotherapy of depression: Contrasting the self –psychological and the classical psychoanalytic approaches.American Journal of Psychoanalysis ,51,61-70.
- Enright,R.D.(1996).Counseling within the forgiveness triad: On forgiving ,receiving forgiveness, and self- forgiveness. Counseling and Values, 40,107-126.

- Enright,R.D.,& the Human Development Study Group. (1991).The moral development of forgiveness.In W.Kurtines & J.Gewirtz (Eds.),Handbook of moral behavioral and development (Vol.1,pp.123-152).Hillsdale,NJ: Erlbaum.

- Fow,N.R.(1996).The phenomenology of forgiveness and reconciliation. Journal of Phenomenological Psychology,27,219-233.

- Geschwind ,N.(1965).Disconnexion syndromes in animals and man. Brain ,88,585-644.

- Hommes ,O,R.,&Panhuysen,H.H.M.(1971).Depression and cerebral dominance ,Psychiatria, Neurologia ,Neurochirurgia, 74,259-270.

- Jackson,H.(1991).Using self psychology in psychotherapy. Northvale, NJ: Jason Aronson.

- Jones, E.G.,&Powell,T.P.S.(1970).An anatomical study of converging sensory pathways within the cerebral cortex of the monkey.Brain,93,793-820.

- Joseph,R.(1990). Neuropsychology, neuropsychiatry, and behavioral neurology, New York: Plenum Press.

- Kandel ,E. R.,Schwartz ,J.H., & Jessell,T.M.(Eds.).(1993). Principles of neural science (3rd ed.).Norwalk, CT: Appleton & Lange.

- Kanekar,S.,& Kolsawalla,M.B.(1977).The nobility of nonviolence: Person perception as a function of retaliation to aggression. Journal of Social Psychology,102,159-160.

- Kanekar,S.,&Merchant ,S.M.(1982).Aggression ,retaliation, and religious affiliation. Journal of Social Psychology,117,295-296.

- Kolb,B.,&Whishaw,I.Q.(1998). Brain plasticity and behavior.Annual Review of Psychlogy ,49,43-64.

- Komorita,S.S.,Hilty,J.A.,& Parks,C.D.(1991).Reciprocity and cooperation in social dilemmas. Journal of Conflict Resolution,35,494-518.

- Lapsley,J.N.(1966).Reconciliation ,forgiveness ,lost contracts. Theology Today ,22,44-59.

- Laughlin, C.,Jr.,& d' Aquili ,E.G(1974).Biogenetic structuralism. New York: Columbia University Press.

- Laughlin, C.,Jr.,McManus,J.,& d' Aquili ,E.G (1992).Brain, symbol, and experience (2rd ed.). New York: Columbia University Press.

- LeGross Clark,C.W.F.(1963). The antecedents of man.New York: Harper & Row.

- Luria ,A.R. (1980).Higher cortical function in man. New York: Basic Books.

- Lynch,V.J.(1991).Basic concepts. In H.Jackson (Ed.),Using self psychology in psychotherapy (pp.15-25). Northvale, NJ: Jason Aronson.

- Martin,J.A.(1953).A realistic theory of forgiveness. In J. Wild (Ed.). Return to reason (pp.313-332). Chicago: Henry Regenry.

- McCullough,M.E.,& Worthington ,E.L.(1994).Models of interpersonal forgiveness and their applications to counseling: Review and critique. Counseling and Values,39, 2-14.

- Milner,B.(1970).Memory and the medical temporal regions of the brain.In K. Pribram & D. E. Broadbent (Eds.), Biology of memory(pp.37-52).

- Mishkin ,M.(1978). Memory in monkeys severely impaired by combined but not by separate removal of amygdala and hippocampus. Nature (London), 273,297-299.

- Mukherji,B.R.(1995).Cross- cultural issues in illness and wellness: Implications for depressions.Journal of Social Distress and Homeless, 4,203-217.

- Murphy ,J.(1988).Forgiveness and mercy.Cambridge ,UK: Cambridge University Press.

- Newberg,AB.,Newbrg,S.K.(1998). Incorporating stress management into clinical practice.Hospital Physician,34(6),52-58.

- North, J.(1987).Wrondoing and forgiveness. Philosophy,62,499-508.

- Pribram,K.H.,&McGuinness,D.(1975).Arousal ,activation ,and effort in the control of attention. Psychological Review,82,116-149.

- Rawlins ,J.N.P.(1985).Associations across time: The hippocampus as a temporary memory store.Behavioral and Brain Sciences, 8,479-496.

- Rogers,R.W.(1980).Expression of aggression: Aggression –inhibiting effects of anonymity to authority and threatened retaliation. Personality and Social Psychology Bulletin,6,315-320.

- Rowe ,J.O.,Halling ,S.,Davies ,E., Leifer ,M.,Powers ,D.,&Van Bronkhorst ,J.(1989).Exploring the breadth of human experience. In R.S.Valle &S. Halling (Eds.), Existential – phenomenological perspectives in psychology (pp.233-244).New York: Plenum Press.

- Sarter,M.,&Markowitsch, J.J.(1985).The amygdale's role in human mnemonic processing.Cortex,21,7-24.

- Segal,Z.V.,&Blatt,J.(1993).The self in emotional distress: Cognitive and psychodynamic perspectives, New York: Guilford Press.

- Seltzer,B.,&Pandya ,D,N.(1978).Afferent cortical connections and architectonics of the superior temporal sulcus and surround cortex in the rhesus monkey. Brain Research ,149,1-24.

- Shontz,F.C.,&Rosenak ,C.(1988).Psychological theories and the need for forgiveness: Assessment and critique.Journal of Psychology and Christianity ,7,23-31.

- Stuss,D.T.,&Benson,D.F.(1986).The frontal lobes. New York: Raven Press.

- Zeki,J.T.,Symonds,L.L.,& Kass,J.H.(1982).Cortical and subcortical projections of the middle temporal area(MT) and adjacent cortex in galagos. Journal of Comparative Neurology,211,193-214.

الفصل السادس

التصور الارتقائى المعرفى للتسامح

تأليف: إيتين موليت وميشيل جيرارد

كانت المعالجات النفسية للتسامح نادرة حتى وقت قريب، على الرغم من أن لمفهوم التسامح تاريخًا خصبًا فى الفلسفة واللاهوت اليهودى- المسيحى، (McCullough,Worthington,&Rachal,1997,p.321)، ويعرض الفصل الحالى الدراسات التى عنيت بدراسة المظاهر المعرفية والارتقائية للتسامح، وسوف نستعرض أربع مجموعات من الجهود البحثية:

(١) تصورات بياجيه عن التسامح.

(٢) البحث المبكر الذى تناول أثر إبداء الاعتذار والاعتراف بالخطأ فى التسامح.

(٣) نظرية إينريت فى ارتقاء الاستدلال المتعلق بالتسامح.

(٤) بحث حديث فى مخطط التسامح.

تصورات بياجيه عن التسامح :

يمكن أن نجد أول إشارة للتسامح - قديمًا جدًا - في الموروث النفسي الارتقائي لدى بياجيه سنة (١٩٣٢) في بحوثه الخاصة بالحكم الأخلاقي لدى الرضع، وقد خصص بياجيه مساحة ضئيلة جدًا لمفهوم التسامح: بالتحديد من ثلاث إلى أربع صفحات (من ثلاثمائة وخمس وثلاثين صفحة من صفحات المجلد)، ولهذا المبرر سيكون من المبالغ فيه أن نتحدث عن موقف بياجيه من التسامح كما لو كان موقفًا قويًا، فقد ناقش بياجيه مفهوم التسامح بشكل أساسي بوصفه مفهومًا مقابلاً للعدل الذي كان الموضوع الرئيس لكتابه.

ويقرر أن التسامح يتضمن أكثر من مجرد الشعور بالتبادل الرياضي mathematical reciprocity (réciprocité de fait)، فالتسامح من وجهة نظره يتضمن الشعور بالتبادل المثالي ideal reciprocity (réciprocité de droit) الذي يعبر عنه من خلال "عامل الآخرين بما تحب أن يعاملوك"، وبعبارات بياجيه يمكن إحراز الفهم الكامل للتسامح " عندما تكون السلوكيات التي نعتبرها صائبة هي السلوكيات التي تظهر في صورة سلوكيات متبادلة بين طرفي العلاقة تبادلاً لا نهائيا (ص: ٢٥٨)، ويعد مفهوم التبادل اللا نهائي مفهوماً معقداً - تسامح... فتسامحك مع الآخرين في الماضي، سيجعلهم يتسامحون معك في المستقبل - ولهذا المبرر لا يمكن فهم التسامح وفقاً لتصور بياجيه قبل مرحلة الطفولة المتأخرة.

إبداء الاعتذار والاعتراف بالخطأ والتسامح:

دور إبداء الاعتذار في تعزيز التسامح:

أُجريت أول بحوث تجريبية في التسامح - كما نعرف - قديمًا جدًا، وقد أجراها اثنان من الباحثين هما داربي Darby وشلينكر Schlenker سنة (١٩٣٢)، وقد كان الباحثان مهتمين بدراسة تأثير إبداء الاعتذار في توجيه اللوم والعقاب

للمُسيء، وذلك لدى عينات من الأطفال فى السادسة، والتاسعة والثانية عشرة، وقد ضمّن الباحثان فى دراساتهم مقياساً للتسامح، وفى إحدى تجاربهما، كانا يعرضان على الأطفال المشاركين مجموعة من الصور التى تصور البطل الرئيس" بات" وهو يجرى مندفعاً فى ممرات المدرسة، فيصطدم بمجموعة أطفال آخرين، وقد تباينت المعلومات المقدمة للأطفال عن مدى مسئولية "بات" عن هذا الحادث وحجم الخسائر التى تسبب فى إحداثها، واستجابة "بات "بعد هذا الحادث وفقًا لظروف المعالجة التجريبية الأربع التالية، فتباينت المعلومات المقدمة للأطفال عن استجابات "بات " بعد الحادث، وذلك على النحو التالى:

(١) وُصف "بات" لمجموعة من الأطفال بأنه: مشى ببساطة دون أن يقول أو يفعل شيئاً.

(٢) ووُصف لمجموعة أخرى بأنه قال: " أنا آسف ".

(٣) ووُصف لمجموعة ثالثة بأنه: قال: "أنا آسف، أشعر بالأسى لما حدث".

(٤) ووُصف لمجموعة رابعة بأنه قال: " أنا آسف، أشعر بالأسى لما حدث، اسمحوا لى أن أساعدكم".

وكان من بين الأسئلة التى تُوجه للأطفال المشاركين، السؤال التالى:

"هل تعتقد أن الأطفال ستسامح "بات" على ما فعل؟، وإذا حدث وسامحوه فإلى أى مدى؟ ".

وكان على الأطفال أن يجيبوا وفقًا لمقياس تقدير يتراوح من صفر حتى عشر درجات حيث الرفض التام "لن يسامحوه على الإطلاق" إلى القبول التام "سيسامحونه بدرجة كبيرة"، وقد ظهر من خلال ملاحظة المتوسطات الخاصة باستجابات الأطفال أنه كلما كانت الاعتذارات أكثر تفصيلاً كان

تسامح الأطفال مع "بات" أعلى (كانت متوسطات الأطفال وفقًا لظروف المعالجة الأربع على التوالى هى: ٤,٣، ٥,٤، ٦,٤، ٦,٤، ٧,٣). ولا يوجد تفاعل بين عمر الأطفال وإبداء الاعتذار بمختلف أشكاله السابق الإشارة إليها. وصُور "بات" فى تجربة أجرى على أنه كان جالساً على أرجوحة التوازن مع أحد زملائه بالفصل، وأثناء اللعب ارتفع "بات" بشكل مفاجىء؛ فتسبب فى سقوط زميله على الأرض، و إصابته إصابة واضحة، وقد تباينت المعلومات المقدمة للأطفال – على نحو منظم – عن مدى تعمد " بات" إحداث هذا الأذى بزميله، ودوافعه، واستجابته التالية للحادث وفقًا لظروف المعالجة التجريبية (١–٤ معالجات، وهى تماثل المعالجات الأربع السابق الإشارة إليها فى التجربة السابقة).

وقد تبين من خلال فحص متوسطات الاستجابات أنه كلما كانت الاعتذارات التى قدمها " بات" أكثر تفصيلاً كان تسامح الأطفال معه أكثر (كانت المتوسطات على التوالى هى: ٤,٨، ٥,١، ٦,٣، ٦,٤)، ولكن وُجد أن هناك تفاعلاً بين عمر الأطفال والاعتذارات بمختلف أشكالها المقدمة، وكان تأثير إبداء الاعتذار بمختلف أشكاله على التسامح أكثر وضوحًا لدى أطفال الثانية عشرة (كانت المتوسطات الخاصة بأشكال الاعتذارات الأربع التى قُدمت فى هذه التجربة، وسبق الإشارة إليها فى التجربة السابقة هى على التوالى: ٣,٣، ٤,٦، ٦,٧، ٧,٨) وذلك بالمقارنة بالأطفال الأصغر عمرًا (كانت المتوسطات على التوالى: ٦,٤، ٥,٥، ٦، ٦,٢).

الاعتراف بالخطأ والتسامح :

أجرى وينر Weiner وجراهام Graham وزومديناس Zmuidinas سنة (١٩٩١) سلسلة من التجارب التى تناولت أثر الاعتراف بالخطأ فى تعديل

إدراكنا للآخر، فيما يتصل باللوم الذى يُعزى إليه جراء ما اقترف من خطأ، وخصاله الشخصية، والعواقب المرتبطة بهذه الأحكام، ففى إحدى تجاربهم عُرضت مجموعة من الصور على عينة من الطلاب الجامعيين تصور البطل الرئيس وقد وُجهت له تهمة إساءة استخدام أموال عامة، وقُدم هذا المتهم المزعوم لبعض المشاركين على أنه سياسى محترف وللبعض الآخر على أنه طالب يدرس علم السياسة، وتباينت المعلومات المقدمة للمشاركين عن الاستجابة التالية لتوجيه هذا الاتهام إليه، وذلك على نحو منظم كما يلى :

(١) أُخبر المشاركون فى إحدى المجموعات التجريبية بأن المتهم أنكر مسئوليته الشخصية عما حدث.

(٢) وأُخبر المشاركون فى المجموعة الضابطة بأنه لم يقل أى شيء.

(٣) وأُخبر المشاركون فى المجموعة التجريبية الثانية بأنه اعترف بمسئوليته الشخصية عما حدث، واعترف اعترافاً كاملاً وتفصيلياً بخطئه.

وتتدرج استجابات المشاركين على مقياس التسامح وفقًا لمقياس تقدير مكون من ثمانى نقاط، وقد تبين من خلال فحص متوسطات المشاركين أن تسليم المسيء بمسئوليته واعترافه بخطئه أدى إلى تسامح المشاركين معه بمعدل أكبر (كانت المتوسطات وفقًا لظروف المعالجة الثلاث هى: ٣,٣٨، ٤، ٤,٦٩، معامل ثقة أقل من ٠,٠٠٥) ولم يظهر تفاعل بين مكانة المتهم (من حيث كونه سياسيًا محترفًا أم طالباً) واعترافه بخطئه.

وعرضت على المشاركين فى تجربة أخرى صور مماثلة تصور عضو مجلس شيوخ يُتهم بإساءة استخدام الأموال المخصصة لإحدى الحملات، وقد تباينت المعلومات المقدمة للمشاركين على نحو منظم عن المسئولية

الموضوعية لهذا العضو عن هذه التهمة، والاستجابة التالية له عقب توجيه الاتهام إليه، وفقاً لظروف المعالجة التجريبية على النحو التالى:

(١) قُدمت معلومات لإحدى المجموعات تصور هذا العضو على أنه قد أهمل إهمالاً شخصياً فى إدارة أموال الحملة.

(٢) قُدمت معلومات للمجموعة الثانية تصور هذا العضو على أنه ضحية لمساعديه الذين يفتقدون الأمانة.

(٣) قُدمت معلومات للمجموعة الثالثة تصور هذا العضو على أنه قد أهمل إهمالاً شخصياً فى إدارة أموال الحملة، وأنه ضحية لمساعديه الذين يفتقدون الأمانة (حالة غامضة).

وتوصل الباحثان مرة أخرى إلى أن تسليم المُسيء بمسئوليته عما حدث واعترافه بما اقترف من خطأ أدى إلى تسامح المشاركين معه بمعدل أكبر (كانت المتوسطات وفقاً لظروف المعالجة الثلاث السابق الإشارة إليها هى: ٤,٢٠، ٤,٠٦، ٥,٣٧ على التوالى) ولم يوجد تفاعل بين تسليم المُسيء بمسئوليته عما حدث واعترافه بخطئه. وفى تجربة أخرى تباين توقيت اعتراف المُسيء بخطئه، وفقاً لظروف المعالجة التجريبية على النحو التالى:

(١) قُدمت معلومات للمشاركين تصور المُسيء وقد أنكر مسئوليته عما حدث.

(٢) قُدمت معلومات للمشاركين تصور المُسيء وقد سلم بمسئوليته الشخصية عما حدث، واعترف اعترافاً كاملاً وتفصيلياً بما اقترف، وذلك عقب توجيه الاتهام إليه.

(٣) قُدمت معلومات للمشاركين تصور المُسيء وقد سلم بمسئوليته الشخصية عما جدث، واعترف اعترافاً كاملاً وتفصيلياً بما اقترف، وذلك قبل توجيه الاتهام إليه.

فتبين أن الاعتراف التلقائى بالخطأ قبل توجيه الاتهام كان لــه تــأثير أكبر فى تعزيز الميل للتسامح لدى المشاركين عن الاعتراف الذى يحدث بعد توجيه الاتهام إلى المُسىء (وكانت المتوسطات ٤,٢٠، ٥,٠٣، ٦,٢٠).

بحوث إينريت فى الارتقاء الأخلاقى للتسامح:

ينسب إلى إينريت وجماعة علم النفس الارتقائى الخاصة به إجــراء أول دراسات تجريبية فى ارتقاء التــسامح (Enright,Santos,&Al-Mabuk,1989;Enright 1991,1994;Enright,Gassin,&Wu,1992), وقد صيغت نظرية إينريت فـــى ارتقـــاء الاستدلال المتعلق بالتسامح بعد أن ظهرت نظرية كولبيرج فى ارتقاء الاستدلال الأخلاقى، والتى قُدمت سنة (١٩٧٦) (انظـــر أيـــضاً Spidell&Liberman,1981). فكما نرى فى جدول (٦-١) كل مرحلة فى نموذج كولبيرج تقابلها مرحلة واحدة فى نموذج إينريت، ففى مراحل التسامح الدنيا وهما مرحلتا التسامح ذو النزعـــة الانتقامية revengeful forgiveness، والتسامح التعويضى restitutional forgiveness، يحدث التسامح فقط عندما يخضع المُسىء للانتقام، أو العقـــاب الملائـــم. وفـــى المراحل الوسطى، وهما مرحلتـــا التـــسامح المتوقـــع expectational forgiveness والتسامح بوصفه تناغمًا اجتماعيًا forgiveness as social harmony يُمنح التـــسامح فقط عندما يمارس الآخرون الذين يمثلون أهمية فى حياة المُساء إليـــه ضـــغطاً عليه ليتسامح.

ويُدرك التسامح فى المرحلة العليا فقط – وهـــى مرحلـــة التـــسامح بوصفه حباً – على أنه اتجاه غير مشروط، وينظر إليه على أنه يعزز النظرة الإيجابية للحياة، والعزم الجيد، وتوضح هذه المرحلة النهائيـــة الفـــرق بـــين تصور بياجيه للتسامح وتصور إينريت، فالتسامح وفقًا لتصور إينريت هـــو خُلق شبيه بالهبة، ولا يستلزم أى شكل من أشكال التبادل (حتى لو كان تبادلاً

لا نهائياً) كما فسره بياجيه(١٩٣٢)، (فتسامح المُساء إليه مع المُسيء هـــو أشبه بهبة يمنحها المُساء إليه دون أن ينتظر أية هبة مقابلة من المُسيء).

والإجراء المستخدم فى دراسات إينريت لاختبار نموذجـــه النظـــرى مقتبس أيضاً وبشكل مباشر من كولبيرج (١٩٣٢)، وقد تم استخدام نـــوعين من المشكلات التى استخدمها كولبيرج، مع إحداث تعديلات بسيطة ؛ لكـــى تناسب دراسة الاستدلال المتعلق بالتسامح، وهاتان المشكلتان هما المشكلتان المعروفتان "بمشكلة هاينز" و"مشكلة السجين الهارب"، وتقدم" مشكلة هـــاينز على النحو التالى:

أصيبت سيدة بالسرطان، وتدهورت حالتها الصحية تـــدهورًا شـــديدًا، وكان أحد الصيادلة قد نجح فى اكتشاف عقار جديد، ورأى الأطباء أنه قـــد يفيد فى علاج حالتها، ويتقاضى الصيدلى مبلغ ألفين(٢٠٠٠) دولار نظيـــر جرعة صغيرة من هذا العقار، وهذا المبلغ يزيد عن تكلفة العقـــار الأصـــلى بمقدار تسعة أضعافه.وقد استدان "هاينز" زوج هذه المريضة من كـــل مـــن يعرفه، ولكن لم يستطع أن يوفر سوى مبلغ ألف (١٠٠٠) دولار، فتوسل إلى الصيدلى أن يبيع له العقار بثمن أقل، أو يسمح له بدفع باقى ثمنه فيما بعـــد، عندما يتوفر لديه المبلغ كاملاً، فرفض الصيدلى قائلاً " أنـــا اكتـــشفت هـــذا العقار، وسأتكسّب منه " فاندفع "هاينز" وحطم الصيدلية واستولى على العقار، وتقدم الأسئلة التالية للمشاركين:

- هل كان ينبغى على هاينز أن يفعل ما فعله؟

فى حالة الإجابة ب "نعم ":

- لماذا توافق هاينز على ما فعله؟

وفى حالة الإجابة ب "لا ":

- لماذا ترفض ما فعله هاينز؟ (ص:٤٠)

وقام إينريت بإحداث تعديل على الجزء الأخير من القصة على النحو التالى :

لقد توقع الصيدلى أن يقوم هاينز بسرقة العقار، لذا أخفاه فى مكان لايستطيع أى إنسان أن يصل إليه، وتوفيت زوجة هاينز، وشعر بالحزن العميق عليها وبالغضب الشديد من الصيدلى لإخفائه العقار، وتسببه فى موت زوجته (ص:١٠٢).

وقد تم إحداث تغيير فى نهاية "مشكلة السجين " أيضاً، وقُدمت للمشاركين من خلال المقابلة مجموعة من الأسئلة المصاغة لتلائم كل مستوى من المستويات الارتقائية للتسامح (ن=١١٩)، ويعرض جدول (٦-١) أمثلة للأسئلة الخاصة بمختلف المراحل الارتقائية للتسامح، وقُدمت أيضاً ثلاثة بنود من اختبار " القضية المُعرّفة "the Defining Issue Test (DIT; rest, 1979) وكان متوسط الدرجات الذى تمت ملاحظته لدى أطفال التاسعة والعاشرة قريباً من المرحلة الارتقائية الثانية (التسامح المشروط أو التعويضى)، فيرغب هؤلاء المشاركون - فى المتوسط - فى أن ينظروا للتسامح على أنه ممكن أن يحدث فقط فى ظل شرطين هما: عودة ما فُقد، أو تعويض الفرد على نحو ملائم عن ما تم فقده، وتنسجم هذه المرحلة مع المرحلة التى أطلق عليها إينريت "ما قبل التسامح".

جدول (٦-١)
يوضح مراحل العدل ومراحل ارتقاء التسامح

مراحل العدل	مراحل التسامح المقابلة لها	أمثلة للأسئلة التى تقيس التسامح فى كل مرحلة
التبعية الأخلاقية: أعتقد أن العدل ينبغى أن يُقرر من خلال الحكومات.	**المرحلة الأولى** **التسامح ذو النزعة الانتقامية:** أستطيع أن أسامح الشخص الذى أخطأ فى حقى، فقط إذا أمكننى إيذاءه إيذاءً مماثلاً للأذى الذى ألحقه بى.	إذا انتقم هاينز من الصيدلى من خلال تسببه فى فقد عمله.. فهل هذا السلوك الانتقامى يجعل هاينز أقل حزناً مما هو الآن؟
الفردية: لدىّ فهم للتبادلية يحدد العدل بالنسبة لى على أنه: إذا ساعدتنى فيجب علىّ أن أساعدك.	**المرحلة الثانية** **التسامح المشروط أو التعويضى:** إذا استطعت استعادة كل ما سُلب منى عندئذ يمكننى أن أسامح.	افرض أن الصيدلي أعطى هاينز مبلغاً من المال من قبيل التعويض..فهل هذا يجعل هاينز أفضل؟ وهل يساعده ذلك على التسامح؟
التوقعات الشخصية المتبادلة: أنا مقتنع أن الاتفاق الجماعى هو الذى يحدد ما يعد صوابًا وما يعد خطأً.	**المرحلة الثالثة** التسامح المتوقع: يمكننى أن أسامح إذا مارس الآخرون ضغطًا علىّ لكى أسامح..فأنا أسامح لأن الآخرين يتوقعون منى ذلك.	افرض أن أصدقاء هاينز جاءوا لرؤيته وقالوا له "نريدك أن تكون صديقًا لهذا الصيدلى". فهل توقف هذه الصداقة حزن هاينز وغضبه، وتجعله يحب الصيدلى؟

النسق الاجتماعى والالتزام: القوانين الاجتماعية هى سبيلى إلى العدل، أنا أؤيد أن تكون القوانين خاضعة لنظم المجتمع.	المرحلة الرابعة التسامح القانونى المتوقع: أنا أسامح لأن فلسفتى فى الحياة أو تعاليم دينى تحثنى على ذلك.	افرض أن هاينز رجل متدين، وقد أوضح القس له أنه ينبغى عليه بوصفه رجلاً متديِّنًا ألا يظل غاضبًا من الصيدلى على هذا النحو..فهل هذا يساعده على أن يتسامح؟
العقد الاجتماعى: أنا مدرك أن الناس تؤيد عديدًا من الآراء، وينبغى على الفرد عادة أن يؤيد قيم جماعته وقوانينها، ويجب عليه أن يؤيد بعض القيم الأخرى التى قد لا تتناسب مع قيم جماعته، وذلك بغض النظر عن إجماع الآراء عليها.	المرحلة الخامسة التسامح بوصفه تناغما اجتماعياً: أنا أسامح لكى أستعيد التناغم أو العلاقات الطيبة مع الآخرين فى المجتمع. فالتسامح هو السبيل للحفاظ على العلاقات الآمنة.	إذا تسامح أى شخص غاضب مثل هاينز فهل هناك فوائد ستتحقق له؟

المبادىء الأخلاقية العامة: فهمي للعدل مبني على الحفاظ على الحقوق الفردية لكل الأشخاص، إن الناس أنفسهم غاية في حد ذاتها، وينبغي التعامل معهم على هذا الأساس.	المرحلة السادسة التسامح بوصفه حباً: أنا أسامح لأن التسامح يعزز الإحساس الحقيقي بالحب، ونظرًا لأنه ينبغي عليّ أن أهتم بصدق بكل إنسان، لذا فإن إساءتها لي لم تُغير من إحساسي بهذا الحب. مثل هذه العلاقات تزيد من احتمالية حدوث تصالح بين طرفي العلاقة: المُسيء والمُساء إليه، وتغلَق الباب أمام الانتقام	افرض أن هاينز لم يعد يحمل أية مشاعر قاسية تجاه الصيدلي، وأنه أصبح يحبه، فهل يخفي الصيدلي دواءً آخر إذا مرض هاينز الآن؟، وهل يسامحه هاينز؟

واقترب متوسط الدرجات التي تمت ملاحظتها لدى المشاركين البالغين خمس عشرة سنة، وست عشرة سنة، من المرحلة الثالثة (مرحلة التسامح المتوقع)، وهذا يعني أن المراهقين الصغار يرون أن التسامح يمكن أن يحدث نتيجة للاتجاهات الإيجابية التي يعبر عنها الآخرون المقربون للفرد المُساء إليه، لدفعه للتسامح حتى إذا لم يستعد ما فقده من المُسيء.(بالنسبة للمشاركين في سن الثانية عشرة، والثالثة عشرة كانت متوسطات درجاتهم واقعة بين المرحلتين الثانية والثالثة)؛ أخيرًا كانت متوسطات درجات الطلاب الجامعيين والراشدين قريبة من المرحلة الرابعة؛ وهذا يعني أن الراشدين في مرحلة الرشد الأصغر والأوسط يرون أن التسامح يمكن أن يحدث نتيجة للاتجاهات الفلسفية أو الدينية، ودون أي تدخل من الأهل أو الأصدقاء، وحتى إذا لم يحدث أي تعويض للفرد وقليل من الأفراد يمكن تصنيفهم في المرحلة السادسة، مرحلة التسامح بوصفه حبًا (سبعة راشدين، على الأقل لكل مشكلة).

وقد لوحظ وجود فروق فردية جوهرية بين الأفراد داخل كـل مجموعـة عمرية، وبلغ متوسط الانحراف المعيارى داخل المجموعات العمريـة (٠,٧٠)، وهذا يعنى أن درجات ما يقرب من ٤٠% من المشاركين فـى كـل مـستوى عمرى أدنى أو أقل من مـستوى التـسامح الـشكلى modal forgiveness level، ولم تُلاحظ أية فروق بين الجنسين، وكان الارتباط بـين العمـر ومـستوى التسامح قويًا (يقرب من ٠,٧٠)، وكان الارتباط بين الدرجات على اختبـار القضية المحددة (DIT)، ومستوى التسامح منخفضًا (يقرب من ٠,٥٠)، وتكرر نمط النتائج التى حصل عليها إينريت فى أمريكيا فيما بعد على عينات مـن تـايوان (Huang,1990,quoted in Enright et al.,1992) وكوريـا، باسـتخدام مشكلات مستمدة من الحياة اليومية بالاضافة إلى المشكلات الموجـودة فـى اختبار القضية المحددة (DIT) (Park&Enright,1997).

التسامح فى مرحلة المراهقة المتأخرة والرشد الأوسط :

لم يكن أسلوب المشكلات هو الأسلوب الفنى الوحيد الذى اسـتخدمه إينريت ومجموعته فى دراسة ارتقـاء التـسامح ، فاسـتخدم سـوبكوفياك Subkoviak وآخرون بطارية إينريت للتسامح (EFI) لقياس ارتقاء التسامح من مرحلة المراهقة إلى الرشد الأوسط، وتحتوى بطارية إينريت على ثلاثمائـة وستين بندًا مقسمة بالتساوى بواقع ستين بندًا فى كل مجال مـن المجـالات الخمسة التالية:

١- غياب المشاعر السلبية تجاه المُسىء.

٢- ظهور المشاعر الإيجابية تجاه المُسىء.

٣- غياب الأفكار السلبية تجاه المُسيء.

٤- ظهور الأفكار الإيجابية تجاه المُسيء.

٥- غياب السلوك السلبى تجاه المُسيء.

٦- ظهور السلوك الإيجابى تجاه المُسيء.

ويشير المظهران الأخيران إلى التصالح (٦) والتسامح (٥). ومن أمثلة العبارات التى ترتبط بالوجدان والمعرفة والسلوك، البنود الآتية:

١- أشعر بالغضب من الشخص الذى أساء إلىّ.

٢- أعتقد أنه إنسان مزعج (أو أنها إنسانة مزعجة).

٣- أُظهر أو سأُظهر صداقتى للشخص الذى أساء إلىّ.

وقد أُجريت الدراسة على مشاركين من الطلاب الجامعيين (متوسط أعمارهم ١, ٢٢) وآبائهم من نفس النوع (متوسط أعمارهم ٦, ٤٩)، وطُلب من المشاركين أن يفكروا فى أحدث خبرة إساءة تعرضوا لها من قبل شخص ما وجه إساءة عميقة وجائرة لهم، بعد ذلك طُلب منهم أن يصفوا مشاعرهم وأفكارهم وسلوكياتهم تجاه هذا الشخص الذى أساء إليهم، وذلك باستخدام بطارية التسامح لإينريت.

وأسفرت النتائج عن أن الدرجات الكلية للراشدين كانت أعلى بدرجة بسيطة، ولكنها دالة من درجات المراهقين (٢٩٣ للراشدين مقابل ٢٧٣ للمراهقين على ستين(٦٠) بندًا من البنود الكلية للمقياس وعددها ثلاثمائة وستين (٣٦٠) بندًا، وذلك عن مستوى دلالة <٠٠٨,)، وأسفرت الدراسة عن نتيجة أخرى مهمة، تمثلت فى وجود ارتباط بين درجات المراهقين وآبائهم، وذلك إذا كانت درجة الإيذاء التى عبر عنها المراهقون وآباؤهم متشابهة، فمن بين واحد

وعشرين زوجًا من الأبناء والآباء الذين عبروا عن تعرضهم لخبرة إيذاء عميقة، كان معامل الارتباط بين درجات الآباء والأبناء على مقياس إينريت للتسامح (٠,٥٤)، ويوحى هذا الارتباط المرتفع أن الآباء وأبناءهم يميلون إلى التسامح بدرجات متشابهة على الأقل فى حالة الإساءات العميقة.

نظرية تكامل المعلومات :

كل الدراسات التى ذكرناها هنا اهتمت بمشكلة أساسية هى: كيف تتكامل المحددات المتعددة لتصيغ قرارًا إجماليًا بالتسامح؟ . أوضحت البحوث التى عرضناها من قبل أن الأفراد عندما تصدر قرارًا بالتسامح، فإنها تأخذ فى اعتبارها أنواعًا عديدة من المعلومات، ولكن لم تهتم أى من هذه البحوث بالكشف عن القواعد التى تحكم هذا التكامل الذى يحدث بين هذه المعلومات المتعددة.

أول الفروض التى نصوغها للإجابة عن السؤال السابق مؤداها: أن الأفراد تستخدم قانون الترتيب a configural rule، حيث يعتمد تأثير جزء من المعلومات على الأجزاء الأخرى من المعلومات المرتبطة بها، وبناءً على ذلك تتغير قيمة كل معلومة اعتمادًا على التغير الذى يحدث فى المعلومات الأخرى المرتبطة بها، فعلى سبيل المثال قد يُدرك السلوك المؤذى على أنه أقل إيذاءً (حدوث تغير فى قيمة فعل الإساءة)، إذا عبر المسىء عن ندمه أو بذل بعض الجهد للتكفير عن ذنبه(تغير فى معلومة أخرى مرتبطة بفعل الإساءة ألا وهى تغير سلوكيات المُسىء) فهنا تغيرت القيمة المُدركة لفعل الإساءة بناءً على تغير قيمة معلومة أخرى وهى سلوك المُسىء، فوفقًا لقانون الترتيب تعتمد استجابة الفرد لأى مجموعة من المعلومات على العلاقات التى تربط هذه المعلومات ببعضها، وترتيب كل مجموعة من هذه المجموعات

داخل النسق الذى تنتظم فى إطاره، وفى أقصى المتصل يوجد قانون التجميع additive rule ؛ حيث تكون لكل معلومة قيمة ثابتة، بغض النظر عن المعلومات الأخرى المرتبطة بها، فالشخص يصدر قرارًا بالتسامح من خلال تجميع قيم منفصلة بعضها إلى بعض على نحو بسيط، ففى المثال السابق يُدرك السلوك المؤذى على أنه أقل إيذاءً، لأن إبداء الندم له قيمة، وهذه القيمة ثابتة لا تتغير، يضاف إليها قيمة ثابتة أخرى هى قيمة التكفير عن الذنب من قبل المُسىء، وهكذا فتغير إدراك المُسىء لفعل الإساءة هو محصلة مجموع عدد من المعلومات التى يحدث تكامل فيما بينها.

كيف يمكن التمييز بين هذين القانونين؟

طُورت طريقة لتحديد القانون الذى يحكم اتخاذ قرار بالتسامح فى ضوء إحداث تكامل بين المعلومات المقدمة للمُساء إليه، وذلك من خلال نظرية تكامل المعلومات (Anderson,1996) والهدف الأساسى لنظرية تكامل المعلومات التى قدمها أندرسون، هو تحديد القوانين النفسية المعرفية التى تحكم معالجة المعلومات، وإحداث تكامل بين المنبهات المتعددة، وبهذا نصف العلاقات بين قيم المنبهات التى تُعرض على المبحوثين (وهى هنا نية المسىء أن يؤذى، إبداء الاعتذار عما بدر منه) والأحكام التالية (وهى هنا ميل المُساء إليه لأن يتسامح) وصفًا دقيقًا.فالتكامل هو العملية التى تتجمع من خلالها المعلومات فى صورة قرار (القرار بالتسامح)، فعملية التكامل يمكن وصفها عادةً من خلال العمليات الجبرية (حاصل جمع، حساب المتوسط)، وتعد نظرية تكامل المعلومات لأندرسون أداة مفيدة للباحثين المعنيين بدراسة بناء العملية التى يتم من خلالها تجميع مجموعة من المعلومات، وصياغتها

فى صورة قرار فردى، فقد طُبقت بنجاح فى مجالات عديدة.. فمجالات متباينة كاتخاذ قرار بتوجيه اللوم للآخر (Przygodsky&Muulet,1997) واتخاذ قرار بإقامة العدل (Anderson,1997) واتخاذ قرار بالتنعم (Munoz Sastre, 1999) كلها كانت محور اهتمام عدد كبير من الدراسات، التى عُنيت باستكشاف القواعد التى تحكم معالجة المعلومات المستخدمة من قبل أفراد من مختلف الأعمار (الأطفال، والمراهقون وكبار السن)، وكذلك استكشاف كيفية تغير هذه القوانين مع الارتقاء والنضج.

وقدمت نظرية أندرسون الوظيفية للمعرفة للباحثين عددًا من أساليب الرسم البيانى لتحليل هذا النمط من المعلومات، وقد استخدمت هذه الأساليب بوجه عام لوصف المظاهر الرئيسة لعملية تكامل المعلومات بأسلوب مبسط، ولتوضيح كيف يحدث تكامل بين المعلومات فى ظل القانونين السابقين وهما قانون الترتيب وقانون التجميع، واتخاذ الفرد فى النهاية قرارًا بالتسامح نسوق المثال الآتي:

افرض أن المشاركين قُدم لهم نوعان من المعلومات (يتعلق النوع الأول بتوفر عنصر القصدية لدى المُسيء عند ارتكابه فعل الإساءة فى مقابل غياب هذا العنصر، ويتعلق العنصر الثانى بإبداء المسيء الاعتذار فى مقابل عدم إبدائه)، وطُلب منهم أن يُصدروا قرارًا بالتسامح.

ويوضح الرسم البيانى الأيسر من شكل (٦-١) نمط البيانات التجميعة (التى حدث تكامل لها من خلال قانون التجميع)، وكما هو واضح من الشكل؛ يمثل المحور(y) الميل المفترض لإصدار قرارات بالتسامح، ويمثل المحور

(x)إبداء الاعتذار من قبل المسيء، ويمثل كل خط بيانى درجة القصدية فى السلوك المُسيء، وتمثل المسافة الفاصلة بين الخط تأثير عامل القصدية، ويُمثل انحدار الخط البيانى تأثير إبداء الاعتذار، ونلاحظ فى هذا الشكل أن الخطين ينحدران انحدارًا شديدًا، ويعنى هذا تأثر القرارات الخاصة بالتسامح بالمعلومات الخاصة بإبداء المُسيء للاعتذار فى مقابل عدم إبدائه، كما أن الخطين منفصلان عن بعضهما بعضًا بشكل واضح، ويعكس هذا تأثير المعلومات الخاصة بقصدية فعل الإساءة، وأخيرًا نلاحظ أن الخطين متوازيان، وهذا يبرز أنه فى حالة اتخاذ قرارات إجمالية بالتسامح تُجمع المعلومات الخاصة بإبداء الاعتذار من قبل المُسيء، والمعلومات الخاصة بقصدية فعل الإساءة على نحو تجميعى (وفقاً لقانون التجميع).

ولتوضيح ذلك افترض أن لكل عامل من العوامل السابقة شكلين موجود وغيرموجود، ففيما يتعلق بقصدية فعل الإساءة فلها قيمتان (٤) إذا كان الفعل مقصودًا، و(١) إذا كان غير مقصود، وفيما يتعلق بإبداء الاعتذار؛ فله قيمتان أيضًا (٤)إذا أبدى المُسيء الاعتذار، و(٠) إذا لم يُبْدِ الاعتذار، ويكون لدينا أربع استجابات (تمثل الميل للتسامح) بناءً على تجميع المستويات الأربعة المحتملة لإبداء الاعتذار، وقصدية فعل الإساءة، وهى على النحو الآتي :

عدم قصدية فعل الإساءة (١) + عدم إبداء الاعتذار (٠) = (١) الميل للتسامح.

عدم قصدية فعل الإساءة (١) + (٤) إبداء الاعتذار= (٥) الميل للتسامح.

قصدية فعل الإساءة (٤)+ (٠) عـدم إبـداء الاعتـذار= (٤) الميـل للتسامح.

قصدية فعل الإساءة (٤)+ (٤) إبداء الاعتذار= (٨) الميل للتسامح.

وكما نرى فى شكل (٦-١) يوضح الموقع العاملى للقيم الأربع علـى المنحنى البيانى حدوث توازى دقيق للخطـين البيـانيين، ويتنبـأ النمـوذج التجميعى بتوازى الخطين. فعدم التوازى يستبعد الفرض التجميعى.

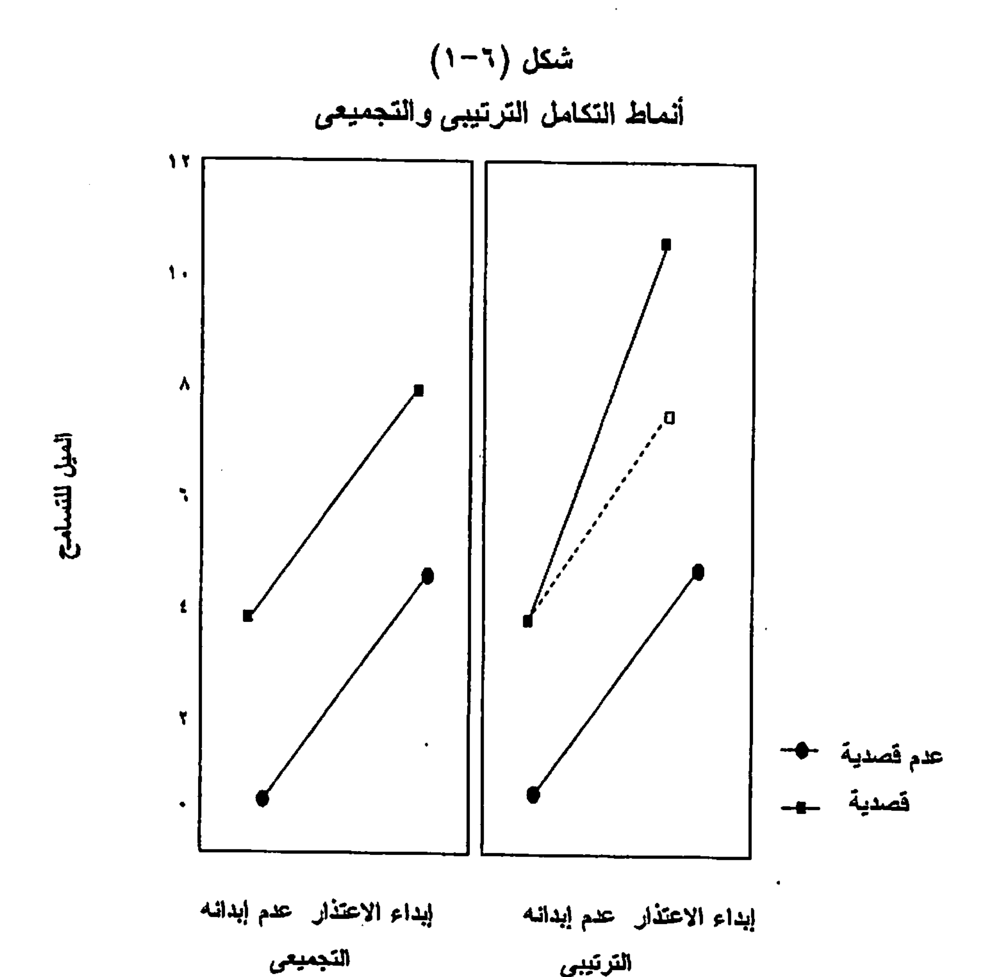
ويوضح الرسم البيانى الأيمن(٦-١) نمط المعلومات التى حدث تكامل لها وفقًا لقانون الترتيب، ونلاحظ من خلال تأمل الرسم أن الخط الأعلى أكثر انحدارًا من الخط الأسفل، كما أن الخطين متباعدان، وهما يتباعـدان كلمـا اتجهنا يمينًا، ويكون تأثير المعلومات الخاصة بإبداء الاعتذار أو عدم إبدائـه أكبر فى ظل غياب القصدية عنه فى ظل توفرها، ويوجد ترتيب فى تكامـل المعلومات، ويتنبأ النموذج القائم على افتراض الترتيـب بعـدم التـوازى، فيستبعد توازى الخطين فرض الترتيب.

وبإلقاء نظرة بسيطة على الشكلين؛ يمكننا أن نرى :

(١) التأثير النسبى لكل جزء من المعلومات التى تدخل ضمن عمليـة اتخاذ القرار.

(٢) الفروق بين المجموعات المتباينة عمريًا (مرحلة الرشـد المبكـر والأوسط ومرحلة الشيخوخة) فى تأثرها بنمط المعلومات المقدمة نفسها.

(٣) نمط القانون المستخدم فـى إحـداث تكامـل بـين المعلومـات المقدمة(تجميعى – ترتيبى).



شكل (٦-١)

أنماط التكامل الترتيبى والتجميعى

الطريقة المستخدمة فى دراسة جيرالد ومولييت:

تكونت عينة دراسة جيرالد ومولييت سنة(١٩٩٧) من مشاركين فى مراحل ارتقائية متباينة هى المراهقة، والرشد الأصغر، والأوسط، والشيخوخة (ن=٢٣٦) وكان منطق تضمين الدراسة هذا المدى العمرى المتسع، كما أوضحه سوبكوفياك وإينريت وآخرون سنة (١٩٩٥)،

هو احتمالية مؤداها: قد تبزغ رغبة الفرد فى أن يتسامح عبر دورة الحياة الكلية للفرد كدالة للنضج والخبرة.

وتكونت المادة المستخدمة من ستين قصة، ومن أمثلة القصص المقدمة القصة التالية :

مارى نويل وجوسيان شقيقتان، وتعملان فى الشركة نفسها، وقد تقدمت جوسيان والتى تعمل بالشركة منذ سنوات طويلة بطلب للترقية، وكانت مارى شقيقتها كثيرة الكلام، وقد أفشت بشكل غير مقصود بعض المعلومات عن الحياة المهنية لجوسيان. سمع رئيس القسم بهذه المعلومات، وبدأ يشك فى كفاءة أداء جوسيان. ولهذا رفض طلبها. شعرت مارى بالأسف لما حدث، وطلبت من جوسيان أن تسامحها، وطلبت منها أقرب صديقاتها والتى تعرف مارى جيدًا أن تسامح شقيقتها، وقد تقدمت بطلب للترقية إلى رئيس آخر للقسم، وحصلت جوسيان على الترقية فى الوقت الحالي، والآن إذا كنت مكان جوسيان فهل تعتقد(أو تعتقدين) أنك ستسامح (أو تسامحين) مارى نويل؟

وكما نرى فى المثال السابق تحتوى كل قصة على ستة(٦) عوامل، تعكس المبررات الخاصة بالتسامح، والظروف التى تجعل التسامح أيسر، وهذه العوامل الستة هى:

(١) درجة القرابة التى تربط المُسيء بالمُساء إليه (أخوه أو أخته مقابل زميله أو زميلته).

(٢) درجة قصدية فعل الإساءة (القصدية الواضحة مقابل عدم القصدية).

(٣) شدة العواقب المترتبة على فعل الإساءة (عواقب خفيفة مقابل عواقب خطيرة).

(٤) إبداء المُسيء الاعتذار أو الأسف عما اقترف من إساءة (إبداء الاعتذار مقابل عدم إبدائه).

(٥) اتجاهات الآخرين فيما يتعلق بتسامح المُساء إليه مع المُسيء (اتجاهات إيجابية مقابل اتجاهات سلبية).

(٦) زوال العواقب المترتبة على فعل الإساءة (مازال تأثير العواقب على الضحية مستمرًا مقابل زوال تأثيرها فى الوقت الراهن).

وقد نُظمت الأربع والستون قصة من خلال التقاطع العمودى للعوامل الستة على النحو التالى: ٢x ٢x٢x٢x٢x٢=٦٤ ويلى كل قصة مقياس تقدير مكون من اثنتى عشرة نقطة، حيث تتراوح الاستجابات من "الرفض التام" على اليسار إلى "القبول التام " على اليمين، وتم اختبار المشاركين فرديًا فى منازلهم (وفى المدرسة بالنسبة لبعض المشاركين الأصغر عمرًا)، وحُولت التقديرات التى قدمها المشاركون فى المرحلة التجريبية إلى قيم رقمية، وهى تعكس المسافة الفاصلة بين النقطة التى اختارها المشارك على المتصل ونقطة الارتكاز الأيسر، والتى تمثل نقطة البداية على المتصل، وقد أسفرت الدراسة عن ثلاث نتائج أساسية وهى:

(١) التوجهات العمرية:

كان المسنون أكثر تسامحًا وعلى نحو واضح، وذلك بالمقارنة بالمراهقين والراشدين الأصغر عمرًا، فاقترب متوسط درجات المراهقين من

(٥,٨٠)، وبلغ متوسط درجات المشاركين فى مرحلة الرشد الأوسط (٦٫٦٠) وبالنسبة للمسنين كان (٧,٩٠) وكان الفرق دالاً (أكثر من نقطتين على مقياس التقدير المكون من اثنتى عشر نقطة، بدرجة ثقة أعلى من ٠٠٠٢,)، وتتسق هذه النتيجة مع نتائج دراسة إينريت Enright وآخرين التـــى أجريـــت سـنة (١٩٨٩) ودراســـة ســـوبكوفياك Subkoviak وآخـــرين التـــى أجريـــت سنة (١٩٩٣).

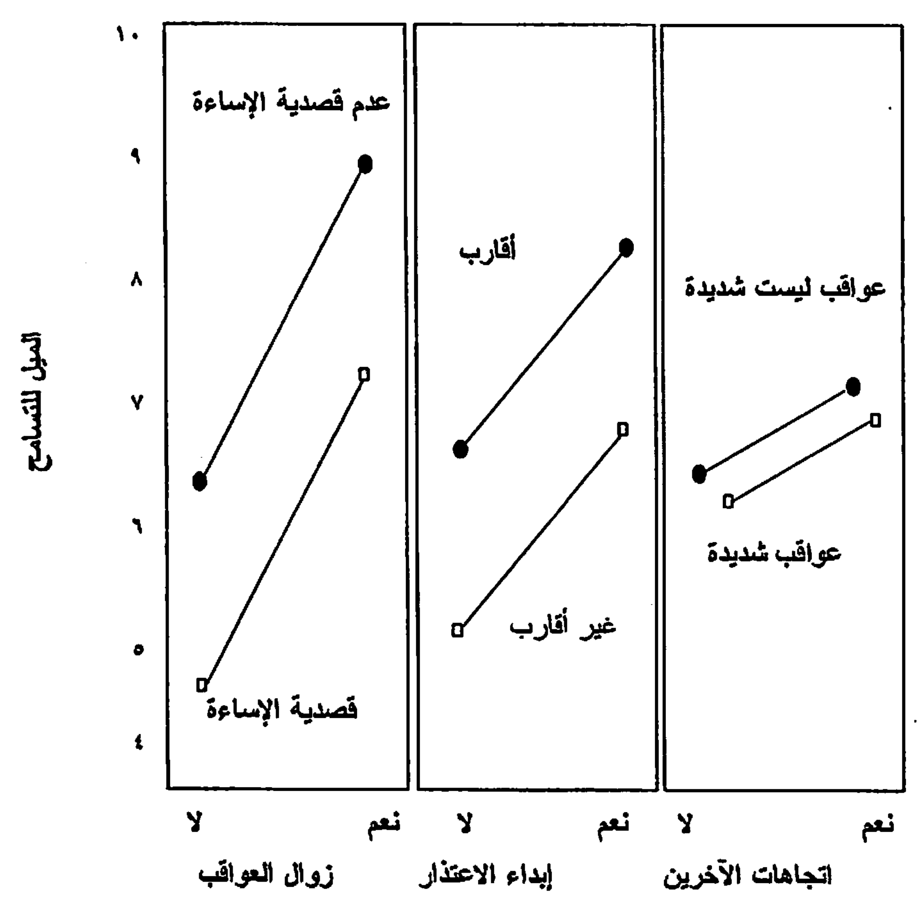
تأثير المتغيرات:

وكما هو واضح من الشكل (٦-٢) كان للمتغيرات الأربعـــة موضـــع الاهتمام تأثيرٌ قوىٌّ، وهى زوال العواقب المترتبة على الإساءة، وقصدية فعل الإساءة، وإبداء الاعتذار، ودرجة القرابة التى تربط المُساء إليه بالمُـسيء، ففى الرسم الأيسر من الشكل (٦-٢)، حيث يُظهِر المنحنيان التسامح وفقًـــا لمتغير قصدية فعل الإساءة مقابل عدم قصديته، وتُظهر المسافة الرأسية بين المنحنيين أن قصدية فعل الإساءة كانت محددًا أساسيًا من محددات التسامح، وكان لمتغير زوال العواقب المترتبة على فعل الإساءة تأثير أقوى، ويُقـــاس من خلال انحدار الخطين.

ويُظهر المنحنيانِ فى الرسم الأوسط من شكل (٦-٢) التسامح للأقارب مقابل غير الأقارب، وتُظهر المسافة الرأسية بين الرسمين أن متغير قصدية فعل الإساءة كان أيضًا متغيرًا أساسيًا للتسامح مع الأقارب وغير الأقـــارب، وكان لإبداء الاعتذار تأثير مكافىء لتأثير قصدية فعل الإساءة، ويُقاس مـــن خلال انحدار المنحيين، وتتسق النتيجة الخاصة بعامل إبداء الاعتـــذار مـــع النتائج التى توصل إليها ديربى Darby وشلينكر Schleker (١٩٨٢).

شكل (٦-٢)

تأثير كل عامل من العوامل الستة على الميل للتسامح فى دراسة جيرارد Girard وموليت Mullet التى أجريت سنة (١٩٩٧) (العينة الكلية)



أخيراً؛ يُظهر الخطان البيانيان فى الرسم الأيمن من شكل (٦-٢) الميل للتسامح فى ظل عواقب شديدة مترتبة على فعل الإساءة وفى ظل انتفاء وجودها، ويُظهر تناقص المسافة الرأسية بين الخطين البيانيين أن متغير شدة العوقب المترتبة على فعل الإساءة لم يكن محددًا أساسياً للتسامح، وكما هو

واضح من انحدار الخطين البيانيين، لم يكن متغير اتجاهات الآخرين من أكثر المحددات الأساسية للتسامح.

وأسفرت الدراسة عن وجود تباينات بسيطة مع انتقالنا من مرحلة المراهقة إلى مرحلة الرشد، فيما يتعلق بتأثير بعض العوامل الستة وذلك على النحو التالى:

(١) ظهر تأثير عامل "اتجاهات الآخرين" على المراهقين فقط.

(٢) كان تأثير عامل "القرابة" أكبر على المراهقين، وذلك بالمقارنة بالراشدين والمسنين

(٣) كان تأثير عامل "إبداء الاعتذار" أكبر على المراهقين والراشدين وذلك بالمقارنة بالمسنين.

وتتسق هذه الملاحظات الثلاث مع النتائج التى توصل إليها إينريت وآخرون سنة (١٩٨٩).

التجمعات العنقودية الخاصة بالفروق العمرية

تمت معالجة البيانات الخام باستخدام أسلوب تحليل التجمعات العنقودية a cluster analysis (الارتباط الكامل)، وأسفر عن ظهور ثمانية تجمعات عنقودية على الأقل، وأطلق على التجمع العنقودى الأول " التسامح الدائم "، ويتألف هذا التجمع العنقودى من المسنين، والراشدين الذين تراوحت أعمارهم من خمس وعشرين سنة وحتى تسع وثلاثين سنة (ن=٣٣). بالنسبة لهؤلاء المشاركين لم يؤد تقديم المعلومات إلى أى اختلاف فى استجاباتهم، وكان متوسط استجاباتهم دائمًا قريبًا من الحد الأعلى، فأوضح المشاركون

فى كل قصة أنهم سيتسامحون بغض النظر عن الظروف الخاصة بالمُسىء (قصد فعل الإساءة أو لم يقصد، تربطه درجة قرابة بالمُساء إليه أو غريب عنه، اعتذر أو لم يعتذر...إلخ)، وبعد الانتهاء من التجربة طُلب من كل مشارك أن يعبر عن فلسفته الخاصة فى التسامح، فتبين أن جميع المشاركين مصرون دائمًا على أن التسامح أفضل من أن يظلوا ممتعضين، ومع ذلك أوضحوا أنهم مهتمون جدًا بالتجربة، على الرغم من أنهم يستجيبون دائمًا بالطريقة نفسها (التسامح الدائم)، ومبرر اهتمامهم هذا هو أن التجربة سمحت لهم -بمدى محدد- أن يختبروا فلسفتهم الخاصة فى التسامح.

وأُطلق على التجمع العنقودى الثانى (٢) " عدم التسامح الدائم تقريبًا " ويتألف هذا التجمع العنقودى بشكل أساسى من مشاركين فى مرحلتى الرشد الأصغر والأوسط (ن=١١)، واقترب متوسط هؤلاء المشاركين من الحد الأدنى، والمعلومات الوحيدة التى تُحدث تغيرًا فى استجاباتهم تجاه المُسىء هى المعلومات المتعلقة بقصدية فعل الإساءة، ومع ذلك كان تأثير هذا العامل ضعيفًا جدًا. وعبر المشاركون عن فلسفة تُغاير تمامًا الفلسفة التى عبر عنها المشاركون بالتجمع العنقودى الأول.

واتسمت التجمعات العنقودية الستة(٦) المتبقية بسيادة التأثير النسبى لعامل أو أكثر من عامل، من العوامل الستة فى الميل للتسامح، ويقدم الشكلان (٦-٣)، و(٦-٤) مزيدًا من المعلومات عن أربعة تجمعات من التجمعات العنقودية الستة وأُطلق على أحد هذه التجمعات العنقودية:**التوافق الاجتماعى-زوال العواقب-قصدية الإساءة-إبداء الاعتذار** (ن=٦٥)، وهذا التجمع يمثله الرسم البيانى الموجود بالجزء العلوى فى شكل (٦-٣)، فإذا نظرنا إلى الرسم البيانى الأيسر، فسنلاحظ أن الخطين البيانيين يُظهران الميل للتسامح فى ظل قصدية فعل الإساءة، وفى ظل عدم القصدية، وتُظهر

المسافة الرأسية بين الخطين البيانيين أن متغير قصدية فعل الإساءة كان محددًا أساسيًا للتسامح، وكان لمتغير زوال العواقب السلبية المترتبة على فعل الإساءة تأثيرٌ مكافئٌ تقريباً لتأثير متغير القصدية، وقد قيس تأثير هذا المتغير من خلال انحدار الخطين البيانيين، ويُلاحظ المتأمل للرسم الأوسط أن الخطين البيانيين يظهران الميل للتسامح للأقارب وغير الأقارب، وتُظهر المسافة الرأسية بين الخطين أن متغير قصدية فعل الإساءة كان محددًا أساسيًا للتسامح، وكان لمتغير إبداء الاعتذار تأثير أقل، وقيس تأثيره من خلال انحدار الخطين، ويُظهر الخطان البيانيان فى الرسم الأيمن التسامح فى ظل العواقب الشديدة، وفى ظل انتفاء وجودها، ويُلاحظ المتأمل للرسم الأيمن أن الخطين أفقيان ويميلان للاندماج، ويعنى هذا أن متغيرى شدة العواقب المترتبة على الإساءة واتجاهات الآخرين المقربين للمُساء إليه لم يكونا من المحددات الأساسية للتسامح، وكان للمتغيرات الأربعة التى ذُكرت فى اسم هذا التجمع العنقودى تأثيرٌ قويٌ فى الميل للتسامح.(هذه المتغيرات الأربعة (٤)هى التوافق الاجتماعى، وزوال العواقب المترتبة على فعل الإساءة، وقصدية فعل الإساءة، وإبداء الاعتذار).

وأُطلق على تجمع عنقودى آخرمن التجمعات العنقودية الأربعة: زوال العواقب – إبداء الاعتذار – قصدية فعل الإساءة (ن=٤٥)، ويمثل هذا التجمع العنقودى الرسم الموجود بالجزء الأسفل فى شكل (٦–٣)، فيلاحظ المتأمل للرسم البيانى الأيسر أن الخطين البيانيين منفصلان عن بعضهما، وأنهما ينحدران انحدارًا شديدًا، أما الرسم الأوسط فالمسافة الفاصلة بين الخطين البيانيين كانت أقل، وانخفض تأثير عامل القرابة وذلك بالمقارنة بتأثيره فى التجمع العنقودى السابق.

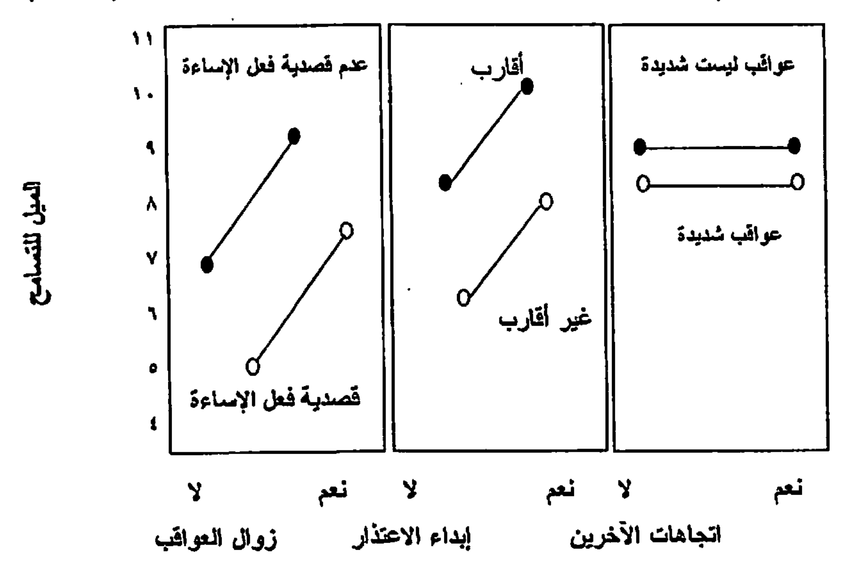
أما التجمع العنقودى الثالث فأُطلق عليه: زوال العواقب – قصدية فعل الإساءة (ن=٢١)، ويمثله الرسم البيانى الموجود بالجزء العلوى فى شكل (٦-٤)، ويلاحظ المتأمل للرسم الأيسر أن الخطين البيانيين منفصلان انفصالاً واضحًا، وأنهما ينحدران بشدة، وفى الرسم الأوسط يختلط الخطان ولاينحدران انحدارًا شديدًا.

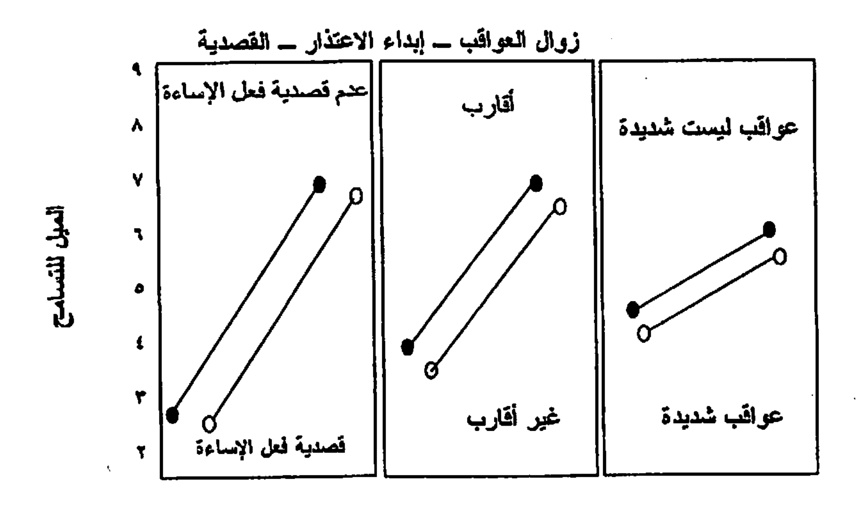
وأخيراً؛ أُطلق على التجمع الرابع قصدية فعل الإساءة- إبداء الاعتذار (ن=١٧) ويمثله الرسم البيانى الموجود بالجزء السفلى فى شكل (٦-٤)، ونلاحظ فى الرسم الأيسر أن الخطين البيانيين منفصلان بوضوح، ولكن انحدارهما ليس انحدارًا شديدًا، ويختلط الخطان البيانيان فى الرسم الأوسط ولكنهما ينحدران انحدارًا شديدًا.

أما التجمعان الخامس والسادس؛ فأُطلق عليهما زوال العواقب – التوافق الاجتماعى (ن=١٥)، وزوال العواقب (ن=١٨)، وقد قدمت ثمانية نصوص سينمائية لاثنين وثلاثين مشاركًا من ثلاثة وثلاثين مشاركًا الذين يمثلون التجمع العنقودى الأول " التسامح دائمًا"، وذلك بعد انقضاء ستة شهور من انتهاء الدراسة الأساسية، وقد تضمنت الستة عوامل السابق الإشارة إليها، ولكن ظلت قيم العوامل الثلاثة التالية ثابتة وهى: درجة القرابة التى تربط المساء إليه بالمسيىء، واتجاهات الآخرين، وشدة العواقب المترتبة على الإساءة، وبناءً على ذلك انخفض ثقل المعلومات المقدمة للمشاركين إلى حد كبير، وقد أكد كل المشاركين (٣٢) أنهم سيتسامحون تسامحًا تامًا فى كل حالة من الحالات الثمانية (٨) التى عُرضت عليهم، وذلك بناءً على مقياس تقدير يختار المشارك فى ضوئه الاستجابة التى تناسبه.

شكل (٦-٣)

تأثير كل عامل من العوامل الستة(٦) على الميل للتسامح فى دراسة جيرارد وموليت التى أجريت سنة (١٩٩٧) (التجمعيين العنقوديين الأساسيين) التناغم الاجتماعى- زوال العواقب - القصدية - إبداء الاعتذار(ن=٦٥)

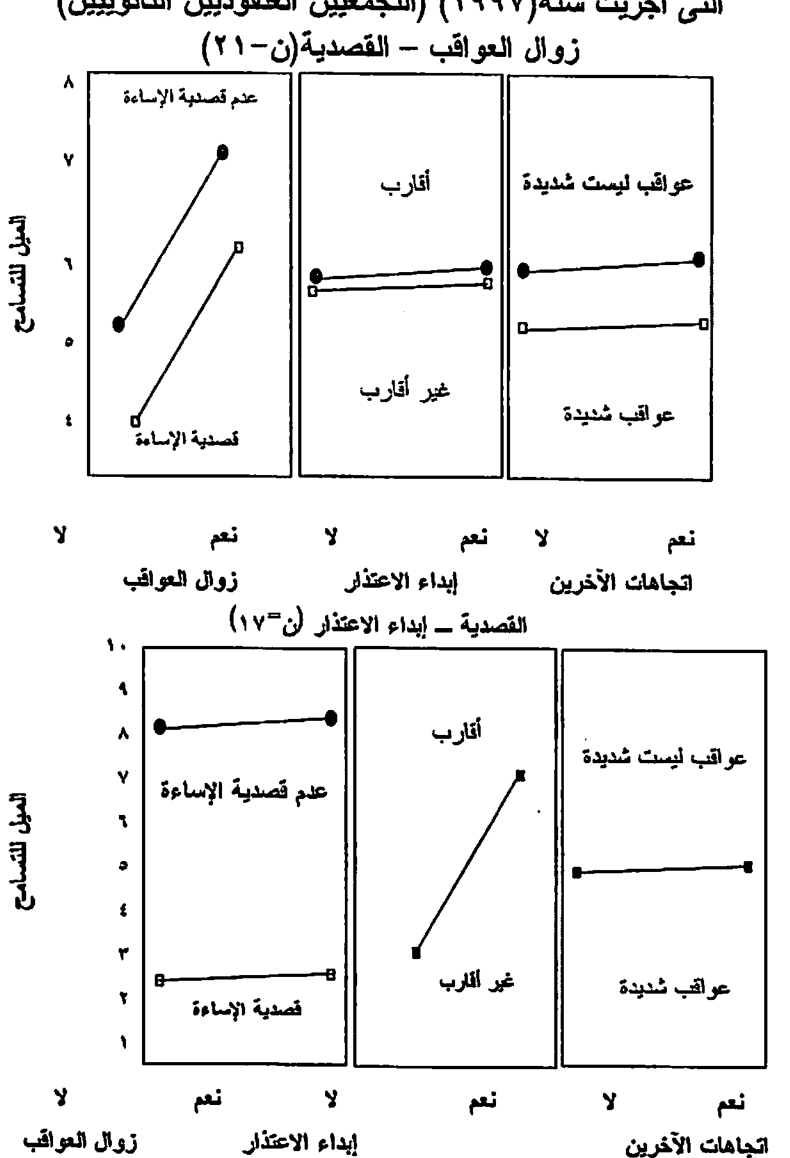




شكل (٦-٤)

تأثير كل عامل من العوامل الستة على الميل للتسامح فى دراسة جيرارد ومولييت التى أجريت سنة(١٩٩٧) (التجمعيين العنقوديين الثانويين)

زوال العواقب – القصدية(ن-٢١)



بناء مخطط التسامح :

اختبرت دراسة جيرارد ومولبت سنة (١٩٩٧) أيضًا بناء مخطط التسامح، والمخطط هو تنظيم معرفى قد ينطبق على مجالات تنبهية أكثر تعقيدًا، أو أقل تعقيدًا (Anderson,1996,p.23). فتؤلف كل قصة فى دراسة جيرارد ومولبت مجالاً تنبيهيًا معقدًا، ويمثل كل تجمع عنقودى من التجمعات السابق الإشارة إليها مخططًا مختلفًا للتسامح (قانون تكامل مختلف)، ويمكننا أن نفترض نوعين من القوانين على الأقل، وهما القوانين التجميعية والقوانين القائمة على الترتيب(انظر شكل ٦-١). فإذا طبقنا القوانين التجميعية على الحالة الخاصة بإصدار قرار بالتسامح فيعنى هذا أن كل عنصر من عناصر المعلومات المقدمة سيمارس تأثيرًا مستقلاً على الاستجابة الناتجة (وهى هنا إصدار قرار بالتسامح)، أما إذا طبقنا القوانين القائمة على الترتيب فهذا يعنى أن كل عنصر من العناصر المؤلفة للمعلومات المقدمة لن يمارس تأثيرًا مستقلاً على الاستجابة الناتجة، فهناك تفاعل بين العناصر.

وتدعم النتائج الخاصة بالعينة الكلية والمعروضة فى شكل (٦-٢)، ونتائج العينات الفرعية والمعروضة فى شكلى (٦-٣) و(٦-٤) أن مخطط التسامح مخطط تجميعى، فالخطوط البيانية فى كل رسم خطوط متوازية أو أقرب إلى التوازى، فالقانون التجميعى دُعم على المستوى العام، وعلى مستوى التجمعات العنقودية، على الرغم من أن الجماعات المختلفة تستخدم قوانين تجميعية مختلفة.

ويتيح لنا تحليل التباين اختبار فاعلية كل من القوانين التجميعية، والقوانين القائمة على الترتيب. فالقانون القائم على الترتيب يعنى أن تحليل تباين التفاعلات ينبغى أن يكون دالاً، وعلى العكس تمامًا سيتنبأ القانون التجميعى بأن التفاعلات يجب ألا تكون دالة.

وقد أسفر تحليل التباين سواء الذى أُجرى على العينة الكلية، أو على التجمعات العنقودية على أن التفاعلات بين درجة القرابة وقصدية فعل الإساءة، أو بين درجة القرابة وقصدية فعل الإساءة وإبداء الاعتذار، أو التفاعلات المتضمنة أكثر من عامل، فإنها كانت جميعًا غير دالة، بالإضافة إلى ذلك فإن التفاعلات ذات المرتبة العليا والمتضمنة عامل العمر أو عامل النوع كانت أيضًا غير دالة.

ويُلاحظ أن مخطط التسامح (التجميعى) لا يتباين كدالة للعمر، أو النوع، أو التجمع العنقودى، وبناء التسامح الذى يناسب الغالبية العظمى من المشاركين يمكن صياغته على النحو التالى :

الميل للتسامح = زوال العواقب السلبية المترتبة على فعل الإساءة + قصدية فعل الإساءة + درجة القرابة التى تربط المُسىء بالمُساء إليه + إبداء الاعتذار.

والصياغة الممكنة التى تصف تكامل المعلومات الذى يقوم به مشاركون آخرون، مع استثناء أولئك الذين لا يقومون بإحداث أى تكامل للمعلومات (المتسامحون دائمًا، والذين لا يتسامحون على الإطلاق)، من المحتمل فقط أن يتباين لدى هؤلاء، وكما هو واضح من الشكلين (٦-٣) و(٦-٤) فإن الغالبية العظمى من المشاركين تقوم بإحداث تكامل لأربعة (٤) أجزاء من المعلومات على الأقل، ولكن بعض المشاركين يحدثون تكاملاً لجزئين أو ثلاثة (٣) أجزاء فقط من المعلومات المقدمة.

حساب المتوسط فى مقابل الجمع:

قامت جيرارد سنة (١٩٩٧) فى درستها الثانية المكملة لدراستها الأولى بإجراء تحليل أكثر تفصيلاً للمخطط الخاص بتوجيه اللوم، وقد

استخدمت فى هذه الدراسة ثلاثة عوامل فقط هى: زوال العواقب السلبية، وقصدية فعل الإساءة، وإبداء الاعتذار، وكان الهدف من إجراء هذه الدراسة الثانية هو التمييز بين القانون القائم على الجمع، والقانون القائم على حساب المتوسط، وينسجم كلا القانونين مع القانون التجميعى السابق الإشارة إليه. قد يبدو التمييز بين هذين القانونين أمر غير ذى قيمة، فكلا القانونين تجميعيان، ويبدو من الوهلة الأولى أنهما متماثلان، ولكن فى الحقيقة لكل منهما تضمينات مختلفة جدًا، فيما يتعلق بتأثير العوامل المختلفة الثلاثة موضع الاهتمام فى كل حالة على الميل للتسامح.

فوفقًا للنموذج القائم على التجميع، فإن تأثير العوامل المختلفة الثلاثة واتجاه تأثيرها يكون ثابتًا لا يتغير، فيشكل إبداء الاعتذار دائمًا عنصرًا إيجابيًا حتى لو اتخذ شكلاً ضعيفًا جدًا، ولتوضيح ذلك نسوق المثال التالى: افرض أن لدينا فردين: الفرد (أ) والفرد (ب)، وقد عبرا عن ميلهما للتسامح تجاه من أساء إليهما، فكان منخفضًا (٢)عند الفرد (أ)، ومرتفعًا(٨) عند الفرد (ب)، وافترض أن المُسيء أبدى اعتذاره إليهما فيما بعد، وأن قيمة التسامح فى ظل الاعتذار هى (٥)، وأن الوزن المبدئى للحالة الأولية وإبداء الاعتذار متساويان، فيمكن تقدير قيمة التسامح النهائية لدى الفردين (أ) و(ب) على النحو التالى :

قيمة التسامح النهائية لدى الفرد (أ) = ٢+٥=٧.

قيمة التسامح النهائية لدى الفرد (ب)=٨+٥=١٣.

ويلاحظ فى كلتا الحالين أن القيمة النهائية للتسامح أعلى من القيمة الأولية.

وفيما يتعلق بالنموذج القائم على حساب المتوسط فيحدث العكس، فكل عامل جديد مرتبط بالمشكلة التى فى متناولنا قد يغير تأثير العوامل السابقة، ويعتمد اتجاه تأثير هذا العامل على قيم المتغيرات السابقة، فيمكن أن يشكل عنصر إبداء الاعتذار عنصرًا إيجابيًا أوسلبيًا، ويعتمد اتجاه هذا التأثير من حيث كونه سلبيًا أو إيجابيًا على المستوى الحالى للميل للتسامح، والشكل الذى تم من خلاله إبداء الاعتذار. فإذا كان المستوى الحالى للميل للتسامح منخفضًا جدًا وكانت القيمة المُفترضة للميل للتسامح فى ظل إبداء الاعتذار متوسطة فإن المستوى الجديد الناتج للميل للتسامح سيتراوح ما بين المنخفض والمتوسط، وهى قيمة تماثل الزيادة النهائية فى الميل للتسامح. أما إذا كان المستوى الحالى للميل للتسامح مرتفعًا وكانت القيمة المُفترضة للميل للتسامح فى ظل إبداء الاعتذار متوسطة فإن المستوى الناتج للميل للتسامح سيتراوح ما بين المتوسط والمرتفع، وبهذا يماثل الانخفاض النهائى فى الميل للتسامح.

ولتوضيح الفكرة السابقة نعود إلى مثالنا السابق، والفردين (أ)، و (ب)، وقد عبرا عن ميلهما للتسامح تجاه من أساء إليهما، فكان منخفضًا(٢) عند الفرد (أ) ومرتفعًا (٨) عند الفرد (ب)، وافترض مرة أخرى أن المسيء أبدى اعتذاره إليهما فيما بعد، وأن قيمة التسامح فى ظل إبداء الاعتذار هى (٥)، وافترض أن الوزن المبدئى للحالة الأولية وإبداء الاعتذار متساويان. فيمكن تقدير القيمة النهائية للميل للتسامح لدى الفردين (أ) و (ب) على النحو التالى:

القيمة النهائية للتسامح لدى الفرد (أ) =٢+٥/٢=٣,٥.

القيمة النهائية للتسامح لدى الفرد (ب)= ٨+٥/٢= ٦,٥

ونلاحظ أن القيمة النهائية للتسامح لدى الفرد (أ) أعلى من القيمة الأولية، بينما تنخفض القيمة النهائية للتسامح عن القيمة الأولية فى حالة الفرد (ب).

إن ملاحظة مثل هذه الآثار غير المتوقعة للعوامل موضع الاهتمـــام لا يعد ظاهرة حديثة، فجدير بالذكر أنه فى بعض الحالات يمكن أن تــؤدى الانطباعات الشخصية التى تنقل معلومات إيجابية عن الفرد إلـــى تخفــيض الجاذبية العامة لهذا الفرد (Anderson,1981).وبالتالى فإن التمييز بين هــذين الشكلين من النماذج التجميعية يكون له تضميناته المهمة عند تقديم توصيات تتعلق باستخدام الأساليب الفنية للتصالح الذى يعقب الفعل السلبى (المُسىء). فإذا كان النموذج القائم على الجمع هو النموذج الفعال فإنه يُنــصح بإبــداء الاعتذارفى كل الحالات لزيادة الميل للتسامح لدى الأفراد المُساء إليهم. أمـــا إذا كان النموذج القائم على حساب المتوسط هو الفعال، فإنه يمكن أن نوصى بإبداء الاعتذار فى ظروف محددة فقط.

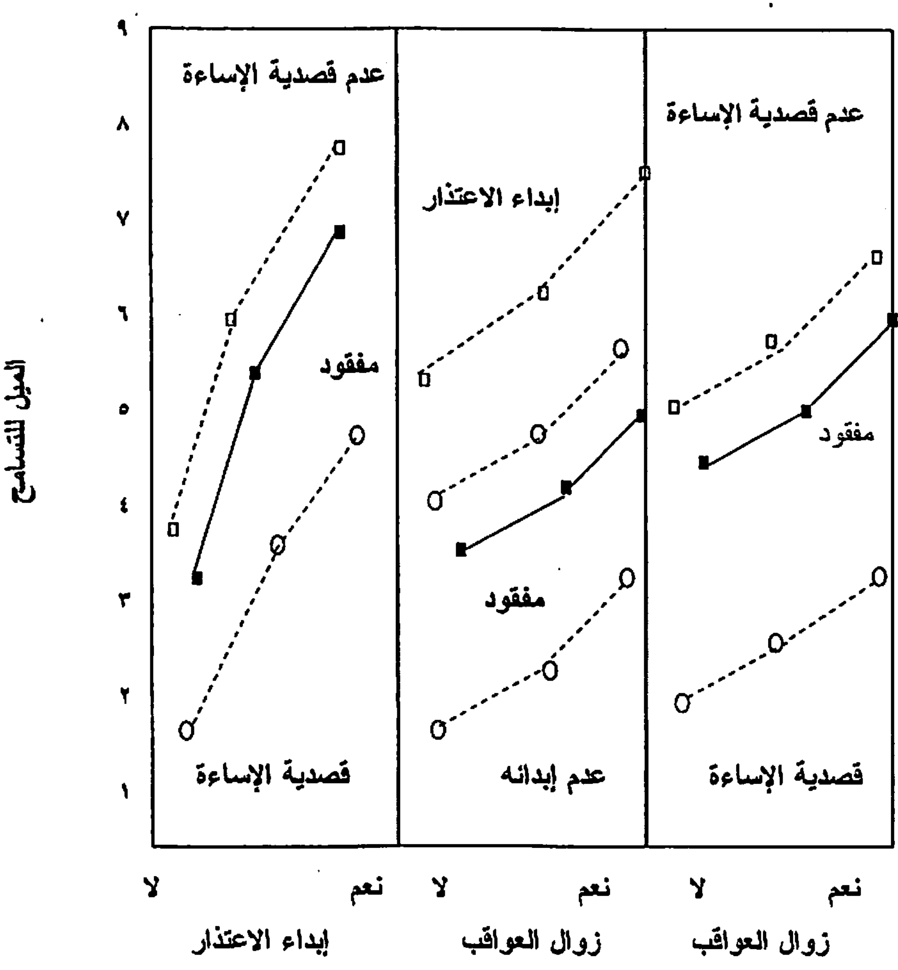
وقد عرضت جيرارد سنة (١٩٩٧) على المشاركين فـــى دراســـتها مجموعة من النصوص السينمائية (السيناريوهات) التى تصف مواقف عديدة تماثل الموقف السابق الذى استخدم فى الدراسة الأساسية، ونصوص عديـــدة تحتوى على عدد أقل من العوامل، فحُذفت المعلومات الخاصة بقصدية فعــل الإساءة فى بعض النصوص، وفى النصوص الأخرى حُــذفت المعلومـــات الخاصة بقصدية فعل الإساءة، أو إبداء الاعتذار، وكان التــصميم الأساســـى للدراسة على النحو التالى: القصدية x إبداء الاعتذارx زوال العواقــب (٢X ٣X٣)، وكان هناك ثلاث تصميمات فرعية: القصدية Xإبداء الاعتــذار (٢ X ٣)، والقصدية x زوال العواقب السلبية (٢X٣)، وإبـــداء الاعتــذار x زوال العواقب (٣X ٣).

يوضح شكل (٦-٥) النتائج الأساسية لهذه الدراسة التكميلية، ففي الجزء الأيسر من الشكل نلاحظ أن المنحنيين المنقطين هما منحيان تصاعديان (تأثير إبداء الاعتذار)، وهما منفصلان على نحو واضح (تأثير قصدية فعل الاساءة)، وهما تقريبًا متوازيان، والانحراف الصغير عن التوازى ليس جوهريًا، ويُدعم هذا النمط من النتائج القانون التجميعي. أما المنحنى غير المنقط فهو المنحنى المحك، وهو يتسق مع القيم التى لوحظت للمستويات الثلاثة لعامل إبداء الاعتذار فى ظل غياب قصدية فعل الإساءة. هذا المنحنى يوازى المنحنيين المنقطين تقريبًا، ولا يتقاطع معهما، وهذا يعنى أن تأثير إبداء الاعتذار (الانحدار) ظل ثابتًا سواء أشارت المعلومات المقدمة إلى قصدية فعل الإساءة أوعدم قصديته، وفى الجزئين الأوسط والأيمن نلاحظ أن المنحنى المحك يوازى المنحنيين الآخرين (المنقطين)، وظل تأثير عامل زوال العواقب السلبية ثابتًا، سواء أشارت المعلومات المقدمة إلى أن المُسيء أبدى اعتذاره أم لم يبد (الجزء الأوسط من الشكل)، وسواء أكانت المعلومات المقدمة تشير إلى قصدية فعل الإساءة أم عدم قصديته (الجزء الأيمن من الشكل).

ويمكن أن تفسر هذه المجموعة من النتائج لتدعيم القانون القائم على التجميع الدقيق، وللحد من هيمنة القانون القائم على حساب المتوسط، فالقانون المعروض للميل للتسامح يأخذ شكل المعادلة التالية:الميل للتسامح = زوال العواقب السلبية + قصدية فعل الإساءة + التوافق الاجتماعى + إبداء الاعتذار، وهذه المعادلة يمكن أن نتعامل معها على أنها ذات أهمية واضحة، فتأثير كل عامل من هذه العوامل واتجاه تأثير كل منها لا يمكن أن يتغير كدالة للظروف المحيطة بالمُسيء.

شكل (٦-٥)

اختبار القانون القائم على التجميع مقابل القانون القائم على حساب المتوسط



كل المنحنيات المنقطة تقريبا متوازية فى كل جزء من أجزاء الشكل الثلاثة (الأيسر والأوسط والأيمن) وتدعم هذه النتائج القانون التجميعى، أما المنحنى غير المنقط فهو المنحنى المحك، وهو يتسق مع القيم التى

تمت ملاحظتها للمستويات الثلاثة (٣) لعامل الميل للتسامح - الذى يمثل على المحور (X)- وذلك فى ظل غياب بعض المعلومات، ونلاحظ أن المنحنى المحك يوازى تقريبًا المنحنيين المنقطين، ولا يتقاطع معهما، وهذا يعنى أن تأثير الميل للتسامح ظل ثابتًا سواء أقدمت كل المعلومات أم لم تقدم.

أوجه قصور الدراسات السابقة والتوجهات المستقبلية :

هناك أوجه قصور عديدة شابت الدراسات التى عرضناها بإيجاز، فالانتقاد الأساسى الذى وجه لبحوث كولبيرج (Begue,1998) ينطبق على بحوث إينريت.

أهم انتقاد وجه إليهما من قبل كثير من الباحثين (Lickona,1991)هو أن المشكلات الأخلاقية التى استخدمها كولبيرج وتبناها إينريت مشكلات تتسم بالتجريد، فالأطفال نادرًا ما يواجهون مشكلة كمشكلة هاينز، ومن المحتمل أنهم قد لا يفهمونها (Walker,Pitts,Hennig,&Matsuba, 1995;Wygant,1997)، ويُقال إن الأطفال الأقل من اثنتى عشرة سنة لا يمكن إجراء دراسة عليهم باستخدام أسلوب المقابلة، ورغم ذلك عندما استخدم بارك Park وإينريت Enright سنة (١٩٩٧) مشكلة مستمدة من الحياة اليومية فى دراستهما التى أجريت على مراهقين، فإنهما حصلا على نمط من النتائج مماثل للنتائج التى حصل عليها إينريت وآخرون فى دراستهم التى أجريت سنة (١٩٨٩).

وهناك انتقاد آخر وُجه لبحوث كولبيرج يتعلق بحقيقة مؤداها أن أسلوبه فى المقابلة أسلوب فعال لدراسة الاستدلال القائم على قواعد، ولكنه ليس فعالاً عند دراسة التفكير والسلوك اللذين نمارسهما فى الحياة اليومية

(Burton,1984)، ففى ظل استخدام هذا الأسلوب الذى يتطلب التعبير اللفظى عن الاتجاهات ومبررات السلوك يظل من الصعب التفرقة بين الارتقاء الأخلاقى (التسامح) وبين مجرد الارتقاء اللغوى للأطفال المشاركين.

أخيرًا؛ من الانتقادات الأخرى التى وُجهت لنموذج لكولبيرج أن نظريته تتسم بخاصية شبه المرحلة، بينما اتسم موقف إينريت بالوسطية (Enright,et al.,1992). وقد عرض إينريت فى مقاله الأخير كل مرحلة من المراحل الست للتسامح (انظر جدول (٦-١) على أنها أساليب مميزة فى التسامح (مراحل رخوةsoft stage)، وافترض أنه من المحتمل أن نقابل كل أسلوب من هذه الأساليب فى كل مستوى عمرى، سواء بمعدل تكرار مرتفع أم منخفض.

أما الانتقاد الأساسى الذى وُجه لدراسة جيرارد ووموليت فهو أنهما درسا نوعًا واحدًا من النصوص السينمائية، وهو نص رئيس القسم. وتتمثل أحد مميزات هذا النص فى أنه نص مستمد من الحياة اليومية، ولكن من الحكمة أيضًا أن تُجمع معلومات متعلقة بمواقف أخرى مستمدة من الحياة اليومية، كالمواقف المحملة وجدانيًا مثل الانفصال، والطلاق، والعدوان البدنى. ومن المثير كذلك أن تُدرس إمكانية التعميم عبر مختلف المواقف، فهل أعضاء الجماعة الذين يتسامحون دائمًا فى المواقف المتعلقة بمشكلات العمل، سيكونون متسامحين دائمًا أيضًا فى مواقف أخرى، كالمواقف المتعلقة بالعلاقات الرومانسية، ويشكلون التجمع العنقودى السابق نفسه " التسامح الدائم؟. فالتجمعات العنقودية المتعددة التى كشفت عنها الدراسة، ستكتسب قيمة أكبر إذا أمكن للمشاركين تعميمها على مواقف أخرى.

وعلى الرغم من أوجه القصور العديدة التى شابت الدراسات التى عرضناها عرضًا تحليليًا، فإن لها عددًا من النتائج المشوقة.

أولاً: يتسم الميل للتسامح بخاصية ارتقائية، ويمتد هذا الارتقاء عبر دورة الحياة الكلية، فالراشدون أكثر احتمالاً أن يتسامحوا عن المراهقين، والمسنون أكثر احتمالاً أن يتسامحوا عن الراشدين الأصغر عمرًا، علاوة على ذلك عبرت نسبة من المسنين عن عزمها أن تتسامح على نحو مستقل عن الظروف المحيطة بالمُسيء (تسامحًا غير مشروط).

ثانياً: يتبع ارتقاء التسامح فى الولايات المتحدة و فى البلدان الآسيوية المسار الارتقائى نفسه.

ثالثاً: تبين أن الميل للتسامح يتأثر بشدة بإبداء الاعتذار وبالاعتراف العلنى بالخطأ – متغيرين معدلين – وبزوال العواقب السلبية المترتبة على فعل الإساءة، ويتسم كل عامل من هذه العوامل بالفاعلية طوال دورة حياة الفرد مع وجود استثناءات قليلة.

رابعاً: أن مخطط التسامح هو مخطط تجميعى حقيقى، فكل عامل من العوامل المؤثرة فى التسامح تضيف تأثيرها إلى تأثير العوامل الأخرى، وهذا التأثير مستقل على نحو كبير عن مستوى تأثير العوامل الأخرى، وبالتالى يعد إبداء التسامح –على سبيل المثال– دائمًا عنصرًا إيجابيًا، وقيمة التسامح فى ظله تظل ثابتة (أى أن قيمة التسامح لن تتغير مثلاً وفقًا للطريقة التى عبر من خلالها المسيء عن اعتذاره، فإبداء الاعتذار هو عنصر إيجابى دائمًا فى تعزيز الميل للتسامح مهما اختلفت أساليب التعبير عنه).

وتعد دراسة العلاقة بين التسامح وتوجيه اللوم من التوجهات المستقبلية الواعدة (Boon&Sulsky,1997;Darby&Schlenker,1982)، والافتراض الواضح الذى يفسر هذه العلاقة هو أن مخطط التسامح أساسًا هو ذاته مخطط توجيه اللوم، فالتسامح عكس توجيه اللوم أو نقيضه، ويُفهم هذا من خلال الكيفية

التى تمارس من خلالها متغيرات مثل إبداء الاعتذار، وتعويض المُساء إليه عما لحق به من أضرار...إلخ تأثيرها، واتجاه هذا التأثير فى كلتا الحالين (Hommers&Anderson,1991). فهناك فرق بينهما، فالتسامح يقتضى ضمنيًا بعض درجات توجيه اللوم وإلا فلن يكون هناك شيءُ نتسامح بشأنه، والحد الفاصل فى هذا التصور هو أن نحصل على أحكام خاصة بالتسامح، وأحكام خاصة بتوجيه اللوم من نفس المشاركين، فقد يفكر المرء فى أنه حتى الأفراد التى تتسامح دائماً قد يكونون قادرين على توجيه اللوم بأسلوب متمايز.

وتعد دراسة التسامح لدى الأفراد والجماعات التى تعرضت للإيذاء العميق فى الصراعات الدولية من التوجهات البحثية الواعدة، فإلى أى مدى يكون الأفراد فى تلك البلدان عازمين على أن يتسامحوا مع الآخرين الذين أساءوا إليهم؟، وما المتغيرات التى يمكن تقديمها لتيسير حدوث التسامح والتصالح بين هؤلاء الأفراد؟، وقد أحرزت بعض الدراسات من هذا النوع تقدمًا فى الوقت الراهن (Enright,Gassin, Longinovic, &Loudon, 1994; Azar ,Mullet,&Vinconneau,1999)

شكر

دُعم هذا العمل من يوبرس فيلسمنت UPRES Vieillissment، وريسمست Rythmicit، وجماعة الارتقاء المعرفى. نحن ممتنون لنورمان أندرسون، وجوليون بارثورب، وويلفريد هومرز، وجينفر مارينبيرج، وميشيل ماكلو، وكين بارجمنت، وكارل ثورسين لتعليقاتهم المتعمقة على المسودات الأولية لهذا الفصل.

المراجع

- Anderson,N.H.(1981).Foundation of information integration theory.New York: Academic Press.

- Anderson,N.H(1996).Afounation theory of cognition. Hillsdale, NJ: Erlbaum.

- Anderson,N.H.(1997).Moral algebra of fairness and unfairness. European Review of Applied Psychology,47,5-15.

- Azar,F.,Mullet,E.,&Vinconneau,G.,(1999). The propensity to forgive: Finding from Lebanon.Journal of Peace Research ,36,169-181.

- Bègue,L.,(1998).De la "cognition morale " à l' ètude des strategies du positionnement moral: Apercu theorique et controverses actuelles enpsychologie morale.Annee Psychologique,98,295-352.

- Boon,S.D.,&Sulsky ,I.M.(1997).Attribution of blame and forgiveness in romantic relationship.Journal of Social Behavior and personality,12,19-44.

- Burton,R.V.(1984).Aparadox in theories and research in moral development ,In W.M.Kurtines& J.I., Gewirtz(Eds.), Morality ,moral behavior and moral development (pp.74-106).New York :Wiley.

- Darby,B.W.,&Schlenker,B.R.(1982).Childern's reaction to apologies. Journal of Personality and Social psychology, 43,742-753.

- Enright ,R.D.(1991). The moral development of forgiveness.In W.Kurtines & J.Gewirtz(Eds.),Handbook of moral behavior and development (Vol.1,pp.123-152). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

- Enright ,R.D.(1994).Piaget on the moral development of forgiveness: Identity or reciprocity ? Human Development ,37,63-80.

Enright,R.D.,Gassin,E.A.,Longinovic,T.,&Loudon,D.(1994,December).forgive ness as a solution to social crisis.Paper presented at the conference ,Moral and Social Crisis at the Institute for Educational Research ,Beograd, Serbia.

- Enright,R.D.,Gassin,E.,A.,&Wu,C.R.(1992).Forgivenes: Adevelopmental re view.Journal of Moral Eduction ,21,99-114.

- Enright,R.D.,Santos , M.J.D.,& Al-Mabuk,R.(1989). The adolescent as forgive.Journal of Adolecence,12,95-110.

- Girard,M.(1997). Le pardon et ses determinants chez les adolescents ,young adults ,old adults,and elderly people.Journal of Adult Development,4,209-220.

- Giradrd,M.,&Mulet,E.(1997).Propensity to forgive in adolescents , young adults, older adults,and elderly people. Journal of Adult Development,4,209-220.

- Hommers,W.,& Anderon ,N.H.(1991).Moral algera of harm and recompense.In N.H. Anderon(Eds.),Contribution to information nitration theory (Vol.11,pp.101-141). Hillsdale, NJ: Erlbaum.

- Huang,ST.(1990).Cross-cultural and real –life validations of the theory of forgiveness in Taiwan , the republic of China.Unpuplihed doctoral dissertation,Univerity of Wiconin, Madion.

- Kohlberg,l.,(1976). Moral stages and moralization: The cognitive – developmental approach.In T.Lickona(Ed.),Moral development and behavior: Theory ,research and ocial isues (pp.31-53).New York: Holt ,Rinehart& Winston.

- Lickona,T.(1991).Moral development in the elementary school classroom. InW.M.Kyrtines&J.L.,Gewirtz(Rds.),Handbook of moral behavior and development (Vol.3,pp.143-161). Hillsdale,NJ:Erlbaum.

- McCullough,M.E.,Worthington,E.L.,Rachal,K..(1997). Tnterpersonal forgiveness in closerelationships.Journal of Personality and Social Psychology,73,321-336.

- Munoz Sastre,M.T.(1999).Peeived determinants of well- being among young adults.mature aduls ,and the elderly people.Social Indicators Research,47,203-231.

- Piaget,J.(1932).Le jugement moral chez L' enfant.Paris:aLcan.

-Park,Y.O.,&Enright,R.D.(1997).The development of forgiveness in the context of adolescent relationship conflict in Korea. Journal of Adolescence,20,393-402.

- Przygotzki,N.,&Mullet,E.(1997).Moral judgment and aging.European Review of Applied Psychology ,47,15-23.

- Rest,R.R.(1979).Revised manual for Defining Isuue Test Minneapolis: Moral Research Project.

- Spidell,S.,&Liberman,D.(1981).Moral development and the forgiveness of sin.Journal of Psyhology and Theology,9,159-163.

Subkoviak,M.J.,Enright,R.D.,Wu,C.R.,Gassin,E.A.,Freedman,S.,Olson,L.M., &Sarinopoulos,L.(1995).measuring interpersonal forgiveness in late adolescence and middle adulthood. Journal of Adolescence,18-641-655.

- Walker,LJ.,Pitts,R.C.,Hennig,K.H.,&Matsuba,M.K.,(1995).Reasoning about morality and real life moral problems.In M.Killen &D. Hart (Eds.) ,Morality in everyday life: Developmental perspective (pp.371-407).New York: Cambridge University Press.

- Weiner,B.,Craham,S.,Peter,O.,&Zmuidinas,M.(1991).Public confession and forgiveness.Journal of Personality ,59,281-312.

- Wygant ,S.A.(1997).Moral reasoning about real life dilemmas: Paradox in research using the Defining Issues Test.Personality and Soial Psychology Bulletin,23,1022-1033.

الفصل السابع

التعبير عن التسامح والتوبة

(الفوائد والعوائق)

تأليف: جولى جولا إكسلين و روى بوميستر

نبدأ الفصل بإثارة السؤال الآتي: كيف يتصرف الناس بعد تعرضهم لاعتداءات مؤذية؟، فماذا يفعل زوج تكذب عليه زوجته باستمرار فيما يتعلق بعلاقاتها العاطفية؟ وماذا تفعل سيدة مع صديقتها المقربة التى أخزتها بإثارة موضوع شديد الحساسية أمام الآخرين؟. وماذا يفعل طفل العاشرة الذى ضربه والده السكير بقبضة كفيه؟

تؤدى مثل هذه الاعتداءات فى أسوأ الأحوال إلى تصاعد الصراعات، وتصدع العلاقات، والتساؤل الآن هو: ما الاستجابات التى نأمل أن تكون مداوية وبناءة بعد حدوث الجُرح الشخصى؟

يُلاحظ أنه خلال العشر سنوات الماضية كان هناك اهتمام مكثف بالتسامح كاستجابة للاعتداء (للمراجعة انظر: Enright&the Human Development Study Group,1991; Enright.Eastin, Golden, Sarinopoulos, &Freedman, 1992; McCullough, Exline, &Baumeister, 1998;McCullough, Sandage,&Worthington,1997;McCullough&Worthington,1994;Meek&Mcminn

فعنـــدما يُـــؤذى شـــخص ,1997;Sells&Hargrave,1998;Worthington,1998) أو يُعتدى عليه من قبل شخص آخر فإن هذا السلوك يولد على نحو فعال إثماً شخصيًا، ويتضمن التسامح إزالة إثم هذا الشخص الذى آذانا، أو ارتكب خطأً فى حقنـــا، وتحـــدث هـــذه الإزالـــة عبـــر قنـــوات متعـــددة (Wade,1989 Hebl&Enright,1993;) متضمنة تلك القنوات المعرفية (كإصدار قـــرار بعـــدم التفكير فى هذا الإثم، واستدعاء أخطائنا الشخـــصية) والوجدانيـــة (كإيقـــاف الشعور بالغضب فيما يتعلق بهذا الإثم) والسلوكية (كاتخاذ قرار بعدم البحث عن تعويض من قبل المُسىء، أو معاقبته على ما اقترف مـــن إثـــم) و /أو الروحية(كاتخـــاذ قـــرار أن نفـــوض أمـــر هـــذا الإثـــم إلـــى الله (انظـــر Meek&McMinn,1997 لمناقشة الجوانب الدينية).

وتقترح البحوث الحديثة فوائد كثيرة للتسامح متضمنة: زيادة الـــصحة النفـــسية (AL-Mabuk,Enright&Cardis,1995;Coyle&Enright,1997:Freedman& Enright,1996:Hargrave&Sells,1997:Hebl&Enright,1995) والرضا الزواجـــى (Fenell,1993)، وعلى العكس ارتبطـــت الاســـتجابات الدفاعيـــة كـــالميول الانتقامية، وتوجيه اللوم بالمرض النفسى (Greenwald&Harder,1994;Zelin e al.,1983) وبالسلوك الإجرامى (Holbrook,White,&Hutt,1995,1995) وبحدوث تحسن بسيط لدى أولئك الذين فقدوا آباءهم (Weinberg,1994) وبالنواتج الصحية الضئيلة (Affleck,Tennen,Croog,&Levine,1987;Tennen&Affleck,1990;Williams &Williams,1993). وقد أُجريت دراسات أقل على نظير التسامح وهو مفهـــوم التوبةrepentance على الرغم من أن له أهمية مكافئة للتسامح. ويقـــصد بـــه إبداء المسىء توبته على ما اقترف من إثم، وكما سيرد بمزيد من التفاصـــيل فيما بعد لا ييسر إبداء التوبة حدوث التسامح فقط، ولكنه قد يُكسب النادم ذاته فوائد صحية ونفسية، ويُشكل كل من التسامح وإبداء التوبة الأساس لمـــداواة الجروح الوجدانية، والجروح الناجمة عن تـــصدع العلاقـــات، وذلـــك بعـــد التعرض لفعل الإساءة.

وقد ينظر للتسامح والتوبة إما على أنهما عمليتان نفسيتان داخليتان، وإما على أنهما عمليتان اجتماعيتان (مرتبطتان بالذات والآخر)، وذلك اعتماداً على مستوى التحليل، فإذا تناولنا منظور الضحية فقط فإن التسامح والتوبة سيظهران على أنهما عمليتان نفسيتان داخليتان تعكس حدوث تغيرات نفسية ووجدانية - وقد تحدث تغيرات روحية - داخل الفرد، فقد ننظر للتسامح على أنه قرار خاص بالانصراف الذهنى عن الاتجاهات الانتقامية، وعلى نحو مماثل قد نفكر فى إبداء التوبة على أنه اتجاه خاص بإبداء الأسف العميق، يلازمه دافعية من قبل المُسيء لتجنب تكرار ارتكاب الاعتداء. وقد يكون من الملائم فى بعض المواقف أن ننظر للتسامح وإبداء التوبة على أنهما عمليتان نفسيتان، فعلى سبيل المثال إذا كانت الصلة التى تربط الضحية بمرتكب العنف بعيدة أو غائبة فإن التسامح (من قبل الضحية) وإبداء التوبة (من قبل مرتكب العنف) سيقتصران على العالم الخاص بكل منهما.

ولكن فى الحياة اليومية تتضمن حوادث الاعتداءات أُناسًا تربطهم علاقات حميمة، أو منتظمة ببعضهم بعضاً، كالأصدقاء، وزملاء العمل، وأفراد العائلة الواحدة، والمرتبطين عاطفياً، وعندئذ قد يكون من الملائم أن ننتقل إلى مستوى أعلى من التحليل، ذلك المستوى الذى يسمح لنا أن نرى ليس فقط العملية النفسية، ولكن الأفعال الاجتماعية المتبادلة بين الأشخاص: فكيف يتصرف الناس مع بعضهم بعضًا بعد التعرض للاعتداءات؟ وما المصادر التى يستمدون منها اختياراتهم بالتصرف على نحو معين؟ وما العواقب المترتبة على اختياراتهم تلك؟، تمثل تلك الأسئلة القضايا الرئيسة التى سنعنى بها فى هذا الفصل، وهى تتطلب أن نضع فى اعتبارنا المنظور الاجتماعى.

وينصب هدفنا من كتابة هذا الفصل بشكل أكثر تحديداً فى تلخيص مختلف القرارات التى يمكن أن يواجهها الناس، عندما يتخذون قرارًا بما إذا

كانوا سيسامحون بعضهم بعضًا، ويبدون توبتهم أم لا. وسنلقى الضوء في بداية الفصل على فوائد التسامح والتوبة، ثم نقترب من البحوث والنظريات التي تحدد بعض المخاطر التي تجعل الناس يقاومون الاستغراق في مثل هذه الأفعال التي تُعزز التسامح، ونقدم مؤشرات تنبؤية بالظروف التي قد تضاعف هذه المخاطر، وأخيرًا سنستخدم تحليل الفائدة – الخسارة لاقتراح بعض العوامل التي يحتمل أن تشجع التعبير البناء عن التوبة، والتسامح.

تعريف التسامح:

نحن نستخدم مصطلح "الضحية" و"مرتكب العنف" أثناء هذا الفصل لنشير إلى الطرفين المتضمنين في حوادث الاعتداءات، و"الضحية" – وفقًا لأهداف الفصل الراهن – هو الشخص الذي يعاني الألم، أو الإيذاء، أو يدرك حدوثهما، و " مرتكب العنف" هو الشخص الذي اقترف فعلاً غير أخلاقي، أو مؤلمًا ضد شخص آخر، أو تسبب في إحداث هذا الألم، ونحن نستخدم هذين المصطلحين – للتبسيط – للإشارة إلى فردين منفصلين، لكل منهما دور مختلف، ومع ذلك نحن نسلم بأن فعل الاعتداء يكون غالبًا متبادلاً سواء في شكل الخلافات الزواجية أو المنازعات التي تحدث في الحانات (Baumeister,1997)، وبناءً على ذلك يستطيع الفرد أن يشغل الدورين: دور الضحية، ومرتكب العنف، ففي حالات الصراع بين الأشقاء على سبيل المثال قد تكون الفتاة ضحية لاعتداء (أُهينت من قبل شقيقها) ومرتكبة عنف في حق الآخرين (تكسير شريط التسجيل الخاص بشقيقها)، وعلى الرغم من أننا نركز في ثنايا هذا الفصل على الاعتداءات التي تحدث في حالة العلاقات الثنائية، فإن بعض الأفكار المطروحة هنا يمكن تطبيقها في السياقات الجماعية.

ونركز فى هذا الفصل على التعبير عن التسامح وإبداء التوبة اللذين يعقبان حدوث الاعتداء. ويُلاحظ أن التعبير عن التسامح والتوبة يكونان فى صورة ضمنية، أو صريحة ونستخدم التمييز المذكور فى التراث البحثى لتمييزهما عن التصالح (Worthington&Drinkard,1998)، ويشير التعبير الصريح عن التسامح – فى ضوء تعريفنا – بشكل مباشر إلى تسليم الضحية بحدوث الإثم، ورغبته فى إعفاء مرتكب العنف من إثمه، وقد يتضمن التعبير الصريح عبارات من قبيل " أنا سامحتك على خداعك لى " أو" نعم، أنت آذيتنى ولكننى أرغب فى وضع كل ذلك خلف ظهرى الآن " ويتطلب التعبير الصريح عن التسامح درجة محددة من المواجهة بين الضحية، ومرتكب العنف، فعندما يقول الضحية " أنا سامحتك "، فهذا يعنى ضمنيًا أن الضحايا عانوا إيذاءً، وأنهم يدركون أن مصدر هذا الإيذاء هو أشخاص آخرون، وأنهم اختاروا إعفاء المسيئين من إثمهم أو المسيئات من إثمهن وفى الحقيقة قد تستثير جملة " أنا سامحتك " غضب مرتكبى العنف، إذا لم تكن مطلوبة ؛ لأن مستقبلى هذه الجملة قد لا يعتقدون أنهم اقترفوا أية إساءة تبرر التسامح معهم بشأنها، وقد يعزف بعض الضحايا بناءً على ذلك عن استخدام التعبيرات الصريحة عن التسامح، ربما لأنهم يجدونها غير مهذبة، أو لأنهم يخشون مواجهة مرتكبى العنف، وبدلاً من ذلك قد يعتقدون ببساطة أن مواقفهم مفهومة ولا تتطلب أى توضيح.

وربما يعبر الناس عن التسامح ضمنيًا بمعدل أعلى، وفى هذه الحالة لا يكون واضحًا فى أذهانهم أن هناك بعض الأفعال المؤذية التى تسببت فى إحداث الإثم، ففى ظل التعبير الضمنى عن التسامح قد لا يعبر كلام الفرد المتسامح أو سلوكه عن حدوث أية اعتداءات له (فالآثام غير موجودة)، أو يعبر عنها على أنها مجرد اعتداءات بسيطة لم يترتب عليها أية عواقب

سلبية، فيتضمن التعبير الضمنى عن التسامح جملاً من قبيل "الأمــور علــى ما يرام"، "لم تكن ضربة موجعة "أو "لا توجد مشكلة"، ولا يتطلــب التعبيــر الضمنى عن التسامح دائمًا استخدام كلمات، وبدلاً من استخدام الكلمات قد يعبر الضحايا عن التسامح من خلال استعادة التواصل مع مرتكب العنف، أو مــن خلال التوقف عن إطلاق التعليقات الغاضبة على الإساءة الموجهة إليهم.

وقد تتراوح تعبيرات التوبة أيضًا وعلى نحــو مماثــل مــن التعبيــر الصريح جدًا عن التوبة (" أنا متأسف جدًا على الألم الذى سببته لك من خلال خداعى لك.من فضلك سامحنى، كيف يمكننى تعويضك عن كل ماسببته لــك من آلام؟") إلى التعبير الأقرب إلى الضمنى (مثل شراء زهــور وتقــديمها للضحية، والقيام بالسلوكيات المؤثرة).

ويحدث خلط غالبًا بين مفهوم التسامح والتــصالح (Enright ,Eastin,et al.,1992)، ومن المحتمل أن يصبح التمييز بينهما غير واضح عندما نتحدث عن التعبير عن التسامح. ويعــرف ورثنجتــون Worthington وودرينكــارد Drinkard (١٩٩٨) التصالح بأنه "استعادة الثقة فى العلاقة الشخــصية مــن خلال قيام طرفى العلاقة بالسلوكيات المتبادلــة الجــديرة بالثقــة" (ص:٤)، ويتضمن التصالح رغبة طرفى العلاقة فى أن يعمــلا معًــا، ويلعبــا معًــا، أو يعيشا معًا فى جو من الثقة، وعلى الرغم من أن التسامح النفسى يصاحبه غالبا محاولات للتصالح (Park&Enright,1997) فإن المفهومين مستقلان عــن بعضهما بعضًا، فيمكن أن يحدث التسامح على نحو مستقل عــن التــصالح، والعكس صحيح (Worthington&Drinkard,1998) وقد يعزز التعبير عن كل من التسامح والتوبة التصالح، ولكنهما عمليتان غير مكافئتين له، فيتطلب التصالح استعادة الثقة بين طرفى العلاقة، والرغبة فى أن يستمر التواصل بينهما، وقد يرغب الناس فى الاعتذار، أو منح التسامح للآخرين دون أن يسعوا إلى إقامة علاقة معهم أو استعادتها.

الفوائد المحتملة للتعبير عن التوبة والتسامح:

قد تكون للتعبير عن التسامح والتوبة آثار إيجابية علـــى العلاقـــات، فعندما يتصرف الناس بأساليب تنم عن التوبة والتسامح فإن سلوكياتهم هذه قد توقف انحدارًا أخلاقيًا بدأ بارتكابهم فعل الاعتداء، وتُـــستبدل سلـــسلة مـــن المقاصـــد والأفعـــال الإيجابيـــة بـــه (McCullough,1997;Rusbult,Verette, Whitney,Slovik,&Lipkus,1991)

التعبير عن التوبة يعزز التسامح :

أوضحت إحدى الدراســـات أن الـــضحايا يكونـــون أكثـــر احتمـــالاً لأن يتسامحوا مع مرتكبى العنف الذين يستجيبون بأساليب تنم عـــن التوبـــة (Exline &Lobel,1998b)، وقد طلبنا من مجموعة مـــن الطـــلاب الجـــامعيين استدعاء حادث كانوا فيه ضحايا لاعتداء، ثم طُلب منهم الإجابة عن مجموعة من الأسئلة المتعلقة بهذا الحادث، وقد توصلنا إلـــى أن النـــاس تعبـــر عـــن تسامحها بدرجة أكبر مع مرتكبى العنف الذين يقومون بالسلوكيات الآتية :

الذين يعترفون بأنهم ارتكبوا الإساءة، ويقدمون اعتـــذارات صـــادقة، ويطلبون من المُساء إليهم مسامحتهم على ما اقترفوا من إساءة، ويعبرون عن شعورهم بالذنب أو بالحزن، ويفعلون بعض الأشـــياء الإيجابيـــة لإصـــلاح الإساءة، أو يسامحون المشاركين (الضحايا) على بعض الإساءات الأخـــرى، التى قد يكونون اقترفوها فى حقهم، وارتبطت الاستجابات الدفاعية لمرتكبى العنف – مثل تقديم اعتذارات غير صادقة، والتقليـــل مـــن شـــدة الإســـاءة، أو إخفائها، وتوجيه اللوم للضحية – بانخفاض مستويات التسامح.

وتقترح نتائج دراستنا المتسقة مع نتائج الدراسات الأخرى أنه من الأكثر احتمالا أن يسامح الناس مرتكبي العنف الذين يعتذرون (Darby&Schlenker,1982;McCullough,Worthington,&Rachal,1997;Ohbuchi,Kameda,&Agarie,1989;O'Malley &Greenberg,1983)، ويعترفون بارتكابهم الإساءة (Weiner,Graham,Peter, &Zmuidinas,1991)، أويتعاونون في التفاعلات اللاحقة (Komorita,Hilty,&Parks,1991)، وقد تيسر جهود مرتكب العنف التي تستهدف الحفاظ على استمرارية العلاقة مع الضحية، في تيسير التسامح أيضًا (Gerber,1987,1990)، وكما اقترح البحث الذي تناول "تأثير إلحاق العقاب" بالمسيء، فإن غضب الضحية قد يهدىء ببساطة عندما يعتقد أن مرتكب العنف يشعر بالذنب (O' Malley&Greenberg,1983)، وأيضًا من خلال حقيقة مؤداها أن الضحايا يحاولون غالبًا توليد مشاعر الذنب لدى مرتكبي العنف (Baumeister,Stillwell,&Heatherton,1995)، وعلى العكس تؤدي ردود الأفعال الدفاعية عمومًا -كالتبرير الذاتي، أو رفض الاعتراف بمسئولية اقتراف فعل الإساءة- إلى إصدار الضحايا أحكامًا قاسية على مرتكبي العنف، وتزيد من رغبتهم في عقابهم (Gonzales,Haugen,&Manning, 1994).

هل يعزز التعبير عن التسامح إبداء التوبة؟

على الرغم من أن كثيرًا من الدراسات أوضحت أن التعبير عن التوبة يؤدي إلى التسامح، فإننا لم نطلع على دراسات اختبرت العلاقة العكسية بشكل مباشر: فهل يؤدي التعبير عن التسامح إلى جعل مرتكبي العنف أكثر احتمالاً لإبداء توبتهم؟ ويمكننا أن نفكر في هذا الأمر على أنه مثل إستراتيجية "أدرخد الآخر" turn the other cheek strategy، حيث إن الضحية يأسر مرتكب العنف عن طريق منحه التسامح، قبل أن يعبر له الآخرعن التوبة، فإذا أدرك

التعبير عن التسامح على أنه تعبير صادق فإن مرتكب العنف يستطيع أن يلاحظ السلوك المقبول للضحية،ويشعر بالتأثر (أو ربما بالخجل من ذاته) ويصبح إبداء التوبة وشيك الحدوث، (وعلاوة على ذلك قد يؤدى التعبير عن التسامح إلى تجنب أية حاجة مدركة لإبداء التوبة)، وكما أوضحت إحدى الدراسات المعملية التى استخدمت نموذج مشكلة السجين أن الضحية سوف يتحاشى على الأقل تصعيد الخلاف بينه وبين مرتكب العنف، وذلك من خلال سلوكياته المعبرة عن التسامح (Axelrod,1980a;Bendor, Kramer,&Stout,1991).

الفوائد الشخصية للتعبير عن التسامح والتوبة:

إن الناس الذين يعبرون عن التسامح أو التوبة قد يحصلون على فوائد شخصية صحية ونفسية من جراء سلوكياتهم تلك بالإضافة إلى الفوائد المرتبطة بعلاقاتهم الاجتماعية. ويمكن أن تحدث بعض هذه الفوائد حتى إذا لم يتصرف الطرف الآخر بشكل إيجابى. وبناءً على ذلك قد يختار الناس أن يعبروا عن تسامحهم أو توبتهم، وقد يحققون فوائد من جراء سلوكياتهم تلك، حتى لو كان التصالح غير مرغوب فيه، أو غير ممكن، وأحياناً فى ظل غياب التسامح أو التوبة كعمليتين نفسيتين.

تخفيض الشعور بالذنب وزيادة الشعور بالثقة المبنية على السلوك البنّاء:

اقترحت البحوث الحديثة (Baumeister,Stillwell,&Heatherton,1994) أن مشاعر الذنب قد تحث مرتكب العنف لاستعادة العلاقة المتصدعة بينه وبين الضحية، خاصة إذا كانت تربطهما ببعضهما علاقات حميمة وبالتالى ستخفض المبادرات الودية لكل من الضحية ومرتكب العنف مشاعر الذنب،

وتزداد مشاعر الثقة والتنعم، وبعبارات أخرى يعد التسامح وإبداء التوبة خطوتين أساسيتين لاستعادة العلاقات المتصدعة من أجل مزيد من الثقة والتناغم.

وهناك فائدة أخرى محتملة وهى أن التعبير عن التسامح والتوبة يمكن أن يزيلا رمزياً دور الضحية ومرتكب العنف، ويجعلهما على قدم المساواة، وبزوال الإثم قد يتخلص الناس من مشاعر الضعف والفشل التى تتولد من خلال دور الضحية، وبقدر ما ينطوى دور مرتكب العنف على حدوث تداعيات مؤذية للقسوة واللا مبالاة، فإن سلوك إبداء التوبة قد يلطف من حدة ذلك أيضاً.

الفوائد النفسية والجسمية للإفصاح:

تضيف البحوث التى تناولت الإفصاح الذاتى الوجدانى فائدة محتملة أخرى للتسامح وإبداء التوبة: فقد يُحدِث التعبير عن التسامح أو التوبة – على الأقل ذلك الذى يتضمن التعبير الكتابى – فوائد نفسية وصحية (Pennebaker,1995;Kelly&McKillop,1996)، وكما أوضحت نتائج التحليل التجميعى متعدد المتغيرات meta-analysis لعدد من الدراسات؛ فإن الأفراد الذين يكتبون عن المضمون الوجدانى للأحداث الصدمية التى تعرضوا لها يحدث لهم زيادة قصيرة المدى فى مستوى الاستثارة الفسيولوجية، يعقبها حدوث انخفاض طويل المدى فى المشكلات الصحية، وعلى الرغم من أن الآلية التى تكمن وراء هذه التغيرات الفسيولوجية ما زالت غير واضحة تمامًا، فإن فوائد الإفصاح عن الذات قد تنجم عن القدرة على إيجاد معنى للحادث الصدمى (Pennebaker,Mayne,&Francis,1997)، أو عن التخفف من العبء الناتج عن كف التعبير عن هذا الحادث (Pennebaker,1993)، ومع أن ارتباط

التسامح بإبداء التوبة ما زال مثار تأمل من قبل الباحثين[١]، فإن هذه البحوث تطرح إمكانية أن يكون للتعبير الكتابى عن حوادث الاعتداءات المؤلمة فوائد لكل من الضحايا ومرتكبى العنف.

الجانب المظلم: استخدام التعبير عن التسامح أو التوبة للدفاع عن النفس:

قد يستخدم الناس تعبيرات التسامح والتوبة الزائفة؛ بهدف اكتساب القوة، أو الدفاع عن النفس، ويحدث هذا التعبير الزائف فى ظل غياب التسامح والتوبة كعمليتين نفسيتين داخليتين (Baumeister,Exline,&Sommer,1998)، فمثلاً قد يعبر الضحية عن التسامح ليبدو شهمًا، أو ليكون لديه سلاحٌ جاهزٌ؛ لإحداث مشاعر الذنب لدى مرتكب العنف فى المحاولات القادمة (ألا تتذكر..لقد سامحتك رغم خداعك لى مرتين)، وقد يتجنب مرتكب العنف – بطريقة مماثلة – الانتقام من الضحية، وذلك أثناء استخدامه الاستراتيجى لتعبيرات الاعتذار الجوفاء وللوعود غير الصادقة، أو أثناء محاولاته الزائفة تعويض الضحية، وقد يكون لمثل هذه الفوائد – غير المقبولة أخلاقياً – قوة دافعة، وذلك عندما يتعلق الدفاع عن النفس بالسيطرة (رغبة أحد طرفى العلاقة فى السيطرة على الآخر).

الخلاصة: الفوائد المحتملة

يمكن أن يستخدم الناس تعبيرات الأسف أو التوبة الزائفة، أو يعبرون عن تسامحهم على نحو زائف، فى ظل الغياب التام للتسامح وللتوبة كعمليتين نفسيتين، لكى يكتسبوا فوائد قصيرة المدى تحقق لهم الدفاع عن النفس، ويكون التعبير الصادق عن التسامح والتوبة مفيدًا فى معظم الحالات

للعلاقات، وللأفراد أنفسهم، فييسر إبداء التوبة التسامح على نحو واضح، والعكس قد يكون صحيحاً أيضاً، فالأفراد الذين يستجيبون للاعتداءات على نحو بناء يمكن أن يحرزوا فوائد تنجم عن تخفيض مشاعر الذنب وزيادة الثقة، أو التخفف من العبء الناجم عن مشاعر الذنب، وتعزز مثل هذه التعبيرات الصادقة الإدراك المتبادل من قبل الضحية ومرتكب العنف، بأن الإثم قد زال، وأن دور الضحية ومرتكب العنف لم يعد لهما وجود.

معوقات التعبير عن التسامح والتوبة:

مع تحديد فوائد التعبير عن التسامح والتوبة، نثير التساؤلات التالية: لماذا يفشل أى إنسان فى أن يتسامح، أو أن يبدى توبته؟، ولماذا يكون من الصعب غالبًا الاعتراف بالأخطاء، أو تقديم الاعتذار؟، على الرغم من أن القيام بهذه السلوكيات يدعم الأمل فى الحصول على تسامح المُساء إليه بالاضافة إلى أنها السبيل إلى سلام العقل؟، ولماذا قد لا يرغب الضحية فى أن يتسامح؟، ومتى يعزز التسامح التصالح بين طرفى العلاقة، ويساعد على التخلص من دور الضحية؟

أحد الاحتمالات الواضحة هو أن الناس لا تعبر عن التسامح أو التوبة لأنها لا ترغب فى ذلك، فالناس عندما يكونون مستغرقين فى الغضب والحيل الدفاعية فإنهم قد لا يرغبون فى أن ينال أعداؤهم الشعور بالرضا الناجم عن الاعتراف بالذنب، أو إبداء الاعتذار، والذى يكون فى متناول إحدى يديهم، أوالناجم عن تأكدهم من أن التسامح فى متناول يدهم الأخرى بالإضافة إلى ذلك، وكما اقترحنا مؤخرًا، فإن مشاعر المرارة والحقد التى تولدت عن فعل الإساءة ليست هى المبرر الوحيد لفشل الناس فى أن يتصرفوا على نحو يتسم بالتسامح والتوبة، وبغض النظر عن كيفية تحكم الناس فى مشاعرهم الخاصة

بالاستياء والغضب الناجمين عن تعرضهم للإساءة، فإنهم قد لا يرغبون في تحمل المخاطر التى يتضمنها التعبير عن التوبة والتسامح، ونحاول في هذا الجزء أن نقترب من البحوث، والنظريات النفسية؛ لتوضيح بعض هذه المخاطر، ونلقى الضوء على الظروف التى يكون من المحتمل أن تزيدها، وبدلاً من إعداد قائمة شاملة بهذه المخاطر؛ سينصب هدفنا على إلقاء الضوء على بعض من هذه المخاطر، التى يمكن أن تواجه الضحية ومرتكب العنف.

معوقات التعبير عن التوبة :

عندما نشير إلى التعبير عن التوبة فإننا نضمنه الاعتراف (تحمل المُسيء مسئولية القيام بفعل الإساءة) وإبداء الاعتذار، وتعويض المُساء إليه عما لحق به نتيجة الإساءة إليه، وتتطلب كل هذه الأفعال التواضع، والرغبة فى أن نتخلى عن الكبرياء مؤقتًا، فمن المحتمل أن تتركز معوقات التعبير عن التوبة فى عدم رغبة الناس أن يجعلوا أنفسهم عرضة للانتقاد.

إنكار التهمة:

إن إدراك مرتكب العنف للاتهام المنسوب إليه على أنه اتهام خاطيء ومبالغ فيه وجائر يعد من أهم المعوقات التى تحول دون التعبير عن التوبة. ففى إحدى الدراسات (Baumeister,Stillwell,&Wotman,1990) طُلب من المشاركين وهم طلاب جامعيون أن يكتبوا تفسيرات لموقفين حقيقيين من مواقف الحياة اليومية: موقف كانوا فيه ضحايا، وموقف آخر كانوا فيه مرتكبى عنف، وأسفرت النتائج عن أن مرتكبى العنف بالمقارنة بالضحايا

كانوا أكثر احتمالاً لأن يدركوا فعل الإساءة على أنه ناجم عن أسباب تتعلق بالاندفاعية وفقدان التحكم، وهم يرون أن هذا الفعل يمكن تبريره، أو أنه ناتج عن ظروف تخفف من وطأته، وهم يهونون الآثار الناجمة عن فعل الإساءة، وتذكروا بسرعة استخدامهم للاعتذار، وكان مرتكبو العنف أيضًا بالمقارنة بالضحايا أكثر إدراكًا لأفعالهم المُسيئة على أنها جزء من مجموعة متراكمة من الاستفزازات، بدلاً من إدراكها على أنها أحداث منعزلة.

وقد استخدمت دراسة أخرى أساليبَ شبيهة (Exline,Yali,&Lobel,1998a) وأيدت نتائجها نتائج الدراسة الحالية، وأضافت إليها نتائج أخرى؛ حيث صور المشاركون أفعالهم المُسيئة على أنها أقل إيذاءً وأقل تكرارًا وأقل عمدية وأقل مكرًا، وأنها أكثر قابلية للتبرير، وذلك بالقياس إلى إدراكهم لفعل الإساءة فى المواقف التى كانوا فيها ضحايا.كما صوروا استجاباتهم التالية كمرتكبى عنف على أنها أكثر اتسامًا بالتوبة عن استجابات غيرهم من مرتكبى العنف، فقد أوضح المشاركون أنهم كانوا أكثر احتمالاً للاعتراف بأخطائهم بعد اقترافهم للإساءة، وأكثر تقبلاً للمسئولية، كما أنهم يلتمسون التسامح، ويعرضون تعويضًا على الضحية، ويعبرون عن شعورهم بالذنب، وعن مسامحتهم للضحية على اقترافه إساءة أخرى، وذلك بالمقارنة بأولئك الذين اقترفوا إساءات فى حقهم. كما أوضحوا أنهم بالقياس إلى غيرهم من مرتكبى العنف كانوا أقل استخدامًا للاستجابات التدميرية المتعلقة بتوجيه اللوم للضحية، والتقليل من وطأة فعل الإساءة وإبداء الاعتذارغير الصادق. وقد أسفرت دراسة ميدانية أجريت على المديرين التنفيذين عن نتائج مشابهة، فقد تبين أن هؤلاء المديرين يميلون إلى رؤية الاستراتيجيات المتضاربة التى يستخدمونها على أنها أكثر معقولية، وأقل تعارضًا عن تلك الاستراتيجيات التى يستخدمها خصومهم (Thomas&Pondy,1977).

باختصار يميل مرتكبو العنف إلى إدراك أفعالهم المُسيئة على أنها أقل إيذاءً وخطورة، وذلك بالمقارنة بإدراك الضحايا لها، وينتج عن هذا حدوث ما أطلق عليه بوميستر Baumeister (١٩٩٧) " الفجوة العظيمة"، وكما أوضحت نتائج مجموعة من التجارب الحديثة (Stillwell&Baumeister,1997) يبدو أن هذه الفجوة العظيمة تعكس تشويهًا فى تعزيز الذات لدى كل من الضحية ومرتكبى العنف، ومن المحتمل أن يرى مرتكبو العنف الضحية على أنه يبالغ فى إرجاعه، وذلك لأنه من المحتمل أن يختلف إدراكهم لحادث الإساءة عن إدراك الضحية له.وقد لاقى هذا الافتراض دعمًا إمبريقيًا (Baumeister,Stillwell&Heatherton,1995;Baumeister et al.,1990; Baumeister &Wotman,1992)، وقد يدرك مرتكبو العنف أنفسهم على أنهم هم الضحايا الحقيقون، حتى فى حالة اقتراف جرائم مشينة مثل التعذيب والقتل المتسلسل (Baumeister,1997) وبدلاً من أن يدرك مرتكبو العنف أنفسهم على أنهم آذوا غيرهم إيذاءً مقصودًا، من المحتمل أن يدركوا أنفسهم على أنهم مستجيبون لاستفزاز الضحية لهم.كما يدركون أفعالهم على أنها أفعال مبررة، فعلى سبيل المثال يميل الأولاد العدوانيون والأزواج الفاسدون إلى إدراك تقدير الذات على أنه غير ذى قيمة، وأن الفرد العدواني يمثل نغمة متناغمة فى المقايضة الاجتماعية، وهو ما يدركه الآخرون على أنه يمثل نغمة محايدة (Goldestein &Rosenbaum,1985;Nasby,Hayden,&DePaulo,1980)، وعندما يدرك مرتكبو العنف أنفسهم على أنهم ضحايا، بغض النظر عما إذا كان صحيحًا أو لا، فإن مثل هذه الإدراكات تمثل معوقات كبرى تحول دون إبدائهم التوبة.

ويلاحظ أنه فى الاعتداءات المتبادلة كحالات الخلافات الزوجية، والتى يصل الانحطاط فيها إلى حد التعليقات اللاذعة، والتنابز بالألقاب بين الزوجين، فى مثل هذه الحالات يركز مرتكبو العنف على الضحية، ويغضوا

الطرف عن دورهم كمرتكبى عنف، ومن الأكثر احتمالاً أن يبدوا احتجاجهم عندما يوضعوا فى موضع دفاع من قبل الضحية الذى يواجههم ببعض أفعالهم بأسلوب يتسم باللوم (Kubany,Bauer,Muraoka,Richard,&Read,1995). والأفراد الذين يميلون إلى توجيه اللوم إلى الآخرين، ولديهم صعوبات فى تفهم الآخرين، سيدركون أنفسهم أيضًا على أنهم أبرياء.

وعلاوة على ذلك قد يعزف الناس بوجه عام عن إبداء التوبة ؛ لأنهم لا يرغبون فى تقبل مشاعر الذنب التى ينطوى عليها إبداء التوبة، فينظر بعضهم إلى أنفسهم على أنهم أبرياء تمامًا، حتى مرتكبى العنف الذين يعترفون ببعض اعتداءاتهم قد يعزفون عن تقبل المسئولية الكاملة لمشاعر الذنب التى يُحملهم إياها الضحية، ولأن الضحية يدرك مشاعر للذنب أعلى من مرتكب العنف، فإن هذا التفاوت فى إدراك كل منهما يعد أمرًا شائعًا، و قد يكون مطلوبًا غالبًا إجراء بعض التفاوض، أو حدوث فهم متبادل بين الضحية ومرتكب العنف، قبل أن يصبح الأخير راغبًا فى تحمل مسئولية أخطائه.

الخوف من العقاب أو القيود المرتبطة بالاعتراف بالخطأ:

قد ينطوى تحمل المسىء مسئولية فعل الإساءة غالبًا على خسائر واقعية شديدة، وتزيد هذه الخسائر من المعوقات التى تحول دون الاعتراف بالخطأ، وإبداء الاعتذار، فالناس يكونون قادرين على حماية أنفسهم من القانون، إذا أمكنهم إخفاء أنهم ارتكبوا فعلاً معينًا، أو إذا أمكنهم إقناع الآخرين أن هذا الفعل غير مؤذ، أو غير خطأ أخلاقيًا، وتزداد كل مشكلة من هاتين المشكلتين اللتين ذكرناهما آنفاً، إذا كانت الأفعال المُسيئة شديدة

الإيذاء(مثل القتل فى مقابل انتهاك القانون) وتستحق اللوم (كالسعى إلى إقامة علاقة غير شرعية مع رجل متزوج مقابل تكوين علاقة عاطفية مع رجل متزوج يُعتقد أنه أعزب).

وقد يعزف مرتكبو العنف عن الاعتراف بأخطائهم إذا أمكنهم على نحو ناجح إخفاء دورهم فى الإساءة أو إنكاره. وقد أوضحت سلسلة التجارب التى أجراها وينر Weiner وآخرون (١٩٩١) المأزق الذى يواجهه الناس عندما يفكرون فى الاعتراف بآثامهم، وقد أوضحت نتائج هذه التجارب أن الاعتراف بالخطأ يزيد التسامح، ويخفض الاستنتاجات السلبية المتعلقة بمرتكبى العنف، ويُنظر إلى الاعترافات التلقائية - وتحدث إذا لم يوجه المُساء إليه اتهامًا للمُسيء - على أنها سلوك مُرض، ومع ذلك ينظر مرتكبو العنف إليها على أنها غير مُرضية إذا لم يعترف نظرائهم بأخطائهم، وإذا لم يوجه لهم أى اتهام باقتراف آثام، وتثير الاعترافات التلقائية مشكلات وقضايا أخلاقية تتعلق ببعض الأضرار التى تلحق بسمعة مرتكبى العنف عندما يعترفون بأخطائهم، ولهذا قد يُحث مرتكبو العنف الذين يخافون من المعاقبة على تجنب الاعتراف، إذا كان الآخرون لن يعلموا أبدًا عن أفعالهم المُسيئة .

وقد يخاف مرتكبو العنف من أن يؤدى الاعتراف بأخطائهم- سواء أكان الاعتراف تلقائيًا أم حثوا عليه - إلى فرض قيود على سلوكهم المستقبلى، فعندما يعترف الناس أنهم ارتكبوا فعلاً معينًا، ويسلمون بأن هذا الفعل مؤذ أو خاطىء فإن مثل هذا الاعتراف سيجعل من الصعب عليهم تبرير تكرارهم لهذا السوك فى المستقبل.

وإذا حصل الناس على متعة، أو بعض الفوائد نتيجة إصدارهم سلوك ما فإنهم لن يكونوا مستعدين للإقلاع عن إصدار هذا السلوك مرة أخرى، فمثلاً إذا عرفت إحدى متعاطيات الكحول بشكل خاص أن شرب الكحول مؤذ

ليس لها فقط ولكن لأفراد أسرتها أيضًا فإنها قد تعــزف عــن الاعتــراف بمعدلات تعاطيها له وبأضراره؛ لخوفها من أن يتوقع الآخرون منها التوقف عن التعاطى، وعلى العكس إذا رفضت أن تصف سلوكها أنه سلوك خاطىء فإنها تستطيع أن تتجنب تقييم شربها للكحول فى ضوء القاعدة الأخلاقية التى قد تتطلب الضبط الذاتى (Baumeister,Heatherton,&Tice,1994)، وتولد لــديها مشاعر الفشل إذا فشلت فى الوفاء بهذه المتطلبات.

الشعور بالخزى:

قد يعزف الناس عن التعبير عن التوبة، حتى فى ظل غياب العقــاب الخارجى، وذلك إذا وجدوا أنه من المخزى أن يفعلوا هذا، ومــن المهــم أن نميز بين الشعور بالذنب والــشعور بــالخزى، فوفقــاً لمنظــور تــانجينى (Tangney,Wagner,Fletcher,&Gramzow,1992) يشير الشعور بالــذنب إلــى انفعال سلبى يُركز على بعض الأفعال الخاصة (أو على الفشل فــى الأداء)، ويلازمه الرغبة فى إصلاح الضرر، على عكس الشعور بالخزى الذى يشير إلى إدراك الذات الكلية على أنها فاسدة، وشعور المرء بأنه سيفتضح أمــره، ويلازمه غالبًا الرغبة فى الاختفاء، وعموماً يتسم الأفراد الذين يميلون إلــى الشعور بالخزى بأنهم أكثر تهيؤاً للغضب والتوجس، وتوجيــه اللــوم إلــى الآخرين، والسلوك العدوانى، وذلك بالمقارنة بالأفراد الــذين يميلــون إلــى الــشعور بالــذنب (Tangney et al., 1992;Tangney ,Wagner,Hill-Barlow, Marschall,&Gramzow,1996)، وقد ترتبط الرغبة فى الانتقام أيضًا بالرغبــة المبنية على الخزى؛ وذلك لحفظ ماء الوجه، كما أوضحت التجارب المعملية (Brown,1968)، الدراســات الميدانيــة فــى مجــال إدارة الأعمــال (Bies&Tripp,1996)، وبناءً على ذلك يدفع الــشعور بالــذنب الفــرد تجــاه

الاعتراف بالخطأ والثبات، بينما يستثير الشعور بالخزى استجابات الدفاع عن النفس التى تستهدف إخفاء الإساءة، والتملص من المسئولية، أو جعل مرتكب العنف يبدو بريئًا أو كفء، وتقف مثل هذه الاستجابات على نحو واضح كعوائق تحول دون التعبير عن التوبة. وهناك مجالان كبيران على الأقل ينشأ عنهما الشعور بالخزى لدى مرتكبى العنف: يرتكز أولهما على تحمل مسئولية الإثم، بينما يتعامل الثانى مع تقبل دور المتوسل.

وتنشأ المشكلة الأولى فى مستوى الاعتراف بالخطأ، فنظرًا لأن الناس مدفوعون لإدراك أنفسهم على أنهم صالحون أخلاقياً، لذلك يرون أنه من المثير للخزى أن يعترفوا أنهم ارتكبوا فعلاً غير أخلاقى، أو تسببوا فى إيلام شخص آخر، ويكون الشعور بالخزى أكثر شدة إذا كانت الاعتداءات شديدة، وتستحق توجيه اللوم بقوة لمرتكب العنف، حيث يكون الاعتداء متعمدًا، ويمكن تجنبه، وليس مجرد حادثة بسيطة.(Boon&Sulsky,1997;Gonzales et al.,1994 ;Hodgins, & Schwartz;1996;Lysak, Rule,&Dobbs, Liebeskind ,١٩٨٩) ومن الواضح أن عزو سلوك مؤذ ومقصود إلى الذات، يُخفض صورة الذات العامة، الخاصة لدى مرتكب العنف، ويستثير لديه مشاعر الخزى.

ومن المحتمل أن ينشأ الشعور بالخزى بصورة خاصة عندما يكون من الواجب على مرتكب العنف أن يتقبل أن يقف علانية موقف المتوسل، كإبدائه الاعتذار، والتماس تسامح المُساء إليه، أو تقديمه تعويضًا، وقد يرى الناس أن القيام بمثل هذه الأفعال يحط من منزلة الفرد، أويشعره بالخزى، خاصةً إذا كانت الإساءة خطيرة، ومقصودة، وبالنسبة للأفراد الذين تكون لديهم قابلية مرتفعة للشعور بالخزى، فإن الحاجة إلى حفظ ماء الوجه تكون لديهم شديدة جدًا، فتُجيز لهم المخاطرة بإبداء التوبة، وقد يظن مرتكبو العنف أن الضحية يقظ لأى بوادر ضعف يظهرونها، وأنه مستعد للهجوم عليهم، أو رفض

محاولاتهم للتهدئة، ويعزف معظم الناس بفطرتهم عن أن يضعوا أنفسهم فى موضع الانتقاد من قبل الآخرين، وسيكون الخوف من التعرض للانتقاد واضحًا لدى مرتكبى العنف، خصوصًا لدى أولئك الذين لديهم دافع قوى لأن يظلوا فى موضع المسيطر فى العلاقة، إما لحاجتهم الشخصية إلى القوة، وإما لاعتقادهم – سواء أكان اعتقاداً صحيحاً أم خاطئاً – أن الطرف الآخر سوف يهاجمهم إذا أتيحت له الفرصة.

معوقات التعبير عن التسامح:

يتضمن التسامح فى ضوء تعريفه زوال الإثم، ذلك الإثم، بالمصطلحات المحددة للعدالة الذى يكون للضحية غالبًا حق المطالبة بالتعويض عنه شرعًا (Enright&the Human Development Study Group,1991)، وحيث أن التسامح كعملية نفسية يتضمن زوال الإثم نفسيًا، فإن التعبير الشخصى عن التسامح ينقل هذا المعنى إلى الآخرين(زوال الإثم من منظور الضحية)، ويمكن أن ينطوى التسامح على بعض الخسائر المادية، فبتنازل الضحايا عن دعواهم فإنهم يتخلون عن حقهم فى الحصول على بعض الأشياء، دون التأكد من أنهم سيتلقون أى مقابل مادى فى المقابل.

الخوف من تكرار الإساءة

أكثر المخاوف الشائعة عن التسامح تتعلق بما إذا كان التسامح يفتح الطريق للاعتداءات المستقبلية (انظر للمناقشة: Enright,Eastin,et al.,1992)، وعلى الرغم من أن هذه القضية تنشأ غالبًا فى سياق أنماط الاعتداءات المزمنة، والشديدة، مثل العنف العائلى والإساءة الجنسية (Engel,1989) فإنها

يمكن أن تنطبق واقعيًا على أية إساءات: فإذا عبر الضحايا عن زوال شعورهم بالإساءة الشخصية فهل تعبيرهم عن تسامحهم يجعلهم عرضة للإيذاء مرة أخرى؟، وهل يفسر مرتكبو العنف الاستجابات المتسامحة على أنها رخصة صريحة لهم ليكرروا الاعتداء على الضحايا مرات أخرى؟

وقبل أن نجيب عن التساؤلين السابقين، نود أن نشير إلى أحد المخاطر المحتملة التى تكمن خلف هذا المنطق فى التفكير، والمتمثل فى افتراض أن الضحية بإمكانه التحكم فى السلوكيات اللاحقة لمرتكب العنف، فبعض الضحايا يعتقدون أنهم إذا رفضوا التعبير عن التسامح فإن ذلك يمنحهم قوة التأثير على مرتكب العنف، بحيث لا يؤذيهم مرة أخرى، ومع تسليمنا بأنه فى بعض الحالات يكون الضحايا قادرين بالفعل على السيطرة على تأثرات مرتكبى العنف، من خلال امتناعهم عن التعبير عن تسامحهم معهم (Baumeister, et al., 1998) ، وخاصةً فى حالة العلاقات الحميمة، حيث يستطيع الضحايا على نحو ناجح إحداث مشاعر الذنب لدى مرتكبى العنف (cf.Baumeister et al.,1995)، ومع ذلك فإن قرار مرتكب العنف فيما يتعلق بارتكاب فعل الاعتداء مرة أخرى، سوف يبنى فى النهاية على عدد من العوامل مثل تحكمه الذاتى (أو تحكمها الذاتى)، وإلى أى مدى ينظر مرتكب العنف لهذا الفعل على أنه فعل مُدعم، وقوة رغبة مرتكب العنف فى تجنب إيذاء الضحية مرة أخرى، فاستجابة الضحية على الرغم من أهميتها المحتملة قد لا تكون ضمن العوامل الكثيرة المؤثرة، فإذا وضعنا هذا الإيضاح فى أذهاننا فسنثير التساؤل الآتي: ما بعض الظروف التى قد تجعل التعبيرعن التسامح عاملاً مهيأ لتكرار الاعتداء؟

يكون تكرار الاعتداء أكثر احتمالاً للحدوث فى البيئات التى تتميز بالعدائية، وافتقاد الثقة على وجه الخصوص، وتكون مشاعر الذنب أكثر

انتشارًا فى العلاقات الحميمة والودية Baumeister et al.,1994;Baumeister,Reis,&Delespaul,1995)، وتشكل مانعًا يحول دون تكرار الاعتداء (Meek,Albright,&McMinn,1995).

وبناءً على ذلك يخشى الضحية على نحو حقيقى من أن يُؤذى مرة أخرى من الأفراد الذين لا تربطه بهم علاقات وثيقة، ومن أولئك الذين يكونون غير مدفوعين بدرجة كبيرة لأن يحافظوا على هنائه، وعموماً يجد الأشخاص أنه من الأكثر صعوبة بالنسبة إليهم أن يتسامحوا عندما تكون الإساءة شديدة، ومقصودة، ومتكررة، وعندما لا يبدى مرتكب العنف توبته (Exline et al.,1998b)، ومن المحتمل أن تنطبق هذه المحكات على التعبير عن التسامح أيضًا، فقد يغضب الضحايا من مرتكبى العنف الذين لا يبدون توبتهم، وكذلك لأن لديهم خوف حقيقى من أن يتعرضوا للإيذاء مرة أخرى.

وقد ظهرت فوائد سلوك التسامح ومخاطره بوضوح فى مجموعة المسابقات التى استخدمت "لعبة مشكلة السجين" لاستثارة مواقف صراع فى السياق المعملى (Axelrod,1980a,1980b)، وفى لعبة مشكلة السجين يكون لدى اللاعبين حق الاختيار بين التعاون، أو التراجع فى كل مجموعة من المحاولات، ويحقق التعاون أكبر فائدة متبادلة، ولكن يكون أحد اللاعبين عُرضة لاستغلال اللاعب الآخر، ويحمى التراجع اللاعب من الاستغلال، ويستطيع اللاعب إحراز أقصى فائدة شخصية من خلال استغلال اللاعب الآخر.

ويكسب كل لاعب نقاطًا قليلة إذا حدث تعاون متبادل بينه وبين اللاعب الآخر، ولكن يستطيع اللاعب أن يكسب نقاطًا أكثر من خلال تضليل خصمه المتعاون، وخضع المشاركون فى مباراتين لاستراتيجيات مبرمجة، وحُرضوا على مهاجمة بعضهم بعضًا فى مجموعة من المحاولات، والاستراتيجية التى تحصل على نقاط أكثر تفوز فى المباراة، وفى مشكلة

السجين استراتيجية التسامح هى الاستراتيجية التى تقوم على تعاون أحد اللاعبين بعد حدوث تراجع من قبل اللاعب الآخر(Axelord,1980a) والفائز هو الشخص الذى يتسامح ويُطلق على الاستراتيجية المبنية على التبادلية " TIT FOR TATS " وهذه الاستراتيجية تقوم على الاستجابة للتراجع بالتراجع وللتعاون بالتعاون، واستنادًا إلى نتائج المباراة يرى المؤلف أن الاستراتيجية التى تقوم على التسامح المرتفع، والتى يُطلق عليها "TIT FOR TWO TATS" هى التى تُحدث نتائجًا أفضل، وتقوم هذه الاستراتيجية على الاستجابة بالتراجع فقط بعد حدوث تراجع من قبل الخصم مرتين، ومن ناحية أخرى قُدمت استراتيجيات للمشاركين فى المباراة الثانية (Axelrod,1980b) تستهدف على نحو متعمد الاحتيال على اللاعبين الآخرين، وفى هذه البيئة العدائية حققت الاسترتيجية التى تقوم على التسامح المرتفع "TIT FOR TWO TATS" نتائجًا سيئة، وذلك بالمقارنة بالاستراتيجية المبنية على التبادلية TIT FOR "TAT". وعلى الرغم من أن هذه البحوث قد تعاملت مع استراتيجيات مبرمجة على الحاسوب، وليست سلوكيات إنسانية متبادلة، فإن نتائجها ذات متضمنات مهمة، فإذا أحدث الآخرون إيذاءً متعمدًا بك وكنت تملك المقدرة على مقابلة هذا الإيذاء بمثله فإنك تخاطر بإيذاء مصلحتك الشخصية إذا أبديت – على نحو متكرر– إيماءات لهم توحى بالود والثقة.

وقد نتنبأ أيضًا بأن تكرار الاعتداء سيكون أكثر احتمالاً عندما يستخدم الضحايا – وعلى نحو مرتفع – وسائل ضمنية للتعبير عن التسامح، ويمكن أن نميز حقيقة التسامح كعملية نفسية عن الصفح (McCullough,Sandag,& Worthington,1997) فيتضمن الصفح رفض الفرد وصف الفعل المفترض – فعل الإساءة – على أنه سلوك بغيض أو كريه، فقد يُنظر للصفح على أنه رفض الفرد أن يعترف بأن الإثم موجود، عكس التسامح، الذى يتطلب إدراك الفرد أن الإثم قد حدث،

واتخاذه قرارًا واعيًا على نحو موازٍ، بإعفاء مرتكب العنف من إثمه، ومع ذلك عندما نتأمل عن قرب كيفية تعبير الناس عن تسامحهم في الحياة اليومية، فسنلاحظ أن الحد الفاصل بين التسامح والصفح أصبح بسرعة غير واضح (Baumeister et al.,1998). ونظرًا لأن التعبير عن التسامح يكون غالبًا ضمنيًا وليس صريحًا (cf Worthington&Drinkard,1998)، لذلك يفشل التسامح في توصيل المشاعر والأفكار الخاصة بالضحايا إلى مرتكبى العنف، وبدلاً من مناقشة حادث الانتهاك مناقشة مفتوحة ووضعه فى إطار السلوك الآثم وإخبار مرتكبي العنف بأنهم أُعفوا من هذا الإثم قد يختار الضحايا وسائل للتعبير عن التسامح غير مباشرة ولا تعتمد على المواجهة إلى حد بعيد.

وحتى إذا كانت العملية الخاصة التى يقومون بها هى عملية تسامح فإن استجاباتهم قد توحى بالصفح "حسن"، والتقليل من شأن فعل الإساءة " إنه ليس ضربة شديدة "، والتبرير " أعرف أنك كنت تحت ضغط شديد مؤخرًا "، وقد يختار الضحايا أيضًا أن يعبروا عن التسامح دون استخدام أية كلمات على الإطلاق، ربما من خلال استعادة التواصل مع مرتكب العنف، أو من خلال التوقف عن إطلاق الأوصاف الكريهة على فعل الاعتداء، ولا تحدث مواجهة بين الضحية ومرتكب العنف، أو يكون سياق التفاعل بينهما محدودًا فى ظل هذا التواصل، وعلى الرغم من أننا فى حاجة إلى بحوث تحدد ما إذا كانت مثل هذه الاستجابات تزيد من مخاطر التعرض للاعتداء مستقبلاً فإنه من السهل أن نتخيل كيف قد يحدث ذلك، وخاصة إذا وجد مرتكب العنف أن سلوكه هذا يمثل دعماً بالنسبة له، وإذا واجه عوائق قليلة.

وبغض النظر عن المخاطرة الحقيقية لتكرار الاعتداء من المحتمل أن يكون بعض الضحايا أكثر خوفًا من غيرهم، ونظرًا لأن الخوف من تكرار الاعتداء مبنى على نحو كبير على افتقاد الثقة، لذلك فالأشخاص الذين لديهم صعوبة فى الثقة بالآخرين عمومًا يكون من الأكثر احتمالاً أن تكون لديهم مثل هذه المخاوف، وأولئك الذين أوذوا إيذاءً شديدًا وعلى نحو متكرر، يكون من الأكثر احتمالاً أيضًا أن يخافوا من المخاطر الشخصية المترتبة على التعبير عن التسامح، وخاصة إذا نُظر إلى هذه التعبيرات على أنها محاولة للتصالح.

خوف الضحية من أن يبدو ضعيفا:

هناك عائق آخر محتمل يحول دون تعبير الضحايا عن التسامح يتمثل فى أن الذين يعبرون عن تسامحهم قد يبدون ضعفاء، أو يكونون عُرضة للانتقاد من قبل الآخرين أو أنفسهم، فيُنظر إلى التعبير عن التسامح على أنه تنازل عن الحقوق، وهذا يوقظ مشاعر الخزى لدى الضحايا، وعندما تكون لدى الضحايا رغبة قوية فى رد الاعتبار إلى أنفسهم فإنه من الأكثر احتمالاً أن ينشدوا الانتقام، ويستجيبوا بأساليب أخرى غاضبة، وقد تستثار الحاجات الخاصة برد الاعتبارموقفيًا (Brown,1968)، ولكنها قد تعكس أيضًا شخصية ذات نزعة إلى الإحساس بالخزى (Tangney et al.,1992)، وإذا لم يستعد الضحايا الذين يشعرون بالخزي شعورهم بالقوة باستخدام بعض الأساليب الأخرى فإنه من المحتمل أن يرغبوا فى الانتقام بدلاً من التسامح (Fagenson&Cooper,1987). ويبدو هذا الاعتقاد – اعتقاد أن التسامح قد يوحى بالضعف – متناقضًا فى أحد مستوياته، حيث إن تنازل المرء عن حقه القانونى يتطلب قدرًا هائلاً من ضبط الذات، وعلى الرغم من أن التسامح

ينطوى غالبًا على رغبة الفرد فى أن يتجاهل مصلحته الشخصية، وأن يتحرر من المبادىء المُوجهة نحو العدل ؛ وذلك إعلاءً للرحمة (انظر الفقرة الآتية)، فإن بعض الناس سوف يساوى هذه الأوليّات بالضعف.

وأخيراً إذا توقع الضحية أن يستجيب مرتكب العنف لتسامحه بالسخرية، أو بأساليب عدوانية فإن التعبير عن التسامح قد يبدو تهورًا.

الاعتقاد أن العدل لن يفيد:

قد يعزف بعض الناس عن التعبير عن التسامح لأنهم يعتقدون أن العفو عن الإثم يعد انتهاكًا للعدالة (-Enright,Gassin,&Wu,1992;Enright, Santos,&AL Mabuk,1989) فعلى سبيل المثال تستند قواعد العدل الجزائى standards of retributive justice إلى قاعدة العين بالعين وتقوم على التبادلية (رد الإساءة لم أساء إلينا) مع قدر ضئيل، من الرحمة – إذا وُجدت – تجاه مرتكب العنف، ويتطلب العدل التعويضى restitutional justice أيضًا تعويض الضحية فى شكل إبداء الاعتذار أو بأى شكل آخر من أشكال الامتيازات، وعلى العكس يتطلب التسامح غالبًا – سواء أكان نفسيًا أم سلوكيًا – انتهاك قواعد العدل لنتيح مجالاً للرحمة (McCullough,Sandage,&Worthington,1997)، وبناءً على ذلك إذا كانت الاعتبارات الخاصة بالعدل الجزائى بارزة فإن الضحايا قد يعزفون عن إعفاء مرتكب العنف من جريمته دون المطالبة بعقابه أو بالتعويض، وفى مثل هذه المواقف، يُنظر للتسامح على أنه أمر صعب، وليس له قيمة أخلاقية أيضًا[٢].

وسيثير إعفاء مرتكب العنف من إثمه اعتراضات كثيرة مرتبطة بالعدل، فعندما يتألم الضحية ألمًا شديدًا ويستحق مرتكب العنف توجيه اللوم

له بوضوح، و لم يُبد توبته تمامًا، ولم يعان أية عواقب سلبية نتيجة سلوكه السيء فإن تعبيرات التسامح التى تزيل الحاجة إلى العقاب أو التعويض، تُعتبر غير صائبة من منظور بعض الناس: وما زالت المقاييس غير متوازنة، فمن الأكثر احتمالاً أن يعتنق بعض الأفراد قواعد العدل الجزائى والتعويضى بدرجة أكبر من غيرهم (Enright et al.,1989; Enright,Gassin, et al., 1992;Park&Enright,1997)، وهؤلاء الذين يكونون متوجهين بدرجة أكبر نحو اعتبارات العدل (القوانين والقواعد، ..إلخ) أكثر من الاعتبارات الاجتماعية (التناغم، والتفهم والرحمة) من المحتمل أن يقاوموا التعبير عن التسامح إذا لم يكونوا مقتنعين أن العدل يفيد.

فقدان الضحية الفوائد المرتبطة بوضعه كضحية:

على الرغم من كثرة المشاكل الوجدانية والدافعية التى تلازم الضحية (Tice&Hastings,1997) فإن تصوير المرء لذاته على أنه ضحية قد ينطوى على مميزات مهمة، فالأفراد الذين يحصلون على لقب "ضحايا" قد يحتلون مكانة أخلاقية مرتفعة لكونهم أُسيء إليهم، وقد يزوده وضعه كضحية بالقوة اللازمة لتوليد مشاعر الذنب لدى مرتكب العنف، وللمطالبة بإبداء الاعتذار له، وتقديم التعويضات (وهى تصل فى بعض الحالات إلى ملايين من الدولارات)، أو لأن يسعى إلى عقاب مرتكب العنف، ويمكن أن تزوده هذه الأفعال القائمة على الشكوى، والتذمر بفاعلية مهمة فى العلاقات الاجتماعية (Baumeister, et al., 1998)[٣] وقد يستغل الضحايا أيضًا الانتهاكات التى تعرضوا لها لتبرير انتهاكاتهم هم أنفسهم لغيرهم، مثل إقامة علاقات جنسية غير شرعية (Mongeau,Hale,& Alles,1994)، وقد يعتقدون أنهم سيفقدون – بتعبيرهم عن التسامح – العذر الذين يبررون من خلاله انشغالهم بالسلوك

الممنوع المغرى، ويمكن أن يبرر الأفراد الذين يصفون أنفسهم بأنهم ضحايا، مشاعر الغضب والسخط المستمرين بمبررات أخلاقية – تلك الانفعالات التى تمنحهم الشعور بالفعالية – وأخيرًا إدراك الآخرين للفرد على أنه ضحية قد يكون أداة فعالة لإثارة المساندة والتفهم من قبلهم، وهذه الفوائد سيفقدها الضحية إذا تخلى عن ممارسة دوره كضحية، والأفراد الذين يتسمون بأسلوب الماسوشية – أولئك الأفراد الذين يتلذذون بالشعور بالاضطهاد– قد يصورون أنفسهم باستمرار على أنهم ضحايا، وذلك لكى يجنوا مثل هذه المميزات (McWilliams,1994)، فعندما تتسامح فإنك تتخلى عن دور الضحية، وعن المميزات التى تلازمه، ولهذا فلن يكون مثيرًا للدهشة أن يجد بعض الأفراد أنه من الصعب عليهم جدًا أن يصلوا إلى التسامح.

الملخص: مخاطر التعبير عن التسامح والظروف التى تزيد من شدتها

يبدو واضحًا – وفقًا لتحليلنا – أن الغضب والحيل الدفاعية لا يعدان المبررات الوحيدة التى تجعل الناس يفشلون فى التعبير عن التسامح وإبداء التوبة فعندما يعترف الناس بأخطائهم، ويتنازلون عن حقوقهم أو يصلوا إلى التسامح فإنهم قد يُعرّضون مصالحهم الذاتية لمخاطر كثيرة. فمرتكبو العنف يخافون غالبًا من التعرض للعقاب ولمشاعر الخزى اللذين يرتبطان بالاعتراف بالجُرم، وقد يعتقدون أن الإدلاء بالتهم التى اقترفوها أمر أكثر خطورة من تبرير الإساءة ذاتها، وفى أثناء ذلك تنشأ كثير من مخاطر التعبير عن التسامح؛ نتيجة لزوال دورى الضحية ومرتكب العنف، ونصيغ هذه المخاطر فى صيغة التساؤلات الآتية: هل مرتكب العنف –الذى تمت مسامحته – سيستخدم هذا التسامح كمبرر للاعتداء على الضحية مرة أخرى؟، وهل سيفيد العدل، إذا تم إعفاء مرتكب العنف من إثمه، وخاصةً إذا

كان العقاب، أو إبداء التوبة ليسا فى المتناول؟ وهل ينبغى أن يضحى الضحية بالفوائد التى تتحقق له من خلال لعب دور الضحية؟

هناك مخاطر محددة وظروف من المحتمل أن تزيد مقاومة التعبير عن التسامح والتوبة، وهى شائعة عند التعبير عن كل منهما، فعلى سبيل المثال يكون لدى كل من الضحايا ومرتكبى العنف دوافع قوية لأن يدركوا أنفسهم على أنهم أبرياء، وطيبون، وعقلاء، ويستدعى كل منهما حوادث الاعتداء بأساليب ذاتية تعزز مثل هذه الإدراكات.

وعندما يدرك الأفراد دوافعهم الخاصة على أنها دوافع نقية، ويدركون دوافع الآخرين على أنها غير عقلانية أو ماكرة، فإنهم - لسوء حظهم - يشيدون حواجز قوية تحول دون الفهم المتبادل لبعضهم بعضًا. وتبدو القضايا الخاصة بالثقة قضايا محورية أيضًا بالنسبة لكل من الضحايا ومرتكبى العنف. وإذا اعتقد الناس أن الآخرين سيخدعونهم نتيجة لكرمهم وطيبتهم فإنهم سيعزفون عن وضع أنفسهم فى موضع الانتقاد من قبل الآخرين، وأخيرًا يمكن أن يتطلب كل من التسامح وإبداء التوبة تواضعًا كبيرًا، ويتطلب التسامح أو إبداء التوبة تجاه فرد آخر - خاصة الخصم - أن يضع الناس احتياجاتهم الخاصة جانبًا؛ ليظهروا أقوياء أو على صواب، وقد يجد بعض الناس أن مثل هذه الأفعال أفعال مخزية بدرجة كبيرة، وقد يجعلهم خوفهم من أن يُنظر إليهم على أنهم ضعفاء أو مخطئين غير راغبين فى أن يخاطروا بالتعبير عن التسامح أو إبداء التوبة.

وقد تنبأنا أيضًا بأن هناك ظروفًا محددة ستزيد من شدة مخاطر التعبير عن التوبة، أو التسامح. فسوف تكون هذه المخاطر أكبر - على سبيل المثال - فى البيئات التى تتسم العلاقات بين الأشخاص بالعدائية، تلك البيئات التى

تكون الروابط الشخصية بين الأفراد ضعيفة أو غائبة، وفى مثل هذه البيئات سيكون من الصعب على الأفراد أن يتفهموا بعضهم بعضًا، وسنجدهم بـدلاً من ذلك يدعمون أهدافهم لتشويه الآخرين، ويرثون لأنفسهم للظلم الذى لحق بهم. وفى البيئات العدائية قد يخاف الأفراد على نحو حقيقى من أن الآخرين سيخدعونهم علـى نحـو متعمـد إذا بـدرت عـنهم أيـة بـوادرة طيبـة (xelrod,1980a)، وهناك أشخاص محـددون سـيكون محـتملاً أن يـدركوا المواقف الشخصية على وجه الخصوص على أنها مواقف خطيرة، خاصـة أولئك الذين يميلون إلى الشعور بالخزى (cf Tangney et al.,1996)، ويتسمون بسوء الظن المزمن، أو يسعون إلى السيطرة، وأخيرًا قد يعزف الأفراد عـن التعبير التوبة، أو التسامح إذا لم يعايشوا هاتين العمليتين بشكل شخصى ففى ظل غياب التسامح النفسى قد لاتكون لدى الضحية الرغبة فى إزالة الشعور بالإثم لدى مرتكب العنف، ويفضل بدلاً من ذلك أن يُبقى على. وضع الضحية الذى يتيح له استحداث مشاعر الذنب لدى مرتكب العنف، أو مطالبته بإبـداء الاعتذار، ومرتكب العنف، وعلى نحو مماثل الذى لا يشعر بالتوبـة بـشكل شخصى قد لا يرغب فى أن يخاطر بإبداء الاعتذار الصادق.

البحوث المستقبلية فى التسامح وإبداء التوبة: خمس موضوعات رئيـسة مستمدة من علم النفس الاجتماعى :

إن الدراسات الامبريقية للتسامح وإبداء التوبة ما زالت مجالاً مجهولاً على نحو كبير، على الرغم من الاهتمام المتزايد بموضـوع التـسامح فـى السنوات القليلة الماضية، ويقترح منظور علم النفس الاجتماعى الذى نتبنـاه فى هذا الفصل سبلاً كثيرة للبحث الأساسى، ويمكن استخدام أيٍّ منها لإثراء الدراسات التطبيقية والإجراءات الوقائية العيادية، وسنعرض بإيجاز لخمـسة مجالات كبرى للدراسات المستقبلية للتسامح.

استجابة الضحايا ومرتكبى العنف بعد التعبير عن التسامح:

كنا قد افترضنا أن التعبير عن التسامح قد ينطـوى علـى مخـاطر شخصية، كثير منها مبنى على كيفية استجابة مرتكبى العنف بعد اسـتقبالهم التعبير عن التسامح، ومع ذلك فنحن فى حاجة إلى مزيد من الدراسات التى تُقيّم بشكل مباشر استجابات مرتكبى العنف الذين تمت مـسامحتهم (أولئـك الذين تلقوا تعبيرًا شخصيًا من الضحية بمسامحتهم). فهل مرتكبو العنف الذين تمت مسامحتهم -على سبيل المثال- أكثر احتمالاً، أو أقل احتمالاً أن يعتدوا على ضحاياهم مرة أخرى، وذلك بالمقارنة بأولئك الذين لم تتم مـسامحتهم؟، وبعد تلقى التسامح هل يكون مرتكبو العنف أكثر احتمالاً أن ينسوا الإسـاءة، ويستعيدوا العلاقة كما لو أن شيئًا لم يحدث، أكثر من المُـساء إليـه الـذى تسامح؟ الافتراض البديل (والأكثر تفاؤلاً) هو أن التسامح سيحث مرتكبـى العنف فعليًا على أن يبدوا توبتهم على ما اقترفوا من سلوك، بدلاً من ارتكاب مزيد من الاعتداءات، وهناك متغيرات مُعدلة لاستجابات مرتكب العنف، قـد تتضمن حميمية العلاقة بين الضحية ومرتكب العنف، ودرجة الثقة المتبادلـة بينهما، بالإضافة إلى مستوى تفهم مرتكب العنف مع الضحية، وميله للشعور بالذنب تجاهه (cf Tangney et al.,1992).

وهناك قضية أخرى مماثلة ترتبط بمنظور الـضحية، نـصيغها فـى السؤال الآتي: ما التغيرات النفسية - سواء أكانت بتغيرات إيجابية أم سلبية - التى يكتشفها الضحايا بعد تعبيرهم عن التسامح؟ نحن مقتنعون أن التعبير عن التسامح يمكن أن ينطوى على مخاطر إذا لم يحدث التسامح النفـسى فعليًـا (وكاملاً)، ومع ذلك من المحتمل أن تزداد فعليًا قدرة الضحية على التـسامح النفسى، من خلال تصرفه بشكل متسامح، وقد تُثبت نتائج الدراسات الطولية والتجريبية فوائد تناول هذه القضية على وجه الخصوص.

هل إدراكات الآخرين للأشخاص المتسامحين تكون إيجابية أم سلبية:

أحد القضايا التى أثرناها بشكل متكرر فى هذا الفصل هى أنـــه مـــن المحتمل أن يُدرك الأفراد الذين يعبرون عن تسامحهم، أو توبتهم على أنهـــم أفراد ضعفاء – سواء من قبل الآخرين أو أنفسهم – ونحتاج إلى دراسة هذه القضية، فإلى أى مدى يُدرك الأشخاص الـــذين يعبـــرون عـــن تـــسامحهم، أو توبتهم على أنهم ضعفاء؟ ولأن التسامح والتوبة يمكـــن التعبيـــر عنهمـــا بأساليب كثيرة، لذا فإن أساليب التواصل (ضمنية مقابل صـــريحة / تلقائيـــة مقابل عمدية) قد تؤثر فى إدراكات الفرد المُلاحظ، فتعتمد تقـــديرات الفـــرد المُلاحظ أيضًا على ما إذا كانت هناك بعض الأهداف الواضحة التى يمكـــن إحرازها من خلال التعبير عن التسامح، أو التوبة، بما يجعل من الحكمة أن نتجاوز دوافع حماية الذات فى الموقف الحالى، وأخيرًا من الأكثر احتمالاً أن هناك أشخاصًا محددين يدركون – و بدرجة أكبر من غيـــرهم – ســـلوكيات التسامح، والتوبة على أنها سلوكيات تنم عن ضعف، وربمـــا تـــستند هـــذه الإدراكات إلى حاجاتهم الشخصية للسيطرة أو العدل.

تأثير الأحقاد على العلاقات الشخصية :

يمكن أن يكون التسامح – وفقًا لنتائج البحوث – خطـــوة مهمـــة نحـــو استعادة العلاقات التى تصدعت خلال الإساءة، ومع ذلك خُصص اهتمام ضئيل لدراسة الآثار المترتبة على الامتناع عن التسامح، أو الاحتفاظ بالأحقاد علـــى العلاقات الاجتماعية، فإذا كان التعبير عن التـــسامح يـــساعد علـــى اســـتعادة العلاقات فهل يسمح التعبير عن التسامح للأحقاد أن تضر على نحـــو طبيعـــى العلاقة؟ وأى أنواع الضرر سيكون أكثر احتمالاً أن يحـــدث؟ ومـــا العوامـــل المنبئة بدرجة الكرب الذى سوف تسببه هذه الأضرار لكـــل مـــن الـــضحايا

ومرتكبى العنف؟ وستثبُت فائدة الدراسات الطولية فـــى الإجابـــة عـــن هـــذه التساؤلات. تساؤل آخر نثيره يتمثل فيما إذا كانت السلوكيات التى تتسم بعـــدم التسامح (مثل: توليد مشاعر الذنب، والعقاب، والانسحاب الاجتماعى) يمكن أن تؤدى وظائف إيجابية فى العلاقات الاجتماعية، فعلى سبيل المثال قـــد تـــؤثر السلوكيات غير المتسامحة فى الأفراد، فتجعلهم يتعاملون باحترام مع الآخرين، أو يشعرون بأنهم مسئولون عن أفعالهم، وأحد التفسيرات المحتملـــة هـــو أن السلوك غير المتسامح قد يتضمن بعض التـــأثيرات الإيجابيـــة، ولكـــن هـــذه التأثيرات قد نحصل عليها أيضًا من خلال الآخرين دون الوسائل العقابية.

دور شدة الإساءة وقصديتها:

تقترح نتائج البحوث السابقة بوضوح أنه مـــن الـــصعب أن يتـــسامح الأفراد عندما تكـــون الإســـاءات شـــديدة، ومقـــصودة، وتـــستحق اللـــوم (Boon&Sulsky,1997;Gonzales et al.,1994;Hodgins et al.,1996;Lysak et al.,1989) و يركز كثير من الجدل المثار حول ملائمة التسامح على شدة الإساءة أيضًا، ما زال هناك كثير من التساؤلات المتعلقة بدور شدة الإساءة وقصديتها، فهل تختلف عملية التسامح النفسى وفقًا لما إذا كانت الإساءة متوسطة أو شديدة؟، وهل يدرك الأفراد الاعتذارات والتنازلات التى يعبر عنها المُسىء على أنها غير حقيقية عندما تكون الإساءة شديدة / أو مقصودة؟، وهل من المحتمل أن يتزايد تمتع الناس بالتنعم عندما يتسامحون، أو يبدون توبتهم، وبدرجة أكبـــر فى حالة الاعتداءات الشديدة وذلك بالمقارنة بالاعتداءات الأقل شدة؟ سيكون من المهم عند تناول هذه التساؤلات أن تستخدم مثل هذه الدراسات مقـــاييس تقدير خارجية لتقدير شدة الإساءة وقصديتها، أو نتناول هـــذين المتغيـــرين تجريبيًا أو تناولاً عمديًا لكى نتجنب تشويهات حماية الذات فيما يتعلق بمدى خطورة الإساءة.

المتغيرات التى تتوسط العلاقة بين التسامح وإبداء التوبة والتنعم:

أوضحت نتائج عدد من الدراسات التأثيرات المفيدة للتسامح على التنعم Al-Mabuk et al.,1995;Hebl&Enright,1993، وقد امتدت هذه الدراسات إلى تناول إبداء التوبة أيضًا، ولكننا سنحتاج إلى دراسات تحكمية لتحديد تأثير هذه المتغيرات.

فإذا ثبت أن هناك ارتباطات قوية بين التسامح وإبداء التوبة والتنعم فإن الخطوة التالية المهمة سوف تكون تحديد المتغيرات المُعدّلة لهذه التأثيرات، فهل ينشأ التنعم أساسًا نتيجة للتغيرات المعرفية أو الوجدانية، أو نتيجة للتحسن الذى يطرأ على العلاقة بعد التعبير عن التسامح أو إبداء التوبة، أو نتيجة للتحولات الروحية التى تطرأ على المُساء إليه أو المُسيء، أو نتيجة لعوامل أخرى؟، وهل ترتبط التغيرات التى تحدث فى التنعم بشكل أساسى بأشكال إبداء التسامح، والتوبة على المستوى النفسى (الداخلى) أم أن التعبيرات الاجتماعية عن التسامح والتوبة تمارس دورًا أيضًا؟

الخلاصة :

ركزت بحوث التسامح بشكل أساسى على ثلاثة موضوعات: توضيح فوائد التعبير عن التسامح، وكشف المؤشرات المُنبئة بحدوثه، ووصف العملية النفسية للتسامح (McCullough,Sandage,&Worthington,1997; McCullough&Worthington,1994) وإذا استخدمنا هذا البحث كنقطة بداية فسنلاحظ أننا تناولنا ثلاثة مظاهر مختلفة للتسامح استحوذت على اهتمام ضئيل من قبل الباحثين:

أولاً: تناولنا الاستجابات المرتبطة بإبداء التوبة – التى تمثل المُكمل للتسامح – وقد أجريت عليه دراسات قليلة، وركزنا فى تناولنا له على منظور كل من الضحايا ومرتكبى العنف.

ثانيًا: ركزنا على السلوكيات الصريحة فى مقابل الاستجابات الضمنية تمامًا.

أخيرًا: لم يقتصر تناولنا على توضيح الفوائد التى يجنيها الأفراد، عندما يعبرون عن التسامح، ولكننا تجاوزنا ذلك، ولخصنا المخاطر التى قد تجعل الأفراد يعزفون عن التعبير عن التسامح والتوبة.

ويوحى تحليلنا أن التعبير عن التوبة والتسامح – على الرغم من أنه مفيد – قد ينطوى على مخاطر أساسية بالنسبة لكل من الضحايا ومرتكبى العنف، وتعكس هذه المخاطر غالبًا الشعور بالخزى، وأنماط التفكير المرتبط بحماية الذات، وفقدان القدرة على استعادة الثقة فى الطرف الآخر.ومن المحتمل أن تكون هذه الاعتبارات أكثر وضوحًا فى السياقات التى تتسم بالعداء الشخصى، أو بين الأشخاص الذين يميلون إلى الشعور بالخزى وفقدان الثقة.

باختصار، قد يكون من الخطر أن نفترض أن الناس الذين لا يمنحون التسامح، أو لا يعبرون عن توبتهم، يتصرفون كلية من منطلق غضبهم أو أنانيتهم، فقد يثبت أن الخوف والشعور بالخزى قد يكونان من أكبر العوائق التى تحول دون التعبير عن التسامح والتوبة، حتى لدى الناس الذين يشعرون بالرحمة، والتوبة على المستوى الشخصى.

ملاحظات:

١- لا نود أن نلمح فى سياق هذه الدراسات إلى أن إبداء التوبة أو التسامح – فى حد ذاتهما- يعدان عاملين إجرائيين يسهمان فى تحسن الصحة، فتركيزنا الأساسى كان عن الكتابة عن الأحداث المزعجة، وهناك بعض الاقتراحات، تتمثل فى أن الفوائد التى تترتب على التعبير عن التسامح، أو التوبة قد تكون مقصورة على التعبير الكتابى بدلاً من التواصل وجهًا لوجه (Pennebaker,Hugher,&O' Heeron,1987) وهذا يثير تساؤلاً آخر هو: هل ستختلف الاستجابات الفسيولوجية للأفراد الذين يعبرون عن تسامحهم وتوبتهم كتابةً، إذا كانوا يعتقدون أن تقاريرهم سوف يقرأها أولئك الأفراد الذين هم فى خلاف معهم؟، أوضحت نتائج الدراسات أن معرفة المشاركين أن خطاباتهم لن يقرأها الأفراد الذين آذاهم هؤلاء المشاركين، أو أولئك الذين آذوا المشاركين أنفسهم، أدى إلى استبعاد العقاب الاجتماعى (Kelly&McKllop,1996)، والتحفظ الأخير هو أن الدراسات الموجودة ركزت على الأحداث الصدمية بوجه عام ولم تركز على الإساءات على وجه التحديد، وإن كان من المنطقى أن نفترض أن الإساءات تمارس دورًا فى كثير من الأحداث الصدمية.

٢- لاحظ أن التعبير عن التسامح – على الرغم من ذلك – لن يعفى مرتكب العنف أبدًا من العقاب، فعلى سبيل المثال العائلة التى قُتل أحد أبنائها، يمكنها أن تخبر القاتلة أنها سامحتها ولكن سلوكيات أفراد هذه العائلة لن تُسقط الحكم المتعلق بجريمة القتل.

٣- ويمكن أن يزود سلوك التعبير عن التسامح الفرد المتسامح بقوة فى العلاقات الاجتماعية، فنظرًا لأن التسامح يُدرك غالبًا على أنه سلوك نبيـــل، لذلك فإن الضحايا الذين يعبرون عن التسامح قد يكتسبون قوة فى العلاقة من خلال سلوكهم طريق السمو الأخلاقى، ومع ذلك يبدو أن قوة العلاقـــة التـــى تكتسب من خلال التعبير عن التسامح، تكون أكثر بروزًا من تلك القوة التى تُكتسب من خلال التمسك بالأحقاد، فالأفراد المتسامحون قد يشعرون بـــالقوة لقيامهم ببعض الأشياء الطيبة أو الحسنة، فإذا لاحظ مرتكب العنف ســـلوكهم أو أعجب به فإنه(أو أنها) قد تزداد دافعيتـــه (أو دافعيتهـــا) لإبـــداء توبتـــه (أو توبتها)، أو تحسين سلوكه (أو سلوكها)، ونظرًا لأن الذين يعبرون عـــن تسامحهم يتخلون ظاهريًا عن إدعاءاتهم ضد المُسىء، فإنهم قد لا يـــشعرون بأنهم متحررو الإرادة، لكى يسيطروا بقوة على المسىء، وذلك مـــن خـــلال انتزاع التوبة منه مباشرة، أو الاعتراف المحدد بالخطأ.

المراجع

- Affleck, G., Tennen ,H., Croog, S., & Levine,S.(1987).Causal attribution, perceived benefits, and morbidity after after a heart attack:An 8 year study.Journal of Consulting and Clinical Psychology,55,29-35.

- AL-Mabuk,R.H.,Enright,R.D.,&Cardis,P.A.,(1995).Forgiveness education with parentally love –deprived late adolescents.Journal of Moral Education ,24,427-444.

- Axelrod,R.(1980a).Effective choice in the Prisoner's Dilemma.Journal of Conflict Resolution,24,3-25.

- Axelrod,R.(1980b).More effective choice in the Prisoner's Dilemma. Journal of Conflict Resolution,24,379-403.

- Baumeister,R.F.,(1997).Evil: Inside human violence and cruelty.New York: W.H.Freeman.

- Baumeister,R.F.,Exline ,J.J.,&Sommer,K.L.,(1998).The victim role ,grudge theory, and two dimensions of forgiveness ,In E.L., Worthington ,JR.,(Eds.),Dimensions of forgiveness :psychological research and theological perspectives(pp.79-104).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Baumeister,R.F.,Heatherton,T.F.,&Tice ,D.M.,(1994).Losing control: How and why people fail at self regulation.San Diego: A cademic Press.

-Baumeister,R.F.,Reis,H.T.,&Delespaul ,P.A.E.G., (1995).Subjective and experiential correlates of guilt in daily life.Personality and Social Psychology Bulletin,21,1256-1268.

- Baumeister,R.F.,Stillwell,A.M.,&Heatherton,T.F.,(1994).Guilt:An interpersonal approach.Psychological Bulletin,115,243-267.

- Baumeister,R.F.,Stillwell,A.M.,&Heatherton,T.F.,(1995).Personal narratives about guilt: Role in action control and interpersonal relationships. Basic and Applied Social Psychology ,17,173-198.

- Baumeister,R.F.,Stillwell,A.,&Wotman,S.R.,(1990).Victim and perpetrator accounts of interpersonal conflict: Autobiographical narrative about anger. Journal of Personaliy and Social Psychology , 59,994-1005.

- Baumeister,R.F.,&Wotman,S.R.,(1992).Breaking hearts: The two sides of unrequited love.New York: Guilford Press.

- Bendor , J.,Kramer,R.M.,&Stoute ,S.,(1991).When in doubt... cooperation in a noisy prisoner sdilemma.Journal of Conflict Resolution, 35,691-719.

- Bies,R.J.,&Tripp,T.M.,(1996).Beyond distrust: "Getting even " and the need for reveng.In R.M.Kramer &T.R.,Tyler(Eds).Trust in organizations: Frontiers of theory and research (pp.246-260). Thousand Oaks,CA:Sage.

- Boon,S.D.,&Sulsky,L.M.,(1997).Attributions of blame and forgiveness in romanticrelationships: Apolicy –capturing study. Journal of Social Behavior and Personality,12(1),19-44.

- Brown,B.R.,(1968).The effects of need to maintain face on interpersonal bargaining.Journal of Experimental Social Psychology,4,107-122.

- Coyle,C.T.,&Enright,R.D.,(1997).Forgiveness intervention with post –abortion men.Journal of Consulting and Clinical Psychology ,65,1042-1046.

- Darby,B.W.,&Schlenker,B.R.,(1982).Childern's reactions to apologies. Journal of Personality and Social Psychology ,43,742-753.

- Engel,B.(1989).The right to innocence: Healing the trauma of childhood sexual abuse. Los Angeles:Jeremy Tarcher.

Enright,R.D.,Eastin,D.L.,Golden,S.,Sarinopoulos,I.,& Freedman,S. R.,

(1992).Interpersonal forgiveness within the helping professions: An attempt to resolve differences of opinion. Couseling and Values,36,84-103.

- Enright,R.D.,&the Human Development Study Group.(1991).The moral development of foriveness.In W.kurtines&j.Gewirtz(Eds), Moral behavior and developm(Vol.,1,pp.123-152).Hillsdale,NJ: Erlbaum.

- Enright,R.D.,Santos,M.J.D.,&AL-Mabuk,R.(1989).The adolescent as forgiver.Journal of Adolescence,12,99-110.

- Exline ,J.J.,Yali,A.M.,&Lobel,M.(1998a,April).Self- serving perceptions in victim and perpetrator accounts of transgression.poster presented at the annual meeting of the MidwesternPsychological Association, Chicago,IL.

- Exline ,J.J.,Yali,A.M.,&Lobel,M.(1998b).Repentance promotes forgiveness. Unpublished raw data.

- Fagenson ,E.A.,&Cooper,J.,(1987).When push comes to power :Atest of power restoration theory's exp'anation for aggressive conflict escalation Basic andd Applied Social Psychology,8,273-293.

- Fenell,D.L.,(1993).Characteristics of long – term first marriages.Journal of Mental Health Counseling, 15,446-460.

- Freedman,S.R.,&Enright,R.D.,(1996).Forgiveness as an intervention goal with incest survivors.Journal of Consulting and Clinical Psychology ,64,983-992.

- Higgins,E.T.(1987).Self- discrepancy:A theory relating self and affect.Psychological Review,94,319-340.

- Hodgins,H.S., Liebeskind E. &Schwartz, w.(1996).Getting out of hot water: Facework in social predicaments. Journal of Personality and Social Psychology,71,300-314.

- Holbrook, M.I., White, M. H.,& Hutt, M. J.(1995).The Vengeance Scale :Comparison of groups and an assessment of external validity. Psychological Reports,77,224-226.

- Kelly ,A.E.,& McKillop , K. J.(1996).Consequences of revealing personal secrets. Psychological Bulletin,120, 450-465.

- Komorita ,S. S., Hilty ,J. A. &Parks, C.D.(1991).Reciprocity and cooperation in social dilemmas.Journal of Conflict Resolution ,35,494-518.

- Kubany, E.S., Bauer, G. B, Muraoka, M. Y. Richard D. C., &Read, P.(1995). Impact of labeled anger and blame in intimate relationships.Journal of Social and Clinical Psychology ,14(1),53-60.

- Lysak,H.,Rule,B.G.,& Dobbs,A.R.(1989).Conceptions of aggression: Prototype or defining features? Personality and Social Psychology Bulletin,15,233-243.

-McCullough,M.E.(1997).Marital forgiveness: Theoretical foundations and an approach to prevention. Marriage and Family: A Christian Journal ,1(1),77-93.

-McCullough ,M.E., Exline, J.J.,& Baumeister , R.F.(1998).An annotated bibliography of research and related concepts.In E. L., Worthington, Jr(Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspectives(pp.193-317).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- McCullough , M.E.,Sandage ,S. J., &Worthington ,E L., Jr. (1997).To forgive is human: How to put your past in the past. Downers Grove ,IL: Intervarsity Press.

- McCullough, M. E., &Worthington, E.L., Jr.(1994).Encouraging clients to forgive people who have hurt them: Review ,critique , and research prospectus. Journal of Psychology and Theology ,22(1),3-20.

- McCullough,M.E.,Worthington,E.L.,Jr& Rachal,K.C. (1997). Interpersonal forgiving in close relationships. Journal of Personality and Social Psychology , 73,321-336.

- McWilliams ,N.(1994).Psychoanalytic diagnosis: Understanding personality structure in the clinical process. New York: Guilford Press.

- Meek,K.R.,Albright,J.S.,& McMinn,M.R.(1995).Religious orientation ,guilt ,confession, and forgiveness. Journal of Psychology and Theology,23,190-197.

- Mongeau,P.A.,Hale,J.L.,&Alles ,M.(1994).An experimental investigation of accounts and attributions following sexual infidelity. Communication Monographs,61, 326-344.

- Nasby,W.,Hayden,B.,& DePaulo,B.(1980). Attributional bias among aggressive boys to interpretunambiguous social stimuli as displays of hostility.Journal of Abnormal Psychology, 89,459-468.

- Ohbuchi,K., Kameda, M.,& Agarie, N.(1989)Apology as aggression control: Its role in mediating appraisal of and response to harm. Journal of Personality and Social Psychology,56, 219-227.

- O' Malley, M.N.,& Greenberg,J.(1983).Sex differences in restoring justice: The down payment effect.Journal of Research in Personality ,17,174-185.

- Park ,Y.O.,& Enright ,R.D.(1997).The development of forgiveness in the context of adolescent friendship conflict in Korea. Journal of Adolescence ,20, 393-402.

- Pennebaker,J.W.(1993).Putting stress into words: Health ,linguistic , and therapeutic implications.Behaviour Research and Therapy,31,539-458.

- Pennebaker,J.W.(Ed.).(1995).Emotion, disclosure, and health. Washington, DC: American Psychological Association Press.

- Pennebaker,J.W.,Hughes,C.F.,& O Heeron ,R.C.(1987).The psychophysiology of confession: Linking inhibitory and psychosomatic processes.Journal of Personality and Social Psychology,52,781-793.

- Pennebaker,J.W.,Mayne,T.J.,&Francis,M.E.(1997).Linguistic predictors of adaptive bereavement.Journal of Personality and Social Psychology ,72,863-871.

Rusbult,C.E.,Verette,J.,Whitney,G.A.,Slovik,L.,F.,&Lipkus,I.(1991).Accommo dation processes in close relationships: Theory and preliminary empirical evidence.Journal of Personality and Social Psychology, 60,53-78.
-Sells,J.N.,&Hargrave,T.D.(1998).Forgiveness: Areview of the theoretical and empirical literature.Journal of Family Therapy ,20,21-36.

- Smyth,J.M.(1998).Written emotional expression: Effect sizes, outcome types ,and moderating variables. Journal of Consulting and clinical Psychology,66,174-184.

- Stillwell,A.M.,&Baumeister,R.F.,(1997).The construction of victim and perpetrator memories: Accuracy and distortion in role- based accounts. Personality and Social Psychology Bulletin,23,1157-1172.

- Tangney,J.P.,Wagner,P.,Fletcher,C.,&Gramzow,R.(1992).Shamed into anger? The relation of shame and guilt to anger and self- reported aggression.Journal of Personality and Social Psychology ,62,669-675.

- Tangney,J.P.,Wagner,P.E.,Hill-Barlow ,D.,Marschall ,D.E. ,& Gramzow, R.(1996).Relation of shame and guilt to constructive versus destructive responses to anger across the life span. Journal of Personality and Social Psychology,70,797-809.

- Tennen,H.,&Affleck,G.(1990).Blaming others for threatening events. Psychological Bulletin,108,209-232.

- Thomas,K.W.,&Pondy,L.R.(1977).Toward an " intent" model of conflict management among principal parties. Human Relations,30,1089-1102.

-Tice,D.M.,&Hastings ,S.(1997,April).Performance and victim role.Paper presented at the annual meeting of the Midwestern Psychological Association ,Chicago,IL.

- Wade,S.H.(1989).The development of a scale to measure forgiveness. Unpublished doctoral dissertation,Fuller Theological Seminary ,Pasadena,CA.

- Weiner,B.,Graham,S.,Peter,O.,&Zmuidinas,M.(1991).Public confession and forgiveness.Journal of Personality,59,281-312.

- Williams,R.,&Williams,V.(1993).Anger Kills.New York:Random House.

Worthington,E.L.,Jr.(Ed.).(1998).Dimensions offorgiveness: Psychologicalresearch and theological perspectives.Philadelphia: Templeton Foundation Press.

Worthington,E.L.,Jr.,&Drinkard,D.T.(in press).Promoting reconciliation through psycho- educational and therapeutic interventions.Journal of Marital and Family Therapy.

Zelin,M.L.,Bernstein,S.B.,Heijn,C.,Jampel,R.M.,Myerson,P.G.,Adler,G.,Buie, D.H.,Jr.,&Rizzuto,A.M.(1983).The Sustaining Fantasy Questionnaire: Measurement of sustaining functions of fantasies in psychiatric inpatients. Journal of Personality Assessments,47,427-439.

الفصل الثامن

التسامح والشخصية

تأليف: روبرت إيمونز

كما تُبنى المناحى العصبية البيولوجية على أساس ما نعتقده عن المخ، فإن المناحى الشخصية فى التسامح تبنى على أساس ما نعتقده عن الشخصية (Newberg, d Aquili,Newberg,& de Marici, Aالفصل الخامس فى هـذا المجلـد). ويوحى التقدم الحديث، والمتمثل فى نمو أُطر نظرية شاملة لفهم الأشخاص، يوحى بإمكانية حدوث تقدم فى فهم الأساس الشخصى للتسامح.

ويُراجع هذا الفصل البحوث الراهنة فى الشخصية والتسامح، انطلاقًا من الإطار النظرى الشامل الذى قدمه مـاك آدمـز McAdam's (عـامى ١٩٩٥و١٩٩٦) لفهم الأشخاص، وبؤرة الاهتمام الأساسية لهذا الفصل هـى تناول إمكانية دراسة التسامح، وفهمه ضمن هذا الإطار، ويتمثل الهدف الآخر لهذا الفصل فى توضيح كيف يمكن أن يقودنا هذا الإطار إلـى تقـدم الفهـم العلمى للتسامح.

إذن يتمثل الهدف الأساسى لهذا الفصل فى توضيح كيف يقـدم هـذا النموذج المتكامل فى وصف الشخصية إطارًا مساعدًا يُوجه الجهود النظرية والإمبريقية فى دراسة التسامح ضمن مجال الدراسـة النفـسية للشخـصية. ونبرهن فى إطار هذا الفصل على الحاجة إلى هذا الإطار الشامل؛ لتزويـد المختصين بأدوات ومقاييس هادية، وذلك لكى نضع التسامح ضمن الإطـار الأعم لعلم الشخصية.

المستويات الخاصة بالفرد:

أبدأ بافتراض مؤداه أن الفهم الكامل لدور التسامح ضمن إطار الشخصية، يتطلب مناقشة موسعة لتصورات علماء الشخصية المعاصرين للشخصية، وعندئذ فقط يمكن أن نقترح بشكل فعال وجود تفاعل بين الشخصية والتسامح على المستويين النظرى والمنهجى.

إن تاريخ علم نفس الشخصية مرادف للبحث عن وحدات ملائمة للتحليل لدراسة الشخص.ونتساءل ما وحدات التحليل التى ينبغى استخدامها لوصف الأشخاص؟ يتوقع عالم الشخصية المعاصر منظومة احتمالات محيرة، وقد قدم ماك آدامز (عامى ١٩٩٦،١٩٩٥) إطارًا لفهم التفرد الإنسانى، وافترض أن معرفة الشخص تتطلب أن نكون معنيين بمعلومات تتعلق بثلاثة مستويات أو مجالات لوصف الشخصية:

١- يتعلق المستوى الأول بالسمات المزاجية النسبية comparative dispositional traits.

٢- ويتعلق المستوى الثانى بالاهتمامات الشخصية المرتبطة بسياق الفرد.

٣- ويتعلق المستوى الثالث بقصص الحياة المتكاملة.

ويحتوى كل مستوى من هذه المستويات الثلاثة على تكوينات وبؤر اهتمام مختلفة، ويمكن الوصول إليها من خلال مختلف عمليات القياس، والمستويات الثلاثة تمثل عوالم من الوظائف المستقلة نسبيًا، ويتجلى كل مستوى منها للعيان على نحو مستقل، وتختلف فى إمكانية وصولها إلى وعى الفرد، وتزودنا بمميزات أو وجهات نظرمختلفة، للاقتراب من الدراسة العلمية للأشخاص ودراسة التسامح والشخصية التى تمثل شأنًا عاجلاً.

ويتألف المستوى الأول من أبعاد الشخصية غير المشروطة والتى لا ترتبط بالسياق، وتتسم بالنسبية، والتى نطلق عليها "السمات"، والخصال الشخصية فى هذا المستوى تكون أساسية فى فهم المظاهر الأكثر عمومية والقابلة للملاحظة للأنماط السلوكية النموذجية للشخص، وتبلغ الدراسة النفسية للسمات ذروتها حديثًا وفقًا لإجماع الباحثين، فيما يطلق عليه نموذج العوامل الخمسة لسمات الشخصية الذى كان مثار نقاش بين كثير من العلماء (Bradle & Emmons,1992)، والسمات الخمس هى الانفتاح على الخبرة، والوعى، والانبساط، والمقبولية، والعصابية، (ويرمز لها بالرمز OCEAN)، ويقدم هذا النموذج إطارًا مرجعيًا موحدًا يتبناه كثير من الباحثين داخل مجال التخصص وخارجه، ويزودنا نموذج العوامل الخمسة بإطار مرجعى فعال لتنظيم الاستخبارات الخاصة بالسمات الموجودة، وللتنبؤ بنواتج الحياة المهمة مثل الصحة، والتنعم النفسى، والنواتج العلاجية، وتُدعم دراسات الوراثة السلوكية نموذج العوامل الخمسة مبرزةً قابلية كثير من سمات الشخصية الأساسية للتوريث (Row,1997).

وللسمات قيمة فى وصف الأشخاص فى ضوء خصالهم المعيارية وغير المشروطة، ولكن الناس لا يمكن اختزالهم فى سماتهم.

ونورد فى هذا الصدد ماقاله ريان Ryan (١٩٩٥):

"الحياة لا تُعاش كسمات " (ص:٤١٦)،وقد ذُكر القصورالناجم عن استخدام وحدات السمات غير المرتبطة بالسياق، فى فهم التفرد فى موضع آخر (Block,1995:McAdams,1992;Pervin,1994) وقد برهن دينر Diener (١٩٩٦) أن السمات ضرورية عندما نقرر فهم ظاهرة ذات محددات متعددة كالتنعم الذاتى، ولكنها غير كافية، وقد أوضح أن تكوينات السمة فشلت فى تقديم تفسير كامل للاستجابات التقديرية للناس فى حياتهم، وناقش ماك

آدمز(1992,p.329) أن الوصف من خلال السمات يُسلم – فى أحسن الأحوال – إلى ما أطلق عليه " الدراسة النفسية للغريب "، وهى بمثابة محاولة أولى من مراحل وصف الشخص.

ويتألف المستوى الثانى من الاستراتيجيات، والخطط، والاهتمامات المرتبطة بالسياق، التى تُمكّن الفرد من التعامل مع مهمات الحياة المتنوعة وإنجاز الأهداف الشخصية الحياتية المهمة، وفى السنوات الحديثة يوجد وصف متزايد للتكوينات فى هذا المستوى من التحليل حيث حول علماء الشخصية انتباههم إلى آليات التنظيم الذاتى، وإلى البناءات التى توجه السلوك على نحو هادف؛ لإنجاز الأهداف المرغوبة، وتتألف التكوينات فى هذا المستوى من المشروعات الشخصية (Little,1989)، والمهمات الشخصية (Cantor& Zirkel,1990)، والكفاحات الشخصية (Emmons,1986)، وتتميز بأنها قصدية، وموجهة نحو هدف، وذلك بالمقارنة بالنزعات الأسلوبية والمعتادة فى المستوى الأول، وهى أكثر مرونة من السمات إلى حد كبير، وتكون هذه الوحدات أحيانًا غير نسبية، وغالبًا مشروطة بدرجة مرتفعة، ومرتبطة بالسياق زمانيًا ومكانيًا، ويطلق ليتل Little وآخرين (١٩٩٢)عليها "تكوينات الفعل الشخصى" ويرمز لها ب (PAC)، وهى مغايرة للسمات على نحو واضح فى الميول العامة. وتميل التكوينات فى هذا المستوى إلى أن تكون دافعية وارتقائية بطبيعتها، حيث تركز على نحو واضح على مايحاول الشخص فعله على نحو شعورى أثناء مرحلة محددة من حياته أو حياتها، وكما برهن ماك آدمز (١٩٩٢) وبيرفن Pervin (١٩٩٤) بفاعلية، أن المفاهيم فى هذا المستوى تختلف اختلافًا أساسيًا عن السمات، ولا يمكن اختزالها إلى سمات، ففى المستوى الأول نتحدث إلى حد ما عن "ما يمتلكه الشخص" (Cantor&Zirkel,1990)، بينما نتحدث فى المستوى الثانى عن "ما يفعله

الشخص". فالأهداف ليست سمات، وغير مبنية على أى أساس وراثى بأية درجة (على الرغم من قلة البيانات الموثقة فى هذا الصدد)، وقد أظهر كارولى Karoly (١٩٩٣) على نحو رائع الفروق بين السمات والأهداف، فالهدف هو " شيء يتوق الفرد الوصول إليه، وهو يستلزم أساسًا التدبير السابق، ويشمل قصة الإنسان: إمكانياته – النجاح والفشل، والإحباط، وخيبة الأمل، والقلق والرفض من قبل الآخرين وتدمير الذات" (ص: ٢٧٤).

ويمثل المستوى الثالث "الهوية" أو قصة الحياة، وتنعكس الهوية فى القصص التى ينسجها الناس؛ لتمنحهم الإحساس بأن لحياتهم عمومًا معنى وهدف. فالهوية هى قصة الحياة التى تصف منظومة السمات، والكفاحات الشخصية، والعناصر المتنوعة الأخرى الموجودة بالمستويين الأول والثانى، وذلك فى صورة أكثر أو أقل ترابطًا، وتطورها إلى وحدة متكاملة، ونقتبس ما أورده كل من سينجر Singer وسالوفىSalovy(١٩٩٣) فى هذا الصدد " تخبرنا قصص حياة الأفراد بخلاصة حياة الشخصية " (ص:٧٠) وهى مغايرة لما هو متضمن فى المستويين الأول " ما يملكه الشخص من سمات "، والثانى "ما يفعله"، فيتعلق المستوى الثالث بصناعة الذات (McAdams,1996).

التسامح ومستويات الشخصية الثلاث :

نبدأ بإثارة التساؤل الآتى: هل يمكن أن يقدم هذا النموذج المتكامل للشخصية ذو المستويات الثلاثة إطارًا مساعدًا لتوجيه الجهود الإمبريقية والنظرية فى دراسة الشخصية والتسامح؟

ونبدأ الآن فى محاولة الإجابة عن هذا التساؤل.

إن المستويات الثلاثة لبناءات الشخصية قد تكون أساسًا ذات فائدة فى تنظيم المعرفة، واقتراح توجهات للبحث المستقبلى فى مجال الشخصية والتسامح، ومن الواضح أن تكوينات التحليل ووحداته لأى مستوى من المستويات الثلاثة قد تثرى البحث فى التسامح، وتزوده بإطار مرجعى لوضع التسامح ضمن المظاهر الأخرى للوظائف النفسية، فما يُحدث به الشخص ذاته أو "ذاتها" - الحديث النفسى - فى السياق الذى يكون التسامح فيه بمثابة استجابة محتملة، يعد أساسًا لفهم ما الذى سيحدث فى هذا الموقف، ومن المحتمل أن تؤثر الميول المعتادة، والأهداف الشخصية، والدوافع، وقصص الإدراكات الذاتية، فى عمليات التسامح بطرائق متعددة، وعلى نحو مشابه، ومن الممكن أن ندرس التسامح من حيث أفضليته كميزة فى أى مستوى من المستويات الثلاثة، ويوحى كل مستوى من المستويات الثلاثة بتكوينات نظرية وعمليات قياس، وهى ذات فائدة كاستراتيجيات للبحث، ونظرًا لأن الموروث البحثى الحالى فى التسامح والشخصية يمكن فهمه على نحو أفضل، من خلال التوجهات البحثية المتوجهة نحو السمة، وحيث أن منظور السمة هو المنظور الأكثر شيوعًا فى الدراسة النفسية المعاصرة للشخصية، فإن هذا الفصل يؤكد تكوينات مستوى السمة (المستوى الأول فى نموذج ماك آدمز)، ولكن حرصنا فى نهاية الفصل على إلقاء الضوء على ما يمكن أن تقدمه تكوينات المستويين الثانى والثالث لدراسة للتسامح فى إطار الدراسة النفسية للشخصية.

المستوى الأول: التسامح بوصفه سمةً

أحد أساليب دراسة التسامح هو أن نتناوله كوسع مُعمم عبر المواقف، أو ميل عام للتسامح مع الآخرين، ويتمثل هذا الميل المُعمم للتسامح - كميل

غير مشروط وغير مقيد بسياق معين- فى التجاوز عن إساءات الآخرين، وعن الإساءات التى تحدث فى إطار العلاقات الشخصية

(McCullough,Rachal,&Hoyt, الفصل الرابع فى هذا المجلد). وقد طور عدد من الباحثين مقاييسًا فردية مختلفة لقياس التسامح، وقد قدم ماكلو McCllough وورثنجتون Worthington (فى المطبعة) وماكلو وراشيل Rachal وهويت Hoyt (الفصل الرابع فى هذا المجلد) قدموا مراجعة مهمة للمقاييس الموجودة للتسامح.

وقد يُطلق على الوسع أو الميل العام للتسامح مصطلح "التسامح " (أُطلق هذا المصطلح بعد روبرتس Robertst ١٩٩٥)، والميل للتسامح مغاير عن فعل أو عملية التسامح، فالميل للتسامح - وفقًا لتصور روبرتس - هو فضيلة تتمثل فى الميل إلى " وضع حد للغضب من الأشخاص المخطئين الذين يستحقون اللوم، وذلك من خلال إدراكهم إدراكًا كريمًا، ذلك الإدراك الذى تزودنا به المبررات المميزة للتسامح (ص:٢٩٠)، والشخص المتسامح هو الشخص الذى يميل إلى أن يكون مدركًا للظروف الملطفة للغضب (مثل الحساسية لروح التوبة التى يبديها الفرد المُسيء)، وهو الشخص الذى لديه مهارات تحكم انفعالى متطورة إلى حد كبير، تُمكنه أو "تمكنها" من تنظيم الغضب، والانفعالات المرتبطة بكف الميل للتسامح، والشخص المتسامح لديه اهتمام مستمر فى أن تكون علاقاته مع الآخرين علاقات كريمة ومتناغمة، ولديه قدرة على تمثل منظور المعذبين، وعلى تحرير نفسه أو "نفسها" من خبرة كونه أوذى أو أُسيء إليه كخبرة شخصية، وهذا الارتباط بين الوسع والقدرة قاد إيمونس Emmons (فى المطبعة) إلى وضع التسامح كعنصر من عناصر الذكاء الروحى. هذا التحليل الثرى لروبرتس زودنا بأرضية خصبة ؛ لتطوير مبيان نفسى صادق إمبريقيًا عن الشخصية

المتسامحة، وربط الميل للتسامح بفضيلتى التواضع والامتنان كفضيلتين شخصيتين(Roberts,1995,pp.298-299).

ومع الاهتمام المتزايد الذى استحوذ عليه التسامح من قبل علماء النفس الاجتماعيين وعلماء الشخصية، من المحتمل أن تقدير الفروق الفردية فى التسامح، قد أصبح له أوليَّة مرتفعة، وسيحتاج الباحثون تبرير تطويرهم لمقاييس جديدة، وقد أوضح بايدمونت (فى المطبعة) قيمة نموذج العوامل الخمسة فى تقدم الدراسة العلمية للدين، واقترح أن هذا النموذج يمكن أن يزودنا بمرجع إمبريقى لتقويم المقاييس الجديدة المتطورة، ولتقويم دلالة المقاييس الموجودة، ومع تسليمنا بالدور الرئيس – تاريخيًا – للدين فى التسامح، فإن توصيات بايدمونت يمكن تطبيقها لتطوير مقاييس التسامح كسمة، وتقدير صدقها أيضًا.

وقد نصح أوزر وريز (١٩٩٤) الباحثين المعنيين بدراسة الشخصية بأن يربطوا مقاييسهم الشخصية بشكل روتينى بالتكوينات النظرية المفترضة فى نموذج العوامل الخمسة، ومع تسليمنا بزيادة أدوات القياس فى مجال الدراسة النفسية للدين (سيكولوجية الدين)، فإنه ينبغى على الباحثين أن يبذلوا جهدًا حسنًا ليعملوا بهذه النصيحة.

وهناك طريقة أخرى للإفادة من الإطار النظرى الذى قدمه ماك آدمز، فيمكن أن نستخدم التكوينات النظرية المفترضة بالمستوى الأول، وذلك لفحص تأثيرها على التسامح، فقد تعوق السمات المزاجية المتنوعة التماس التسامح من الآخرين ومنحه لهم، وقد تيسره. ونعرض فى الجزء التالى بحثًا تفصيليًا لتكوين نظرى ذي ارتباط وثيق بالميل للتسامح، وهو حب الذات أو "النرجسية"، والشخصية النرجسية.

ويقدم هذا التكوين النظرى (النرجسية) الكثير للعلماء وللممارسين المعنيين بالفهم المتعمق للتأثيرات المزاجية على عملية التسامح، وقد برهنت

– على نحو مماثل – على أن مفهوم التسامح يعد مفهومًا محوريًا لفهم آليات النرجسية، فثراء هذا التكوين وطبيعته المتعددة الأوجه قد يسهمان فى اعتباره وسيلة تفسيرية ممكنة؛ لفهم الدوافع الشعورية واللا شعورية للفرد، والانفعالات الغالبة عليه، والمعتقدات الضمنية التى تكمن وراء عملية التسامح، فحب الذات أو " النرجسية " تكوين ثرى ومتعدد الأوجه، ويتكون من الاتجاهات الثابتة تجاه الذات والآخرين، ويتميز بالتوجهات الذاتية، والأرجاع الانفعالية الحادة، وبناء على ذلك ينبغى أن يكون للنرجسية وعملياتها ارتباط وثيق ومهم، بتقدم المعرفة المتعلقة بتأثيرات الشخصية على الميل للتسامح.

ارتباط النرجسية بالتسامح:

إن التكوينات النظرية فى مجال الدراسة النفسية للشخصية تظهر وتختفى، فبعض هذه التكوينات ازدهر بمرور السنوات، وزودنا بفهم متعمق لطبيعة الشخصية ووظيفتها، بينما تلاشت تكوينات أخرى سريعًا، وقد صمد تكوين "النرجسية" فى اختبار الزمن، فمنذ ما يزيد على مائة عام، استحضر هافلوك إيلز Havelock Ellis (١٨٩٨) هذا المفهوم لوصف الحالة النفسية للتهيج الذاتى للذكر، وهو نوع من التهيج الجنسى ينشأ دون وجود مثير خارجى واضح، وقد وصف فرويد (١٩١٤/١٩٥٧) فيما بعد النرجسية بأنها مرحلة سوية من مراحل الارتقاء النفسى للرضيع، ووصفها بأنها حالة من حالات التثبيت الذاتى اللبيدى، ويمكن أن نُرجع جذور الصياغات النفسية الديناميكية المعاصرة إلى مثل هذه التصورات الأولية، واستخدم كيرنبرج Kernberg (١٩٧٥)النرجسية ليشير إلى شكل الشخصية المرضية، بينما استخدمه كوت Kohut (١٩٧٧،١٩٨٥) لوصف ارتقاء الشخصية المستقل والسابق

للارتقاء النفسى الجنسى، وارتقاء "الهو"، وعلى الرغم من أن هذا المفهوم قد استخدم للإشارة إلى (١) عملية ارتقائية، (٢) فئة مرضية، (٣) سمة سوية من سمات الشخصية، فإن هذا المعنى الثالث هو الذى نستحضره هنا.

تعريف النرجسية وقياسها :

سترتبط النرجسية بالطبع دائمًا بالأساطير اليونانية التى تصور حب الذات المفرط والقهرى، وعلى الرغم من أن هذا المفهوم كان يُنظر له على أنه مرادف لمفهوم التمركز حول الذات، فإن مدلوله أصبح أكثر تفصيلاً، ونقاءً، ووضوحًا عبر الزمن، ويعد التعريف الذى قدمه كل من راسكين Raskin وتيرى Terry (١٩٨٥) من أكثر التعريفات شمولاً فى الموروث الإمبريقى. فيعرفان النرجسية بأنها " زهو ذاتى يتسم بالنزوع تجاه الأفكار المبالغ فيها، والاستعراضية، واستخدام الحيل الدفاعية عند الاستجابة إلى النقد، والعلاقات الشخصية تتميز بمشاعر الجدارة والاستغلالية، ونقص التفهم" (ص:٨٩٦). و حتى عام (١٩٨٠) لم نكن نعرف سوى القليل عن الأساس الإمبريقى للنرجسية، وكانت الدراسات التى أجريت على حالات فردية، والوصف الإكلينيكى الذى قدمه الأطباء النفسيون الاختصاصيون النفسيون ذوو التوجهات النفسية الدينامية (التحليل النفسى) هى المصدر الأول للمعلومات عن النرجسية، وكذلك كانت كتابات المحللين الاجتماعيين، والتاريخيين، والأدباء، وكُتاب السير الذاتية النفسيين، مصدرًا آخر للمعلومات المتوفرة لدينا عن النرجسية، وقد مهد تطوير بطارية الشخصية النرجسية (NPI;Raskin & Hall,1979) المجال للدراسة الإمبريقية للنرجسية بوصفها سمةً سوية من سمات الشخصية.

وقد بُنيت بطارية (NPI)على أساس المحكات التشخيصية لاضطراب الشخصية النرجسية (NPD) (narcissistic personality disorder) المتضمن فى الدليل التشخيصى للأطباء النفسيين الخاص بجمعية علم النفس الأمريكية (American Psychiatric Association,1994) (DSM)، واضطراب الشخصية النرجسية (NPD) هو نمط شخصى يتسم بالمبالغة الشديدة فى السلوك، أو أحلام اليقظة، كما يتسم أيضًا بنقص التفهم، والحساسية المفرطة لنقد الآخرين، وقد حدد الدليل التشخيصى توقيت ظهور هذا الاضطراب، حيث يظهر فى مرحلة الرشد المُبكر، ويبدو واضحًا فى كل مظاهر أو سياقات حياة الفرد.

وعلى الرغم من أن البطارية مبنية على أساس محكات الدليل التشخيصى الرابع (الدليل التشخيصى الثالث أصلاً)، فإن الظهور المفرط لتلك السلوكيات يُشكل اضطراب الشخصية النرجسية، وعندما تظهر هذه السلوكيات بأشكال أقل، فمن المفترض أنها تعكس النرجسية بوصفها سمة سوية من سمات الشخصية النرجسية، ويبدو أن هذا الافتراض مُجاز من قبل التاريخيين من أمثال لاسك Lasch (١٩٧٩)، فقد كان لاسك مقتنعًا أن الخصال النرجسية شائعة لدى الجمهور العام، علاوة على ذلك، أوضح كل من سبيرى Sperry وآنسبشر Ansbacher (١٩٩٦) أن الشخصية النرجسية أصبحت واحدة من أكثر أنماط الشخصية شيوعًا فى العالم الغربى فى العصر الحالى (ص: ٣٤٩).

وكما لاحظ فرويد، فإن العمليات النرجسية تعد مكونًا عامًا فى ارتقاء الشخصية، وتظهر الديناميات النرجسية لدى كل الأفراد بدرجات متفاوتة، وتتوقف على التاريخ الارتقائى للفرد والحساسية للضغوط الثقافية.

وتعد الدرجة المحددة من التمركز حول الذات، والاهتمام بالذات أساسًا لوظائف الشخصية ولبناء الشخصية المتماسكة، وحتى فى الثقافة المتوجهة

نحو الامتنان الشخصى والتعزيز الذاتى، يمكن أن تكثُر هذه الميول السوية، وتفرض سيطرتها على البناء الكلى للشخصية.

وقد حُسب صدق تكوين بطارية ال (NPI) على عينات من المرضى والأسوياء (انظرللمراجعة: Rhodewalt&Mort,1995)، وقد بدأت الشبكات المنطقية تُشكل ميسرات لفهم الدور الذى يمارسه التكوين فى الوظائف الذاتية والاجتماعية، وكشف تحليل التباين المتعدد للبطارية عن بناء عاملى مركب، يتراوح ما بين أربعة مكونات إلى سبعة مكونات ارتباطية، تتسق مع محكات الدليل التشخيصى لجمعية علم النفس الامريكية (DSM). وكشف إيمونز Emmons (١٩٨٧) عن أربعة عوامل، أطلق عليها: الاستغلالية /الجدارة، والقيادة /التسلطية، والترفع /التكبر، و الاهتمام بالذات / الزهو الذاتى، واستخدم راسكين وتيرى (١٩٨٨) أسلوبًا تحليليًا مختلفًا، وكشفوا عن سبعة عوامل أطلقا عليها: التسلطية، والترفع، والاستعراضية، والخيلاء، والاستغلالية، والجدارة، والكفاءة الذاتية.

وقد اختيرت النرجسية لتوضيح تأثير الشخصية على الميل للتسامح؛ نظرًا لارتباطها ارتباطًا نظريًا وثيقًا بالميل للتسامح وعدم التسامح، كما أن هناك مبررًا آخر لاختيارها، يتمثل فى أن النرجسية من التكوينات ذات الرتبة العليا، فيمكن النظر للنرجسية على أنها تكوين منظم تنظيمًا شديدًا، ينـدرج ضمنه سمات نوعية متنوعة، وأعنى بها تلك السمات التى كشف عنها التحليل العاملى الذى أُجرى على بطارية ال (NPI)، فقد أجرى كل من هيركوف Herkov وبلاشفيلد Blashfield دراسة عام (١٩٩٥)، استهدفت التحقق من الفرض الآتى: أن اضطرابات الشخصية مرتبة ترتيبًا هرميًا، وقد أوضح الباحثان أن اضطراب الشخصية النرجسية يعد من التشخيصات السائدة، فعندما يقابل الاختصاصيون النفسيون العياديون عميلاً يُظهر أعراضًا متنوعة

(تلائم محكات اضطرابين منفصلين من اضــطرابات الشخــصية)، فــإنهم يختارون غالبًا التشخيص النرجسي. وهناك متضمنات أكثر للتشخيص السائد في علاج العميل وفهمه، ويمكن أن نتوقع أن تنشط النرجسية "بوصفها سمةً رئيسة" من سمات الشخصية، والميول النرجسية في مواقف متنوعة مرتبطة بالدراسة النفسية للتسامح، فقد تصلح النرجسية تكوينًا تنظيميًا محوريًّا تتدرج تحته سمات أخرى مرتبطة بالتسامح كالتواضع، والتفهم، والمبالغة.

النرجسية والوظائف الاجتماعية:

تُعد العلاقات الاجتماعية غير الثابتة سمة مميزة للشخصية النرجسية، كما أن النظرات السلبية الازدرائية للآخرين، وفقدان القدرة المــزمن علــى الانسجام معهم، يعدان مظهــريين دقيقــين للتوجــه الــسلبي العــام تجــاه الآخرين.ويصف ميلون Millon (١٩٩٨) المظــاهر الاجتماعيــة للنرجــسية تصويرًا مثيرًا للإعجاب في الفقرة التالية:

يتسم النرجسيون بالوقاحة في علاقاتهم الشخصية، وتنشأ لــديهم مــن ثقتهم في أنفسهم وفي مواهبهم، وهــم تنافــسيون، وطموحــون، ويتولــون بطبيعتهم المواقع القيادية، ويتصرفون بأســلوب حاســم وغيــر متذبــذب، ويتوقعون من الآخرين أن يقدورا منزلتهم الرفيعة غير العادية، ويقدمون لهم ضروب الولاء، وبالإضافة إلى كونهم واثقين بأنفــسهم، فــإنهم مغــامرون وماهرون، ومقنعون، ولديهم سحر كافٍ لاستمالة الآخــرين إلــى أفكــارهم وأهدافهم، والمشكلة التي يثيرها مثل ذلك التصور للذات وللآخرين، تكمن في أن هؤلاء الأفراد قد يكون لديهم نقص في السلوكيات المتبادلــة اجتماعيًــا، أو يكون لديهم شعور مبالغ فيه بالجدارة، فهم يفترضون أن مــا يطمحــون الوصول إليه هو حقهم (ص:٨٩-٩٠).

ويعد الشعور بالجدارة ونقص الشعور بالتفهم مظهرين أساسيين مميزين للنرجسية، فالأشخاص النرجسيون يعتقدون أنهم جديرون بحقوق ومميزات خاصة، سواء أكانوا يستحقونها أم لا، وهم لحوحون وأنانيون، ويتوقعون أن يحصلوا على مميزات خاصة دون أن يأخذوا على عاتقهم أداء مسئوليات، جراء ما حصلوا عليه من مميزات، ويعبرون عن دهشتهم وغضبهم عندما لا يقوم الآخرون بتحقيق رغباتهم، وينعكس نقص التفهم لديهم فى الصعوبات التى يواجهونها فى إدراك رغبات الآخرين، وحاجاتهم، ومشاعرهم، وعندما يدركونها فإنهم ينظرون إلى خبرات الآخرين بازدراء، على أنها دليل على الضعف الشخصى للآخرين، ويلازم الشعور بالجدارة نقص الحساسية لحاجات الآخرين، وينتج عن هذا الاستغلال الاجتماعى – الشعورى أو غير الشعورى – للآخرين (American Psychiatric Association, 1994).

وهناك مظاهر أخرى مرتبطة بالنرجسية تتضمن قابلية تقدير الذات للجرح، والحاجة إلى الزهو، والحساسية المفرطة للإيذاء من النقد والفشل والخزى.

وقد لاحظ ماكدونالد McDonald وواترنوكس Waternaux (١٩٨٩) وثورسين Thoresen وبوويل Powell (١٩٩٢) وجود أوجه تشابه عديدة بين الشخصية النرجسية، ونمط الشخصية (A) فالأشخاص النرجسيون وذو نمط الشخصية (A) متوجهون نحو القوة، ولديهم اهتمام بكفاءتهم الخاصة، ويتسمون بردود أفعال مبالغ فيها للإحباط، وكل منهم ينقصه الهدوء والأسلوب اللطيف والقدرة على فهم الهاديات الاجتماعية، والقدرة على استثارة تعزيز الآخرين، ويميلون إلى الاعتمادية، واستغلال الآخرين، ويميلون كذلك إلى الحيل الدفاعية الذاتية، وتنقصهم القدرة على إقامة علاقات حميمة. وقد لاحظ هؤلاء الباحثون وجود ارتباط دال إحصائيًا بين البطارية

المسحية للنشاط ل جينكينز Jenkins (تقيس مظاهر النرجسية) والمقاييس الثلاثة لاضطراب الشخصية النرجسية NPD لدى كل من العينات الإكلينيكية، (المرضية) وغير الإكلينيكية. وتتسق هذه النتائج مع ما توصل إليه كل رودوالت Rhodewalt، ومورف Morf (١٩٩٥)، حيث توصلا إلى وجود ارتباط بين الدرجة على بطارية الشخصية النرجسية "NPI" (خاصة على عنصر الاستغلالية/الجدارة) وافتقاد الثقة التشاؤمى والخصومة وسوء الخلق وقد تكرر ارتباط النرجسية بالعدائية لدى باحثين آخرين (McCann&Biaggio,1989;Raskin&Terry,1988).

النرجسية والتسامح :

مع افتراض وجود سمات مميزة للشخص النرجسى كما وصفنا هنا، يمكن أن نقوم بمناقشات نظرية، لتوقعنا وجود شبكة ثرية من العلاقات بين التسامح والنرجسية، وفى الحقيقة يمكن تصور أن النرجسية تعد من أكثر تكوينات الشخصية ارتباطًا بالتسامح. فالشخصية النرجسية على نقيض الشخصية المتسامحة فى كثير من المظاهر، والأفراد النرجسيون قد يكون لديهم صعوبة كبيرة فى منح الآخرين التسامح وفى التماسه منهم، وذلك لمبررات عديدة ناقشناها.

نموذج ورثنجتون:

طور ورثنجتون Worthingtin (١٩٩٨) حديثًا نموذج التسامح الذى يُطلق عليه " التفهم – التواضع – التعهد". فى هذا النموذج ذى الأجزاء الثلاثة

يُفترض أن التسامح يُستثار عن طريق التفهم الذى يبديه المُساء إليه تجاه الفرد الذى أساء إليه، ويُعزز من خلال تواضع المُساء إليه، ويتعمق من خلال تعهد المُساء إليه أن يتسامح مع المُسيء، ويعد التفهم جوهر هذا النموذج، وافتراض أن للنرجسية تأثيرًا مثبطًا على عملية التسامح لا يُعد انتقالاً استدلاليًا مفاجئًا فى هذا السياق. فتعد صعوبة إبداء التفهم تجاه الآخرين بُعدًا رئيسًا فى النرجسية، وأسفرت نتائج الدراسات الإمبريقية عن وجود ارتباط سلبى بين التفهم والنرجسية (Ehrenberg,Hunter,&Eltermn,1996; Porcerelli &Sndler ,1995; Watson, Grisham,Trotter,&Biderman,1984) وعلى نحو مماثل سيقع التواضع، ومواصلة الفرد لنجاحه، والقدرة على إدراك الخصال الإيجابية فى الطرف المقابل للنرجسية. والأفراد النرجسيون ميالون إلى التعزيز الذاتى المفرط، و يتسمون بقصور دقة الإدراك الذاتى (John&Robins,1994;Robins&John,1997 Gabriel,Critelli,&Ee,1994;)، وأوضح ورثنجتون أن "التسامح يعد استجابة طبيعية للتفهم والتواضع" (ص: ٦٤).

وتعد النرجسية لسوء الحظ عدوًا بالفطرة للتفهم والتواضع، وقد ثبت إمبريقيًا الارتباط المفترض بين التفهم والتسامح من خلال نتائج مجموعة من الدراسات الارتباطية والوقائية التى أجراها ماكلو McCullough وورثنجتون Worthington وزملائهم (McCullough,Worthington, &Rchal,1997; McCullough et al., 1998) وعلى الرغم من أن التواضع يستوى فى أذهان الناس مع الضعف، وانخفاض احترام الذات، فإنه فى الواقع مناقض لهذا التصور، وقد وصفت الكتابات المعاصرة طبيعة التواضع.

فالتواضع هو ميل الفرد إلى إدراك ذاته أساسًا على أنها مساوية للآخرين، حتى لو وُجدت فروق موضوعية بينه وبينهم فى الجمال الجسمى، والثروة، والمهارات الاجتماعية، والذكاء، أو أية مصادر أخرى. فكون الفرد

متواضعًا لا يعنى أن لديه رأيًا بسيطًا عن ذاته، ولكن يعنى أن لديه رأيًا عن ذاته ليس أحسن ولا أسوأ من الرأى الذى كونه عن الآخرين، فالتواضع هو قدرة الفرد على أن يُعنى بمواهبه وإنجازاته وفقًا لأهميتها النسبية (Lebacqz,1992; Richards,1992)، وأن يكون لديه شعور بالتقبل الذاتى، وإدراك لامكانياته، وتحرره من التكبر، وتقدير الذات المنخفض (Clark,1992). ويُعتبر التواضع فضيلة فى معظم الكتابات الفلسفية، فهو خصلة مرغوبة ينبغى صقلها، ويرتبط التواضع بعدد من النواتج الحياتية الشخصية والاجتماعية.

وقد أوضحت البحوث التى أُجريت فى مجال الصحة، أن انخفاض التواضع أو التمركز حول الذات الذى وُجد أنه سمة من سمات النرجسية، يعد عاملاً مُهيأً للإصابة بمرض قصور الشريان التاجى (Scherwitz & Canick,1989)، ولهذا ينبغى أن يلعب التواضع مثل هذا الدور الحيوى فى عملية التسامح، وهذا ليس مثيرًا للدهشة.

وتدعم الدراسات الإمبريقية المتفرقة الافتراض الذى مؤداه أن " سمات النرجسية تكف التسامح"، والبحث فى أحلام اليقظة المستمرة على وجه الخصوص – ويقصد بها الأفكار والصور الذهنية التى تتكون لدى الناس عندما يحاولون مواجهة الظروف الضاغطة – زودنا بمعلومات قيمة فى هذا المضمار، وفكر عدد من المنظرين فى أن أحلام اليقظة التى تعايشها الشخصية النرجسية تحافظ على شعور الفرد بتقديره لذاته، وتجدده، وتصلحه، وقد أكد ميلون Millon (١٩٩٨) أن الرضا المبنى على الانتقام استجابة شائعة لدى الأفراد النرجسيون عندما يتعرضون للإيذاء، ويمكن أن تكون أحلام اليقظة ذات الصبغة الانتقامية وسيلة مؤثرة فى تهدئة الجروح النرجسية، ووجد راسكين Raskin ونوفاسيكNovacek (١٩٩١) أن النرجسية

ترتبط بأحلام اليقظة المتعلقة بالقوة والتفاخر والانتقام، والأشخاص النرجسيون تحديدًا الذين يتحملون درجات مرتفعة من الضغوط اليومية، يكون من المحتمل أن يعايشوا على وجه الخصوص أحلام يقظة تتعلق بالقوة والانتقام، حيث " يتصورون أنفسهم فى موقف قوة يُمكنهم من فرض عقاب على أولئك الذين أخطأوا فى حقهم". (Raskin& Novacek,p.496)، وكان مكون "الجدارة" من أكثر مكونات النرجسية ارتباطًا بمثل هذه الأنماط من أحلام اليقظة، وهذا يُماثل نتائج دراسة رودوالت ومورف (١٩٩٥) التى أوردناها فى جزء سابق، وقد برهن ماكلو وآخرون (١٩٩٨) أن الانتقام –الاجترار يمثلان نصف النسق الدافعى الذى يكمن خلف السلوك المتسامح، وأسفرت نتائجهم عن أن التماس الانتقام والميول الاجترارية يُعدان ضمن تكوينات الشخصية التى تعمل مثبطات للتسامح.

وقد صمم بوشمان Bushman وبوميستر Baumeister (١٩٩٨) دراسة معملية، حيث أُعطى المشاركون الفرصة لإظهار السلوك العدوانى بعد تعرضهم للإهانة، وقد اختير المشاركون قبل إجراء التجربة على أساس مستوى النرجسية وتقدير الذات لديهم، وكتبوا مقالات تم تقييمها فيما بعد بطريقة إيجابية أو نقدية، وقيس العدوان من خلال مستوى الضوضاء (يتحكم المشارك فى الضوضاء من خلال الكمبيوتر) الموجهة تجاه من وجه لهم عائدًا عن تلك المقالات، وقد أدى تلازم النرجسية والتعرض للإهانة(والتى تمثلت فى تعرض مقالاتهم للنقد) إلى ارتفاع مستوى العدوان الموجه ضد مصدر الإهانة، وقد فسر الباحثان نتائج الدراسة فى ضوء إثبات صحة فرض الدراسة " الأنوية المهددة "threatened egotism التى افترض الباحثان أنها تسهم إسهامًا مهمًا فى السلوك العدوانى والسلوك العنيف المحتمل، فيعد العدوان استراتيجية تستهدف حماية النظرة الإيجابية للذات ضد مهددات الأنا. .(Baumeister,Smart,&Boden,1996)

والدراسة الوحيدة التى اختبرت ارتباط النرجسية المباشربالتسامح، هى الدراسة الإمبريقية التى أجراها دافيدسون Davidson عام (١٩٩٣)، واستهدف من خلالها فحص ارتباط هذين المكونين ببعضهما، وقد أسفرت نتائجها عن وجود ارتباط عكسى بين مستويات النرجسية (كما قيست من خلال بطارية الNPI) والتسامح، فالذكوروالإناث الذين حصلوا على درجات مرتفعة فى النرجسية، كانوا أقل إظهارًا للتسامح عند استجابتهم للمواقف المؤذية المفترضة والواقعية، وبدرجة دالة، وذلك بالمقارنة بنظرائهم الحاصلين على درجات منخفضة على النرجسية، واقترح ديفيدسون ارتباط المستوى الناضج النسبى لارتقاء الأنا بالقدرة على التسامح، كما اقترح أن التسامح قد يكون مهمة شديدة الصعوبة لدى أولئك الأفراد الذين لديهم قصور وجداني، أو لدى أولئك الذين لديهم قصور جوهرى فى مصادر الأنا.

ديناميات النرجسية والتسامح :

إن شبكة الأُطر النظرية الثرية التى تحيط بتكوين النرجسية، تُمكننا من وصف السبُل التى تؤثر من خلالها النرجسية فى عملية التسامح. ومفهوم التسامح – على نحو مماثل – هو مفهوم أساسى لفهم ديناميات النرجسية، فالأفراد ذوو القابلية للنرجسية يتسمون بالحساسية المفرطة عندما يُساء إليهم، ومن المحتمل أن يستجيبوا للاعتداءات الحقيقية أو المُدركة بأسلوب يولد الأرجاع الوجدانية، والسلوكيات الاجتماعية التى تتسم بسوء التوافق، ويساعد على استمرارها، وقد لخص براندسما Brandsma (١٩٨٢) السياق العام الذى يحدث فى ظله التسامح خاصة لدى الأفراد النرجسيين، فالشخص الذى أُلحق به الأذى – هو أو هى يُقاسى انتهاك شعوره أو شعورها بالعدالة، والشخص المُساء إليه يقاسى فقدان تقدير الذات، الذى يعقبه غضب –

فى محاولة لحماية نفسه أو نفسها من المُسىء - وحدوث تهديد لاحق للأنا.وتكون الثلاث استجابات المحتملة التى قد يصدرها المُساء إليه تجاه المُسىء هى العقاب، أو الحياد، أو التسامح، ولكى يتسامح المرء، ينبغى عليه أن يعيد اكتشاف خبرة الإيذاء التى تعرض لها، بما يسمح بحدوث تهديد أقل للأنا، وزيادة مقدرته على التفهم، ويتطلب هذا - وفقًا لتصور براندسما - تواضع الذات والتخلى عن التكبر (على الأقل مؤقتًا)، ويتطلب التسامح كذلك التخلى عن حالة التمركز حول الذات عند إدراكنا للآخرين فى ضوء حاجاتنا الخاصة، وتنمية استبصارنا بالدوافع الخاصة بالمُسىء، وحاجاته، والمبررات التى دفعته(أو دفعتها) للقيام بما فعله (أو ما فعلته)، وتتضمن الخطوة الثالثة والأخيرة فى عملية التسامح تعهد المُساء إليه ألا يتورط فى أنشطة عقابية (كأخذ ثأره ممن أساء إليه مثلاً)، وقد تُنهى هذه الخطوات الثلاث جميعًا السلوكيات الصعبة التى يقوم الأفراد النرجسيون بها.

وقد يمثل التسامح بالنسبة إلى الأفراد النرجسيين خصوصًا تحديًا، وذلك للديناميات النفسية التى تتضمنها عمليات التسامح، ويعد الارتقاء الناضج النسبى للأنا مطلبًا أساسيًا للقدرة على التسامح، ويبدو أن الأفراد النرجسيين لديهم نقص شديد فى القدرات اللازمة للتسامح، ونظرًا للخبرات التى تعرضوا لها فى أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، فإن الخبرات الداخلية التى يحتاجونها لتنظيم الحوافز والوجدان، وتطوير استراتيجيات لحل الصرعات حلاً فعالاً، والشعور بالكفاءة الذى يمكنهم من التعامل بنجاح مع المشكلات الاجتماعية التى يواجهونها، تكون جميعها غير متاحة لهم (Millon,1998)، وقد يدفع الإيذاء العميق هؤلاء الأفراد إلى الغضب والشعور بالألم، اللذين يكفان أية حركة تجاه التسامح (Davidson,1993)، ولكى يتسامح المرء ينبغى عليه أن يتوحد مع الآخرين، ويدركهم على أنهم أكثر بكثير من

مجرد الامتداد الطبيعى لذاته، فينبغى على المرء أن يكون قادرًا على الشعور بالنذر اليسير من الاهتمام الاجتماعى بالآخرين، وتكون لديه الرغبة فى تقبل دوره الشخصى فى حالة حدوث قصور فى علاقاته، وأن يكون لديه كذلك اهتمام صادق بالآخرين، ويبدى تفهمًا لهم، وذلك لكى يصبح لديه دافعية للتصالح معهم.

وتكون عملية الإصلاح – أى استعادة العلاقات المتصدعة – يسيرة عندما يُسلم المُسيء باستحقاقه للوم، ويُبدى اعتذاره للمُساء إليه، ومن غير المحتمل أن يعترف النرجسيون بذنوبهم (Gramzow&Tangney,1992)، وبناءً على ذلك يكون غير محتمل أن يبدوا اعتذارهم، وتتخذ عملية الإصلاح شكلاً فريدًا عندما تكون العمليات النرجسية ما زالت تحدث، وقد فحص ماك وليامز McWilliams وليبندورف Lependorf (١٩٩٠) رفض تقديم الأسف لدى الأفراد النرجسيين بقدر من التفصيل، ونستعير كلمات المؤلفيّن " إن القضية التى يتجاهلها الأفراد ذوو الميول النرجسية تجاهلاً منظمًا، هى تماديهم فى الشعور الداخلى بالتماسك الذاتى أو الاستحسان الذاتى، بدلا من انشغالهم بجودة علاقاتهم مع الأفراد الآخرين " (ص:٤٤١)، وقد يكون النرجسيون غير قادرين على إبداء تعبيرات الأسف الصادقة، نظرًا لرغبتهم فى أن تستمر الضلالات المتعلقة بكونهم كاملين ومثاليين لا يخطئون، ويلازم إبداء الأسف تسليم المرء بأنه ليس فقط أقل بكثير من الكمال، ولكنه فى الحقيقة مذنب أيضًا، وعندما يكون إبداء الاعتذار وشيك الحدوث، يكون من المقترح أن يتم علاج ضلالات الكمال لدى الشخص النرجسى، بدلاً من التركيز على استعادة العلاقات المتصدعة بينه وبين الآخرين، وقد تكون الاعتذارات فى كثير من الأحيان أقل كثيرًا من التبريرات الذاتية، أو المناورات الدفاعية الأخرى، وذلك ليتجنب المُسيء اللوم الذى يوجهه له المُساء إليه، وفى

الجانب الآخر من المتصل قد ينخرط النرجسيون فى اتهام الذات ("لا يمكننى أن أصدق أننى فعلت ذلك"، و" قد تعتقد أننى شخص فظيع "، " أنا لن ألومك إذا لم تسامحنى أبدًا ")، وقد تبدو هذه الاعتذارات صادقة، إذا اتخذت أشكالاً من التعبيرات المبالغ فيها، وقد تستهدف هذه التعبيرات أيضًا، أن تستثير لدى الآخرين مزيدًا من التأكيد على أن الفرد النرجسى مثالى فى الحقيقة، على الرغم من اقترافه فعل الإساءة.

وعرض الإساءة من منظور الشعور بالخزى الناجم عن اقترافها، بدلاً من التركيز على مشاعر الذنب التى تتولد لدى المُسىء عقب اقترافه فعل الإساءة، يعد استراتيجية أكثر فاعلية فى استثارة الأفراد النرجسيين للنضال حتى يحصلوا على تسامح الأفراد الذين أساءوا إليهم. (Pembroke,1998)، وينبغى أن يكون واضحًا من خلال الأمثلة التوضيحية التى أوردناها أن دمج تكوينًا نفسيًا ديناميًا كالنرجسية، ضمن نظريات وبحوث التسامح يعد رسالة تذكيرية، فحواها أن السلوك لا يكون دائمًا هو ما يظهر على السطح، وأن التفسيرات السلوكية لا يمكن قبولها دائمًا لقيمتها الظاهرية فقط.

المتضمنات الإكلينكية :

ربما يعد الوعى بالخصال المميزة للشخصية النرجسية عنصرًا حاسمًا فى السياقات العلاجية وتلك السياقات التى تتضمن استخدام التسامح إجرائيًا وقائيًا، والسلوكيات المدفوعة بالميول النرجسية قد تطرح تحديًا مهمًا للتسامح، وخاصة فى العلاقات الزواجية، وقد اقترحت دراستان حديثتان أن النرجسية قد تجعل الأفراد ميالين إلى الاستغراق فى سلوكيات مؤذية وتدميرية تجاه الآخرين، وأجريت الدراسة على أزواج منخرطين فى علاقات

عاطفية وآباء مطلقين، وقد لا توجد إساءة تمثل تحديًا للتسامح أكثر من الزنا.
وقد فحص بوس Buss وشاكلفورد Shackelford (١٩٩٧) عددًا من المنبئات الخاصة بالقابلية للخيانة أثناء السنة الأولى من الزواج، وعلى الرغم من أنهما لم يفحصا خيانات زوجية فعلية، فإن مقياسهما تكون من مجموعة محددة من التقارير الذاتية الخاصة بسلوكيات الخيانة الزوجية، وقد تضمنت تلك السلوكيات: مغازلة الزوج (أو الزوجة) شخصًا آخر وتقبيله (أو تقبيلها)، وقضاء ليلة معه (أو معها)، وإقامة علاقة عاطفية جادة معه (أو معها)، وقد طُلب من المشاركين أن يحددوا درجة احتمالية انخراطهم في مثل هذه السلوكيات التي تمثل خيانة زوجية وفقًا لمقياس تقدير، كما طُلب منهم تحديد درجة احتمالية انخراط أزواجهم (أو زوجاتهم) في مثل هذه الأنشطة غير الشرعية، وقد أسفرت نتائج الدراسة عن وجود ارتباط بين الدرجات المرتفعة من النرجسية، وتوقع الخيانة الزوجية، سواء توقع الفرد لقيامه هو نفسه بالخيانة، أو توقعه فيما يتعلق بخيانة شريكه (زوجته أو زوجها)، وظهر هذا الارتباط خصيصًا لدى النساء، فقد قدّرت النساء الحاصلات على درجات مرتفعة في النرجسية أنفسهن على أنهن انخرطن في كل أشكال الأنشطة غير الشرعية بدرجة أكبرمن نظرائهن ممن اتسمن بدرجات نرجسية أقل.

وقد تنبأ أزواج النساء اللاتي حصلن على درجات مرتفعة في النرجسية، أن زوجاتهن أيضًا سينخرطن في علاقات غير شرعية، وبافتراض أن النساء أكثر ميلاً للتسامح فيما يتعلق بتورط أزواجهن في علاقات عاطفية أكثر من الرجال (Lawson,1988) فإن المرء سيتوقع أن يكون الرجال النرجسيون أقل احتمالاً لأن يتسامحوا، فيما يتعلق بالحماقات التي تقترفها زوجاتهن.

وتزودنا الإجراءات الخاصة بإنهاء الزواج، وكفالة الطفل، والترتيبات الخاصة بالرؤية بمختبر واقعى لدراسة عمليات التسامح، وقد وجد إيهرنبيرج Ehrenberg وآخرون(١٩٩٦) أن النرجسية لدى المطلقين كانت مُنبئًا قويًا بالصراع المستمر بينهم، وبالعواقب المدمرة لأطفالهم، والمطلقون الذين لم يتفقوا فيما يتعلق بإجراءات رعاية الأبناء بعد الطلاق، كانوا أكثر اتسامًا بالنرجسية وأقل تفهمًا، وأكثر تمركزًا حول الذات،.وأقل توجهًا نحو الأبناء بدرجة أكبرمن الآباء، الذين كانوا قادرين على أن يظلوا متمسكين برعاية أبنائهم بطريقة متعاونة بعد الانفصال، وقد أوضحت هذه الدراسة الآسرة أن لسمة واحدة من سمات الشخصية متضمنات عميقة على واحدة من أكثر القضايا الاجتماعية المُلحة فى الوقت الراهن، وهى قضية رفاهية الأطفال بعد انفصال والديهم.

التسامح ومستويات الشخصية الأخرى:

إن سمات مثل النرجسية (والتسامح للغرض ذاته أيضًا) تعد سمات أساسية، لوصف معظم المظاهر العامة، والقابلة للملاحظة، لأنماط السلوك النموذجى للشخص، وعلى الرغم من أنها تعد سمات أساسية لفهم التسامح، فإن قصور وحدات السمات غير المرتبطة بالسياق فى فهم الشخصية كوحدة كاملة، يعد قصورًا واضحًا (Block,1995;McAdams,1992;Pervin,1994)، فمن وجهة النظر المنهجية، لوحظ وجود قصور منهجى ناجم عن الاعتماد المفرط على الاستخبارات (Diener,1996;Gorsuch,1984)، ولهذا فهناك احتياج إلى تحديد وحدات التحليل المرتبطة بالسياق والمشروطة (أى سمات الشخصية)، وقياسها قياسًا دقيقًا، ما زال المستويان: الثانى (الخاص بالاهتمامات الشخصية والأهداف المرتبطة بالسياق)، والثالث (الخاص بهوية الفرد وقصة

حياته) فى الإطار النظرى الذى قدمه ماك آدمز، ما زالا لم يستكشفا بعد على نطاق واسع، ويقدم هذان المستويان الكثير للاختصاصيين النفسيين المهتمين بإدراج التسامح ضمن بناء الشخصية ووظائفها، فالتكوينات النظرية فى هذين المستويين، يمكن أن تُعززا دراسة التسامح، وتمتد بها إلى مستوى أبعد من التعامل مع التسامح على أنه مجرد استراتيجية مزاجية كما سبق وأوضحنا، وذلك من خلال وصف المفاهيم والآليات، ذات الحساسية للتباينات الموقفية والتفاعلية.

أهداف التسامح والكفاح من أجل الوصول إليه:

قد تنير الكفاحات الشخصية – كأحد أنماط المستوى الثانى الممثل للاهتمامات الشخصية – تنير الطريق أمام الباحثين المعنيين بدراسة التسامح، وتمثل الكفاحات الشخصية الأهداف النموذجية، والمتميزة التى يحاول الفرد تحقيقها فى الحياة اليومية، وقد أجرى إيمونز (١٩٨٩) دراسة بهدف فحص الكفاحات الشخصية لدى الأفراد المرتفعين والمنخفضين فى سمة النرجسية، وقد دون أحد الأفراد النرجسيين الأهداف التالية "أن أكون قويًا مع الناس الذين أتعامل معهم"، "أن أرفض السلطة: سلطة رجال الكنيسة، والبوليس، ورئيسى"، " أن أؤثر فى الناس وأجعلهم ينظرون للأمور من منظورى الخاص"، ويمكن استخدام استراتيجية مماثلة لتحديد كفاحات الأفراد المرتفعين والمنخفضين على المقايسس التى تقيس سمة التسامح أو على المقاييس التى تقيس الميول التى تمكننا من التسامح، أو على العكس تعوق حدوثه، كالتواضع مثلاً، فهذا سيزودنا بمعلومات قيمة عن إلى أى مدى تكون الميول الكلية متأثرةً بالسياق فى مواقف الحياة الواقعية، كما أنها تزودنا بدلائل مهمة للتقدير الإكلينيكى والتدخلات الوقائية (Karoly,1993).

وقد تستلزم استراتيجيات التسامح بالمستوى الثانى، فحص الآليات والعمليات التى تكمن خلف التحكم الفعال للفرد فى العواقب السلوكية الموجهة نحو هدف، وذلك بالإضافة إلى الاهتمام بما يحاول الفرد فعله. فكيف يتشكل مقصد التسامح لدى الفرد؟ وكيف يمتزج فى نسيج العلاقة الحميمة؟ وكيف يحمى الفرد هذا المقصد من مقاصد الأهداف الأخرى المتنافسة؟ وتتضمن تلك المقاصد المتنافسة الرغبة فى الاحتفاظ بمشاعر الحقد تجاه المُسىء، وتحميله مسئولية فعله أو فعلها السىء. ويمكن للمنحى المعرفى – الدافعى للتسامح أن يوضح الآليات التى يتم من خلالها ترجمة التسامح فى صورة عواقب سلوكية عيانية عبر السياقات المكانية والزمانية، وقد نستشهد بعدد من الآليات المعرفية مثل الاستراتيجيات والمخططات، والكتابات الشخصية، فى تفسير كيف تُترجم سمة التسامح المجردة إلى سلوك فعال يستهدف إنجاز الأهداف الشخصية المرتبطة بهذه السمة، فينظر المنحى المعرفى – الدافعى فى الشخصية للناس على أنهم كائنات ذات مقاصد، ومنطق (ولكن هذا المنطق لايتوفر لديهم دائمًا)، ويستغرقون فى بذل الجهد المستمر لتشكيل عالمهم الاجتماعى، ويسعون جاهدين لإنجاز أعمالهم، ولإحراز عواقب حياتية قيمة، وتُشكل الوحدات الدافعية كالأهداف والدوافع والقيم نسقًا هرميًا متدرجًا، حيث يمكن تنشيط مستويات متنوعة من هذا النسق اعتمادًا على التنبيهات البيئية، علاوة على ذلك، يمكن أن تنشط الأهداف، وتوجه العمليات المعرفية والسلوكية للفرد فيما بعد، وذلك خارج نطاق الوعى الشعورى للفرد (Bargh& Gollwitzer,1994) فعلى سبيل المثال يمكن أن ينتقل هدف الفرد لأن يصبح " متسامحًا" من مستوى التحكم الشعورى، ويظل فى حالة نشطة، وذلك من خلال الهاديات الموقفية، التى تجعل الفرد ذا حساسية للفرص التى تستثير حدوث التسامح لديه، وذلك دون وعى منه (أو منها). إذن يتسع هذا المنحى الدينامى فى الشخصية للدوافع غير الشعورية، ويشير إلى كيف يمكن أن

يكون اللا شعور مصدرًا للأهداف، التى تعتمد على الخطط والمقاصد الشعورية، ويمكن تفسير الصراع الذى يواجهه الفرد، بين كفاحاته من أجل إحراز التسامح وميوله المتنافسة الأخرى، من خلال تجاهل المقاصد الشعورية للفرد، بواسطة الأهداف اللا شعورية المتنافسية، وتفترض نظرية جول ويتزر Gollwitzer (١٩٩٣) فى إنجاز الهدف، أن المقاصد المتضمنة فى الهدف، تعد محددًا حاسمًا فى مواصلة السعى الناجح لإحراز الهدف.ويتقدم التنظيم الذاتى الفعال من خلال سلسلة من المراحل أو الأطوار السلوكية، حيث يتحرك الفرد من حالة الهدف المجرد "أن يصبح أكثر تسامحًا" إلى مرحلة القيام بسلوك عيانى "أخبر جيل أننى أتفهم لماذا عاملتنى على هذا النحو".

فيمثل منحى الهدف أو الاهتمامات الشخصية فى التسامح المنظور الدينامى، كما يمثل انحرافًا عن المناحى البنائية التى أشرنا إليها من قبل، وبدلاً من النظر إليه على أنه منحى منافس لمستوى تحليل الميول، ينبغى النظر إليه على أنه منحى يقودنا إلى إثارة تساؤلات من قبيل: "إلى أى مدى أتصرف على نحو جيد؟" "كيف أكون أكثر نجاحًا"؟ والإجابة عنها. فمن الأكثر احتمالاً أن يكون لهذه الاهتمامات التطبيقية ارتباط إكلينيكى مباشر أكبر بالتسامح، بدلاً من التركيز على وحدات أكثر جمودًا كالسمات المتأثرة بالسياق.

التسامح فى القصص الحياتية :

يتعلق المستوى الثالث فى إطار ماك آدمز بكيفية إدراك الأفراد لماهية وجودهم فى العالم، وبكيفية ابتكار قصص حياتية تكسب حياتهم وحدة كليةً ومعنىً وهدفًا، وقد كان لدراسة القصص السردية – كتكوين منهجى ونظرى

– دورًا مؤثرًا فى الدراسة النفسية للشخصية خلال العقد الماضى (Rosenwald&Ochberg,1992)، ولم يقتصر تبني المناحى السردية على مجال الشخصية فقط، فقد اقترح ساربن Sarbin (١٩٨٦) أن تنظيم الخبرات الحياتية فى صورة قصص سردية يمكن أن يؤدى دورًا مجازيًا أساسيًا فى علم النفس العام، فوفقًا لتصور ساربن تزودنا أساليب التفسير السردى بتفسير مُرضٍ لسلوك الإنسان أكثر من التفسيرات التى تقدمها النماذج التقليدية والآلية، ولأن الهوية تعد قصة لذا ينبغى فهمها من خلال المصطلحات الخاصة بالقصة، وقد لخص ماك آدمز (١٩٩٦ ، ١٩٩٣) مظاهرًا عديدة لمكونات القصص الحياتية: أسلوب سردى وجدانى، واستخدام الخيال بشكل رمزى ومجازى، وموضوعات دافعية، وخلفية إيدلوجية، وسلسلة من الأحداث المترابطة التى تمثل النواة الأساسية للقصة (على سبيل المثال النقاط المضيئة فى الحياة)، وصور ذهنية متميزة (أبطال مثاليون)، ونهاية يزودنا بها النص المنتج، إن تقييم هذه المظاهر يُمكن علماء الشخصية من وصف القصص الحياتية، وتصنيفها، وتحليلها على نحو منظم، أكثرمن غيرها من مصادر البيانات التى يعتمدون عليها. وقد زودنا ماك آدمز(١٩٩٣) وأتكنسون (١٩٩٨) بتوجيهات واقعية موجزة عن تحليل القصص الحياتية، فضم القصص الحياتية مع البيانات الخاصة بالسمات المزاجية والمرتبطة بالسياق، الخاصة بالمستويين الأول والثانى فى إطار ماك آدمز، يزودنا بصورة ثرية عن الشخصية المتسامحة، فحشد القصص الحياتية مع الصور الذهنية والرموز والاستعارات قد يُمكننا بشكل غير مباشر من التسامح. فثراء الاستعارات التى يزودنا بها النسق الدينى على سبيل المثال (مثل فهم التغيرات الحياتية الكبرى، التى تتضمن موت المرء ثم دفنه، وانبعاثه من جديد) قد يكون وسيلة فعالة لتنشيط الميول المتسامحة، أو لدمج التسامح فى هوية المرء، فاستخدام القصص الدينية أو القصص الأخلاقية يمكن أن يعمل مصدرًا فعَّالاً فى إثارة التسامح،

لدى أولئك الأفراد الذين يرغبون فى التماس تسامح الآخرين لهم، أوفى منح التسامح لغيرهم، وتوجيه خطاهم فى هذا المضمار، على الرغم من الظروف الشاقة التى تحيط بهم.ولنتأمل قصة الابن المبذر (لوقا ١٥: ١١-٣٢ النسخة الجديدة المنقحة)، فالابن المبذر النرجسى بدد ميراثه، وأُفلس وذُل، ثم عاد تائبًا إلى أبيه الرحيم المُحب، وقبل أبوه توبته. والابن ينشد التسامح معه، ويمنح التسامح للآخرين، وقد تناول عدد من الكتاب المحدثين متضمنات هذه القصة الأخلاقية وأطالوا الكلام فيها، وذلك ليوضحوا إلى أى مدى يرتبط كل منا بالآخر فى الظروف الخاصة بالإساءة والاعتداء والمعاناة (Nouwen,1992;Volf,1996)، وتقدم هذه القصة - التى ينفصل فيها الابن عن أبيه ثم يتصالحان - مثالاً للتسامح، كما تقدم لنا معيارًا قد يجعلنا قادرين على الحكم على قدرتنا على التسامح فى العلاقات الحميمة.

وعلى الرغم من أن التكوينات فى المستويين الأول والثانى، يمكن أن تقودنا إلى فهم سليم للتسامح، فإن تفسير التسامح تفسيرًا كاملاً ضمن إطار الشخصية لا يمكن أن يتحقق سوى من خلال دمج هذه التكوينات الخاصة بهذين المستويين مع التكوينات الخاصة بالمستوى الثالث.

وقد اقترح الباحثون أن كثيرًا من القوة التحولية للتسامح، تنشأ من قدرته على إحداث حالة الكمال أو تكامل الشخصية

(McCullough,Sandage,&Worthington,1997;Pargament,1997)، فيمكن أن يُنشط التسامح الميول المتكاملة فى الفرد، ويحمى النفس من الصراع الداخلى والاضطراب، وينقل الفرد من حالة التجزئ إلى حالة التكامل، ومن لانفصال إلى التصالح، والتسامح هو حالة متكاملة يُعايشها الفرد الذى تربطه علاقة صحيحة بربه وبالآخرين وبذاته أو ذاتها (Bonar,1989).

وتتعلق الهوية بإحراز الوحدة والهدف فى الحياة، وحديثًا أصبح العلماء النفسيون مهتمون على نحو متزايد بدراسة المتغيرات التى تؤلف "الحياة الجيدة"، فازدهرت الدراسة العلمية للسعادة مثلاً فى السنوات الحديثة (Myers&Diener,1995)، وتحوّل الاهتمام من دراسة السعادة الشخصية والرضا إلى دراسة استعادة تكامل الشخصية ووحدتها، يمكن أن يُكمّل الاهتمام السائد حاليًا، والمتعلق بدراسة التنعم الشخصى بوصفه حجر الزاوية فى الارتقاء النفسى الصحى، وكفاءة أداء الوظائف النفسية على نحو مثالى، ويمكن لبحوث التسامح أن توضح الآثار العلاجية للتسامح، والتى تتجاوز نطاق السعادة الشخصية والصحة والتنعم، إلى الفهم المتعمق لتماسك الذات وكمالها وتكاملها.

الخلاصة:

إن المنحى المتعدد المستويات للتسامح الذى ناقشناه فى هذا الفصل، يعرض للباحثين إطارًا نظريًا من الاستراتيجيات الخاصة بدراسة التسامح، فإذا أردنا أن نعرف الميل المعمم للتسامح فإنه ينبغى علينا أن نضمّن دراستنا بعض مقاييس السمة، وإذا أردنا أن نتعلم أكثر عن سلوكيات الفرد وكفاحاته من أجل إحراز التسامح فى سياق نوعى، فإننا نحتاج أن نستخدم مقاييس خاصة بالاهتمامات الشخصية، وأخيرًا لكى نفهم دور التسامح فى فهم الفرد لذاته وإضفاء معنى على السياق الأرحب لحياة الفرد ككل فينبغى أن نكون حكماء، ونجمع قصصًا حياتية، وقصصًا سردية شخصية مُفصلة، فجمع الأنماط الثلاثة من المعلومات، يزودنا بصورة ثرية محتملة للشخصية المتسامحة، والاهتمام بالمستويات الثلاثة يوضح على الأقل أن هناك مخاطر تنجم عن اقتصارنا على منحى السمات غير المرتبطة بسياق فى دراسة التسامح.

وعلى الرغم من أن علماء الشخصية يفضلون عمومًا أن يدركوا الفرد على أنه مركز الفروق الفردية المهمة، فإن هناك عددًا متزايدًا من العلماء يؤكدون حاجتنا إلى الاهتمام بالسياقات الاجتماعية – التاريخية، والمستويات السياقية الكبرى الأخرى، حتى نحرز فهمًا كاملاً لمنشأ الفروق الفردية (Singer,1995; de St.Aubin,1996)

شكر وتقدير

دعم جون تيمبلتون المؤلف أثناء إعداده لهذا الفصل، وأود أن أعبر عن امتناني لمحرري هذا المجلد لتعليقاتهم البناءة لي أثناء إعداد المسودات الأولى لهذا الفصل.

المراجع

- American Psychiatric Association.(1994).Diagnostic and statistical manual of mental disorders(4 th ed.).Washington, DC: Author.

- Atkinson,R.(1998).The life story story interview.Thousand Oaks,CA: Sage.

- Bargh, J.,&Gollwitzer,P.M.(1994).Environmental control of goal –directed action:Automatic and strategic contingencies between situations and behavior.In W.D.Spaulding(Ed.) ,Nebraska Symposium on Motivation(Vol.41,pp.71-124).Lincoln: University of Nebraska Press.

- Baumeister,R.F.,Smart,L.,&Boden,J.M.(1996).Relation of threatened egotism to violence and aggression: The dark side of high self- steem. Psychological Review,103,5-33.

- Block,J.(1995).A contrarian view of the five- factor approach to personality description.Psychological Bulletin ,117,187-215.

Bonar, C.A.(1989).Personality theories and asking for forgiveness. Journal of Psychology and Christianity, 8, 45-51.

Bradlee, P. M., &Emmons, R.A.(1992).Locating narcissism within the interpersonal circumplex and the five- factor model.Personality and Individual Differences, 13,821-830.

Brandsma,J.M.(1982). Forgiveness: Adynamic,theological ,and therapeutic analysis.Pastoral Psychology,31,40-50.

Bushman,B.J.,&Baumeister ,R.F.(1998).Threatened egotism, narcissism, self- esteem, and direct and displaced aggression: Does self –love or self-hate lead to violence ? Journal of Personality and Social Psychology ,75,219-229.

Buss,D.M.,&Shackelford ,T.K.(1997).Susceptibility to infidelity in the first year of marriage. Journal of Research in Personality,31 ,193-221.

Cantore ,N., & Zirkel ,S.(1990). Personality, cognition ,and purposive behavior. In L.A Pervin(Ed.),Handbook of Personality: Theory and research (pp.135-164).New York: Guilford Press.

Clark,A.T.(1992). Humility.In D.H.Ludlow (Ed.).Encyclopedia of Mormonism (pp.663-664).New York: Macmillan.

Davidson ,D.L.(1993).Forgiveness and narcissism: Consistency in experience across real hypothetical hurt situations. Dissertation Abstracts International ,54,27-46.

De St.Aubin ,E.(1996).Personal ideology polarity: Its emotional foundation and its manifestation in individual value systems ,religiosity, political orientation, and ssumptions concerning human nature.Journal of Personality and Social Psychology, 71,152-165.

Diener,E.(1996).Traits can be powerful, but are not enough: Lessons from subjective well being.Journal of Research in Personality,30,389-399.

Ehrenberg ,M.F.,Hunter ,M.A.,&Elterman,M.F.(1996).Shared parenting agreements after marital separation: The roles of empathy and narcissism .Journal of Consulting and Clinical Psychology ,64,808-818.

Ellis,H.(1898).Sexual inversion.London: Wilson & MacMillan.

Emmons,R.A.(1987). Narcissism: Theory and measurement.Journal of Personality and Social Psychology,52,11-17.

Emmons, R.A.(1989).Exploring the relations between motives and traits: The case of narcissism. In D. M.Buss &N.Cantor(Eds.),Personality Psychology: Recent trends and emerging directions (pp.32-44).New York: Springer-Verlag.

Emmons,R.A.(in press).Is spirituality an intelligence ? Motivation ,cognition, and the psychology of ulimate concerns.International Journal for the Psychology of Religion.

Freud ,S.(1957).on narcissism :An introduction. In J.Strachey (Fd.and Trans.),The standard edition of the complete psychological works of Sigmund Freud (Vol.14,pp.67-102).London:Hogarth Press.(Original work published1914).

Gabriel,M.T.,Critelli,J.W.,&Ee,J.S.,(1994).Narcissistic illusions in self – evaluations of intelligence and attractiveness.Journal of Personality ,62,143-155.

Gollwitzer,P.M.(1993).Goal achievement: The role of intention. In W.Strobe &M. Hewstone(Eds.), European review of social psychology (Vol.4,pp.141-185).London: Wiley.

Gorsuch,R.L.,(1984).Measurement: The boon and bane of investigating religion.American Psycologist,39,228-236.

Gramzow,R.,&Tangney,J.P.(1992).Proneness to shame and the narcissistic Personality. Personality and Social Psychology Bulletin ,18, 369-376.

Herkov,M.J.,&Blashfield,R.K.(1995).Clinician diagnoses of personality disorders: Evidence of a hierarchical structure.Journal of Personality Assessment,65,313-321.

John,O.P.,Robins,R.W.(1994).Accuracy and bias in self –perception: Individual differences in self – enhancement and the role of narcissism. Journal of Personality and Social Psychology, 66,206-219.

Karoly,P.(1993).Goal systems: An organizational framework for clinical assessment and treatment planning.Psychological Assessment,3,273-280.

Kernberg,O.(1975).Borderline conditions and pathological narcissism.New York: Jason Aronson.

Kohut,H.(19977).The restoration of the self. New York: International Universities Press.

Kohut,H.(1985).Self psychology and the humanities: Reflections on new psychoanalytic approach. New York: W.W.Norton.

Lasch,C.(1979).The culture of narcissism.New York: Warner Books.

Lawson,A.(1988).Adultery.New York: Basic Books.

Lebacqz,K.(1992).Humility in health care.Journal of Medicine and Philosophy,17,291-307.

Little,B.R.(1989).Personal projects analysis: Trivial pursuits, magnificent obsessions,and the search for coherence. In D.M.Buss &N. Cantor (Ed.) ,Personality psychology: Research trends and emerging directions (pp.15-31). NewYork: Springer- Verlag.

Mazlish,B.(1982).American narcissism. Psychohistory Review,10,185-202.

McAdams,D.P.(1992).The five- factor model in personality: Acritical appraisal.Journal of Personality,60,329-361.

McAdams,D.P.(1993).The stories we live by :Personal myths and the making of the self. New York: William Morrow.

McAdams,D.P.,(1995).What do we know when we know a person? Journal of Personality,63 ,365-396.

McAdams,D.P.(1996).Personality, modernity, and the storied self: Acontemporary frame work for studying persons. Psychological Inquiry,7 ,295-321.

McCann,J.T.,&Biaggio,M.K.(1989).Narcissistic Personality features of self – reported anger.Psychological Reports,64,55-58.

McCullough,M.E.,Rachal,K.C.,Sandage,S.J.,Worthington,E.L.,Jr,Brown,S. W.,&Hight,T.L.,(1998).Interpersonal forgiving in close relationships: II.Theoretical elaboration and measurement.Journal of Personality and Social Psychology ,75,1586-1603.

McCullough ,. E.,Sandage,S.J.,& Worthington,E.L.,Jr

. (1997). To forgive in human: How to put your past in the past.Downers Grove, IL:Intervarsity Press.

McCullough,M.E.,&Worthington,E.L.,Jr.(in press).Religion and the forgiving personality.Journal of Personality.

McCullough,M.E.,Worthington,E.L.,Jr.,&Rachal, K.C .(1997). Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology,73, 321-336.

McDonald,C.D.,&Waternaux,C.M.(1989,August).Narcissism and Type A personality: Associations in expert, clinical and non – clinical studies. Paper presented at the AnnualMeeting of the American Psychological Association ,New Orleans,L.A.

McWilliams,N.,&Lependorf,S.(1990).Narcissistic pathologyof everyday life: The denial of remorse and gratitude.Contemporary Psychoanalysis ,26,430-451.

Millon,T.M. (1998).DSM narcissistic personality disorder.In E.F. Ronningstam (Ed.),Disorders of narcissism: Diagnostic , clinical , and empirical implications(pp.75-101). Washington ,DC: American Psychiatric Association Press.

Myers,D.G.,&Diener,E.(1995).Who is happy?.Psychological Science ,6,10-19.

Nouwen,H.J.M.(1992).The return of the prodigal son.New York: Doubleday.

Ozer,D.J.,&Reise,S.P.(1994).Personality assessment.Annual Review of Psychology ,45,357-388.

Pargament ,K.I.(1997).The psychology of religion and coping.New York: Guilford Press.

Pembroke,N.F.(1998).Toward a shame –based theology of evangelism.Journal of Psychology and Christianity,17,15-24.

Pervin,L.A.(1994).Acritical analysis of current trait theory.Psychological Inquiry,5,103-113.

Porcerelli,J.H.,&Sandler,B.A.(1995).Narcissism and empathy in steroid users.American Journal of Psychiatry,152,1672-1674.

-Raskin,R.,&Hall,C.S.(1979).A narcissistic personality inventory.Psyhological Reports. 45,590.

Raskin,R.,&Novacek,J.(1991).Narcissism and the use of fantasy.Journal of Clinical Psychology ,47,490-499.

-Raskin,R.,&Terry, H.(1988).A principal components analysis of the Narcissistic Personality Inventory and further evidence of its construct validity. Journal of Personality and Social Psychology ,54,890-902.

Rhodewalt,F.,&Morf,C.C.(1995).Self and interpersonal correlates of the Narcissistic Personality Inventory: A review and new findings.Journal of Research in Personality,29,1-23.

Richards ,N.(1992).Humility. Philadelphia ,PA: Temple Unversity press.

Roberts,R.C.(1995).Forgiveness.American Philosophical Quarterly ,32,289-306.

Robins,R.W.,&John,O.P(1997).The quest for self- insight: Theory and research on accuracy and bias in self- perception.In R.Hogan ,J. Johnson, &S.Briggs (Eds.),Handbooh of personality psychology (pp.649-679). San Diego: Academic Press.

Rosenwald,G.C.,&Ochberg,R.C.(Eds.).(1992).Storied lives. New Haven, CT: Yale University press.

Rowe,D.C.(1997).Genetics,temperament,and personality.In R.Hogan, J.Johnson,&S.Briggs(Eds.),Handbook of Personality Psychology (pp.367-386).San Diego: Academic Press.

Ryan,R.M.(1995).Psychological needs and the facilitation of integrative processes.Journal of Personality,63,397-427.

Scherwitz,L.,&Canick,J.C.(1989).Self- reference and coronary heart disease risk. In B.K.Houston & C.R.Snyder (Eds.).Type A behavior pattern: Research ,theory, and intervention (pp.146-167).New York: Wiley.

Singer,J.A.(1995).Seeing one's self: Locating narrative memory in a framework of personality, Journal of Personality,63,429-457.

Singer ,J.A.,&Salovey ,P.(1993).The remembered self: Emotion and memory in personality.New York: Free Press.

Sperry ,L.& Ansbacher ,H.L.(1996).The concept of narcissism and the narcissistic personality disorder.In L.Sperry & J.Carlson (Eds.) , Psychopathology and Psychotherapy: From DSM IV diagnosis to treatment (pp.337-351). Washington ,DC: Accelerated Development.

Thoresen,C.E., &Powell,L.H.(1992).Type A behavior pattern: New perspectives on theory ,assessment,and intervention. Journal of Consulting and Clinical Psychology,60,595-604.

Vitz,P.C.(1994).Psycholog as religion: The cult of self –worship (2nd ed.). Grand Rapids , ML: Eerdmans.

Volf,M.(1996).Exclusion and embrace: The theological exploration of identity , otherness, and reconciliation ,Nashville, TN: Abington press.

Watson,P.J.,Grisham ,S. O., Trotter, M.V. ,& Biderman, M.D. (1984). Narcissism and empathy: Validty evidence for the narcissistic personality inventory.Journal of Personality Assessment ,48,301-305.

Worthington,E.L.,Jr.(1988).An empathy –humility- commitment model of forgiveness applied wihin family dyads.Journal of Family Therapy ,20,59-76.

الجـــزء الثالث

تطبيقات فى الإرشاد والعلاج النفسى والصحة

الفصل التاسع

التسامح بوصفه عملية تستهدف إحداث تغيير
فى إطار العلاج النفسى الفردى

تأليف: واندا ماكلوم و ليزلى جرينبيرج

هناك مناقشات فلسفية مهمة عن كيفية تعريف التسامح تعريفًا جيدًا، ونتناول فى هذا الفصل تلك المظاهر من التسامح التى تمت مناقشتها فى التراث، والتى تبدو أكثر ارتباطًا بالتسامح بوصفه عملية تستهدف تغيير الأفراد فى إطار العلاج النفسى، وبهذا الأسلوب نتوصل إلى وصف ما نعنيه عندما نستخدم مصطلح التسامح، يلى ذلك تقديم مناقشة للبحوث التى تتصل بالتسامح فى إطار العلاج النفسى.

عملية التسامح :

إن المكونات الخمسة التالية تبدو ضرورية للتسامح، وذلك بناءً على مراجعتنا للتراث البحثى فى التسامح:

(١) تقبل الوعى بالانفعالات الشديدة مثل الغضب والحزن.

(٢) التخلى عن الاحتياجات الشخصية السابقة غير الملائمة.

(٣) تحول فى إدراك الشخص المتسامح تجاه الشخص الذى أساء إليه.

(٤) نمو الشعور بالتفهم تجاه المسىء.

(٥) تكوين قصة جديدة عن الذات والآخر.

يُسلّم كل من كتب عن التسامح في مواجهة الإيذاء الشخصى العميق – وبدون استثناء – بأن الانفعالات الشديدة كالغضب والحزن، هـى انفعـالات مستوطنة فى عملية التسامح، فيعد التسليم بالغيظ والغضب المرتبط بحمايـة الذات عند مواجهة الإيذاء الشخصى، استجابات ملائمة فى الموقـف الـذى يشعر فيه الفرد أنه عومل معاملة جائرة، أو أُسيء إليه، وإظهار الفرد غضبه عندما يُساء إليه يفضى إلى الاحترام الذاتى، والجدارة الذاتية (Haber,1991)، بينما ترتبط خبرات التعبيـر عـن الأسـى بفقـدان الـشعور بمـا كـان، أو ما سيكون، ويرتبط فى المستوى الأعمق بفقدان الفرد لأسـلوبه المحـدد فى إدراك ذاته، والعالم من حوله (Rowe et al.,1989,p.241) ويرى المنظرون المعنيون بدراسة الانفعالات والمعالجون أن التعبير عن انفعـالات أساسـية كتلك الانفعالات يعد تكيفًـا بيولوجيًـا (Frijda,1986;Greenberg&Paivio,1997; Lazarus,1991).

وفى إطار العلاج النفسى الفردى نبلغ التسامح وعلى نحو نموذجى فى ظل سياق العلاقات التى تتسم بتاريخ ممتد بين طرفى العلاقة، حيث يكـافح الفرد طويلاً، ويبذل جهدًا شاقًا لفهم الإساءة، أو الإسـاءات التـى تعـرض لها.وقام باس Bass وديفز Davis (١٩٨٨) بتقديم الإرشاد النفسى لمـساحي الأراضى الذين تعرضوا للإساءة الجنسية، حيث كانوا بحاجة إلى أن يتوقفوا عن محاولة استرداد أى شىء من أولئك الذين أساءوا إليهم، فتخلى المتسامح عن حاجاته الشخصية السابقة غير الملائمة يحرره من عائقين يحولان دون حدوث التسامح، ويتمثلان فى (١) محاولة جعل المسىء يفهم حجم الإيـذاء الذى اقترفه، (٢) ومحاولة جعله يتحمل مسئولية ما فعل، وعندما ننـصرف

عن الحاجات الشخصية السابقة غير الملائمة، فنحن نُسلّم بما تم فقده أو افتقاده، ونحزن عليه، ونهجره.

ففى البداية يوجه الشخص الذى تم إيذاؤه اللوم إلى المسىء، ويرغب فى أن يدفع هذا الفرد ثمن اقترافه للإساءة، أو يعاقب عليها، ومن المحتمل كذلك أن يدركه ككل إدراكًا سلبيًا، وفى عملية التسامح يُعايش الشخص الذى تم إيذاؤه - مع ذلك - حدوث تحول فى إدراكه أو إدراكها للمسىء، وكما أشار رو Rowe وآخرون (١٩٨٩، ص:٢٤٢) يتضمن ذلك التحول إدراك المساء إليه الآخرين على أنهم ممتازون ومستقلون عنه فى رغباتهم وحاجاتهم، وتناول ألمابوك Al-Mabuk وإينريت Enright وكارديس Cardis (١٩٩٥) هذا المظهر لعملية التسامح، حيث اقترحوا أن الفرد عندما يتسامح تصبح المعرفة السلبية المتعلقة بالآخرين أكثر إيجابية (أو على الأقل أقل سلبية).

وحدد عدد من المنظرين وُسع التفهم كعنصر حاسم فى التسامح الناجح (Brandsma,1982;Cunningham,1985;Fitzgibbons,1986;Hope, 1987;Human Development Study Group ,1991; McCullough,1997) واقترح ماكلو McCullough وورثنجتون Worthington وراشيل Rachal (١٩٩٧) نموذجًا فى التسامح وفحصوه، وتوصل راشيل وساندداج وورثنجتون (١٩٩٧) إلى أن التفهم والتسامح مرتبطان ارتباطًا جوهريًا، وربما يكون ارتباطهما ارتباطًا سببيًا، ويُمكن تعريف التفهم بأنه بذل جهد فعال من قبلنا لفهم إدراك الشخص الآخر، لحدث شخصى عايشناه سويًا، كما لو كنا نحن أنفسنا الشخص الآخر، بدلاً من الحكم على سلوك الشخص الآخر من منظور خبراتنا الذاتية بهذا الحدث.

والتساؤل الآن هو: ما الذى ينبغى على الشخص المتسامح إبداؤه من جهد بمجرد أن يقوم برحلته الصعبة لمواصلة السعى لبلوغ التسامح؟

تتضمن عملية التسامح نسج قصة جديدة عن الذات والآخر، ويستلزم ذلك أن يحدث تحول فى فهمنا لذاتنا، والآخر، والعالم من حولنا، وفى علاقتنا بهم، وتدرك متضمنات الموقف الأصلى من منظور جديد (Row et al, 1999,p.242) وتكون خبرة الاعتداء، وتأثيرها على حياة الشخص المتسامح مختلفة فى نهاية عملية التسامح عن بدايتها.

ويكون الشخص المتسامح غالبًا قادرًا على إدراك المسىء بأسلوب أكثر تعقيدًا، فيدركه على أنه شخص يمتلك مواطن قوة، ومواطن ضعف، ويتمكن الشخص المتسامح من إدراك ذاته أو ذاتها على أنه تصرف التصرف الأقوى، والأفضل خلال جهاده للوصول إلى التسامح.

طرائق دراسة التسامح :

استخدمت ثلاثة مناحى مستقلة لدراسة التسامح كعملية تستهدف إحداث تغيير لدى الفرد:

(١) الوصف المبنى على الخبرة الإكلينكية.

(٢) الدراسات الظاهراتية أو الفينومولوجية.

(٣) البحوث التى تستهدف تزويدنا بالدعم الإمبريقى لنظريات وفروض محددة مرتبطة بالتسامح، وعند عرضنا لكل منحى، سنهتم بالإسهامات التى أحرزها كل منحى فيما يتعلق بفهم التسامح الذى يلائم العلاج النفسى الفردى.

(١) المعرفة المستخلصة من الخبرة الإكلينيكية:

إن المعلومات المتصلة بالتسامح المبنية على الخبرة الإكلينيكية، زودتنا باستبصارات مشتملة على حكايات عن طبيعة التسامح، وتأثيراته، كما يتبدى فى السياق العلاجى. ويعد اهتمام دافينبورت Davenport وفيتس جيبون Fitzgibbon بالحاجة إلى الاعتراف بالغضب المرتبط بالتعرض للإيذاء العميق، والتعبير عنه، مثالاً جيدًا للاستبصارات المفيدة التى يمكننا التوصل إليها من خلال مثل هذه التقارير الإكلينيكية.

وتكمن المشكلة الأساسية فى النماذج المبنية على نحو مقصور على الخبرة الإكلينيكية، فى أن مثل هذه النماذج النظرية لم تختبر إمبريقيًا، وعلى الرغم من أن الاختصاصيين الإكلينيكين قد يكونون مقتنعين بأن عملية التسامح فهمت، وتم صياغتها نظريًا على نحو صحيح، فإنه لا يوجد دعم إمبريقى لهذه النماذج المفترضة.

(٢) الدراسات الظاهراتية أو الفينومولوجية :

تمثل الدراسات الظاهراتية محاولات دقيقة؛ لاستحداث نماذج نظرية تفسر عملية التسامح، كما يدركه الأفراد أنفسهم الذين سامحوا من آذوهم إيذاءً عميقًا، فالأفراد الذين يعيدون تفسير خبراتهم الخاصة فى التسامح يصفونها بالأساليب نفسها التى يصف من خلالها الاختصاصيون الإكلينيكيون عملية التسامح، فقد وجد كيوريتس Curtis ورو Row وآخرون (١٩٨٩) وتريونج Truong(١٩٩١) دليلاً على كل أنواع الانفعالات القوية التى يواجهها المعالجون النفسيون أثناء عملهم مع عملائهم، وذلك فى التقارير السردية التى أوردها المشاركون فى دراستهم عن خبراتهم فى التسامح، وقد ضمن تريونج فى نموذجه أثناء تكوينه مرحلة أطلق عليها " الانصراف الذهنى عن

المظاهر المتعددة للخبرة المؤلمة، ويعد "الانصراف الذهنى عـن التوقعـات" أحد الفئات الفرعية لهذه المرحلة، وهذه الفئة تقابل الانصراف الذهنى عـن الحاجات غير الملائمة إلى حد كبير. (Row et al.,1989,p.242).

وقد لاحظ كيورتس (١٩٨٩) ورو وآخـرون (١٩٨٩) أن المـشاركين فى دراساتهم يكتشفوا حدوث تغير فى إدراكهم لذاتهم، والأشخاص الذين أساءوا إليهم، وذلك أثناء كفاحهم لبلوغ التسامح، وتستلزم المرحلة النهائية فى النمـوذج النظرى الذى قدمه تريونج على نحو مماثل، حدوث تغير وتطور فى الإدراكات الذاتية للمتسامح، وهذا يقابل فكرة تكوين قصة جديدة عن الذات والآخرين.

ويتمثل القصور الكبير فـى الدراسـات الظاهراتيـة فـى الطبيعـة الاسترجاعية والذاتية لمثل هذه الدراسات، وهذا يثيرتساؤلاً حول مدى ثبات مثل هذه التفسيرات التى يقدمها المشاركون فى مثل هذه الدراسات، خاصـة إذا كان التسامح قد حدث خلال بعض السنوات السابقة. والصعوبة الأخـرى للدراسات الظاهراتية هى أن الباحثين يلحون على المشاركين الذين تسامحوا على نحو ناجح، ويطلبون منهم أن يصفوا خبرتهم فى التسامح، بما يـضمن رسم صورة جيدة عن التسامح، وهذا قد يؤدى إلى استنتاج خاطىء مؤداه أن التسامح ملائم لكل الأفراد فى كل المراحل، وهذا يعد عيبًا خطيرًا فى ضوء دراسة ترانير Trainer (١٩٨١)، التى بينت أن الناس يتسامحون لمبـررات عديدة (فقد يكونون مدفوعين داخليًا للتسامح، وقد يتـسامحون لأن التـسامح يتسق مع التوقعات المرتبطة بأدوارهم، ولأن التسامح مفيد) ويكون لمختلف هذه الأشكال من التسامح عواقب مختلفة فيما يتعلق بسلوك اللوم الذى يبديـه الأشخاص المتسامحون، ومشاعرهم، واتجاهاتهم نحو أنفسهم، ونحو من أساء إليهم، وفيما يتعلق بإحساسهم بالتحكم فى ذاتهم وفى الآخرين، وفى الأحداث الحياتية. ويحذر ماكلو وآخرون (١٩٩٧) من أن التسامح قـد يكـون فـى الحقيقة ضارًا فى بعض الظروف (على سبيل المثال مسامحة المسيء الـذى لم يبد ندمًا على ما اقترف من إساءة؛ لنبقى على العلاقة التى تربطنا به). فما نحتاج إليه هو إجراء مجموعة من الدراسات المُكمّلة التى تفحص الإدراكات

الذاتية للأفراد الذين يشعرون أنهم غير آثمين؛ لامتناعهم عن التسامح، فمثل هذه البيانات المقارنة ستساعد على توضيح الفروق التجريبية بين أولئك الذين يتسامحون، والذين لا يتسامحون.

(٣) الأدلة الأمبريقية التى تدعم النماذج الخاصة بالتسامح :

لم ينجح ماجير Mauger وآخرون (١٩٩٢) وهيبل Hebal وإينريت Enright (١٩٩٣) فى الوصول إلى أى بحث إمبريقى منشور عن التسامح، سابق للوقت الذى قدموا فيه بحوثهم، على الرغم من وجود كم كبير من التقارير القصصية، والتقارير المتعلقة بدراسة الحالة، واستنتج ماكلو وراشال (١٩٩٧، ص: ٥) أن التراث المنشور عن التسامح يعد -تاريخيًا- تراثًا نظريًا بلا بيانات إمبريقية، فما كان متوفرًا لدينا حتى سنة(١٩٩٣) هو مجموعة من رسائل الدكتوراة التى تحتوى على تقارير عن دراسات إمبريقية، حاولت أن تصنف أنماط التسامح (Nelson,1992;Trainer,1981)، وفحصت الظروف التى يكون من الأكثر احتمالاً أن يحدث فى ظلها التسامح (Droll,1984)، كما فحصت فعالية تعزيز التسامح لدى المراهقين (Gassin,1995) وطورت مقياسًا لقياس التسامح (Wade,1989).

وبدأت نتائج البحوث المنشورة منذ سنة (١٩٩٣) فى تزويدنا بأدلة إمبريقية تدعم نظريات معينة، أو فروض خاصة بالتسامح، وقد ساهمت مثل هذه البحوث فى جذب الانتباه إلى كثير من المظاهر الملحوظة للتسامح، وساهمت بشكل أساسى فى التوصل إلى فهم شامل لعملية التسامح ككل، ومن أكثر نتائج البحوث أهمية توصل الباحثين إلى أن التسامح يمكن تعزيزه من خلال التدخلات التربوية النفسية (Al-Mabuk,et al.,1995; Hebl & Enright,1993; McCullough&Worthington,1995;Worthington,Sandage,&Berry. الفصل الحادى عشر بهذا المجلد).

ويُعاب على معظم هذه الدراسات أنها أجريت على مشاركين تم انتقاؤهم ذاتيًا من قبل الباحثين، ولم تجر عادة على مشاركين من جمهور المرضى، وعلى الرغم من أن ماكلو وورثنجتون(١٩٩٥) قد أشارا إلى أن عملية الانتقاء الذاتي للمشاركين في دراساتهم لم تختلف عن عملية الانتقاء الذاتي التي تحدث في الحياة اليومية للعملاء الذين ينشدون الإرشاد المهني، فإنه لا يوجد أمامنا سبيل لمعرفة ما إذا كانت مستويات دافعية المشاركين في مثل هذه الدراسات وتعهدهم بالالتزام بأداء ما يطلب منهم مكافيء لدافعية العملاء الحقيقين المترددين على مراكز العلاج والإرشاد النفسي، والتزامهم، وتمثل هذه الثغرة المنهجية مشكلة مهمة، خاصة إذا تضمن أسلوب التدخل العلاجي جلسة واحدة، أو مجموعة من الجلسات المختصرة، فمثل هذه الظروف لا تماثل طبيعة موقف العلاج النفسي النموذجي الذي يستهدف تعزيز الشفاء لدى العملاء، ونتيجة لذلك تتسم معظم البحوث الإمبريقية المعاصرة في التسامح بقصور في قدرتها على تحسين فهمنا لكيفية بزوغ التسامح بوصفه عملية تستهدف إحداث تغير لدى الأفراد، داخل إطار العلاج النفسي الفردي.

ويعد التقرير الذي أورده فريدمان وإينريت سنة(١٩٩٦) عن استخدام التسامح كأسلوب علاجي لمقاولي الأراضي الذين ارتكبوا زنا المحارم، والتقرير الذي أورده كويل وإينريت سنة(١٩٩٧) عن استخدام التسامح كأسلوب لعلاج الرجال الذين قامت زوجاتهم بإجهاض أنفسهن، يعد هذان التقريران استثناءين جديرين بالذكر في هذا السياق، فاستهدفت دراسة فريدمان وإينريت فحص فاعلية أسلوب تدخل علاجي لمجموعة من مقاولي الأراضي الذين ارتكبوا زنا المحارم، حيث كان إحراز التسامح هو الهدف النهائي للعلاج، وفحص كويل وإينريت الفوائد النفسية لتعزيز التسامح، لدى

مجموعة من الرجال الذين يعتبرون أنفسهم مُساء إلـيهم ؛ نتيجـة لاختيـار زوجاتهن إنهاء حملهن، وقد زودتنا نتائج الدراستين بدعم مبدئى للفرض الذى مؤداه: أن للتسامح فوائد نفسية قصيرة المدى وطويلة المدى.

بناء نماذج نظرية فى التسامح :

عدّد ماكلو وورثنجتون (١٩٩٤) مناحى عديدة؛ وذلك لاستحداث نماذج نظرية عن التسامح ويستهدف أحد هذه المناحى وصف المهام المتضمنة فى عملية التسامح، والتدخلات العلاجية التى قام بها فريدمان وكويل وإينريـت مبنية على هذا المنحى الذى يستهدف بناء نموذج نظـرى عـن التـسامح، وتحقيق إسهامات مهمة فيما يتعلق بمعرفتنا بالفوائد المحتملة الناجمـة عـن تعزيز التسامح فى العلاج النفسى الفردى.

ولسوء الحظ مال المنظرون الذين قدموا نماذج نظرية فى التسامح إلى تخطى خطوة التحقق من صدق نماذجهم، وتقدموا مباشـرة نحـو أسـاليب التدخل العلاجى، دون أن يوضحوا -إمبريقيًا – أن التسامح يظهر فى الحقيقة فى نمط مفتـرض، ويقتـرح جرينبيـرج Greenberg وفوريـستر Foerster (١٩٩٦) أن أهم مشكلة تواجه المحاولات الإكلينكية الحالية هى وجود متغير وسيط غير ظاهر لم يُفسر بعد، ويتمثل فى عملية التغير التى يحدثها العلاج النفسى، فالمعالج النفسى ينفذ العلاج، ولكن التساؤل هو هل نجـح العـلاج النفسى؟ وهل حدثت عمليات التغير المتوقعة؟ فإذا وُجـد فـى المجموعـة الخاضعة للعلاج بعض العملاء الذين استغرقوا فى عملية التغير تجاه الهدف المنشود، ألا وهو التسامح، فهناك البعض الذى قد يتسامح علـى المـستوى العقلى فقط، ويرفض البعض الآخر أن يتسامح، عندئذ لـن يمكننـا إجـراء

اختبار حقيقى يقيّم كفاءة الأسلوب العلاجى المستخدم، ونتيجة لذلك يكون من غير الممكن تحديد أى قدر من المخرجات الإيجابية يُفسر من خلال عملية التسامح ذاتها، وذلك بالمقارنة بقدر المخرجات الإيجابية الذى يفسر فى ضوء عوامل أخرى، يكون من المعروف أنها تُسهم فى إحداث مخرجات علاجية إيجابية (مثل العلاقة العلاجية وفريق العمل الجيد). (Horvath&Greenberg,1989; Greenberg&Newman,1996) فإذا أخضعنا أولئك العملاء الذين حققوا التغير المنشود وبالنمط المتوقع للدراسة ؛ لنرى ما إذا كانوا تغيروا بدرجة أكبر فى ظل استخدام أسلوب علاجى محدد، وذلك بالقياس إلى أولئك الذين لم يستغرقوا فى عملية التغير هذه، فهنا نكون قد اختبرنا آثار التغير اختبارًا حقيقيًا، وعندئذ يمكننا أن نؤكد ببعض الثقة أننا قد قسنا مقدار المخرجات الإيجابية الذى يُفسر من خلال النموذج النظرى الخاضع للبحث.

المنحى الإمبريقى – المنطقى لبناء النماذج النظرية التى تستهدف إحداث التغير:

أشار جرينبيرج وزملاؤه إلى أن ضم المناهج البحثية الإمبريقية والمنطقية يكون مفيدًا فى بناء النماذج النظرية التى تستهدف إحداث التغير فى سياق العلاج النفسى (Greenberg,1991;Greenberg&Foerster,1996; Rice&Greenberg,1984)، فيعد المنحى المقترح لتحليل المهمة المستخدم لدراسة عمليات التغير النوعية، يعد منهجًا بحثيًا يركز على فهم عمليات التغير المعقدة والمستمرة، وقد تبين أنه يساعد على فهم كيفية تغير الناس فى ظل العلاج.

ويتضمن تحليل المهمة الفحص الدقيق للأحداث التى تحدث داخل الجلسة العلاجية، تلك الأحدث التى تم انتقاؤها، لتكون ممثلة للجهود التى يقوم بها العميل؛ لحل نوع محدد من المشكلات، فيصف الباحث أولاً

الأداءات التى حدثت داخل الجلسة العلاجية، وميزت ظهور المــشكلة، ومــا يوازيها من تدخلات علاجية لتيسير حل المشكلة، بعد ذلك يتم قياس العلامات المميزة للمشكلة، والتدخلات العلاجية، ثم تبدأ منطقيًا مرحلة تحديد مجموعة الاستراتيجيات المحتملة لحل المشكلات، والتى تساعد الباحثين فى صــياغة الأساليب التى يمكن أن تُؤدى من خلالها مهمة حل المشكلة على نحو فعال، يعقب ذلك القيام بتحليل إمبريقى لجهد العميل الواقعى لحل المشكلة العلاجية المقدمة، ويتم التوصل إلى نموذج دقيق للاستراتيجيات المستخدمة فى حــل المشكلة، من خلال التحليل المتعاقب المنطقى، والإمبريقى الذى يعتمد علــى بعضه بعضًا.

والناتج النهائى هو وصف مُفصّل لعلميات محددة وعلاقات ممكنة بين هذه العمليات، ويحدد الوصف الناتج مرحلة إجراء الدراسات التى تــستهدف التحقق من صدق النموذج، وذلك من خلال مقارنة الحلول الناجحة للمشكلة، والحلول غير الناجحة لها، وربط أنماط محددة من الأداءات على تلك المهمة بالنواتج العلاجية المتحققة، ونقدم فيما يلى مثالاً لهذا المنحى فى بناء النماذج، وهو وثيق الصلة بالتسامح.

إيجاد حل المشاعر غير المكتملة :

تُعرف **المشاعر غير المكتملة** unfinished business بأنها " ما يشعر بــه الفرد حاليًا تجاه الآخرين من مشاعر مترسبة ومعقدة، وهى مــشاعر ســلبية يحملها الفرد تجــاه الآخــرين (Greenberg,Rice,&Elliott,1993;Perls,Hefferline, &Goodmans,1951)، وقد اشتق هذا المفهوم من العلاج الجــشتالطى (Perls et al.,1951)، وتمثل المشاعر غير المكتملة واحدة من المشكلات الفرعية للعميل، والتى تتطور نتيجة للإحباط المتكرر، أو المواقف الــصدمية التــى يواجهها العميل من قبل الآخرين الذين يمثلــون أهميــة بالنــسبة لــه (Greenberg et

al.,1993)، وتظهر عندما يحاول العميل التعامل مع الصعوبات السابقة التي واجهته في علاقاته، وتتضمن تلك الصعوبات خبرات الانفصال، والهجر، والصدمات، والإساءة (Greenberg &Foerster,1996).

وقد وجد جرينبيرج وتلاميذه أن إيجاد حل للمشاعر غير المكتملة هو مهمة العلاج النفسي الذي قد يتضمن استخدام التسامح، فيمكن أن يتم التوصل إلى حل للمشاعرغير المكتملة التي تنشأ لدى المُساء إليه من خلال اتباع أحد الأسلوبين التاليين: (١) يمكن أنتُحل من خلال الصدق الذاتي، وتأكيد الذات، وتحميل الأشخاص المهمين بالنسبة له والذين أساؤا إليه مسئولية أفعالهم السيئة، أو (٢) اكتساب فهم جديد للآخر، وتفهم موقفه، ومسامحته أو مسامحتها (Greenberg&Foerster ,1996). والبحوث التي أجراها جرينبيرج وتلاميذه، تم أجراؤها في سياق العلاج النفسي التجريبي القائم على تحليل العمليات، ذلك المنحى العلاجي الذي يستخدم التدخلات العلاجية الجشتالطية، التي تعد جزءًا لا يتجزء من أسلوب العلاج المتمركز على العميل لروجرز، ويؤكد العلاج النفسي المتمركز على العميل على خصال المعالج (مثل التناغم القائم على تفهم العميل، والدفء غير القائم على السيطرة على العميل، والصدق)، التي تعد ضرورية لخلق بيئة آمنة، يحتمل أن تُعزز الوعي الذاتي البناء، وأن تغير بنية المقاصد ذات المغزى (Greenberg et al.,1993).

ويزودنا العلاج الجشتالطي بمجموعة من أساليب التدخل العلاجي التي تساعد على تيسير الاستثارة الانفعالية، والمعايشة العميقة للخبرة، ويعد الحوار مع الكرسي – الخالي empty- chair dialogue واحدًا من أساليب التدخل العلاجي التي اشتقت من العلاج الجشتالطي (Perls et al,1951 ; ذُكر بتفصيل من خلال Greenberg et al.,1993)، ويمكن استخدامه لمساعدة العميل على مواجهة الآخر ذي الأهمية بالنسبة له على مستوى التخيل، بهدف إيجاد أساليب جديدة لتفهم الموقف الشخصي الذي يمثل مشكلة بالنسبة له.

بناء نموذج لإيجاد حل للمشاعر غير المكتملة:

استخدم منحى تحليل المهمة طوال الخمس عشرة سنة الماضية، لدراسة المشاعر غير المكتملة، ضمن إطار العلاج التجريبى القائم على العمليات، وقد بدأ برنامج البحث ببناء نموذج منطقى بسيط (Greenberg&Foerster,1996;McMain,Goldman,&Greenberg,1996).

وبعد ذلك تم فحص الجلسات العلاجية التى تتضمن إيجاد حلول للمشاعر غير المكتملة، وذلك لتحديد إلى أى مدى تعد الأداءات الفعلية التى يقوم بها العميل ملائمة للنموذج النظرى، أو فشلت فى أن تلائمه، أو تسهم فى ثرائه، وفى الوقت ذاته يتم الاهتمام بتوفير طرائق لاحقة لقياس مختلف مكونات النموذج.

وقد طور كيلن Klein وماثيو Mathieu وكيسلر Kiesler وجيندلن Gendlin (١٩٦٩) مقياسًا تجريبيًا (EXP) ذا مقياس تقدير مكون من سبع نقاط، واستعرض كيلن وماثيو وكيسلر بشكل موسع إجراءات تقدير صدقه وثباته (١٩٨٦)، واستخدم هذا المقياس على نطاق واسع ؛ لتقويم مدى قيام العميل بمحاولات استكشافية لخبراته الداخلية، وكفاءة هذه المحاولات التى تستهدف إحراز الفهم الذاتى، والتوصل لحلول للمشكلات التى يواجهها العميل، وفى مستويات التقدير المنخفضة على المقياس لا يقدم الفرد مؤشرًا لعملياته، أو لعملياتها الداخلية، ومع التحرك نحو التقديرات الأعلى على المقياس يصبح المنظور الشخصى للفرد أكثر وضوحًا، حتى نصل لمستويات التقدير المرتفعة، فنجد أن الفرد يعالج خبراته أو خبراتها بأسلوب موجه نحو الهدف. وقد بُنى التحليل البنائى لمقياس السلوك الاجتماعى (SASB;Benjamin,1974) على أساس نموذج نظرى قائم على تفاعل محورى الانتماء والاعتمادية المتبادلة، وهو يزودنا بأسلوب لتقويم التعاملات التى تحدث فى سياق عملية

العلاج النفسى لحظة بلحظة. وقد راجع بنجـــامينBenjamin وفوســـترFoster وجيت روبرتو Giat-Roberto وإيستروف Estroff سنة (١٩٨٦) الخـــصائص القياسية (السيكومترية) للمقياس. وتضمن ترميز السلوك الشخصى تـــصنيف السلوك وفقًا لمصدرالتعامل (مـــثلاً الـــذات أم الآخـــر)، ودرجـــة الانتمـــاء والاعتمادية المتبادلة، وقد قسمت أجزاء الحوار العلاجي إلى وحـــدات مـــن الأفكار (متضمنة متوسط: الأسماء والأفعال والصفات التى ذُكرت بالجلـــسة العلاجية)، وحُددت الشفرة التى تصف الوحدة، فعلى سبيل المثال ســـترمز جملة " أنا أسامحك " في وحدة " الإفصاح والتعبير " ويرمـــز لهـــا بـــالرمز (SASB=2-2). واستخدم نظام ترميز لمقياس الـــسلوك الاجتمـــاعى (SASB) لقياس جودة التغير الذى يطرأ على التفاعلات التى تحدث بين العميل والآخر ذى الأهمية بالنسبة له أثناء الحوار مع الكرسى – الخالى. واستخدم مقيـــاس الاستثارة الانفعالية للعميل (EAS;Daldrup,Beutler,Engle,&Greenberg, 1988)؛ لتقدير التعبيرالفظى وغير اللفظى عن الانفعالات الأولية، وقد اتضح تمتعـــه بالثبات (Machado,Beutler,&Greenberg,1999) وفـــى المـــستوى المـــنخفض لاتكشف تعبيرات الفرد عن أية استثارة انفعاليه، وفى المستوى المتوسط يعبر العميل عن مشاعر ذات مستوى استثارة متوسط، وفـــى النهايـــة العظمـــى للمقياس هناك حالة استثارة شديدة، مثـــل تعبيـــر العميـــل عـــن مـــشاعره أو مشاعرها بحرية من خلال الصوت، والكلمات، والحركة الجسمية.

وقد صمم مقياس الحاجات (NEED;Foerster,1990) لغرض البحث الذى أجراه جرينبيرج وتلاميذه وهو قائم على بحوث مـــوراى Murray (١٩٣٨)، وقد اتضح أنه يتسم بالثبات (Pedersen,1996)، ويتضمن المقيـــاس إصـــدار أحكام تصنيفية عن أنماط محددة من الحاجات الشخصية، تظهر فى الحـــوار الخيالى الذى يجريه العميل مع الأفراد ذوى الأهمية بالنسبة له، وهذه الأحكام

التصنيفية قائمة على مجموعة من المحكات ذات الدلالة اللغوية، فعلى سبيل المثال تصنف عبارة "أود أن تفهم إلى أى مدى آذيتنى" على أنها "الحاجة إلى التصديق".

وقد تم تدريب المُحكمين الإكلينيكيين على استخدام هذه المقاييس الثابتة، لتقويم أجزاء الجلسات العلاجية التى تم تحديدها على أنها حاسمة فى عملية إيجاد حل للمشاعر غير المكتملة. فباستخدام مقاييس التقدير تلك أصبح الباحثون قادرين على تقويم جلسات العلاج باستخدام مقاييس مستقلة عن الأحكام الذاتية الملحة للمعالجين، والعملاء المتضمنين فى العلاج النفسى.

وتتمثل الخطوة التالية فى عمل رسم بيانى للحوار الفعلى الذى قام به العميل، وذلك بهدف تنقيح الملاحظات المستخلصة من الجزء المنطقى فى مرحلة الاستكشاف، فتُمثل سلوكيات العميل من خلال الرسوم البيانية، لوصف الحالات التجريبية، والتفاعلية فى الحوار المتخيل الذى قام به العميل مع الآخر ذى الأهمية بالنسبة له، والتى تم قياسها من خلال مقياس التقدير الذى سبق ذكره، ويكشف هذا النمط من عمليات التحليل المتبلورة الدقيقة وعن كثب ماهية عملية التغير المتضمنة، وكيف يمكن قياس مختلف الحالات.

وبعد أن تُجرى مجموعة من الملاحظات الدورية، ويأخذ الباحثون على عاتقهم بناء النموذج، يتم تكوين نموذج منقح يتضمن المكونات الأساسية لعملية الحل، ويمثل رسم (٩-١) هذا النموذج.

فيتميز ظهور المشاعر غير المكتملة -على نحو نموذجى - بكف التعبير عن ما يشعر به الفرد حاليًا من مشاعر سلبية، تلك المشاعر المترسبة السلبية التى يحملها الفرد تجاه فرد آخر ذى أهمية بالنسبة له.

ويمكن فهم عملية التوصل للحل على أنها تظهر على النحو التالى:

مع افتراض وجود علامة مميزة لظهور المشاعر غير المكتملة، يُطلب من العميل أن يتخيل الفرد ذا الأهمية بالنسبة له جالسًا على الكرسى الخالى، ويتواصل معه على المستوى التخيلى، ثم يُشجع العميل بعد ذلك على أن يعبر للآخر المتخيل عن مشاعره (أو مشاعرها) الناشئة، والتى وصفها (أو وصفتها) للمعالج من قبل، ومع استغراق العميل فى العملية، تميل تعليقاته (أو تعليقاتها) فى البداية إلى أن يُعبر عنها فى صورة توجيه اللوم إلى الآخر عن المشكلة التى يواجهها العميل، والشكوى من سلوك الآخر، أو الشعور بالألم من جراء الإيذاء الذى اقترفه الآخر.

وهناك افتراض ضمنى يكمن خلف استخدام هذا الأسلوب العلاجى، مؤداه أن التمثيل الداخلى لذات العميل والآخر سيبزغ عندما يتنقل العميل خياليًا إلى الأمام والخلف بين الكراسى، ومن ثم تكون الخطوة القادمة هى توجيهه إلى تمثيل دور الآخر كما يتخيله أو تتخيلها (كأن يُظهر رفضه، أو مشاعره العدائية أو ينقده أو يبدى عدم اهتمامه...إلخ). والهدف من تمثيل الآخر المدرك على نحو سلبى؛ هو خلق الشعور بالاتصال المفعم بالحيوية بين العميل والآخر المتخيل، ويتم التعامل مع محاولات العميل تمثيل دور الآخر على أنها بمثابة قياس قبلى، يمكن أن نفحصه من خلال مقارنته بأية تحولات حادثة فى تمثيل العميل للآخر ذى الأهمية بالنسبة له، وسوف يستثير الاتصال الناجح المفعم بالحيوية بين العميل والآخر المتخيل ذكريات شخصية محددة تُشكل السياق الملائم لتطور المشاعر غير المكتملة، وبمجرد أن تظهر هذه المشاعر؛ تُستثار الانفعالات بشدة، وتتمايز المشاعر، ويحدث تحول لدى العميل من الحالة التفاعلية الدفاعية، والتى تركز على الخارج، إلى الحالة الاستكشافية الحقيقية، والتى تركز على الاحتكاك بالخبرة الداخلية الأساسية

والتعبير عنها، ونصل لهذه الحالة غالبًا من خلال استثارة ذاكـرة الأحـداث الشخصية المؤلمة للحدث الشخصية الصدمى، وإعادة تمثيله. وتتضمن أيضًا الأسى على ما تم فقده من خلال الآخر.

وعند هذه النقطة يتم التركيز على المظاهر المرغوبة للعلاقة، وذلـك بهدف مساعدة العميل على تحديد حاجاته (أو حاجاتها) السابقة غير المشبعة، والتعبير عنها للآخر المتخيل الذى يجلس الآن على الكرسى الخالى، ويبـزغ لدى العميل الشعور بأحقيته لهذه الحاجات عندما يؤكـد حاجاتـه (أو تؤكـد حاجاتها)، ويفحص (أو تفحص) الظروف الراهنة، والمـصادر الشخـصية المتعلقة بالآخر، وبمجرد أن يبزغ لدى العميل الشعور بالجـدارة، والطاقـة الشخصية، يصبح قادرًا على الانصراف الذهنى عـن مـشاعره المبكـرة، المرتبطة بحرمانه من إشباع حاجته.

ويحدث إعادة تنظيم لمخطط العميل، وذلك بعد أن يعبر عـن انفعالـه الشديد، وحاجاته الشخصية غير المشبعة، ويؤدى هذا إلى حدوث تحول لديه فى إدراكه للآخر الذى يمثل أهمية بالنسبة له، وفى هذا الجزء من العمليـة يبدأ العميل فى إدراك الآخر بشكل مركب ومتعدد الأوجه، فيُدركه الآن على أنه منفصل عنه، ويمتلك خصالاً جيدة، وأخرى سيئة، وفى الواقع، قد يبـدأ العميل فى إدراك الآخر من وجهة نظر الآخر، وفى ضوء مالدي الآخر من صعوبات، وتتميز هذه العملية بحدوث أحد المخـرجين الآتيـين: فإمـا أن تضعف اتجاهات العميل السلبية تجاه الآخر، ويدرك ذاته والآخر بمزيد مـن الإيجابية (أو على نحو أقل سلبية على الأقل)، أو – ويحدث هذا المخرج فى حالة الإساءة – يعتبر الآخر مسئولاً عما اقترف من أفعال، ويدركه على أنـه يستحق ما يكنه له العميل من مشاعر سلبية، وفى هذه الحالة يدرك العميـل ذاته على أنه متمكن، وذو شأن فى علاقته بالآخر، وأنه محـق فيمـا يكنـه

للآخر من مشاعر سلبية، ولأنه يدرك ذاته على أنها أكثر قوة، لـذا يـدرك الآخر على أنه أقل تهديدا.

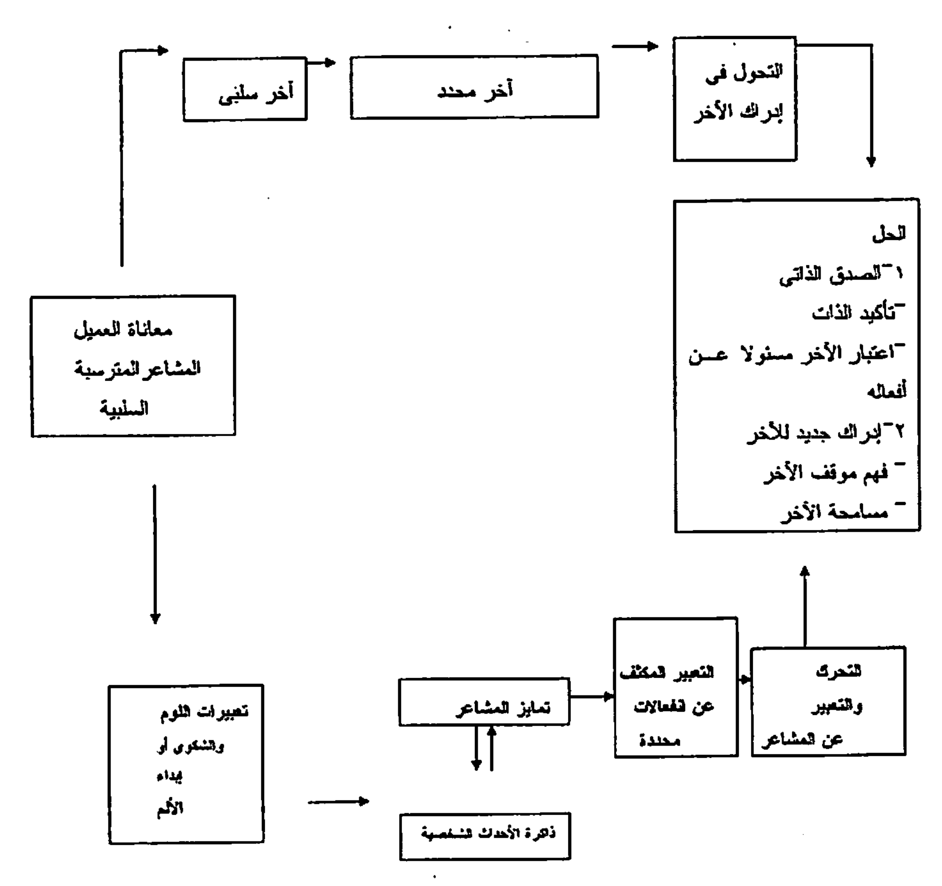
وعندما يخضع تمثيل الذات والآخر للتحول الإيجابى، فإن ذلك يتـيح للمظاهر الحسنة للآخر أن تبزغ، وأن تُكتشف علـى المـستوى الوجـدانى فيتطورفهم العميل المتعمق للآخر وقد يسامحه أو يسامحها، وبـدلاً مـن أن يدرك الآخر من منظور ما اقترف من إساءة، يصبح العميل قادرًا علـى أن يدرك الآخر بعين التفهم والشفقة، بالإضافة إلى ذلك يـشعر العميـل بـأن مشاعره غير المكتملة تجاه الآخر قد اكتملت ووجد لها حلاً، ويصاحب ذلـك غالبًا الشعور بالتفاؤل تجاه المستقبل.

ويمثل النموذج الذى نحن بصدده الآن، والذى يوضحه شـكل (٩-١) اكتشافًا إمبريقيًا أساسيًا فيما يتعلق بالتسامح، والذى يعد جزءًا محوريًـا فـى بعض الأساليب المقترحة كحل للمشاعر غير المكتملة، ويقترح النموذج أيضًا عددًا من العمليات الحاسمة لإحداث التغيرات العلاجية، ويمكـن اسـتخدامها لفحـص العلاقـة بـين العمليـة والمخـرج (Greenberg,1991; Greenberg &Newman,1996).

وقد أوضحت دراستان (Foerster,1990; Pedersen,1996) أن المكونات الأربعة للنموذج (التعبير الشديد عن الانفعالات، والتعبيـر عـن الحاجـة، والتحول فى إدراك الآخر، والتوصل لحل للمشاعر غير المكتملة) تكون من الأكثر احتمالاً أن تحدث، وبدرجة دالة فى حالة الأحداث التى قرر المعالجون والعملاء أنها تم إيجاد حل لها، وذلك بالقياس للأحداث التى قـرر الطرفـان أنهما لم يتوصلا لإيجاد حل لها. وتبين أن مكونات: توجيـه اللـوم للآخـر والشكوى وإبداء الألم، وتمثيل دورالآخر السلبى لم تميز بين هذين النـوعين من الأحداث، حيث تكون تلك العناصر موجودة فى بداية كل الحوارات مـع الكرسى - الخالى.

شكل (٩-١)

النموذج المنقح لإيجاد حل للمشاعر غير المكتملة نقلاً عن جرينبيرج (١٩٩٣).
طُبع سنة (١٩٩٣) من خلال مطبعة جيلفورد وأُجيزت إعادة طبعه



وقد أجرى مالكولم (Malcolm ١٩٩٩) دراسة مفصلة استفاد فيها من البيانات المستخلصة من الدراسة، التى تناولت تأثير الحوار مع الكرسى الخالى فى إيجاد حل للمشاعر غير المكتملة (Paivio&Greenberg,1995)، واستخدم مالكولم مكونات النموذج فى محاولة لربط العملية(أسلوب التدخل

العلاجى) بالمخرج (النواتج المتحققة من العـــلاج). وقـــد تمـــت مراجعـــة التسجيلات الصوتية والمرئية للجلسات العلاجية لاثنـــين وثلاثـــين عمـــيلاً، وسجلت أجزاء الحوار مع الكرسى الخالى، التى اعتقد الباحث أنهـــا أفـــضل ممثل لكل مكون من مكونات النموذج، وذلك بالنسبة لكل عميل على حدة، ثم سُلمت هذه التسجيلات إلى مُحكمين إكلينيكين مدربين على عمـــل تقـــديرات للعمليات المتضمنة فى الجلسة العلاجية، باستخدام مقياس التقـــدير الـــسابق الإشارة إليه، وقد تم استخدام هذا الأسلوب المنهجى لنتحقـــق مـــن ظهـــور مكونات النموذج (مكونات التوصل إلى حل للمشاعر غير المكتملة من خلال التسامح)، أو غيابها، وكشفت تقديرات المحكمين أن ثلاثـــة عـــشر عمـــيلاً توصلوا إلى حلول لمشاعرهم غير المكتملة وفقًا لمكونات النموذج، وقـــورن أداؤهم بأداء ثلاثة عشر عميلاً تم انتقاؤهم عشوائيًا من المجموعة المتبقيـــة، التى لم تتوصل إلى حل لمشاعرها غير المكتملة، وكـــشف تحليـــل التغـــاير (بمقارنة درجات العملاء قبل تلقى العلاج بدرجاتهم بعد تلقى العلاج) عـــن وجود فروق دالة فى نهاية تلقى العلاج بين المجموعة التى توصلت إلى حل لمشاعرها غير المكتملة، والمجموعة التى لم تتوصل إلى حل، على عدد من المقاييس التى تقيس المخرجات التى تحققت بعد تلقى الجلـــسات العلاجيـــة، وتدعم هذه النتائج الفروض التى طورها نموذج حل المشاعر غير المكتملة، والتى تحقق جرينبيرج وتلاميذه من صحتها فيما يتعلق بتحسن التنعم النفسى.

تطبيق عملية تحليل المهمة على دراسة التسامح:

مع اكتشاف أن التوصل إلى حل لهذه المشاعر قد يتضمن فهمًا للآخر ذى الأهمية بالنسبة للفرد ومسامحته، لذلك نفترض أن نموذج التوصل إلـــى حل للمشاعر غير المكتملة سيكون مفيدًا؛ لبناء نموذج تحليل المهمة الخاص

بعمليات التسامح ذاتها، وسنختتم هذا الفصل بعرض تقرير عن الخطوات الأولية للتحليل الإمبريقى – المنطقى للمهمة الخاصة بعملية التسامح.

ويلخص الشكل (٩-٢) نموذجنا المنطقى المتعلق بالخطوات العلاجية التى يجتازها العميل حتى يصل إلى مسامحة الآخر المقرب إليه، الذى آذاه إيذاءً شخصيًا عميقًا، وقد بُنى النموذج فى ضوء التراث البحثى المتاح، وفهمنا الإكلينيكى لعملية التسامح.

ومن المهم أن نلاحظ أن التقدم خلال هذه العملية لا يكون بالضرورة تقدمًا خطيًا، ولكن يميل المعالج والعميل إلى العودة إلى مختلف مظاهر العملية، ومواجهة الذكريات الشخصية الأساسية، والحاجات غير المشبعة، ومعالجتها على مدى الجلسات العلاجية، ونتيجة لذلك قد يرتد المعالج والعميل للخلف لأجزاء سابقة بالنموذج أكثر من مرة.

ولا يُنظر لهذا النموذج على أنه أداة علاجية تربوية معروضة على العميل، يمكنه استخدامها كأسلوب لفهم التسامح والتفكير فيه، ولكنه يعد أكثر نفعًا عندما يستخدمه المعالج كخريطة إمبريقية أساسية لعملية التسامح، ويفيد النموذج فى حد ذاته فى توجيه المعالج، لما إذا كان العميل على مقربة من عملية التسامح مع الآخر أم لا، ويوضح كيف يمكن للمعالج تيسر مراحل المعالجات التالية (Greenberg et al,1993).

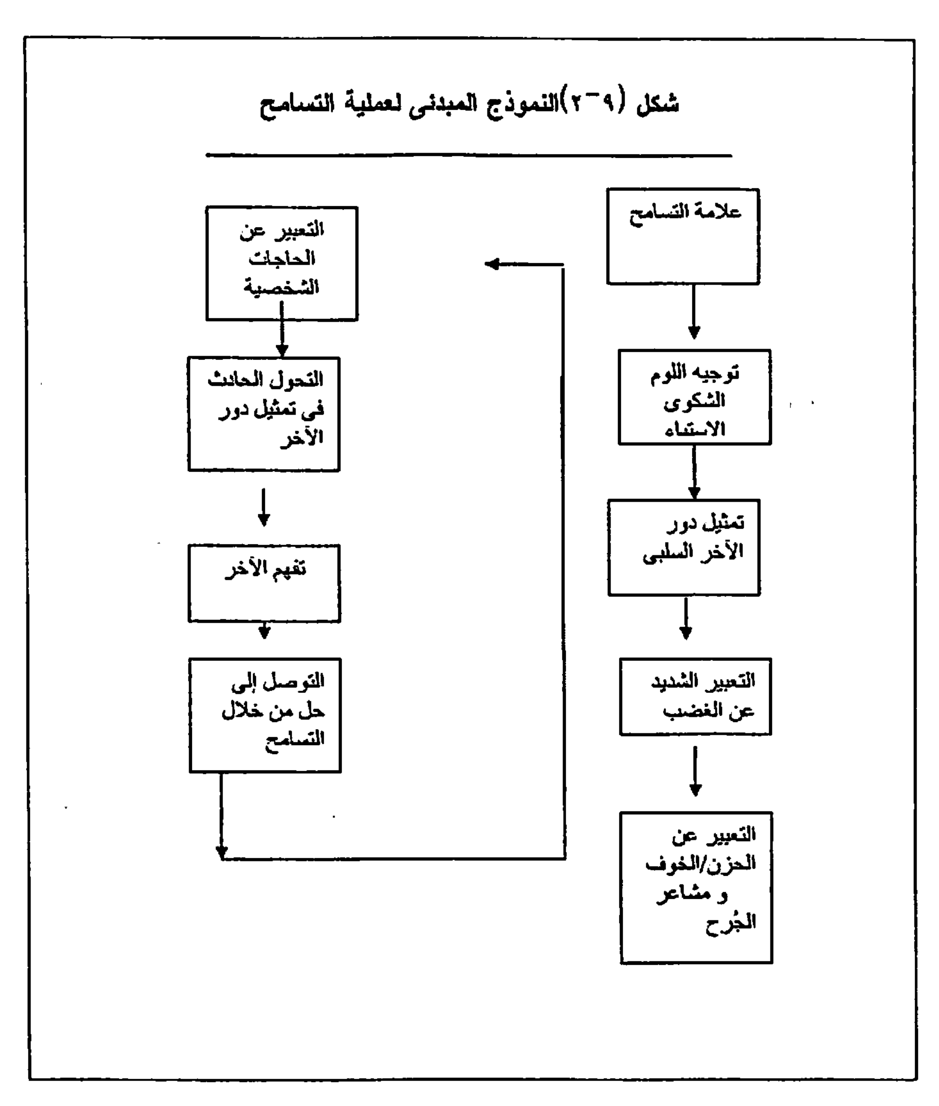
ونفترض أثناء الجلسات العلاجية، أن يتميز أداء العميل الذى يرغب فى التسامح، بصدور عبارات تشترك خصائصها مع كل المظاهر المميزة للعلامات الدالة على المشاعر غير المكتملة (مثل المشاعر المترسبة السلبية التى يكنها العميل للآخر)، وتكشف هذه العبارات أيضًا، وعلى وجه التحديد، عن رغبة العميل فى أن يتسامح، أو فقدان قدرته على التسامح، وهذه تمثل مشكلة بالنسبة للعميل، ويتضمن العلاج النفسى الموجه تحديد العلامات الدالة

على التسامح بهدف التدخل العلاجى، ويسمح بتيسير حدوث التسامح لدى العميل الذى يظهر رغبته الشخصية فى أن يتسامح مع الآخرين الذين أساءوا إليه، ويحجم المعالج عن بذل جهده لتعزيز التسامح لدى بعض العملاء الذين لا تظهر لديهم العلامات المميزة للتسامح، وبناءً على ذلك يتجنب تعزيز التسامح لدى العميل الذى لا يحدد التسامح على أنه هدف مرغوب بالنسبة له.

ونتوقع أن تتضمن حوارات العميل الذى ينجح مبدئيًا فى أن يتسامح، تعبيرات شديدة عن الغضب تجاه الشخص الذى أساء إليه.

وإذا نظرنا للإساءة المقترفة فى ضوء العلاقة الحميمة التى تربط العميل بالفرد الذى أساء إليه، فإننا نتوقع أن ينتقل العميل من التعبير الشديد عن الغضب إلى التعبير الشديد عن الحزن، والخوف، أو الجُرح، ومن المحتمل أن تتضمن حواراته تعبيرات دالة على الأسى لفقدان الآخر، إذا كان التصدع الذى حدث فى العلاقة شديدًا.

وبعد أن يُسلّم العميل بحدوث الإساءة، ويُعبر عن هذين النمطين من الانفعالات القوية: الغضب من الآخر جراء ما اقترف من إساءة، والشعور بالجرح الذاتى، نتوقع أن يظهر التعبير عن الحاجات الشخصية، وفى الحالات الناجحة نتوقع أيضًا حدوث نمط محدد من التحول فى إدراك العميل للآخر، وينبغى أن يتميز هذا التحول بالتمثيل "المخفف" لدور الآخر، كما لو كان فى مكانه أو مكانها، ويصبح أكثر اندماجًا أثناء تمثيله دور الآخر عند الاستجابة للتعبيرات الشديدة، المعبرة عن الحزن، والخوف، والجُرح التى يصدرها هو نفسه كمُساء إليه، وينبغى أن يؤدى التغير الذي حدث فى طريقة إدراك العميل للآخر إلى حدوث تفهم للآخر الذى أساء إليه، ونتوقع أن تنتهى هذه العملية بصياغة العميل قصة جديدة عن ذاته، والآخر، وتتميز هذه الصياغة الجديدة بظهور أداءات أثناء الجلسات العلاجية، تفضى إلى فهم الآخر، والتسامح معه.



وبعد أن انتهينا من الصياغة الأولية للنموذج، ننتقل إلى عرض تقديرات المُحكمين لعملية العلاج النفسى، والتى ستختلف من مكون لآخر من المكونات الأساسية للنموذج، ويلخص جدول (٩-١) التقديرات المتوقعة للعملية العلاجية، باستخدام المقاييس الآتية التى استخدمت فى بحث مبكر:

المقياس التجريبى EXP (Klein et al. ,1969) ومقياس التحليل البنائى لنظام ترميز السلوك الاجتماعى SASB (Benjamin,1974)، ومقياس الاستثارة الانفعالية EAS (Daldrup et al.,1988) ومقياس الحاجات الاجتماعية NEED (Foerster,1990).

واستُخدِمَ أيضًا مقياسان آخران هما :مقياس " جودة لفظ العميل" The Client Vocal Quality Scale (CVQ: Rice &Kerr,1986) ومقياس "التفهم" لتروكس Truax (TES;Kiesler,1973)، ويعد مقياس "جودة لفظ العميل" نظامًا تصنيفيًا يتسم بالثبات، وقد تطور بواسطة ريس Rice وكير Kerr ليزودنا بأسلوب لتقدير جودة استغراق العميل فى عملية العلاج لحظة بلحظة، وتصنف عبارات العميل فى نمط من الأنماط الأربعة الآتية (١) مركز: صوت استكشافى موجه نحو الداخل، (٢) انفعالى: صوت تتغير طبقته عن طبقة الصوت العادية عند التعبير عن الانفعالات، (٣) خارجى: صوت مُلقى بشكل رسمى وموجه نحو الخارج، (٤) محدود: صوت مشدود، وحذر، ومنخفض الطاقة.

ومقياس التفهم لتروكس (Kiesler,1973) وهو ذو مقياس تقدير يتكون من تسع نقاط، ويستخدم لتقدير فهم الفرد لخبرات الآخر ومشاعره، وقد تبين أن المقياس يتسم بثبات (cf.Kiesler,1973) وقد عُدلَ ليلائم أسلوب الحوار مع الكرسى الخالى.

ويتراوح مدى المقياس من النقص الفعلى لتفهم مشاعر الآخر، والفهم الصحيح للمشاعر التى يمكن إدراكها بسهولة، إلى الفهم الصحيح للمدى الكلى لمشاعر الآخر الضمنية والصريحة لتقديرات الداخلية، والصدق التنبؤي فيما يتعلق بالعلاج المتمركز على العميل.

جدول (٩-١) ملخص التقديرات المتوقعة للعملية العلاجية

المكونات	المقاييس المستخدمة	التقديرات المتوقعة للعملية العلاجية
العلامة الدالة على حدوث التسامح اللوم والشكوى وإيداء الألم		تقديرها حاليًا
	EXP	٣ أو أقل
	SASB	١-٦، ٢-٢و/أو ٢-٦
	CVQ	خارجي أو محدود
	EAS	٤ أوقل
الآخر السلبي	EXP	٣ أوأقل
	SASB	١-٥، ١-٦، ١-٧، ١-٨، ٢-٥، ٢-٦، ٢-٧ و/أو ٢-٨
	CVQ	خارجي أو محدود
التعبير الشديد عن الغضب	EXP	٤ فأعلى
	SASB	١-٧، ٢-١، ٢-٢، ٢-٧
	CVQ	انفعالى أو مركز
	EAS	٥ فأعلى
التعبيرالشديد عن مشاعر الحزن الخوف الجُرج/	EXP	٤ فأعلى
	SASB	٢-٢
	CVQ	انفعالى أو مركز
	EAS	٥ فأعلى

التعبير عن الحاجات الشخصية	EXP	٤ فأعلى
	SASB	٢-١ و٢-٢
	CVQ	انفعالى أو مركز
	NEED	الحكم المعروض: صُنف من خلال النمط
التحول فى إدراك الآخر	EXP	٤ فأعلى
	SASB	١-٢، ١- ٣، ١-٤، و٢-٢
	CVQ	انفعالى أو مركز
التفهم	EXP	٤ أو أعلى
	SASB	١-١و/ أو ١-٢
	CVQ	مركز
	TAS	٤ أو أعلى
التوصل إلى حل	EXP	٦ أو أعلى
	SASB	١-٢، ٢-٢ و١-٣
	CVQ	مركز

ملحوظة:

يرمز الEXP إلى المقياس التجريبى، حيث (٣)= رد الفعل للأحداث الخارجية، و (٤) = التركيز على الداخل، و (٦) = توليف أو تركيب يؤدى إلى بناءات شخصية هادفة أو يؤدى إلى حل المشكلات.ويرمز ال SASB إلى التحليل البنائى لنظام ترميز السلوك الاجتماعى، حيث١-١= التحرر، و ١-٢= الجزم والفهم، ١- ٣ = الحب، و١-٤ = الثقة، و١-٥= التحكم،

و١-٦= اللوم، و١-٧ = الهجوم، ١-٨ = التجاهل، ٢-١= تأكيد الـذات، ٢-٢= الإفصاح، ٢-٥ = الخضوع، ٢-٦= العبـوس، ٢-٧= التراجـع، ٢-٨= الانعزال. ويرمز ال CVQ إلى مقياس لفظ العميل، حيـث الـصوت الخارجي = الصوت الموجه نحو الخارج، والمُلقى بشكل رسـمي، ويعنـى الصوت المحدود = صوت مشدود، وحـذر، ومـنخفض الطاقـة، ويعنـى الصوت المركز = صوت استكشافي موجه نحو الداخل، ويعنـى الـصوت الانفعالي = صوت تختلف طبقته عن طبقة الصوت العادية عند التعبيـرعن الانفعـال. ويرمـز ال EAS إلـى مقيـاس الاسـتثارة الانفعاليـة، حيـث (٣)= مستوى الاستثارة الانفعالية المنخفـضة، و (٤) = إلـى مـستوى الاستثارة المتوسط. ويرمز الرمز TES إلى مقيـاس الـتفهم الـذى أعـده تروكس Truax، حيث (٥)= فهم كل المشاعر المتميزة، وكثير من المشاعر الأقل وضوحًا بيسر وسهولة.

وإذا تناولنا المكون الخاص بمشاعر الحزن والخوف والجُرح، فإننـا نتوقع أن يتم التعبير عن الحزن الـشديد بـسبب التركيـز علـى الـداخل أو كخاصية متعلقة بالذات (EXP= ٤-٥)، وبصوت استكشافي موجه داخليًا، أو بصوت تختلف طبقته عن الطبقة العادية عنـد التعبيـر عـن الانفعـال (CVQ=Fo or Em) ويتراوح مستوى الاستثارة الانفعالية في هذه الحالة مـن المستوى المتوسط وحتى المستوى المرتفع جدًا(EAS=5-7)، وبالإضافة إلـى ذلك، نتوقع أن تُصنف ما يزيد على ٥٠% من وحدات التعبير اللفظي فـي مثل هذا المكون، على مقياس التحليل البنائي للـسلوك الاجتمـاعي (SASB) كجمل تتضمن "الإفصاح والتعبير" (SASB=2-2).

وحددنا عميلة اختارت أن تتسامح، وعميلاً آخر توصـل إلـى حـل لمشاعره غير المكتملة تجاه الآخر دون أن تتـسامح، وذلـك مـن خـلال الاستعانة بنموذجنا المفترض وتقديرات المُحكمين الإكلينيكيـين التـي فـي متناولنا، ومن خلال مجموعة من العملاء الذين تمكنوا بنجاح في أن يتوصلوا إلى حل لمشاعرهم غير المكتملة تجاه الآخرين (Malcom,1999).

لقد جاءت العميلة المتسامحة إلى الجلسات العلاجية، ولـديها مـشاعر غير مكتملة تتعلق بأمها التى هجرت العائلة نتيجة انتحارها، وكانت العميلـة طفلة وقتها. أما العميل الآخر فكانت لديه مشاعر غير مكتملة تجـاه معلمـه الذى أغواه، وأساء إليه جنسيًا عندما كان طفلاً.

وتختلف هاتان الحالان فى عدد من الجوانب الحاسمة (خاصة النـوع، وعلاقة المسىء بالعميل، ونمط الإساءة)، وعلى الرغم من ذلك فقـد كـشفا بنجاح عن أنواع من التشابه والاختلاف، يمكننا توقعها عند مقارنـة هـذين النمطين من الحلول. ويتضمن جدول (٩-٢) مقتطفات مختصرة من الحوار العلاجى لهذين العميلين، تُمثل (أو تفشل فى أن تمثل)المكونـات الحاسـمة لعملية التسامح المفترضة، ويحتوى أيضًا على التقديرات المحددة لكل مكون.

جدول (٩-٢) مقارنة الحلول من خلال التسامح وبدونه

المكونات والمقاييس	فهم الآخر ومسامحته	اعتبار الآخر مسئولاً عما اقترف دون أن يسامحه
العلامات الدالة على التسامح	العلامة الأصلية (مشيرة إلى انتحارالأم): يجب أن أكون قادرة على أن أتوافق توافقًا صحيحًا مع هذا الحادث..، إنه يشبه تـدفق المـاء تحت الكوبرى. علىّ فقط أن أتـسامح وأتوافق معه..، ولكن ليس سـهلاً أن تتسامح فى هذا الشأن..، أنا لا أستطيع أن أتسامح.	العلامة الأصلية أنا كنت شخصًا مختلفًا تمامًا (قبل أن يتعـرض لحـادث الإساءة الجنسية)...لقد حدث لى تغير سلبى فيمـا يتعلـق بثقتى فى الآخرين.(أنا كنت) متفتحًـا وأرحـب بوجـود الآخرين فى حياتى قبـل..، وأخيـرًا أصـبحت منغلقًـا وأرغب فى أن أبتعد بنفسـى

		عن الآخرين..أنا أحب الشخص الذى كنت أحبه من قبل أكثر بكثير من حبى للشخص الذى أنا عليه الآن.أعتقد أنه ينبغى علىّ أن أستمتع بكونى هذا الشخص...لكن توجد أشياء ينبغى علىّ إحرازها لأصل إلى هذا الشخص الذى كنت أحبه فى الماضى.
	العلامة المميزة للتسامح: كأنا: لقد فكرت فى هذا خلال الأسبوعين الأخيرين، وانتهيت فى نهاية الأمر إلى أن أقول لنفسى "إننى أرغب فى أن أسامحك و....أنا ما زلت غير قادرة على إقناع نفسى بأن أسامحك ".	**العلامة المميزة للتسامح:** لا توجد
اللوم والشكوى والجُرح	كأنا: لقد دمرت عائلتنا ؛ فلدينا مشكلات كثيرة كنا حقيقة فى غنى عنها لو كنت عالجت مشكلاتك فى كل مرة مهما كانت. أى شىء دفعك لارتكاب هذا العمل الفظيع؟ أنا لا أعرف بالضبط ما هو ذلك الشىء المزعج الذى دفعك إلى هذا..!	كأنا: أنت لاتشعر على المستوى العميق بأى شىء تجاهى...، أنت تشعر لنفسك بأشياء كثيرة...، فلديك قدر ضئيل من الندم أو لا يوجد لديك ندم، باستثناء حقيقة أنك دمرت مهنتك ببعض الطرق...، وازداد غضب الآخرين منك (جماعة العمل)

EXP	(٣) رد الفعل للأحداث.	(٣) رد فعل للأحداث.
SASB	(١-٦) اللوم والتقليل من شأن الآخر.	(١-٦) اللوم والتقليـل مـن شأن الآخر.
VCQ	(Ex) صوت خارجي.	(Ex) صوت خارجي.
EAS	(٤) مستوى استثارة متوسط.	(٢) لاتوجد استثارة صريحة.
تمثيل دور الآخر السلبى	كأم: أنت تعرفين كم كان ذلك صـعبًا علىّ عندما كبرت....، وتحملت دائمًـا ذلـك الاسـتياء الـذى لا يمكـن تُصديقه...ووالدك...حسنًا لقـد كـان خطؤه تمامًا...لقد أصبح سكيرًا، وكلما عدنا للمنزل، ودخلنا فى مناقشة حادة، يهيننى هنا وهناك، ولم أعد قادرة على العيش معه إطلاقًا بعد الآن	كمعتدى: آه..أنا حقيقة نـادم عما بدر منى، ولكن... ماذا بإمكانى أن أفعـل الآن؟، آه لقد كنت مضطربًا، ولكن بعد ذلك تغيرت بالفعل سلوكياتى، وأنا أرغـب فعـلاً فـى أن أعوضك....، هل هناك مـا يمكننى فعله من أجلـك؟، آه أقصد ماذا تريد منـى الآن؟ ماذا تريد منى أن أفعل؟
EXP	(٣) رد الفعل للأحداث.	(٣) رد الفعل للأحداث.
SASB	(٢-٦) العبوس والهدوء.	(٢-٥) الخضوع والإرجاء.
CVQ	(Ex) صوت خارجي.	(Ex) صوت خارجي.

التعبير الشديد عن الغضب من الآخر	كأنـــا: تملكنـــى كثيـــرًا مـــن الاستياء...وأعرف أن الاستياء يؤذينى، لأنك لم تهتمى بى. أعنى كيف جرؤت على حرمانى من كل هـذه الأشـياء؟ كيف جرؤت..؟ (المعالج: ماذا كنت تودين فعله؟) ما كنت أود فعله هو أن أعصر عنقـك وعاهدت الله، إنه من الظلم... إننى أود أن أندفع نحوك جسديًا بعنف وأنا لست شخصية مادية أبدًا..، أنا فى الحقيقـة غاضبة منك، وغاضبة من كل الاشياء التى تركتيها فى نفسى.	كأنا: لقد استبددت بى جسديًا (لفترة طويلة)، والآن أصبح لدىّ الفرصـة لأفعـل بـك مافعلته معى بالأمس... (كـلام يقـال علـى انفـراد للمعالج): ولكن من الممكن أن أشعر بعد ذلك أننى مثل قطعة براز، لأن ذلك سيجعلنى مُسيئًا حينئذ. أنت تعـرف، ولأكـون أمينًا معك، أننـى مـا زلـت أرغب ومن أعماقى أن أفعـل هذا...تحديدًا). المعالج: حسنًا...طرحك على الأرض، وسحقك، وقمعـك، ووضع وجهك فـى مبولـة الكلب، والـسلوك النهـائى طبعًا، رفسك يمينًا فى أعلى فخذك.. ألهذا الحد يعد كـل ذلك مرغوبًا.
EXP	(٤) التركيز على الداخل.	(٤) التركيز على الداخل.
SASB	(٢-٢) الإفصاح والتعبير. (١-٧) الهجوم والرفض. (٢-٧) الاعتراض والانسحاب.	(١-٧) الهجوم والرفض.

CVQ	(Em) صوت انفعالى.	(Fo) صوت مُركز.
EAS	(٦) استثارة انفعالية مرتفعة.	(٦) استثارة انفعالية مرتفعة.
التعبير الشديد عن مشاعر الحزن أو الخوف أو الجُرح	كأنا: أنا أفتقدت وجودك فى كل حياتى..إنه من الصعب جدًا أن أصف كم أفتقدتك. الإحساس بالفقد داخليًا يكون... (المعالج: الفقد - يكون مؤلمًا ألمًا لا يمكن تخيله. نعم حدثيها عن دموعك) أنا أبكى كثيرًا جدًا دون مبرر واضح...أنا أبكى وأنا منفعلة جدًا حتى فى الأوقات السعيدة لأننى أفتقدتك.	لايوجد
EXP	(٣) افتراضات متعلقة بالذات.	
SASB	(٢-٢) الإفصاح والتعبير.	
CVQ	(Em) صوت انفعالى.	
EAS	(٦) استثارة انفعالية مرتفعة.	
التعبير عن الحاجات الشخصية	كأنا: أنا أحتاجك بشدة. أنا كنت أحب أن أنال استحسانك، وأسمع قولك " هذا حسن" و " هذا سيء" ، " هذا حيادى". وحتى إذا تشاجرت معك ....، أشعر أننى أفتقدتك بشدة...والفكرة التى لن أكون قادرة على أن أحدثك عنها، ولن أكون قادرة على إخبارك بها، تمزقنى وحدى تمامًا.	كأنا: أطلب منك ألا تتحرش بالأطفال مرة أخرى، وأن تخرج من حياتى

(٤) التركيز على الداخل.	(٤)التركيزعلى الداخل.	EXP
(٢-١) التوكيد والانعزال.	(٢-٢) الإفصاح والتعبير.	SASB
(Fo) صوت مُركز.	(Em) صوت انفعالى.	CVQ
الحاجة إلى التطهر.	الحاجة إلى الانتماء.	NEED
بدرجة أقل من السيطرة : كمعتدى: أشعر بالأسف. أشعر أننى ضيعت كثيرًا من سنوات عمرى(مجرى حياتى) – وعلى وجه التحديد دمرتها..لم أضيعها، لقد دمرتها بالمسلك الذى سلكته...، نعم لقد أجبرت الأطفال ولكن هذا كان مجرد تسيب جنسى.لم يكن هذا الذى أتطلع إليه فى النهاية. أنا فى الحقيقة لم أجد أبدًا ماكنت أتطلع إليه.	بمزيد من الاندماج: كأم: أتمنى أن يوجد شيء يمكننى عمله لأغير ما فعلته.لقد جعلتنى أتفهم كم الدمار الذى تسببت فيه، وأتفهم الآثار التى نجمت عنه.إن ما حدث لم يمسسنى وحدى، ولكنه مس كثيرًا من الآخرين. أنا أتمنى فعلاً أن تسامحينى...، أعرف أنك تجاهدين..أنا أحتاج أن تسامحينى لأننى...أدرك أن هذا أثقلك طوال حياتك. من خلال مسامحتى ستتحرر ذاتك من الألم الذى سببته لك.	تمثيل التحول فى إدراك الآخر
(٤) التركيز على الداخل.	(٤) التركيز على الداخل.	EXP
(٢-٢) الإفصاح والتعبير.	(٢-٢) الإفصاح والتعبير. (١-٢) الجزم والفهم. (١-٤) الثقة والاعتماد.	SASB
(Li) صوت محدود.	(Em) صوت انفعالى.	CVQ

تفهم الآخر	كأم: أنا أريد منك أن تفكرى فى على أننى إنسانة غيرمرغوب فيها... لقد شعرت أنه لم يعد لى مكان فى حياتك لأعود إليها.أنا كنت غارقة فى اليأس...لقد اهتممت بك كطفلة عن أى شيء فى العالم...، لم يكن انتحارى منك على الاطلاق. فأنت كنت السبب فى بقائى فى الحياة أطول فترة أستطيعها...، انتحارى كان من حياة كنت أعتقد أننى عاجزة تمامًا أن أحياها..أنت محقة جدًا فى أن تشعرى بالخجل مما فعلت، ولا أريدك أن تشعرى بالذنب تجاهى، فلم تتسببى فيما حدث...فلم يكن ما حدث متعلقًا بك. إنه متعلق بحياتى، إنه متعلق بفقدان قدرتى على التحكم. أنا أتحمل مسئولية ما حدث لى...، أنا كنت فاقدة القدرة على التحكم.	عن الذات: ياه، حسنًا، أنا متأكد من ناحية أنك شعرت على هذا النحو – شعرت أنك مجبر على ذلك- ولكن من ناحية أخرى أنت حددت اختياراتك...، عن نفسى ما حدث كان إجبارًا وخداعًا وإساءة، وما الذى تتوقعه عندما تحدد تلك النوعية من الاختيارات؟، أن تصبح حياتك منجزة؟ لا أعتقد ذلك.أعتقد أنك حصلت على ما تستحقه...، وأنا أشعر بالكثير داخلى (أنت تشعر) أنت أشبه بإنسان سوقى...، أنا سعيد أنك تحيا حياة فارغة غير منجزة لأننى أعتقد أنك لا تستحق الحياة السعيدة المنجزة فى ضوء سلوكك...
EXP	(٤) التركيز على الداخل.	(٣) رد الفعل للأحداث.
SASB	(٢-٢) الإفصاح والتعبير. (١-٢) الجزم والفهم. (٢-٣) الاقتراب والاستمتاع.	(١-٦) اللوم والتقليل من شأن الآخر.
CVQ	(Fo) صوت مُركز.	(Ex) صوت خارجي.

TES	(٧) الفهم الصحيح للآخر.	(٢) الفهم القليل للآخر.
الحل	من خلال الفهم والتسامح : كأنا: أمى سأحاول أن أكوّن صورًا إيجابية عنك عندما كنت طفلة، وسأحاول...، ألا أركز تفكيرى على رحيلك الذى يعتبر نقطة التحول فى كل شيء...، وأعتقد أننى بدأت فعلاً فى مسامحتك يا أمى، وبدأت أشعر بأننى فعلاً على ما يرام بداخلي...، أنا لا يمكننى التحكم فيما حدث لك، ولا يمكننى أن أكون مسئولة عنه. فما فعلتيه كان لمبررات خاصة بك.أنا أحاول فهم هذه المبررات.	من خلال اعتبار الآخر مسئولاً عن ما اقترفه من سلوك، دون مسامحته: كأنا: انظر للفرق بيننا الآن، لقد انعكست الأحوال تماماً...، كانت قوتك نوعًا من الخزى ؛ فقد كانت مظهرًا كاذباً، وذلك لأن الدور الذى اضطلعت به لم تكن تستحقه فى أى مهنة حقيقية، وتنبعث قوتى من ذاتى وأى شيء نلته أستحقه...، ياه أشعر أننى راضٍ عن نفسى ولأننى هجرتك لأنك مخادع.
EXP	(٦) توليف يؤدى إلى التوصل لحل.	(٦) توليف يؤدى إلى التوصل لحل.
SASB	(١-٢) الجزم والفهم. (٢-٢) الإفصاح والتعبير.	(٢-١) التوكيد والانعزال.
CVQ	(Fo) صوت مُركز.	(Fo) صوت مُركز.

ولقد فُحصت عملية التقدير ومكوناتها بهدف تحديـد: (١) إذا كانـت عملية التسامح الفعلية تماثل النموذج المفترض، (٢) إذا كان هنـاك فـروق جديرة بالملاحظة فى عملية التقديرات ومضمونها، بين هذين النمطين مـن الحلول (الحلول القائمة على التسامح، وتلك القائمة على عدم التسامح).

وأظهر فحص الحوار المتخيل للعميلة المتسامحة، أن العمليـة التـى اجتازتها تناسب، وعلى نحو معقول، النموذج المعروض فى جدول (٩-٢)، وكانت عملية التقديرات المحددة مرتفعة كما هو متوقع، فعلى سبيل المثـال، عبرت العميلة عن مشاعر الحزن والجُرح إلى الآخر المتخيل فى الكرسـى الخالى-كما هو متوقع- على أنها قضية متعلقة بذاتها (EXP=٥)، وبمـستوى استثارة انفعالية مرتفع (EAS=٦)، وبصوت تختلف طبقته عن طبقة الصوت العادية عند التعبير عن الانفعالات (CVQ=Em)، وتميـزت معظـم كلمـات العميلة بجمل تصنف فى فئة " الإفصاح والتعبير " (SASB=٢-٢).

وعلى الرغم من ذلك هناك نتائج أقل تشويقًا، أولها على الإطلاق أننا لم نكن نتوقع أن الرغبة فى التسامح لا تعد جزءًا مـن العلامـة الأصـلية، المميزة للمشاعر غير المكتملة، ففى حالة هذه العميلة ظهرت العلامة المميزة لعملية التسامح الفعلية متأخرة نسبيًا فى أثناء تلقى العلاج (أثناء الجلسة الثانية عشرة)، وظهرت سائر العملية بسرعة إلى حد ما بعد ذلك، ونحتـاج إلـى إجراء مزيد من البحوث لنحدد ماإذا كان ذلك حالة خاصـة بهـذه العميلـة تحديدًا، أم أنه قابل لأن يكون حقيقة فى معظم الأحداث الخاصة بالتسامح.

وكانت النتيجة الثانية غير المتوقعة هى أن مكون التفهم حدث خـلال استخدم أسلوب الكرسى الخالى، أثناء تمثيل العميلة لدور الآخـر المتخيـل، فالعميلة وضعت نفسها موضوعيًا مكان والدتها، وأدركت العلاقة من وجهـة نظر المُسيء (الأم)، وهذا يعنى بوضوح أن مكون التفهم يمكن التعبير عنـه

من خلال الكرسى أيضًا، وسنحتاج إلى تعديل محكي التقدير على مقياس ال SASB ليعكس هذه الإمكانية (مثلاً نضيف رموز ٢-٢= الإفصاح والتعبيـر، ٢-٣= الاقتراب والاستمتاع، ٢-٤= الثقة والاعتماد).

واستخلصت النتيجة الثالثة أيضًا من خلال فحص مكون التفهم. فقد أثار اهتمامنا ظهور جمل من قبل العميلة أثناء تمثيلها دور الآخر المتخيل، توضح أن المسىء كما تخيلته العميلة يتحمل مسئولية الإساءة التى اقترفها، ويحـرر العميلة على نحو واضح من مشاعر اللوم والذنب، فعندما مثلت العميلـة دور أمها قالت: " أنت محقة جدًا فى أن تشعرى بالخجل مما فعلت، ولا أريـدك أن تشعرى بالذنب تجاهى، فلم تتسببى فيما حدث... فلم يكن ما حدث متعلقًا بـك. إنه متعلق بحياتى، إنه متعلق بفقدان قدرتى على التحكم، أنا أتحمل مسئولية ما حدث لى..، أنا كنت فاقدة القدرة على التحكم ".

وبافتراض أن الضحايا غالبًا ما يتساءلون عن دورهـم فـى الأحـداث المحيطة بهم، والمثيرة للألم العميق، فإننا فكرنا فى أن إمكانية تحميل الآخـر المتخيل على الكرسى مسئولية ما اقتـرف مـن إسـاءة، وإعفـاء أنفـسهم – كضحايا– من مسئولية اقتراف فعل الإساءة، قد يكون ذلك خطوة ضرورية أخرى فى عملية التسامح، ولهذا ينبغى أن نتوصل إلـى أن معظـم عمليـات التسامح الناجح تتضمن هذه الخطوة، وسـيتطلب إجـراء تنقيحـات إضـافية للنموذج تضمينه "تحمل المسئولية" فى الجزء الخاص بـالآخر المتخيـل ذى الأهمية بالنسبة للضحية.

ولم يكشف فحص حوارات الكرسى الخالى للعميل الذى لم يتـسامح، عن دلائل تشيرإلى أن العميل فكر فى أى وقت فى أن يسامح الرجل الـذى أساء إليه جنسيًا، ومن المثير أن نلاحظ أنه عنـدما لايبـدى المُـساء إليـه التسامح، لا يعقب إبدائه الغضب مشاعر الحزن والخوف أو الجُرح (وهـى مشاعر ترتبط ارتباطًا مرتفعًا بالانفعالات المرتبطة بالتعلق، والتى تكـشف

عن ميل للسلوك فى اتجاه إبداء الراحة والاقتراب من الآخر)، وبالإضافة إلى ذلك وجدنا أن التحول فى إدراك الآخر فى هذا الحوار، كان نحـو الآخـر المنتسب إليه، والأقل قوة وليس الأكثر قوة، ولا توجد دلائل على أن العميل يلين تجاه المعتدى، أو يتعاطف معه، وظهرت فروق ملحوظة فى مكونـات الحلول فى حالة الحوارين: فالعميل الذى لم يتسامح وصف ذاته ليس على أنه يفهم الآخر، أو أنه يدرك الموقف السابق بأسلوب جديد، ولكنه وصف ذاتـه بأنه أقوى فى علاقته بالآخر، وأنه يشعر بالرضا عن الكيفية التى يدرك من خلالها ذاته الآن، فالحل الذى توصل العميل إليه هنا، كان من خـلال نبـذ الآخر كمصدر للتهديد والألم، ومن خلال التركيز على الذات، وذلـك عـن طريق تقوية الذات وتوكيد الذات.

وقد ظهرت هذه الفروق فى عملية التقديرات المحددة والملخصة فـى جدول (٩-٢)، فعلى سبيل المثال، توجد فروق مهمة بين العميلين فى مكون التفهم، فحوار العميل الذى لم يتسامح فشل فى التلائم مـع المحـك، علـى المقاييس الخاصة بكل العمليات الأربع، فمن الواضح أن هذا المكون ملحوظ وبمعدل مرتفع عند التمييز بين هذين النمطين من الحلول.

وتقدم هذه الفروق فى المحتوى، وفى التقديرات المصاحبة دعمًا أوليًا للفرض المطروح فى إطار النموذج، والمتعلق بوجود مـسارين منفـصلين، فيما يتعلق بالتوصل لحل للمشاعر غير المكتملة، يقود أحدهما إلى التركيـز على فهم الآخر ومسامحته، ويركز الآخر على تقوية الذات وتوكيدها، وهذا الفحص الأولى لتحليل المهمة الخاصة بعملية التسامح مشجع، ولكن ينبغى أن يستتبع بإجراء مزيد من البحوث للحلول الإضافية الأخرى، وكل بحث ناجح سيسمح لنا بتنقيح النموذج، وسيزيد ثقتنا به، كخريطة نسترشد بها عند دراسة التسامح الذى يظهر أثناء عملية العلاج ويتيح لنا فهمه على نحو أفضل.

وبعد أن عقدنا مقارنات ناجحة بين المكونات المتضمنة، فـــى حالـــة الحلول المتسامحة للمشاعر غير المكتملة، والحلول غير المتسامحة، وتوفرت لدينا دلائل متراكمة تدعم النموذج العلاجى النفسى المفترض، فإننا سنـــصبح قادرين على التقدم نحو فحص العلاقة بين العملية(العلاج النفسى القائم علـــى التسامح)، والمخرجات (النواتج المتحققة من استخدامه).

وستتيح لنا مثل هذه الدراسات أن نفحص الفروق فى المخرجات بـــين أولئك الذين توصلوا لحلول لمشاعرهم غير المكتملة، من خلال التسامح مـــع الآخرين ذوى الأهمية بالنسبة إليهم، وبين أولئك الذين توصلوا إلى حل دون استخدام التسامح، وقد نجد أن العملاء الذين يتسامحون فى سياقات محـــددة، ومع أنماط محددة من الإساءات يستمتعون بزيادة التنعم النفسى الذى يختلف وبشكل دال عن ذلك التحسن الذى يعايشه العملاء الذين حلوا مشاعرهم غير المكتملة دون أن يتسامحوا.

خلاصة:

لقد نوقشت المميزات النسبية للتسامح فى التراث الفلسفى والدينى منـــذ قرون، وفى المقابل نجد أن مفهوم التسامح لم يفحص أساسًا ضمن مجال علم النفس قبل بدايات عام (١٩٩٠)، وهذا يمثل خطأً غير مقصود يندرج ضمن المجال البحثى للعلاج النفسى بشكل خاص، حيث إنه من الشائع أن يناضـــل العملاء لمواجهة مشكلة ما إذا كانوا يتسامحون عند مواجهة الإيذاء الشخصى العميق أم لا.

ولقد لاحظنا فى بداية الفصل أنه توجد ثلاثة مناحٍ مختلفة للدراسة الحديثة للتسامح، باعتبارها عملية تستهدف إحداث التغيير، وهذه المناحى هى: تقارير دراسة الحالة، والبحوث الظاهراتية (الفينومينولوجية)، ودراسات المخرج، وكان لكل منحى إسهامه الدال فى زيادة معرفتنا بالتسامح، وكلها أضافت مصداقية للفرض الذى مؤداه: أن تيسير التسامح يمكن أن يكون أسلوبًا فعالاً لمساعدة الناس على الشفاء من الآثار السلبية، الناجمة عن التعرض للإيذاء الشخصى العميق.

ونحن الآن فى المرحلة التى يكون بإمكاننا توضيح بعض المكونات الحاسمة لعملية التسامح. ونحتاج الآن إلى برامج بحثية دقيقة "للعملية المتبلورة – المخرج المتحقق" مثل التى وصفناها فى هذا الفصل، لدفع هذا المجال البحثى إلى الأمام، ولمساعدة التسامح على أن يتبوأ المكان الصحيح فى المجال البحثى، والقائم على المعرفة العلمية، وبدون إجراء مثل هذه النوعية من البحوث ستعوق جهودنا التى تستهدف تحديد:

(١) متى يكون ملائمًا تيسير التسامح فى العلاج النفسى.

(٢) وما المهمات العلاجية التى تعد أساسية لاستثارة ظهور التسامح.

(٣) تحديد ما إذا كانت عملية التسامح فى حد ذاتها أم الفوائد المُرضية الناجمة عن العلاج النفسى بوجه عام، هى التى تفسر التحسن الذى يطرأ على التنعم النفسى، والذى دعمنا الموروث المعاصر الخاص بالتسامح بدلائل إمبريقية على حدوثه.

المراجع

Al-Mabuke,R.H., Enright,R.D.,&Cardis,P.A.,(1995).Forgiveness education with parentally love –deprived late adolescents.Journal of Moral Education, 24(4) ,427-444.

Bass,E.,& Davis,L.,(1988).The courage to heal: A guide for women survivors of child sexual abuse. New York: Harper& Row.

Benjamin, L.S.,(1974).Structural analysis of social behavior. Psychological Review,81,392-425.

Benjamin,L.S.,Foster,S. W.,Giat- Roberto,L.,&Estroff,S.(1986). Coding videotapes of family interactions by structural analysis of social behavior(SASB).In L.S.,Greenberg&W.Pinsoff (Eds.) ,The psychotherapeutic process: Aresearch handbook.New York :Guilford Press.

Brandsma,J.M.(1982).Forgiveness: A dynamic theological and therapeutic analysis. Pastoral Psychology,31,40-50.

Coyle,G.T.,&Enright ,R.D.(1997).Forgiveness intervention with postabortion men.Journal of Consulting and Clinical Psychology,65,1042-1046

Cunningham B.B(1985).The will to forgive: Apastoral theological view of forgiving.Journal of Pastoral Care,39,141-149.

Curtis,N.C.(1989).The structure and dynamic of forgiving another.Unpublished doctoral dissertation ,U.S. International University, San Diego,CA.

Daldrup ,R.J.,Beutler,L.E., Engle ,D.,& Greenberg ,L.S. (1988).Focused expressive psychotherapy: Freeing the overcontrolledpatient. New York: Guilford Press.

Davenport ,D.(1991).The functions of anger and forgiveness: Guidelines for psychotherapy with victims. Psychotherapy, 28(1),140-144.

Droll,D.M.(1984).Forgiveness: Theory and research.Unpublished doctoral dissertation, University of Nevada, Reno.

Fitzgibbons,R.P.(1986).The cognitive and emotive uses of forgiveness in the treatment of anger. Psychotherapy ,23(4),629-633.

Foerster,F.S.(1990). Refinementand verification of a model of the resolution of unfinished business. Unpublishedmaster'sthesis , York University , Toronto,Canada.

Freedman,S.R.,& Enright ,R.D.(1996). Forgiveness as an intervention goal with incest survivors. Journal of Consulting and Clinical Psychology ,64(5) , 983- 992.

Frijda,N.(1986).The emotions.New York: Cambridge University Press.

Gassin,E.A.(1995).Social cognition and forgiveness in adolescent romance: An intervention study. Unpublished doctoral dissertation, Universityof Wisconsin-Madison, Madison.

Greenberg ,L.S.(1991). Research on the process of change. Psychotherapy Research ,1,14-24.

Greenberg ,L.S., &Foerster ,F.S.(1996). Taskanalysis exemplified: The process of resolving unfinished business.Journal of Consulting and Clinical Psychology ,64,439-446.

Greenberg , L.S.,& Newman , F.I.(1996). An approach to psychotherapy change process research: Introduction to the special section.Journal of consulting and Clinical Psychology, 64(3) , 235-238.

Greenberg ,L.S. ,&Paivio,S.C.(1997).Working with emotions in psychotherapy. New York: Guilford Press.

Greenberg ,L.S. ,Rice, L.N.,& Elliott,R.(1993).Facilitating emotional change: The moment by moment process.New York: Guilford Press.

Haber,J.G.(1991).Forgiveness.Savage, MD: Rowman & Littlefield Publishers.

Hebal, J.H.,&Enright,R.D.(1993).Forgiveness as a psychotherapeutic goal with elderly females.Psychotherapy ,30(4) ,658-667.

Hope,D.(1987). The healing paradox of forgiveness. Psychotherapy ,24(2),240-244.

Horvath,A.,& Greenberg,L.S.(1989).Development and validation of the Working Alliance Inventory.Journal ofCounselling Pschology,36, 223-233.

Human Development Study Group.(1991).Five points on the construct of forgiveness within psychotherapy. Psychotherapy, 28(3),493-496.

Kiesler,D.(1973).The process of psychotherapy: Empirical foundations and systems of analysis. Chicago: Aldine.

Klein ,M., Mathieu ,P., Kiesler ,D.,& Gendlin ,E.(1969).The Experiencing Scale. Madison :Wisconsin Psychiatric Institute.

Klein, M., Mathieu-Coughlan,P.,& Keisler,D.(1986).The experiencing scale.In L.,S. Greenberg& W.Pinsof (Eds.) , The psychotherapeutic process: A research handbook.New York: Guilford Press.

Lazarus,R.S.(1991). Emotionand adaptation. New York: Oxford University Press.

Machado,P.P., Beutler, L.E., & Greenberg ,L.S.(1999). Emotion recognition in psychotherapy: Impact of therapist level of experience and emotional awareness .Journal of Clinical Psychology ,55(1),39-57.

Malcolm, W.M.(1999).Relating process to outcome in the process – experiential resolution of unfinished business. Unpublished doctoral dissertation, YorkUniversity ,Toronto, Canada.

Mauger,P.A.,Escano Perry, J., Freeman,T., Grove, D.C. ,McBride,A.G.,& McKinney,K.E.(1992). The measurement of forgiveness: Preliminary research.Journal of Psychology and Christianity ,11(2),170-180.

- McCullough,M.E.(1997).Marital forgiveness. Marriage and Family: A Christian Journal ,1(1),77-93.

- McCullough,M.E.,Rachal,K.C.,Sandage,S.J.,&Worthington, E.L. ,(1997 ,August)).A sustainable future for the psychology of forgiveness. Paper presented at the American Psychological Association Chicago, Illinois.

- McCullough,M.E.,&Worthington ,E.(1994). Models of interpersonal forgiveness and their applications to counseling: Review and critique.Counseling and Values ,39,2-14.

- McCullough,M.E.,&Worthington, E.(1995). Promoting forgiveness :A comparison of two brief psychoeducation group interventions with a waiting control.Counseling and Values,40,55-68.

- McCullough,M.E.,Worthington,E.,&Rachal ,K.C.(1997). Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology ,73(2), 321-336.

- McMain,S.,Goldman ,R.,&Greenberg,L.(1996).Resolving unfinished business: A program of study.InW.Dryden (Ed.),Research in counselling and psychotherapy: practical applications.London: Sage.

- Murray,H.A.(1938).Explorations in personality.New York: Oxford University Press.

- Nelson,M.K.(1992).Anew theory of forgiveness.Unpublished doctoral dissertation.Purdue University, West Lafayette.

- Paivio,S.C.,&Greenberg ,L.S.(1995). Resolving unfinished business: Experiential therapy using empty chair dialogue.Journal of Consulting and clinical Psychology ,3,419-425.

Pedersen ,R.(1996).Verification of a model of the resolution of unfinished business.Unpublished master's thesis ,York University ,Toronto ,Canada.

-Perls,F.,Hefferline ,R.,& Goodman ,P.(1951).Gestalt therapy.New York: Delta.

- Rice ,L.N.,&Greenberg ,L.S.(1984). Patterns of change: Intensive analysis of psychotherapy process.New York: Guilford Press.

- Rice ,L.,& Kerr,G.(1986).Measures of client and therapist vocal quality.In L.S.Greenberg&W.Pinsof (Eds.), The psychotherapeutic process :A research handbook.New York: Guilford Press.

- Rowe,J.O., Halling ,S., Davies, E. ,Leifer,M.,Powers,D.,&Van Bronkhorst.J.(1989).The psychology of forgiving another: A dialogal research approach. In R.S.Valle&Steen Halling(Eds.). Existential – phenomenological perspectives in psychology: Exploring the breadth of human experience.New York: Plenum Press.

- Trainer,M.(1981).Forgiveness: Intrinstic role- expected, expedient, in the context of divorce.Unpublished doctoral dissertation.Boston University ,Boston,MA.

- Truong ,K.T.(1991). Human forgiveness: A phenomenological study about the process of forgiveness. Unpublished doctoral dissertation.US .International University ,San Diego, CA.

Wade,S.H.(1989).The development of a scale to measure forgiveness. Unpublished dissertation , Fuller Theological Seminary, Pasadena,CA.

الفصل العاشر

استخدام التسامح فى العلاج الزواجى

تـــأليف: كريـــستينا كـــوب ودونالـــد بـــوكم
ودوجلاس سيندر

يتفق معظم الناس المهنيّون والعاديون على حد سواء على أن الاحتفاظ بعلاقة زواجية حميمة ومُرضية عبر سنوات كثيرة يعد تحديًا مهمًا، بغض النظر عن الشخصين المتضمنين فى هذه العلاقة الزواجية، وتقترح نتائج عدد كبير من الدراسات الإمبريقية أن التوافق الزواجى يكون ذا حساسية شديدة للأساليب التى يعالج من خلالها الزوجان الأحداث السلبية على وجه التحديد (Baucom&Epstein,1990)، فعلى الرغم من أن العلاقات الزواجية المُرضية يحتمل أن تتضمن مدىً واسعًا من التفاعلات الإيجابية، والسارة المتبادلة، فإن الكرب الزواجى يتضمن وعلى نحو كبير عددًا مهمًا من الخبرات السلبية، التى لا يعالجها الزوجان على نحو مرضٍ، ويمكن أن تتراوح هذه الخبرات السلبية من العواقب السلبية المترتبة على التواصل بين الزوجين، والتفاعلات بينهما، وصعوبة التعامل مع الأمور المالية، إلى التنازع الذى يتعلق بالأمور القانونية...إلخ، ولكى نفهم كيف يحافظ الزوجان على نوعية العلاقة الزواجية عبر الزمن، فإنه من الأساسى أن نفهم كيف يعالج الزوجان الخبرات السلبية،

بعض هذه الخبرات متعذر اجتنابه، وبعضها الآخر يتسبب في حدوثه أو دوامه الأزواج أنفسهم.

وكل النظريات النفسية فى الزواج ناقشت – تقريبًا – الدور الذى تمارسه الأحداث السلبية فى الزواج (على سبيل المثال النظرية المعرفية – السلوكية، ونظرية الأنساق، ونظرية التوجه الانفعالى، وفى الوقت نفسه يتوفر لدينا فهم قليل فيما يتعلق بمختلف أنماط الأحداث السلبية التى يواجهها الزوجان، وإلى مدى يتطلب كل حدث منها استخدام استراتيجيات مختلفة؛ لتجاوز تأثرها المؤذي. فعلى سبيل المثال قد تجد الزوجة أن مضغ زوجها اللادن بصوت مرتفع أمر مزعج، ولهذا يكون غير مريح بالنسبة لها أن تجلس قريبًا منه، وقد تشعر زوجة أخرى بالخزى؛ عندما تكتشف أن زوجها ناقش الصعوبات الجنسية التى يواجهونها مع والديه. وقد تتطلب الإساءات الشديدة كالإساءة التى ذكرناها فى المثال السابق الاستغراق فى عملية التسامح، بينما تتطلب الإساءات غير الشديدة استخدام استراتيجيات مواجهة مختلفة.

وقد عالج أبرز المنظرين المعنيين بالزواج أساسًا دور الأحداث السلبية فى الزواج، وعلى نحو مفرط، ولكن هذه النظريات نفسها ككل تجاهلت مفهوم التسامح إلى حد كبير، ومن جهة أخرى يوجد لدينا موروث بحثى نام يعكس نظرية فى التسامح، وبحوثًا فيه. ومع ذلك هناك ثلاث مشكلات مهمة فى الموروث البحثى الحالى فى التسامح، أول هذه المشكلات هى أن هذه التصورات فى التسامح عمومًا لم تدمج ضمن نظريات الزواج المتسعة، بالإضافة إلى ذلك تعرض كل نظرية نموذجًا مختلفًا فى كيفية حدوث التسامح، فيبدو أنه لا يوجد اتفاق بين المنظرين حول العناصر الحاسمة فى عملية التسامح، وأخيرًا، على الرغم من أن بعض المنظرين وصف السلوكيات التى تحدث أثناء عملية التسامح، فإن قليلاً منهم فقط من حاول تفسير لماذا تحدث هذه السلوكيات، وقد حاولنا فى هذا الفصل.

(١) أن نركزعلى ما يبدو أنه يمثل عناصر حاسمة فى التسامح لــدى أبرز المنظرين المعنيين بدراسة التسامح.

(٢) وأن ندمج هذه العناصر ضمن نظريتين من النظريــات الكبــرى فى الزواج.

(٣) وأن نزود القارىء بإطار نظرى عن عملية التسامح، يفــسر مــا الذى يحدث فى هذه العملية، ويفسر أيضًا لماذا يكون مطلوبًــا أن يحــدث، وبالإضافة إلى ذلك حاولنا أن نصف نتائج بحوثنا الإمبريقية الحديثــة فــى ضوء نموذج التسامح ذي المراحل الثلاث، والذى نتج عن هذا الدمج، وأخيرًا اقترحنا برنامجًا للتدخل العلاجى لمساعدة الأزواج الذين يكــافحون للحفــاظ على العلاقة التى أصابها الأذى.

أهم النظريات المعنية بكيفية ممارسة العلاقات الإنسانية:

يعد المنحى المعرفي – السلوكي، ومنحى الاستبصار الموجه من أهــم النظريات النفسية، التى تعنى بفهم كيفية ممارسة الأفراد، والأزواج علاقاتهم الإنسانية، وعلى الرغم من أن هذين المنحيين غالبًا ما يختبــر كــل منهمــا الآخر، فيما يتعلق بفهمهما للسلوك الإنسانى، فإننا نعتقد أن لديهما الكثير الذى يمكن أن يقدماه؛ لفهم كيفية ممارسة العلاقات الإنسانية، وعندما يتكاملان فإن بإمكانهما أن يزودانا بسياق هادف لفهم التسامح، واســتثارته داخــل نطــاق الزواج، وعلاوة على ذلك أوضحت مقالة حديثة نشرت فى مجلة علم النفس الإكلينيكى والإرشادى أن كلتا النظريتين تعدان منحيين صادقين إمبريقيًا عند دراسة الاختلالات الزواجية (على سبيل المثــال: Baucom,Shoham,Mueser, Daiuto,&Stickle,1998). ولكى نفهم كيف يمكن أن تساعد هاتان النظريتان فى فهم التسامح، من المهم فى البداية أن نزود القارىء بمراجعة مختصرة لكيفية معالجة كل نظرية منهما للعلاقات الممارسة، ونصف كيف يعالج كل منحــى نظرى مشكلة الأحداث السلبية.

المناحى المعرفية – السلوكية فى الزواج:

المفاهيم الأساسية:

أكدت المناحى المعرفية – السلوكية التى تستهدف فهم الزواج أهمية السلوكيات والمعارف والانفعالات المحددة التى تسهم فى إشباع العلاقات المتبادلة، وبالمثل ركزت الصياغات النظرية المعرفية – السلوكية بوجه عام على دراسة هنا والآن، واستكشاف كيف يتفاعل الأزواج مع بعضهم بعضًا بأساليب بناءة وهدامة على حد سواء يمكن أن تؤثر على نوعية العلاقة الزواجية، وقد بُنيت الصياغات المعرفية – السلوكية الأولية على افتراض مؤداه أن السلوكيات والمعارف والانفعالات مرتبطة ببعضها بعضًا على نحو متكامل، وأن الكيفية التى يفكر بها الأزواج، ويشعر من خلالها كل منهم تجاه الآخر تتبع إلى حد كبير من أنماط تفاعلاتهم السلوكية، ويواكب هذا التصور موجة البحوث الإمبريقية التى عُنيت باستكشاف كيف يتصرف الأزواج مع بعضهم بعضًا، وقد أكدت نتائج هذه البحوث أن معدل تكرار كل من السلوكيات الإيجابية والسلبية يعد عنصرًا رئيسًا فى فهم التوافق فى العلاقات الزواجية (انظرللمراجعة: Baucom&Epstein,1990)، ومع ذلك أوضح بحث لاحق أن السلوك نفسه يمكن أن تكون له تأثيرات مختلفة على أحد الزوجين اعتمادًا على الطريقة التي يفسر من خلالها هذا الزوج السلوك، وبناءً على ذلك إذا قضى الزوج وقتًا طويلاً فى العمل فإن زوجته قد تدرك هذا السلوك على أنه سلوك إيجابى، إذا فسرت هذا السلوك على أنه مؤشر على تعهد زوجها لها ولأطفالهما بتوفير التنعم الاقتصادى لهم، وقد يكون للسلوك نفسه تأثير سلبى على الزوجة؛ إذا أدركته على أنه تعبير عن رغبة الزوج فى تجنب قضاء وقته معها، ونتيجة لذلك اتسع النموذج السلوكى الأولى للزواج اتساعًا جوهريًا، وأصبح النموذج المعرفى – السلوكى حيث يدمج الكيفية التى يفكر بها الزوجان ويفسر كل منهما من خلالها سلوك الآخر كعامل مهم فى فهم الزواج.

وقد افترض بوكوم Baucom وإيبستن Epstein وسايرز Sayers وشير Sher (١٩٨٩) نموذجًا تصنيفيًا للمعارف المتضمنة فى العلاقة الزواجية، وذلك لكى يوضحوا ما إذا كان محتملاً أن يدرك أحد الزوجين السلوك، أو الحدث المفترض على أنه موقفٌ إيجابيٌ أو سلبيٌ ويتضمن هذا النموذج: (١) الانتباه الانتقائى، (٢) العزو، (٣) التوقعات، (٤) الافتراضات، (٥) المعايير. ويتضمن الانتباه الانتقائى عملية معرفية- إدراكية، حيث ينتبه الفرد لبعض الأحداث ويتجاهل البعض الآخر، فعلى سبيل المثال إذا أثنت الزوجة على زوجها لجهده المتزايد لقضاء وقت مع أطفاله، ولكن الزوج استغرق فى أفكاره ولم ينتبه لثنائها فمن المحتمل أن يكون لهذا الثناء تأثير ضئيل عليه، وقد أوضحت نتائج البحوث الإمبريقية أن الأزواج المكروبين ينتبهون تلقائيًا للأحداث السلبية الصادرة عن رفقائهم، ويميلون إلى أن يكونوا غير مدركين لكثير من السلوكيات الإيجابية التى يصدرها رفقاؤهم (Robinson&Price,1980).

وبافتراض أن أحد الزوجين لاحظ بعض السلوكيات الصادرة عن رفيقه، أو لاحظ بعض الأحداث الزواجية، فإنه من حين لآخر سيزودنا بتفسيرات، أو عزو يفسر من خلاله لماذا حدثت هذه السلوكيات؟ وقد أكدت مجموعة من البحوث الإمبريقية أن الأزواج المكروبين يكون من الأكثر احتمالاً أن يفسروا الأحداث الزواجية بطريقة سلبية بمعدل أعلى، وذلك عند مقارنة تفسيراتهم بتفسيرات الأزواج السعداء للأحداث نفسها (Bradbury&Fincham,1990)، والمثال السابق الذى يتضمن تفسيرات الزوجة لقضاء زوجها ساعات طويلة فى مكتبه، توضح كيف يمكن أن يكون لنمطى العزو للسلوك نفسه تأثيرات مختلفة على الزوجة (فتفسير انشغال الزوج فى العمل فى ضوء عزوه لحبه زوجته، وأطفاله والتزامه بتوفير التنعم الاقتصادى لهم، سيكون له تأثير إيجابى على الزوجة، أما إذا فسرت انشغاله فى ضوء عزوه إلى رغبة الزوج تجنب قضاء وقت أطول معها؛ فسيكون له

تأثير سلبى عليها)، وعلاوة على تفسير الأزواج للسلوكيات الصادرة عن رفقائهم فإنهم يتنبئون أيضًا بسلوكياتهم، ويُكوّنون توقعات عمَّا يحتمل أن يحدث فى المستقبل، وعلى الرغم من أن البحوث التى أجريت عن التوقعات فى الزواج تعد قليلة، فإن النتائج المتوفرة لدينا تتسق مع هذه النتائج، فتوضح نتائج البحوث أنه من الأكثر احتمالاً أن يُكوّن الأزواج المكروبين توقعات سلبية عن مستقبل علاقتهم الزواجية (Notarius&Vanzetti,1983).

وعلى الرغم من أن هذه المعارف تكون غالبًا محورية بالنسبة لمجموعة الأحداث المفترضة، فإن الأزواج يكون لديهم مدىً متسعٌ من المعتقدات عن الزواج.

فأولاً: يكون لدى الزوجين افتراضات عن الطريقة التى يحدث من خلالها الزواج واقعيًا، فعلى سبيل المثال قد يكون لدى الزوجين تصور عن الزواج مؤداه أنه المكان الذى يستطيع فيه المرء أن يشعر بالأمان والأمن، والذى يستطيع فيه أن يضع ثقته التامة فى شخص آخر، ولهذه الافتراضات أهمية؛ لأنها تساعد فى توجيه السلوك، وبدون الافتراضات الأساسية عن الزواج والأزواج، سيقوم الناس بفحص كل ظرف منفصل فحصًا مدققًا، وسيقومون بتقويمه لكى يقرروا كيف يتصرفون.

ثانيًا: علاوة على تكوين افتراضات عن كيفية حدوث الزواج واقعيًا، يكون لدى الأزواج معايير عن الكيفية التى ينبغى أن يحدث وفقًا لها الزواج (على سبيل المثال: ينبغى أن تكون للحاجات الخاصة بعلاقتنا الزواجية أولية أعلى عن حاجاتى الشخصية)، وتتضمن هذه المعايير قيمًا، ومعتقدات أخلاقية عن كيف ينبغى أن يعامل المرء رفيقه فى ظل العلاقة الحميمة، وهذه المعايير حاسمة لأنها تفيد كخريطة طريق ترشدنا إلى السلوك الملائم، وهى مهمة أيضًا لأن انتهاك أحد هذه المعايير يستثير غالبًا ردود أفعال قوية من الجرح، وخيبة الأمل. وفى مثل هذه الأمثلة يُدرك سلوك شريك الحياة على

أنه سلوك غير مرغوب فيه، علاوة على كونه سلوكًا خاطئًا، وغير أخلاقي أيضًا، وقد أوضحت نتائج البحوث الأساسية فى الزواج مرة أخرى أن الافتراضات والمعايير التى يكونها الأزواج عن الزواج ترتبط بالتوافق الزواجى (Baucom,Epstein,Rankin,&Burnett,1996;Epstein&Eidelson,1981).

استراتيجيات العلاج :

طُورت أساليب التدخل المعرفى السلوكى للعلاقات غير المتناغمة بناءً على هذه التصورات السابقة عن العلاقات الزواجية، وقد ركزت أساليب التدخل العلاجى مبدئيًا على العلاقة الحالية للزوج (أو الزوجة)، وتم تعليم الأزواج أن يحددوا بدقة السلوكيات التى يجدونها مُدعمة، وتلك السلوكيات التى يجدونها غير مرغوبة، وتمت مساعدتهم على إنجاز تغيرات سلوكية؛ لزيادة احتمال حدوث السلوكيات الإيجابية والمُرضية، وتقليل السلوكيات السلبية وغير المرغوبة، وبافتراض أن أهم نوع من السلوكيات التى تستهدف التغيير بالنسبة لمعظم الأزواج هى تواصلهم مع بعضهم بعضًا، لذا وُجه جهد كبير من قبل المعالجين فى مساعدة الأزواج على التواصل بكفاءة، وأوضحت الملاحظات الإكلينيكية والبحوث الإمبريقية أن الأزواج المكروبين كان لديهم ميلٌ للتركيز على الماضى، وتوجيه اللوم إلى بعضهم بعضًا على الأحداث السلبية السابقة، وذلك أثناء مناقشة الموضوعات التى أثارت مشكلات بينهم، وبناءً على ذلك يقوم المعالجون المعرفيون – السلوكيون بتعليم الأزواج وعلى نحو نموذجى تجنب مناقشة الأحداث الماضية، أو محاولة عزو اللوم والمسئولية إلى شركاء حياتهم، ويتعلمون بدلاً من ذلك أن يركزوا على الهموم الحالية، وعلى حل المشكلة بما يُمكّنهم من معالجة المواقف على نحو مختلف فى المستقبل، وإذا كان التشويه المعرفى كبيرًا إلى الدرجة التى تؤدى إلى حدوث تداخل مع هذه العملية (تعلم إحداث التغير المنشود)، يوجه

المعالج جهده مباشرة لعلاجه (مثل مساعدة الأزواج على اكتشاف أنواع بديلة من العزو يفسرون من خلالها لماذا يتصرف شريك الحياة بهذا الأسلوب).

تطبيق الصياغات المعرفية – السلوكية فى علاج الخيانات الشخصية:

إن المعتقدات الأساسية المتضمنة الافتراضات والمعايير الخاصة بكلا الزوجين تكون مهمة فى فهم التسامح على وجه التحديد، ولا تتطلب كل السلوكيات الزواجية السلبية التسامح، فنحن نفترض أن تلك السلوكيات التى تعطل الافتراضات الزواجية المهمة، وتنتهك المعايير الخاصة بالعلاقة الزواجية، وخصوصًا تلك السلوكيات التى تتضمن خيانة الثقة، تكون على وجه التحديد أكثر أهمية فى فهم التسامح، وتسبب المعوقات الخطيرة التى تعطل الافتراضات والمعايير الزواجية مستوىً مرتفعًا من الانفعال السلبى بين الزوجين، وهذا يزيد من احتمال حدوث التشويهات المعرفية عن العلاقة وعن شريك الحياة وبدرجة دالة، علاوة على ذلك ستتأثر قدرة أحد الزوجين على مسامحة رفيقه على خيانته تأثرًا شديدًا، بمدى افتقار رفيقه للمهارات التواصلية اللازمة لحل الصراع المتزايد بينهما.

أوجه قصور المنحى المعرفى- السلوكى المستخدم فى علاج الخيانات الزوجية:

على الرغم من أن التوجه المستقبلى للعلاج الزواجى المعرفى – السلوكى قد يكون ملائمًا لعلاج عدد من السلوكيات السلبية، فإن هذا يمكن أن يكون أيضًا من المآخذ التى توجه لهذا النموذج، فكثير من السلوكيات التى تسبب مشاكل بين الزوجين يمكن حلها، من خلال اتفاق الزوجين على كيفية معالجة المواقف الشبيهة فى المستقبل، ولكن هناك بعض الأحداث السلبية

يكون لدى الأزواج صعوبة فى تناولها من منظور الحل المباشر للمشكلات، وتتضمن تلك الأحداث التى يكون أحد الزوجين قد أُوذى، أو جُـرح جُرحًـا شديدًا من قبل شريك حياته، وفى مثل هذه الحالات لا يستطيع شريك الحيـاة المجروح أن يدع الألم جانبًا ببساطة، ويفكر فى كيفية حل هذه المشكلة فـى المستقبل، ولكن بدلاً من ذلك يشعر أنه مجبر على توجيـه تفكيـره علـى الإيذاءات الشخصية التى تعرض لها فى الماضى، قبل أن يصبح قادرًا على التوجه بتفكيره نحو المستقبل، وتتطلب هذه الأحداث السلبية فى كثيـر مـن الأحيان التسامح، وعلى الرغم من أنه لا يوجد أى تأصيل فـى الـصياغات المعرفية –السلوكية يمنع مناقشة الماضى وحتـى الحاضـر وفهمـه فـإن النظريات المعرفية – السلوكية لم توضح متى وكيف نساعد الزوجين علـى معالجة هذه الأحداث المؤلمة، وكيفية إحداث تكامل بين الأساليب العلاجيـة الحاضرة والمستقبلية ، وفى المقابل نجد أن التركيز علـى فهـم الماضـى والإفادة من هذا الفهم فى تغيير المستقبل عنـد المعالجـة النظريـة لكيفيـة ممارسة العلاقات الشخصية، كان بؤرة اهتمام مناحى الاستبصار المُوجه.

مناحى الاستبصار المُوجه فى الزواج :

المفاهيم الأساسية :

تؤكد نماذج الاستبصار المُوجه فى عـلاج الـزوجين علـى أنمـاط العلاقات غير المتوافقة المتكررة، والتى ترتقى نتيجة للخبـرات الشخـصية المبكرة، سواء الخبرات التى تحدث داخل أسرة الفرد، أو الخبـرات التـى تحدث فى ظل العلاقات الأخرى المهمة بالنسبة للفرد، بـدءًا مـن مرحلـة المراهقة وحتى مرحلة الرشد الأوسط، وتتباين مناحى الاستبصار الموجه فى علاج الأزواج إلى الحد الذى يجعلهم يؤكدون الطبيعة غير الشعورية لأنماط

العلاقات هذه، والمرحلة الارتقائية التى اكتسبت فيها هذه الأنماط من العلاقات غير التوافقية، ويمتدون إلى تناول القلق الشخصى الناشىء عن الدوافع البيولوجية (Snder , فى المطبعة)، ولكن تشترك هذه المناحى فى افتراضها أنه من المحتمل أن تستمر هذه الأنماط من العلاقات غير التوافقية حتى تُكتشف وتفهم فى السياق الارتقائى، ويفيد هذا الفهم الجديد فى تخفيض قلق الأزواج المصاحب للعلاقات الحالية التى يعايشها الأزواج، ويتيح للأزواج أن يطوروا أنماطًا بديلة من العلاقات الصحية.

ويُنظر للأنماط غير التوافقية المستمرة عند الارتباط بالآخرين على أنها استراتيجيات دفاعية، تهدف تقليل معايشة علاقات مؤلمة أو صدمية، وقد تسهم الإيذاءات الناتجة عن العلاقات السابقة فى نشوء القلق المستمر فيما يتعلق بالذات (مثل الشعور الدائم بعد اللوم، والذنب والخزى)، أو بالآخرين (مثل الخوف من الرفض أو الهجر)، وقد تتضمن الاستراتيجية الشائعة لكبح هذا القلق بذل جهد مبالغ فيه للتحكم فى الذات أو فى شريك الحياة، مثل الزوج الذى يستجوب زوجته عن كيفية قضاء كل دقيقة من وقتها بعيدًا عنه، وقد يستخدم الأزواج طريقة أخرى صعبة للتحكم فى قلقهم الشخصى، وهذه الطريقة قد تظهر فى شكل تعلق مفرط بشريك الحياة، وهذا التعلق هو استراتيجية تهدف غالبًا حماية الذات من الهجر، فعلى سبيل المثال قد تشعر زوجة بالفزع من هجر زوجها لها، وهذا يتطلب من الزوج التأكيد المستمر على حبه، وإظهاره لها، ولسوء الحظ قد تفرض مثل هذه المطالب عبئًا على الزوج، وأخيرًا قد يكون من الأكثر احتمالاً أن ينهى العلاقة، وهناك استراتيجية أخرى للتحكم فى القلق الشخصى، فقد ينأى الفرد بنفسه عن هذه العلاقة، أو لا يسمح لنفسه أن يظهر احتياجه لشريك حياته، وذلك لكى يخفض الشعور بالجرج الشخصى الناجم عن الرفض أو الفقد المتوقع من قبل

شريك الحياة. فمثلاً الزوجة التى كانت تلاحظ مشاجرات والديها المتكررة، واستجابات والدتها الباكية لإساءات والدها، قد تشعر بعدم الأمان عندما تُظهر الضعف والحرج، وتعايش صراعًا فيما يتعلق بإظهار الانفعالات القوية لشريك حياتها بدلاً من إظهارها الغضب، ويمكن أن يحول قلقها المتعلق بتعبيرها عن ضعفها، ورغبتها فى تجنيب نفسها الرفض الانفعالى المحتمل من قبل زوجها، يمكن أن يحول كل ذلك من تعبيرها عن مشاعر الحرج تجاه الزوجين، ويعوق الزوجين من تنمية الشعور بالعلاقة الحميمة فيما بينهما.

الاستراتيجيات العلاجية:

يُستكشف المنشأ الارتقائى للأفكار الأساسية، والتعبيرات المستخدمة فى التعبير عنها فى ظل العلاقة الزواجية فى منحى الاستبصار الموجه لعلاج الزوجين، وذلك من خلال عملية " إعادة التنظيم الوجدانى " (فى المطبعة، Snyder &Wills,1989 ; Snyder)، فيُعاد تنظيم العلاقات السابقة، وذلك لتحديد إلى أى مدى كانت الاستراتيجيات السابقة الخاصة بالامتنان الوجدانى والتورط فى القلق، كانت حيوية فى العلاقات السابقة، بالإضافة إلى ذلك تفحص هذه الاستراتيجيات لكى يُكتشف إلى أى مدى تعد هذه الاستراتيجيات أساليباً غير ملائمة لحدوث الحميمية الوجدانية، والرضا عن العلاقة الحالية.

فيشجع كلا الزوجين على:

(١) أن يتوافقا مع الإيذاءات الناجمة عن العلاقات السابقة.

(٢) وأن يظهرا حزنهما على فقد بعضهما بعضًا، وعلى عدم إشباع حاجاتهما.

(٣) وأن يعبرا عن شعورهما بالتناقض أو الغضب تجاه الآخرين الذين كانوا مهمين بالنسبة لهما فى الماضى فى ظل العلاج النفسى الموحد الآمن.

(٤) وأن يكتسبا قدرة متزايدة على تمييز العلاقات السابقة عـــن العلاقـــة الحالية، فعلى سبيل المثال فى الحالة السابق وصـــفها حيـــث تتجنـــب الزوجـــة التعبيرعن جرحها من زوجها، ينبغى أن تركز مناحى الاستبصار المُوجه بشكل أساسى على مساعدة الزوجين فى:

(١) أن يفهما وبتفصيل شديد كيف تعلمت الزوجة هـــذه الأنمـــاط مـــن العلاقات غير التوافقية.

(٢) أن ينمى الزوج شعورًا بالتفهم تجاه معاناة زوجته.

(٣) وأن تتوافق الزوجة مع علاقتها الزوجية الصعبة.

وبناء على ذلك، بمجرد أن تبدأ الزوجة فى تفهـــم علاقاتهـــا الـــسابقة بمنظور جديد، قد تكون قادرة على إدراك زوجهـــا، وعلاقاتهـــا الزواجيـــة بمنظور أكثر واقعية أيضًا ويعزز هذا المنظور الجديد فـــى المقابـــل وعيًـــا وشعورًا أكبر بالارتياح عند التعبيرعن مشاعر الضعف والجُرح التـــى تعـــد أساسًا لتوليد علاقة حميمة بين الزوجين.

وعند فحص الإسهامات المتطورة لهذه المناحى فيمـــا يتعلـــق بعـــلاج الكرب الزواجى، نجد أن هذه المناحى قد قدمت فوائد عديدة للأزواج:

أولاً أنها تتيح للأزواج التخفف من قلقهم الشخصى، وذلك من خـــلال تخفيض ارتباكهم، المتعلق بالمبررات التى قد تجعلهم متفاعلين انفعاليًا بدرجة مرتفعة مع الصراعات الزواجية.

ثانيًا أنها تجدد الأمل لديهم فى أن يحققوا إنجازات انفعاليـــة أكبـــر فـــى علاقاتهم، وذلك من خلال إيجاد حل للإساءات التى تعرضوا لها فى علاقـــاتهم السابقة، ومساعدتهم فى تطوير أنماط جديدة من الارتباطات مع أزواجهم.ثالثًـــا أنها تتيح للأزواج فرصًا لأن يتفهم كل منهم الآخر، ويتفهم كفاحاته بدرجة أكبر.

أخيرًا أنها تمنحهم فرصة أن يتوصلوا إلى حل لصراعاتهم المستمرة والدورية، ولأنماط علاقاتهم غير التوافقية، وذلك من خلال إعادة توجيه الاستراتيجيات الشخصية التى يستخدمونها.

علاوة على ذلك بمجرد أن يلاحظ كل زوج الجهد الذى يبذله رفيقه أو رفيقته لتفسير منشأ أنماط العلاقات غير التوافقية وفهمها، فإنه يصل خلال فترة قصيرة إلى فهم سلوك رفيقه على نحو أكثر تقبلاً، أو أكثر اعتدالاً. ويحدث هذا التغير من خلال استبدال الاستراتيجيات الشخصية المكتسبة، التى تمثل أفضل الاستراتيجيات، بأنماط العزو المدمرة، وذلك للتحكم فى الانفعال السلبى، بالاضافة إلى الدوافع الصريحة التى تكون ضارة، ومع تسلح الأزواج بمزيد من الفهم لبعضهم بعضًا، فإنهم قد يكونون أكثر استجابة للتدخلات العلاجية المصممة بهدف تحسين علاقاتهم الزواجية.

تطبيق مناحى الاستبصار الموجه فى علاج الخيانات الزوجية :

يزودنا منحى الاستبصار الموجه بمتضمنات عديدة لعلاج الأزواج من الخيانات الزوجية الكبرى، وزيادة قدرتهم على أن يسامح كل منهم الآخر. فأولاً: يقترح هذا المنحى أن العوامل التى تسهم فى القرار الفردى بالاستغراق فى الخيانة الزوجية، قد يتضمن قضايا شخصية مهمة ربما لا يكون الزوج أو الزوجة واعين بها ،علاوة على ذلك يكون منشأ هذه العوامل مبكرًا جدًا خلال الخبرات التى يمر بها الفرد فى حياته الشخصية، وإذا ظلت هذه القضايا الشخصية غير مُدركة، أو لم يصل الفرد لإيجاد حل لها؛ فإنها تجعله مستهدفًا للسلوكيات المتكررة التى تميز العلاقات المدمرة.

ثانيًا: يفترض منحى الاستبصار الموجه فى علاج الأزواج أن استجابات كلا الزوجين للخيانة تعكس الإسهامات المهمة للإساءات، أو لخيبة الأمل التى قد يكون تعرض لها الزوجان فى علاقة سابقة، وفى الواقع إن الاضطراب

الانفعالى العميق المميز لردود أفعال كلا الزوجين للتهديد فى علاقاتهم، سـواء أكان تهديدًا صريحًا أم ضمنيًا، يجعل من الأكثر احتمـالاً أن يـستغرق كـلا الزوجين فى استخدام استراتيجيات دفاعية مبالغ فيها، وفى المقابل من المحتمل أن تؤدى هذه الاستجابات الدفاعية إلى تفاقم الموقف بين الزوجين من خـلال تداخلها مع: (١) فهم كلا الزوجين لمصادر الخيانة وللعواقب المترتبة عليهـا، و(٢) توصلهما إلى حل وجدانى لهذه الإساءة التى تعرضا لها.

أوجه قصور منحى الاستبصار الموجه فى علاج الخيانات الزواجية:

تتمثل أوجه القصور فى هذا المنحى الذى يستهدف العلاج الزواجى فى أن هذا المنحى لا يزودنا فى الغالب بآليات سلوكية محددة، مثـل مهـارات التواصل، تعزز الأمان بين الزوجين اللذين ينكبان على تناول قضايا مثيـرة للصراع بدرجة كبيرة، فيمكن أن تكون الفترة التى تعقب الخيانـة الزوجيـة الخطيرة مشوشة تشويشًا كاملاً، ويكون من المحتمل أن يتورط الأزواج فى خسائر أعمق فى علاقتهم الزوجية، وذلك من خلال تورطهم فى تفـاعلات سلبية غير متحكم فيها.

نلاحظ – بالإضافة إلى ذلك– أنه بينما تميل الاستراتيجيات المعرفية – السلوكية إلى التقليل من أهمية الماضى أو تجاهله، فإن مناحى الاستبـصار الموجه التقليدية قد تركز وبشدة على الماضى، حيث أنها تقلل مـن أهميـة الحاضر والمستقبل، فعلى الرغم من أن الفهم المتزايد الذى يكتـسبه الأزواج من خلال تلقى هذا النمط من العلاج قد يكون حاسمًا، فإنهم يحتاجون غالبًـا مساعدة إضافية، ومنظمة للتفاوض بشأن إحداث تغييـرات فـى أسـاليبهم وعاداتهم الحالية، ويكون هذا النوع من التفاوض ميسرًا غالبًا مـن خـلال الاستراتيجيات المعرفية – السلوكية، التى تستخدم فى التـدريبات الخاصـة بالتواصل وحل المشكلات وإعادة التنظيم المعرفى.

فعالية العلاج الزواجى فى مساعدة الأزواج المكروبين :

هناك عدد هائل من المبررات تجعلنا نتوقع نظريًا أن تصبح كل من المناحى المعرفية – السلوكية، ومناحى الاستبصار الموجه فى العلاج الزواجى، تُصبح مُفيدة لكثير من الأزواج، وقد ثبتت صحة هذا التأكيد فى الواقع من خلال التراث الإمبريقى، فقام بوكم Baucom وآخرون حديثًا (١٩٩٨) بمراجعة فعالية كل النماذج النظرية فى العلاج الزواجى، وتوصلوا إلى أن هناك دليل واسع الانتشار يُدعم فعالية المناحى المعرفية –السلوكية، وقد فحصت دراسات قليلة فعالية مناحى الاستبصار الموجه للعلاج الزواجى، ومع ذلك تدعم نتائج هذه البحوث وبشدة فعالية علاج الاستبصار الموجه للأزواج (Baucom et al.,1998).

ويوجد فى الوقت الحالى ما يزيد عن أربع وعشرين دراسة مُحكمة، أجريت فى بلدان عديدة، وأوضحت نتائجها أن العلاج الزواجى المعرفى – السلوكى (CBMT) مفيد للأزواج المكروبين، ولسوء الحظ لاتوجد سوى محاولات قليلة لتوضيح أنواع الشكاوى الحالية التى تتعلق بفعالية العلاج الزواجى المعرفى – السلوكى، والحالات التى تكون فيها التدخلات العلاجية أقل نجاحًا، وعلى الرغم من أنه لا توجد أية محاولات لإعادة إجراء بحوث فيما يتعلق بهذه النقطة، فإن بينن Bennun (1985a، 1985b) استنتج من بحثه أن العلاج الزواجى المعرفى السلوكى كان فعالاً تحديدًا فى تخفيف حدة أمور سلوكية محددة، من الواضح أنها قابلة للتفاوض بشأنها (مثل المهمات المنزلية والقضايا المتعلقة برعاية الأطفال والأمور المالية)، ولكن يبدو أن العلاج الزواجى المعرفى السلوكى أقل نجاحًا فى تناول قضايا الغيرة، والوجدان، والأمور المبنية على الانفعالات بدرجة أكبر، والأقل توجهًا نحو المهمة، ومن المحتمل أن تتطلب بعض الأمور الزواجية ذات الأساس الوجدانى والأقل توجهًا نحو المهمة، تتطلب التسامح، فإذا كان ذلك حقيقيًا فإن العلاج

الزواجي المعرفي السلوكي الذي يستخدم على نطاق شائع ربما لا يكون هو الأسلوب العلاجي الأمثل لمساعدة الأزواج الذين يكون التسامح هو قضيتهم الكبرى، وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمناحي الاستبصار الموجه في العلاج الزواجي، فإنه لم يلقَ سوى اهتمام إمبريقي ضئيل من قبل الباحثين، وتعد الدراسة التي أجراها سنيدر Snyder وويلز Wills التي أجريت سنة (١٩٨٩) استثناءً لهذا التوجه ، وقد قام الباحثان بإجراء دراساتهما بهدف مقارنة فعالية كل من العلاج الزواجي القائم على الاستبصار الموجه (IOMT)، والعلاج الزواجي السلوكي (BMT) وذلك بالمقارنة بالمجموعة الضابطة الموضوعة في قائمة الانتظار، وتم إجراء متابعة بعد انتهاء تلقي العلاج، ثم بعد ستة أشهر من انتهائه، وأثبتت الدراسة أن لكلا العلاجين فعالية متكافئة في تخفيض الكرب الزواجي لدى الأفراد المشاركين في الدراسة وبدرجة دالة، ولكن اختلفت فعالية هذين الأسلوبين العلاجيين وبدرجة دالة عندما أجريت متابعة على الأزواج بعد أربع سنوات (Snyder,Wills,&Grady-Fletcher,1991a)،فأثناء السنوات الأربع التي أعقبت انتهاء تلقي العلاج كان الأكثر احتمالاً أن يظهرالأزواج الذين تلقوا العلاج السلوكي تدهورًا دالاً في توافقهم في علاقاتهم، وذلك بالمقارنة بالأزواج الذين تلقوا العلاج الزواجي القائم على الاستبصار الموجه، وقد افترض الباحثان عند مناقشتهما لنتائج بحثهما أن هناك تمييزًا مهمًا بين اكتساب مهارات عن العلاقة الزواجية من خلال التعليمات المباشرة، أو التسميع الذاتي مقابل تعارض استخدام هذه المهارات بواسطة الأساس الدافعي أو الوجداني. وبرهن الباحثان على نحو أعمق أن إدراك الأزواج السلبي لسلوكيات رفقاء حياتهم قد عُدل بدرجة أكبر، وبشكل يتسم بدرجة استقرار أكبر، وذلك بمجرد أن أحرز الأزواج فهمًا للصراعات الوجدانية - التي جلبوها من أسرهم وعلاقاتهم السابقة- وتوصلوا إلى إيجاد حل لها (Snyder,Wills,& Grady-Fletcher,1991a,p.148)، وتوحي هذه النتائج أن تأكيد علاج الاستبصار الموجه

للأزواج على الإسهامات الارتقائية فى نشوء أنماط العلاقات غير التوافقية، قد يكون مفيدًا فى التوصل لحلول للأمور المبنية على أساس وجدانى بدرجة أكبر، والتى لم يتناولها العلاج الزواجى السلوكى على نحو مؤثر.

نظرة عامة على التراث المتعلق بالتسامح :

على الرغم من أن التراث الإمبريقى المتعلق بالعلاج الزواجى السلوكى (CBMT)، والعلاج الزواجى القائم على الاستبصار الموجه (IOMT) يقترح أن كلا النوعين من العلاجات يعدان من الأساليب المفيدة، لمساعدة الأزواج على حل الصعوبات الزواجية التى يواجهونها، فإن كليهما لم يزودانا بإطار نظرى واضح، ومتكامل عن تأثير الخيانة على العلاقة الزوجية، وكذلك لم يزودانا بإرشادات محددة عن كيفية مساعدة الأزواج خلال عملية إيجاد حل لهذه الخيانات، ويعد مفهوم التسامح من المفاهيم التى ذكرها الأزواج الناجحون وعلى نحو شائع، وهو من المفاهيم التى يبدو بديهيًا أنها مهمة لكى يتغلب الأزواج على تأثير الخيانة على العلاقة الزواجية (Fennell,1993)، وبالتالى ينبغى على المعالجيين الزواجيين أن يستفيدوا من تطور المنحى المقنع تمامًا فى التسامح.

المفاهيم الأساسية:

حاول العلماء إجراء دراسات لدعم هذا التصور، فزودتنا دراسات عديدة بدلائل عن وجود ارتباط بين التوافق الزواجى والتسامح (Holeman,1994;Rackley,1993;Woodman,1992)، فأوضح هولمان Holeman (١٩٩٤) وجود ارتباط إيجابى بين تسامح الإناث الناجيات مع ذويهن الذين ارتكبوا زنا المحارم معهن وبين المستويات الحالية لتوافقهن الزواجى، ولكن

الآليات التى تكمن وراء هذا الارتباط غير واضحة.وتناول راكلـــى Rackley (١٩٩٣) وودمان Woodman (١٩٩٣) بشكل أكثر مباشرة التـــسامح الـــذى يحدث فى ظل العلاقة الزواجية، وارتباطه بمـــستوى التوافـــق الزواجـــى، وتوصل الباحثان من خلال الدراستين اللتين أجرياهما إلى أن تـــسامح أحـــد الزوجين عن الإساءات الوجدانية الخطيرة يتنبأ وعلى نحـــو دال بـــالتوافق الزواجى، ونظرًا لأن الدراسات الثلاث التى أوردناها دراسات ارتباطية ؛ لذا من غير الممكن أن نحدد وجود ارتباط سببى بين التسامح والتوافق الزواجى، بالإضافة إلى ذلك لم تقدم أى من الدراسات الثلاث إطارًا نظريًا واضحًا عن كيفية تحقق التسامح، أو أساسًا نظريًا واضحًا يفسر ارتباط التسامح بالتوافق الزواجى، ولكن زودتنا دراسة حديثة أجراها هـــارجراف Hargrave وســـيلز Sells (١٩٩٧) بإطار نظرى ودعم إمبريقى لأهمية التسامح للأُســـر، وقـــد وضع الباحثان هذا النموذج الخاص بالتسامح ضمن مناحى العلاج الأســـرى السياقى (Boszormenyi-Nagy,Grunebaum,&Ulrich, 1991)، واقترح الباحثان أن الخيانات الأسرية تحدث نتيجة شعور أحد أفرادها بالجدارة غيـــر البنـــاءة ، ويفترضان أن هذا الفرد (أحد الزوجين) الذى اقترف الخيانة قد عانى انتهاك الثقة أثناء معايشته علاقة سابقة، وبالتالى يشعر أنه غير آثم عندما يقتـــرف سلوكيات مؤذية فى ظل العلاقة الحالية، ونتيجة لذلك يواجه رفيق الحياة الذى تعرض للخيانة مشكلة تتمثل فى كيف يتسامح مع رفيقه الخائن، ويفترضـــان أيضًا أن سعى الفرد لأن يتسامح مؤلف من" التبرئة "و"التسامح"، وتتـــضمن التبرئة اكتساب استبصار، وفهم بالدافع الذى يكمن وراء الخيانة، ويفترضان أن التسامح يتضمن أن يقوم الطرف المساء إليه بسلوك التسامح الـــصريح، أو يعطى المُسىء فرصة تقديم تعويض، والتى تتضمن سلوكيات من قبيـــل إبداء الاعتذار، أو أية سلوكيات رمزية أخرى تهـــدف إلـــى خلـــق فـــرص لتعويض الطرف المُساء إليه ، وبناءً على ذلك يبدو أن التبرئة تكون بطبيعتها معرفية، بينما التسامح يكون ذا طبيعة سلوكية بدرجة أكبر، ويؤكدان أن هذه

المكونات لا تعد مراحل يجتازها الأفراد فى تعاقب متتال بل يفترضـــان أن الأفراد يتباينون فيما بينهم فى هذه الاســـتراتيجيات أو " المواقــف " عنــدما يحاولون الاستغراق فى العمل على التسامح. ويقدم هارجراف وسيلز بعض الدعم الإمبريقى لهذا النموذج، وذلك من خلال التحقق من صـــدق المقيـــاس المصمم لقياس المواقف الأربعة، أو مكونات التسامح (وهـــى: الاستبـــصار، والفهم، والتعويض، وسلوك التسامح الصريح)، ولكن ما زال غير واضـــح كيف أو لماذا يختار الشخص أن يستخدم هـــذه الإســـتراتيجيات المختلفـــة؟، ويُلاحظ أن الدراسات السابقة ركزت بشكل خاص على التسامح الذى يحدث داخل الأسر أو بين الأزواج، ولكن هناك نظريات أكثر تفصيلاً فى التسامح، وليست خاصة بالعلاقات الأسرية، قدمت افتراضات واستبصارات فيما يتعلق بكيفية حدوث التسامح بين الأزواج والأسر، ويتفق معظم المنظرين على أن التسامح يستغرق وقتا، ومن الأكثر احتمالاً أن يكون عملية مستمرة، ولـــيس حدثًا زمنيًا منفصلاً، وبناءً على ذلك وصف البـــاحثون نظريـــات المرحلـــة المتباينـــة فـــى التـــسامح (Enright and the Human Development Study Group,1991;Hargrave &Sells ,1997 ;McCullough ,Worthington ,& Rachal,1997;Rosenak&Harnden ,1992;Smedes,1984) وتختلـــف هـــذه النظريات فى مستويات متعددة، فبعضها يُضمن التـــصالح ضـــمن عمليـــة التسامح، وبعضها الآخر لا يُضمنه، وبعض هذه النظريات يضع اتخاذ الفرد قرارًا بالتسامح فى مرحلة مبكرة من عملية التسامح، بينما يـــضعه بعـــضها الآخر قريباً من النهاية، وحاولت بعض النظريات تفسير لماذا يقرر الشخص أن يتسامح، بينما لم يفسر بعضها الآخر مبررات الأشخاص فـــى التـــسامح، ولكن رغم تلك الفروق، تتسق معظم النظريات اتساقًا تامًا فـــى تعريفـــاتهم للحالة النهائية للتسامح، ويوضحوا أن هناك ثلاثة عناصر شائعة لهذه الحالة النهائية للتسامح هى:

(١) اكتساب إدراك أكثر اتزانًا للمُسيء، ولحدث الإساءة.

(٢) تناقص الانفعال السلبي تجاه المُسيء.

(٣) تخلي المُساء إليه عن حقه في أن يعاقب المُسيء عقابًا إضافيًا.

علاوة على ذلك أوضحت الدراسات التي ظهرت حديثًا أن التدخلات العلاجية المبنية على التسامح، والتي استهدفت مساعدة الفرد على إعادة صياغة الخيانة الشخصية معرفيًا، واكتساب فهمٍ أكبر لمبررات حدوث هذا الحادث الصادم، تكون مثل هذه التدخلات فعالة في زيادة مستويات التسامح لدى المشاركين، وتحسين مستويات أدائهم لوظائفهم النفسية (Freedman & Enright,1996;Hebal &Enright ,1993)، وبالإضافة إلى ذلك، وصف ماكلو McCullough وآخرون (١٩٩٧) نتائج أحد أساليب التدخل العلاجي الذي استهدف تعزيز التسامح خصيصًا من خلال إرساء التفهم تجاه المُسيء، وعلى الرغم من أن نتائج بحثهم قدمت بعض الدلائل التي تدعم وجود ارتباط بين التفهم والتسامح، فإن النتائج العديدة التي كشف عنها بحثهم توحي بأن التفهم قد يكون مجرد سبيل واحد للتسامح من بين سبل عديدة ممكنة أخرى. وفي هذه الدراسة لم يتوسط التفهم العلاقة بين التسامح وإبداء الاعتذار توسطًا كاملاً، ويقترح الباحثون أن التغيرات المعرفية التي أثرت في الجماعة التي تلقت وعظًا، قد تكون مهمة أيضًا في فهم التسامح، حيث إن التسامح قد يتطلب حدوث تغيرات معرفية أيضًا لدى الشخص الذي يتسامح بالإضافة إلى التغيرات الوجدانية، وتتسق أهمية التغير الذي يحدث في فهم المُساء إليه للمُسيء مع "مواقف" الاستبصار، والفهم التي وُصفت في نموذج هارجراف وسيلز للتسامح، واستراتيجيات إعادة الصياغة المعرفية لحدث الإساءة في النموذج الذي وصفه إينريت وآخرون (١٩٩١).

بناءً على ما سبق يوحى الموروث البحثى المتاح أن التسامح عمليـــة معقدة، وهو عملية شبيهة بمرحلة يتوسطها حدوث تغيرات معرفية ووجدانية لدى المتسامح.

أوجه قصور المناحى المبنية على التسامح مع الخيانات الشخصية:

لقد وصفنا من قبل، وفى فصول أخرى من هذا المجلد، أنه يوجد تقدم مهم فى استكشاف المكونات الأساسية المتضمنة فى عملية التسامح، ولكن كل نموذج من النماذج النظرية فى التسامح له خصوصيته وتنظيمه الخاص به، وحتى الآن لم يقم الباحثون المعنيون بدراسة التسامح بإحداث تكامـــل بـــين المكونات الأساسية للتسامح، بالإضافة إلى ذلك يفتقر المجال البحثـــى إلـــى وجود تفسيرات مترابطة منطقيًا، وشاملة للأسباب التـــى تجعـــل المراحـــل المتعددة للتسامح ضرورية، والدوافع التى تدفع الأفراد إلى الاستغراق فـــى هذه العملية، وفى الوقت الراهن لايزال غير واضح "كيف " و" لماذا يجتـــاز" الأفراد هذه المراحل المتشابهة للتسامح، أو "كيف " و" لمـــاذا " يـــستخدمون استراتيجيات التسامح المتشابهة؟

وتوجد مشكلة أخرى فى نظريات التسامح الحالية عندما نطبقها فـــى علاج الأزواج والأسر، فهذه النماذج تطبق فى الأساس على الأفراد الـــذين تعرضوا للخيانة، ولا تتضمن المظاهر الدينامية لردود الأفعال الأخرى لرفيق الحياة، أو التفاعلات المستمرة التى تحدث فى ظل العلاقة، بالإضافة إلى ذلك لا تتضمن الأساليب العلاجية الراهنة استرتيجيات تـــساعد علـــى احتـــواء الانفعال السلبى الذى يتولد بين الزوجين عند الاستجابة للخيانـــة الزوجيـــة، فالخسائر الناجمة عن التفاعلات السلبية بين الزوجين فى هذه النقطـــة مـــن

المحتمل أن تُضعف وبشدة الدافعية لعملية التسامح، وتؤثر سلبًا على فرصتهما فى التوصل إلى حل ناجح.

بناءً على ما سبق: مع افتراضنا قدرة مناحى العلاج الزواجى المعرفى – السلوكى على احتواء الانفعال السلبى وفحص المعارف المُشوهة، وقدرة مناحى العلاج الزواجى القائم على الاستبصار الموجه على فحص الاسهمات الارتقائية فى نشوء أنماط السلوك غير التوافقى الحالى، وقدرته كذلك على تعزيز التفهم بين الزوجين، فإنه يبدو ملائمًا إحداث تكامل بين هذين النموذجين المعنيين بالعلاقات الزواجية، وذلك بهدف تعزيز السعى إلى التسامح لدى الأزواج الذين دُمرت علاقاتهم الزوجية.

نموذج المراحل الثلاث للتسامح فى الزواج:

المفاهيم الأساسية :

افترض جولدن Golden وبوكم Baucom (١٩٩، فى المطبعة) – بناءً على النظرية المتوفرة والبحث والملاحظات الإكلينيكية – نموذج المراحل الثلاث للتسامح، الذى يحدث فى سياق الزواج. ولكى نفهم عملية التسامح، يكون أساسيًا فى البداية أن نفهم أنواع الأحداث السلبية التى تتطلب التسامح، فلا تتطلب كل الأحداث السلبية التسامح، فيبدو أن تلك الأحداث السلبية التى تمثل خرقًا لمعتقدات الأزواج عن علاقاتهم الزوجية ورفقاء حياتهم وأنفسهم هى التى تخلق سياق التسامح، ومن المثير للاهتمام أننا تمسكنا بهذا التأكيد، وذلك كمحاولة لفهم لماذا يعانى الأفراد الأحداث السلبية كما لو كانت أحداثًا صادمة، وتزداد احتمالات ظهور أرجاع ما بعد الصدمة المثيرة للمشقة لديهم، فيقترح الموروث النظرى الخاص بالاستجابات الصادمة أنه تزداد

احتمالات أن يصبح الأفراد مجروحين انفعاليًا،عندما ينتهك حدث سلبى الافتراضات الأساسية لديهم، والمتعلقة بكيف يسير العالم من حولهم وكيف يتصرف الأفراد (Janoff-Bulman,1989;McCann,Sakheim,&Abrahamson, 1988)، وعدم التوازن المعرفى الناتج عن صدمة شخصية، كالخيانة الزوجية مثلاً، قد يمكن فهمه بوضوح عندما نعرضه فى ضوء هذا الموروث البحثى الخاص بالأحداث الصدمية. فكثير من الافتراضات التى يصوغها الأزواج عن العلاقة و أنفسهم ورفقاء حياتهم تنتهك من خلال الخيانة الزوجية (مثل افتراض أن شريك الحياة يُمكن الوثوق فيه، وافتراض أن العلاقة الزوجية هى المكان الآمن الذى يجد فيه الزوجان راحتهما)، ويقترح الموروث البحثى الخاص بالأحداث الصدمية أيضًا أنه عندما تُنتهك المعتقدات الأساسية، فإن الشخص المجروح يفقد قدرًا كبيرًا من قدرته على التنبؤ بالمستقبل، وبناءً على ذلك يعانى فقدان التحكم، ويمكن أن يؤدى فقدان التحكم هذا إلى الشعور بالقلق والاكتئاب (Joseph,Yule,&Williams,1993;McCann et al.,1988)، وفى سياق الزواج كشكل من أشكال العلاقات الحميمة، يؤدى الانتهاك الذى يتسبب فيه رفيق الحياة بشكل مباشر، إلى الشعور بالفقد، والجرح الشخصى، بالإضافة إلى العزو المؤلم للمسئولية، والحقد المتعمد تجاه شريك الحياة، وطالما أن الأزواج المجروحين ليس لديهم تصور واضح عن الأسباب التى أدت إلى حدوث هذا الحدث الصادم (الخيانة الزوجية)، لذلك لا يمكنهم أن يثقوا فى أن رفقاء حياتهم لن يأذوهم مرة أخرى ، وبدلاً من ذلك، يكون من المحتمل أن يدرك هؤلاء الأفراد أزواجهم على أنهم أفراد حقودون، ويكون مجرد سماع صوتهم، أو رؤية وجوههم بمثابة منبهات تؤدى إلى تدفق الانفعال المؤلم لديهم، ولسوء الحظ أن شركاء حياتهم يتعاملون غالبًا مع مشاعر الذنب، والخجل، والغضب أو الاكتئاب الخاصة بهؤلاء الأزواج المجروحين، وهؤلاء يكونون فى الغالب غير مؤهلين تأهيلاً جيدًا لكى يستجيبوا بشكل فعال لتعبير شركائهم القوى عن انفعالاتهم.

وبناءً على هذه الملاحظات من المحتمل أن تتيح الصياغات النظرية التي تتعامل مع التسامح على أنه بمثابة استجابة لحدث شخصي ذي طبيعة صادمة، أن تتيح متضمنات مفيدة للتخطيط لعلاج مؤثر لهذه الحالات الصعبة (Abrahm-Spring,1996;Coop,Baucom,&Daiuto,1995;Glass&Wright,1997) وبالتالي يُنظر لكثير من الاستجابات الملاحظة لدى الأزواج المجروحين أثناء عملية التسامح، على أنها استجابات ناتجة عن خرق معتقداتهم الأساسية، وحاجتهم القوية إلى إعادة بناء نظرتهم المحطمة للعالم ،حتى يحموا أنفسهم تمامًا من التعرض لأذى آخر من قبل شركاء حياتهم، وإذا صُغنا التسامح على أنه استجابة لصدمة شخصية، فإن عملية التسامح يمكن أن تفهم على أنها تظهر في ثلاث مراحل كبرى، توازي المراحل المتضمنة في الاستجابات الصدمية، وبناءً على ذلك، فإن الثلاث مراحل الكبرى المتضمنة في عملية التسامح هي:

(١) الاستغراق في الصدمة الشخصية ومعاناة أثرها.

(٢) ومحاولة إيجاد معنى لما حدث، بالإضافة إلى متضمنات هذا الفهم الجديد.

(٣) ومواصلة الفرد لحياته في سياق مجموعة جديدة من المعتقدات عن العلاقة الزوجية.

وقد دعم بحثنا المعاصر هذا التصور النظري للتسامح، على الرغم من أنه لم يقدم دعمًا حاسمًا لنموذج المرحلة لكونه دراسة عرضية بطبيعته (Coop et al.,1995;Gorden,1997)، أجريت الدراسة على مجموعة من الأزواج بالمجتمع، ومن خلال استخدام بطارية من الاختبارات مصممة لاختبار هذا النموذج الخاص بالتسامح، صنف الأزواج بالمجتمع إلى ثلاث مجموعات بناء على المراحل الثلاث للتسامح: مجموعة الأزواج الذين يمرون بالمرحلة الأولى في التسامح، ومجموعة الأزواج الذين يمرون بالمرحلة الثانية، ومجموعة الأزواج الذين يمرون بالمرحلة الثالثة، وقد كشف الأزواج الذين يمرون بالمرحلة الأولى في التسامح – وكما هو متنبأ – عن درجات أقل من التسامح الكلي على مقياس التقدير الذاتي المنفصل الذي

يتكون من بند واحد، كما كشفت استجاباتهم على البطارية عن درجات أقـل فى التوافق الزواجى، وكشف الأزواج الذين يمرون بالمرحلـة الثالثـة فـى التسامح عن تسامح أكثر، وتوافق زواجى أعلى، بينمـا وقعـت مـستويات التسامح والتوافق الزواجى لدى الأزواج الذين يمرون بالمرحلة الثانية فـى موقع متوسط بين استجابات الأزواج الذين يمرون بالمرحلة الأولى، وأولئك الذين يمرون بالمرحلة الثالثة.

ولكى يبدأ الأفراد فى هذه المرحلة فى عملية التسامح، ينبغى أن يعتقد أن شريك حياته أوحياتها قد انتهك الافتراضات التى تقوم عليها العلاقـة، أو المعايير الخاصة بهذه العلاقة، وهكذا إذا استغرق الزوج فى علاقـة غيـر شرعية فمن المحتمل أن يحدث بخيانته هذه خرقًـا لعـدد مـن المعـايير، والافتراضات التى صاغتها شريكة حياته عن طبيعة علاقتهمـا الزواجيـة، وعنه، وعن نفسها كزوجة، وحيث إن معظـم المتـزوجين تعهـدوا علـى الإخلاص الجنسى لشركاء حياتهم؛ فإن انتهاك هذا العهد يعد انتهاكًـا أيـضًا لافترض مؤداه أن المرء يمكن أن يثق فى أن شريك حياته سـيفى بعهـوده الأخرى معه. وفى المرحلة الأولى فى عملية التسامح، تلك المرحلة المؤثرة يحاول الناس أن يفهموا ما حدث، ويصبحوا واعين بسلوك شركاء حيـاتهم، ويحاولوا أن يفسروا بدقة ما حدث، ويبدأوا فى محاولة فهم الأسباب التى أدت إلى حدوث هذا الحدث الصادم، واتساقًا مع هذه التوقعات أوضـحت نتـائج بحثنا أن مجموعة الأزواج الذين صُنفوا على أنهم يمرون بالمرحلة الأولـى بالتسامح، قد عبروا عن افتراضات سلبية أكثر عن أنفسهم وعـن شـركاء حياتهم (Coop et al.,1995;Gorden,1997). وعبرت مجموعة الأزواج الـذين يمرون بالمرحلة الثالثة فى التسامح عن افتراضات أكثر إيجابية عن علاقاتهم الزواجية، ووقعت درجات الأزواج الذين صنفوا على أنهم بالمرحلة الثانيـة فى التسامح فى موقع متوسط بين درجات أزواج المرحلة الأولى والثالثـة، وبافتراض أن الخيانات تكون غير متوقعة، ويكون لها متـضمنات خطيـرة

بالنسبة لتنعم الشخص المجروح، لذلك تــصاحب العمليــة المعرفيــة التـــى وصفناها هنا مجموعة كبيرة من الانفعالات الغامرة مثل الخــوف والجُـرح والغضب، وتتناوب هذ الانفعالات غالبًا مع الشعور باللا مبالاة أو الجحــود، بالإضافة إلى ذلك، قد يجد الأفراد أنفــسهم يتــصرفون بأســاليب غريبـــة، أو مختلفة عن الأساليب المعتادة التى اعتادوا أن يتصرفوا وفقًا لها، وتحدث أنماط السلوك الراسخة جيدًا بمعدلات أعلى فى السياق الــذى يكــون لــدينا تصور واضح عن العالم من حولنا، فكل الأفراد لديها افتراضات عن الكيفية التى سيكون عليها عالمهم وعلاقاتهم، ويتوقعون من أنفسهم ومــن شــركاء حياتهم أن يتصرفوا وفقًا لهذه المعايير، فإذا تصرف أحد الزوجين بأســلوب يخرق هذه المعتقدات الأساسية، عندئذ لن تبدو السلوكيات الخاصة بــالزوج المجروح آمنة أو مفهومة بعد ذلك فلن يستطيع الزوج المجروح أن يتنبأ فيما بعد بما سيحدث.

وبذلك تكون أنماط السلوك اليومية الراسخة مثارًا للجدل والنقاش بــين الزوجين، ونتيجة لذلك تكون التفاعلات بين الزوجين مشوشة غالبًا تشويــشًا كاملاً، وسلبية بدرجة شديدة، ومن المحتمل أن تؤدى إلى إحبــاط إضـــافى وغضب، بدلاً من تولد المشاعر التى تفضى إلى الوصول إلى حل.

وبافتراض أن شعور الطرف المجروح بالأمن والثقة قد انتهك، فإنـــه يعتزل رفيقه غالبًا أو يضع مجموعة من الحواجز، أو القيــود بينـــه وبينـــه ليحمى نفسه أو نفسها، وقد يتضمن ذلك استجابات من قبيل النوم فى غرفـــة أخرى، وعدم المشاركة فى أحداث اليوم، وتقليل الاتصال الجسدى، ونظــرًا لأن العلاقة لم تعد تمنح الطرف المجروح الشعور بالأمن فإنه يــسعى إلـــى حماية ذاته أو ذاتها من التعرض إلى جُرح أو ألم آخــر، ويمكــن أن يفيــد الانسحاب فى معاقبة شريك الحياة المُسىء، وقد توصل بحثنا إلى أن الأزواج الذين صنفوا على أنهم بالمرحلة الأولى للتسامح، قد كشفت تقاريرهم الذاتية

عن اتسام علاقاتهم بأزواجهم بوجود حواجز أكثر مع استثمار أقل لهذه العلاقة، وذلك بمقارنتهم بالأزواج الذين صنفوا على أنهم بالمرحلة الثانية أو الثالثة، وعبر الأزواج بالمرحلة الثالثة عن وجود حواجز أقل فى علاقاتهم بأزواجهم، وأنهم كانوا أكثر استثمارًا لهذه العلاقة (Coop et al.,1995;Gorden,1997).

علاوة على ذلك قد يدرك شريك الحياة المجروح أن ميزان القوة فى العلاقة قد اختل، فالطرف المُسيء قد يبدو الآن على أن لديه قوة أكبر، خاصة فى قدرته أو قدرتها على إيذاء شريك الحياة المجروح، ولهذا قد يندفع فى سلوكه تجاه الطرف المُسيء متبعًا أساليب هدامة، فى محاولة لتصحيح عدم توازن القوة بينهما، أو يطالبه بأداء مهمات غير عادية، بهدف إحداث المساواة بينهما، أو أن يعوضه عما حدث، وقد توصل بحثنا إلى أن الأزواج الذين صنفوا على أنهم بالمرحلة الأولى فى التسامح عبروا من خلال تقاريرهم الذاتية عن أن أزواجهم يمتلكون قدرًا أكبر من القوة فى علاقاتهم بهم، وذلك بالمقارنة بالأزواج الذين صنفوا على أنهم بالمرحلتين الثانية والثالثة، بينما عبر الأزواج الذين صنفوا على أنهم بالمرحلة الثالثة فى التسامح عن تعادل ميزان القوة بينهم وبين أزواجهم، بمعدل أعلى من الأزواج المصنفين فى المرحلتين الأخريين (Coop et al.,1995;Gorden,1997).

وهكذا تتضمن المرحلة الأولى فى التسامح عديدًا من الاستجابات المعرفية والوجدانية والسلوكية، الناتجة عن خرق المعايير، والافتراضات الكبرى التى تقوم عليها العلاقة، وتتضمن هذه الاستجابات حاجةً قويةً لدى الطرف المجروح إلى أن يعرف ماذا حدث بالتحديد ولماذا، وخللاً وجدانيًا دالاً ناتجًا عن خرق معتقداته المتعلقة بشريك حياته وبالعلاقة الزوجية، وأنماط سلوك شاذة تعقب الشعور بالارتباك، وحاجته إلى حماية ذاته (أو ذاتها).

ويتمثل الهدف من المرحلة الثانية فى التسامح " مرحلة البحث عن معنى "، فى أن يستكشف الزوج (أو الزوجة) بعمق المبررات التى أدت إلى حدوث هذه الصدمة الشخصية، ويضعها فى سياق مفهوم، فعندما تنتهك الافتراضات والمعايير المهمة، ينبغى أن يحاول الطرف المجروح أن يفهم المبررات التى أدت إلى حدوث هذا الحدث، وبناءً على ذلك تتضمن المرحلة الثانية فى التسامح السعى إلى التوصل إلى تفسيرات، أو أسباب يمكن أن تفسر لماذا حدث هذا الحدث الصادم، إذن قد يتوصل الزوج على سبيل المثال إلى استنتاجات مختلفة تفسر لماذا تُظهر زوجته هذا السلوك مع زميلها فى العمل، ذلك السلوك الذى يدركه على أنه سلوك غير ملائم ومصطنع ، فإذا أدرك سلوكها على أنه محاولة منها لأن تكون مساندة لزميلها، الذى يعانى أزمة شخصية خطيرة فإنه قد يكون ما زال غير سعيد بسلوكها، لكنه يدرك دوافعها على أنها دوافع جديرة بالاحترام، ومن المحتمل ألا تكرر هذا التصرف بمجرد أن يتناقش زوجها معها فى هذه القضية أما إذا أدرك سلوكها على أنه مقدمة لعلاقة أبعد، وتعبير عن شوقها لإقامة علاقة غير شرعية مع زميلها، فمن المحتمل أن تكون استجابته عندئذ هى الغضب والغيرة.

ومن المفيد للأزواج أن يفكروا فى عدد من العوامل التى كانت موجودة فى السياق الذى حدثت فيه الصدمة، وأن يتأملوا كيف ساهمت هذه العوامل فى حدوث تلك الصدمة، وكثير منها تعد عوامل قريبة، ويقصد بها الظروف التى كانت موجودة وقت حدوث الصدمة، أو سابقة مباشرة لحدوثها، وتتضمن تلك العوامل كيف يمارس كل زوج واجباته الزوجية منفردًا، وحالة العلاقة الزواجية، والمثيرات الخارجية للمشقة. فعلى سبيل المثال بعد توصل الزوج إلى تفسير ملائم للحدث الصادم، قد يدرك أن

زوجته تورطت فى علاقتها غير الشرعية عندما كانت تعانى كربًا شديدًا فى عملها، و شعرت بأنها غير مرتبطة عاطفيًا بزوجها، وأن زوجها يعالج تزايد التباعد بينهما عن طريق تركيز طاقته فى عمله، وليس المقصود من هذا الفهم لوم الزوج على انشغاله عن زوجته، أو تبرير قرار الزوجة بأن تكون لها علاقة غير شرعية مع زميلها، ولكن من المهم بالنسبة للزوجة فى هذا المثال أن تتحمل مسئولية قرارها بأن تكون لها علاقة غير شرعية، وبالنسبة للزوجين أن يفهما العوامل التى كانت واضحة فى الفترة التى اتخذت الزوجة قرارها بإقامة هذه العلاقة.

وبذلك يستفيد الزوجان غالبًا من الفهم المتزايد، للكيفية التى تعلم من خلالها كل منهما أن يستجيب لمثيرات المشقة بأساليب محددة، وهذا يعنى أن فهم العوامل البعيدة، يكون مهمًا غالبًا، مثل فهم التأثيرات الارتقائية المبكرة التى تعرض لها الزوجان، وأثناء محاولة الأزواج أن يجتازوا بأنفسهم عملية التسامح، من المحتمل أن يتباينوا تباينًا كبيرًا فى قدراتهم أو محاولاتهم على فهم هذه القضايا الارتقائية، وهذا يفسر لماذا يستفيد الأزواج الذين يحاولون معالجة الصدمات، التى تتعرض لها علاقاتهم الزواجية، غالبًا من المساعدات المهنية التى يقدمها الاختصاصيون. وبناءً على ما سبق قد يدرك الزوج فى المثال السابق أن زوجته تعلمت فى سن مبكر جدًا أنها عندما تشعر بالتجاهل والمشقة، فإنه يمكنها أن تحصل على الاهتمام والتوكيد من خلال اكتساب الشعور بالاهتمام والأمن، عن طريق تكوين علاقة مع رفيق جديد، ولذلك فهذا النمط طويل المدى من التحول إلى رفقاء آخرين، كلما شعرت بالإهمال أو الهجر، قد شكل القاعدة الأساسية لعلاقتها غير الشرعية الحالية، وقد يتعلم الأزواج على نحو مماثل أن الزوج عندما شعر بعدم الملائمة أثناء نشأته، فإنه انكب على ممارسة النشاط العقلى الفردى كميدان للتنافس، يعرف أنه يمكنه أن

ينجح فيه، ويستعيد شعوره بالتقدير، وهكذا كانت استجابته الانسحابية من زوجته جزءًا من ردود أفعال متعلمة تعلماً جيدًا، لاستعادة تقديره لذاته، وهكذا يمكن أن يستفيد الأزواج غالبًا من فهم العوامل القريبة والبعيدة، وذلك عند محاولة فهم لماذا قد يتصرف أحد الزوجين بأساليب تبدو أنها تتعارض مع تحقيق التنعم للطرف الآخر، ومع عهود كل منهما تجاه الآخر.

ويصبح التقويم المعرفى المتعمق المميز لهذه المرحلة ممكنًا؛ نتيجة للتغيرات التى تحدث فى الخبرات الانفعالية للشخص، وفى هذا الوقت لا يكون واضحًا ما الذى قد يُسبب انتقال شريك الحياة المجروح إلى المرحلة الثانية فى عملية التسامح؟.

يقترح الموروث البحثى فى الانفعالات أن الأفراد غالبًا لا تكون قادرة على الاحتفاظ بمستويات استثارة انفعالية شديدة لفترة زمنية ممتدة (Selye,1975)، بينما اقترحت دراسات أخرى أن الأفراد بإمكانها الاحتفاظ بمستوى مرتفع من الاستثارة عبر فترة زمنية طويلة، ومع ذلك من الممكن أن يصبح الأفراد أكثر قدرة على إيجاد معنىً للصدمة نتيجة للتخفيض الانفعالى الذى يحدث لهم، وقد يتم التوصل لهذا المعنى عن طريق مصدرين هما:

(١) سعى الأزواج لفهم سبب حدوث هذه الصدمة.

(٢) محاولتهم اكتشاف بعض الآثار الإيجابية للحدث الصدمى على حياتهم (مثل التطور الروحى الأكبر الذى حدث لهم، والفهم الأفضل للحياة، وعلى المستوى المعرفى يساعد هذا المعنى المستخلص للصدمة الضحايا على إعادة بعض الشعور بالتحكم فى حياتهم، فمعرفة المبررات التى أدت إلى حدوث ما حدث، تمنح الزوجين القدرة على أن يحاولا أن يمنعا هذا الحدث من أن يحدث مرة أخرى، وقد تمنحهما الشعور بالأمان الذى يكونان فى حاجة إليه لكى يواصلا حياتهما، ومن المنظور المعرفى يمكن أن يسهم

التوصل إلى أسباب دقيقة وشاملة يُعزى إليها الحدث الصدمى فـــى ارتقـــاء توقعات أو تنبؤات جديدة عن المستقبل، فبدون فهم الأسباب التى أدت إلـــى حدوث هذا الحدث، يكون من الصعب أن نتنبأ بما إذا كـــان هـــذا الحـــدث سيحدث فى المستقبل أم لا، وعلى المستوى الوجدانى قد يتيح التوصل إلـــى فهم جديد للأسباب التى أدت إلى حدوث الخيانة، يتيح للطرف المجـــروح أن يعايش قدرًا أكبر من التفهم لرفيقه الخائن، خاصة عندما يصبح واضحاً أنـــه (أو أنها) كان أو كانت تتصرف وفق إساءاتها الشخصية السابقة، وهذا التفهم قد ييسر تباعًا التوصل إلى فهم للأسباب التـــى أدت إلـــى حـــدوث الحـــدث الصادم، ويزيد رغبة الطرف المجروح فى أن يتخلى طواعية عن حقه فـــى أن يعاقب رفيقه أو رفيقته.

وهكذا، تتميز المرحلة الثانية فى عملية التسامح بوجود حاجة قوية لفهم لماذا حدث الحدث الصادم، ولإكسابه معنى؛ فينبغى أن يعاد بناء المعتقـــدات التى اختُرقت – المتعلقة برفيق الحياة والعلاقة الزوجية– بأسلوب هادف قبل أن يشعر الطرف المجروح أن بإمكانه أن يواصل الحياة، وقد زودنا الفحص الحديث لكتابات الأزواج التى تصف عملية التسامح، زودنا ببيانات تتسق مع هذا الفرض (Gorden,Pautsch,&Baucom,1996)، فتم التنبؤ بالتـــسامح الكلـــى لدى المشاركين، والذى عبروا عنه فى تقاريرهم الذاتية من خلال وصـــفهم للتسامح المتضمن كمًا كبيرًا من المعالجات المعرفية للحدث، ومن التغيـــرات الحادثة فى الأسباب التى يُعزى إليها.

وننتقل إلى المرحلة الثالثة فى عملية التسامح، وهى مرحلة "الانتقال"، وينبغى أن يتجاوز الشخص المجروح – شأنه شأن ضحايا الصدمة – فى هذه المرحلة الحدث الصادم ولا يسمح له أن يسيطر على حياته أو حياتها. وفـــى الصياغات الحديثة للنموذج يتضمن التسامح مواصلة الحياة عن طريق كـــف الانفعالات السلبية عن التحكم فى أفكار وســـلوكيات الطـــرف المجـــروح،

وتخليه عن حقه فى أن يعاقب رفيقه المُسىء، ويعنى إيجاد معنـــى للحــدث الصادم فى المرحلة الثانية للتسامح أن الزوجين ينبغى عليهما أساسًا أن يعيدا تقويم علاقتهما الزواجية، وقد تعنى إعادة التقويم أحيانًا تعديل العلاقة باتباع أساليب هادفة، وفى حالة العلاقات المدمرة ينبغى أن يتخذ الزوجــان قــرارًا فيما يتعلق بما إذا كانوا يرغبون فى أن تستمر العلاقة بينهما أم لا؛ ويكــون هذا القرارغالبًا مهمًا فعلاً بعد تعرض العلاقة الزواجية لصدمات من قبيــل الإساءة الجسدية، أو التورط فى علاقات غير شرعية، ومن المنظور النفسى، لا يوجد فى عملية التسامح ما يتطلب التصالح، بالإضافة إلى ذلك لايتطلــب التسامح أن يختفى الغضب تمامًا، ففى الحقيقة من المتوقــع أن الانفعــالات والأفكار التى ارتبطت بالحدث الصادم ستعاود الظهور، علــى نحــو يــشبه الارتجاع flashbacksالذى يحدث فى اضطراب ما بعد الصدمة الانعــصابى (PTSD) (posttraumatic stress disorder)، ومع ذلــك فــإن هــذه الأفكــار والمشاعر لم تعد شديدة أو مدمرة كما كانت من قبل. وينبغى على الطــرف المجروح أن ينظر للأمام، ويواصل حياته، بدلا من الاســتغراق فــى هــذه الأفكار والمشاعر السلبية. ولكى يحدث ذلك فإنه يحتاج أن ينجز ثلاثة أهداف فى نهاية هذه المرحلة الثالثة، وهذه الأهداف هى:

(١) تطوير تصور واقعى ومتوازن عن العلاقة.

(٢) تعلم التحرر من تحكم الانفعال الــسلبى فيــه، أى التحــرر مــن المشاعر السلبية التى يكنها للطرف المسُىء.

(٣) التخلى طواعية عن حقه فى أن يعاقب الطــرف المُــسىء علــى سلوكه السىء.

وبالإضافة إلى ذلك من المهم أن نلاحظ أن هــذا التعريــف للتــسامح لا يتطلب من الطرف المجروح أن يُعايش مشاعر إيجابية تجاه رفيق الحيــاة الخائن، ونحن نعتقد أن هذه المشاعر ربما تكون مستحيلة فى بعض الحالات، وبدون شك قد تكون القدرة على معايشة مشاعر الشفقة والدفء تجاه المُسىء

أفضل ناتج يمكن تحقيقه على نحو مثالى من عملية التسامح. على الرغم من أننا نعتقد أن تولد هذه المشاعر الإيجابية لا يُعد ضروريًا لحدوث التسامح، ونحن نحتاج إجراء مزيد من البحوث لاختبار هذا الفرض.

ويتسق هذا التعريف الأخير مع تعريف الحالة النهائية للتسامح فى معظم النظريات الكبرى للتسامح (Enright et al.,1991;Rosenak&Harnden, 1992;Smeds,1984)، وقد حاول برنامجنا البحثى أن يجد دعمًا إمبريقيًا لهذا التعريف للتسامح، فتم تحليل كتابات الناس التى يصفون من خلالها كيف تسامحوا مع أزواجهم، وتم عمل نظام تحليل رمزى لهذه الكتابات وذلك وفقًا للآتى:

(١) تكافؤ الانفعالات (إيجابى – حيادى أو سلبى) تجاه رفيق الحياة المُسىء.

(٢) تكافؤ التفاعلات بين الزوجين.

(٣) أنماط العزو التى يفسران من خلالها الحدث السلبى، وتتحدد فى ضوئها مدى مسئولية الطرف المسىء عما اقترف، ومدى قصدية فعل الإساءة.

(٤) المستويات الثلاث المختلفة للمعالجة المعرفية للحدث الصادم، وقد تنبأت هذه المعالجات الترميزية، وبدرجة دالة بانفعالات الطرف المجروح تجاه رفيقه، والتفاعلات بينهما، وأنماط عزو المسئولية، والقصدية التى يفسران فى ضوئها الحدث الصادم، وتنبأت التحليلات الترميزية للانفعال والسلوك وأنماط العزو –تباعًا –وبدرجة دالة بمستويات التسامح لديهما(Gorden et al.,1996)، وقد قدمت لنا هذه النتائج أكبر دليل مباشر على أن المعالجة النشطة لحدث الخيانة والتفكير فيه يرتبطان بالانفعالات والسلوكيات الأكثر إيجابية تجاه رفيق الحياة، ويرتبطان كذلك بالإدراكات المتوازنة والمعرفة الأقل اتسامًا باللوم المتعلقة بحدث الخيانة،كما ترتبط هذه المكونات الثلاثة: المعرفية والوجدانية والسلوكية تباعًا بالتسامح.

الاستراتيجيات العلاجية :

بناءً على هذا النموذج والدلائل الإمبريقية التى اشتُقّت من بحثنا الأساسى، قمنا بتقويم فعالية الأسلوب العلاجى المصمم لمساعدة الأزواج فى التغلب على الآثار السلبية التى ترتبت على الخيانة، ذلك الحدث الذى ينتهك المعايير ،والافتراضات المهمة للعلاقة الزواجية ؛ ولذلك يتطلب التسامح، ويتضمن العلاج إحداث تكامل بين الاستراتيجيات المعرفية -السلوكية، التى وُصفت فى إطار العلاج الزواجى المعرفى – السلوكى (Baucom&Epstein,1990)، واستراتيجيات العلاج القائم على الاستبصار الموجه التى وُصفت فى دراسة العلاج -النواتج التى أجراها سنيدر Snyder وويلز Wills سنة (١٩٨٩). ويتطابق أسلوبنا العلاجى مع نموذج التسامح ذي المراحل الثلاث الذى قدمناه، وتستهدف كل مرحلة فى العلاج تناول قضايا ومشكلات خاصة بمرحلة من المراحل الثلاث فى عملية التسامح.

ويقترح النموذج أن الزوجين فى المرحلة الأولية فى التسامح يحاولان غالبًا أن يُقدّرا تأثير الخيانة، وكبح الانفعال السلبى المرتبط بها ؛ وبذلك يساعدهما العلاج على تطوير المهارات التى تكبح انفعالاتهما السلبية وتنظمها، ويتناقش كل منهما مع الآخر على نحو فعال التأثير الذى أحدثته الخيانة عليهما، ولهذا يستخدم المعالج فى الجلسات العديدة الأولية استراتيجيات معرفية سلوكية نموذجية لمساعدة الأزواج على:

(١) تحديد الحواجز الملائمة التى تحيط بكل منهما على حدة، وبهما كزوجين.

(٢) التحكم فى انفعالاتهم.

(٣) التعبيرعن تأثير الخيانة فى حياتهما، وتحديد ردود أفعالهما تجاه هذا. وقد قدمنا فى موضع سابق صياغة نظرية لعملية التسامح، شبيهة

بالصياغات النظرية التى تناولت الاستجابات الصدمية، وشرحنا مفهوم الارتجاع، ونعود لتناوله هنا، فتستثير المنبهات العديدة التى تعد بمثابة هاديات تذكر لحدث الخيانة، تستثير استجابات انفعالية مبالغ فيها من قبل الطرف المجروح، وهذه الاستجابات تماثل الارتجاعات الخاصة باضطراب ما بعد الصدمة الانعصابى (PTSD)، وبمجرد أن يفهم الزوجان هذه الظاهرة، فإنهما يُشجعان على تطوير أساليب أكثر فاعلية للتعامل معها.

ويتحول العلاج أثناء المرحلة الثانية إلى منحى الاستبصار الموجه، حيث يحاول الزوجان أن يفسرا لأنفسهما لماذا حدثت الخيانة، ويفحصا الظروف الحالية المباشرة (العوامل القريبة) التى سبقت حدوث فعل الخيانة، والظروف الارتقائية(العوامل البعيدة) الخاصة بكل منهما، وبالعلاقة التى تربطهما معًا، والتى قد تكون ساهمت فى حدوث الخيانة، ويكون المظهر الارتقائى فى هذا العلاج حاسمًا غالبًا، ويعرف الزوجان الآن فى الغالب معلومات تتعلق بعلاقتهما، أو يمتلكون حرية الوصول إليها، وقد تكون هذه المعلومات أثرت على قرار الطرف المسيء باقتراف فعل الخيانة، ولكن يكون الأزواج فى أحيان كثيرة غير مدركين الحاجات أو الدوافع الأعمق، أو غير المقبولة فى ضوء التاريخ السابق لشركائهم، والتى قد تكون مارست تأثيرها على سلوكهم الحالى، وينتج عن اكتساب هذا الفهم الجديد غالبًا زيادة مشاعر الشفقة تجاه رفيق الحياة، وزيادة القدرة على احتمال على أخطائه أو أخطائها، وبناءً على ما سبق صُمم أسلوبنا العلاجى لكى يساعد الزوجين على:

(١) أن يستكشفا هذه العوامل المسهمة فى حدوث فعل الخيانة، فى ظل بيئة محايدة ومساندة ومنظمة.

(٢) وأن يُظهر كل منهما فهمًا وتفهمًا للآخر إلى أقصى درجة ممكنة.

(٣) وأن يحاولا تغيير أية قضايا سلبية أو مثيرة للخلاف، يكونان قد حدداها على أنها من العوامل المسهمة فى اتخاذ أحد الزوجين قرارًا بالتورط فى الخيانة.

وأخيرًا، يصبح العلاج مركزًا مرة أخرى بشكل أكبر على الحاضر والمستقبل، حيث يتطلب فى المقابل استخدام استراتيجيات معرفية -سلوكية أكثر، وعندما يبدأ الزوجان في فهم لماذا حدثت الخيانة، فإنهما يحتاجان إلى أن يُقيّما قابلية علاقاتهما الزواجية للاستمرار، ومدى إمكانية إحداث تغير إيجابى فى سلوكهما، وجدية تعهداتهما لأن يسعيا معًا إلى إحداث التغير المنشود، علاوة على ذلك تصبح عملية التسامح فى هذه المرحلة بؤرة اهتمام الأسلوب العلاجى، فيُشرح للزوجين كيف أنهما حققا التسامح عندما انتظما فى هذا العلاج، وتفحص المعتقدات الخاطئة عن التسامح لدى الزوجين ومدى مقاومتهما للعلاج، أو أية معوقات أخرى تعرقل مواصلة هذه العملية، ثم يساعدهما هذا الأسلوب العلاجى على تقويم المظاهر المهمة لعلاقتهما الزواجية، وذلك لكى يتخذا قرارًا مدروسًا جيدًا بما إذا كان يرغبان فى أن يستمر زواجهما أم لا، وبناءً على هذا القرار إما أن يستمر الزوجان فى العمل على إعادة بناء علاقتهما ،أو يتلقيا دعمًا وتوجيهًا من المعالج أثناء اتخاذهما الإجراءات الضرورية لإنهاء العلاقة الزوجية، على أن يحتفظا بجهودهما الرامية إلى زيادة فهم الحدث الصادم (الخيانة الزوجية) الذى يحدث فى إطار العلاقة الزوجية والتسامح بشأنه، وذلك لكى يواصلا حياتهما المستقلة.

متضمنات نموذج التسامح ذو المراحل الثلاث :

تكون نظريات السلوك الإنسانى القائمة على افتراض مراحل للسلوك مفيدة فى إعادة النظام إلى مجموعة الاستجابات المعرفية، والوجدانية، والسلوكية التى تبدو عشوائية، وتحدث عبر فترة طويلة من حياة الفرد،

وبالإضافة إلى أنها يمكن أن تكون ذات قيمة مدعمة كبيرة فى تزويدنا بفهم للأحداث المركبة ،وبالنسبة للاختصاصيين العياديين عند التخطيط لاستخدام أساليب التدخل العلاجى الملائم، ومع ذلك معظم النظريات التى تتبنى منظور المرحلة تفرط فى تبسيط الثراء المركب الذى تتسم به الوظائف الوجدانية والسلوكية، فسلوك الإنسان يظهر غالبًا بشكل مستمر، وتدريجى بدلاً من أن يحدث فى مراحل منفصلة، بالإضافة إلى ذلك تفترض نظريتنا فى التسامح حدوث الحدث الصادم (الخيانة)، ومرحلة زمنية لتجاوزه من خلال عملية التسامح ،وهذه المرحلة تكون بطبيعتها مشوشة وغير منتظمة، وربما يكون من المثالى أن نطالب بالتعامل مع عدم الانتظام هذا بأسلوب منظم، فعلى سبيل المثال فى سياق الاستجابة للحدث الصادم، تتضمن ظاهرة التكرار حدوث ارتجاعات للحدث الصادم، حيث يعانى الشخص الحدث الصادم مرة أخرى بأشكال انفعالية حادة، وتحدث هذه الارتجاعات من خلال المنبهات التى ترتبط بالحدث الصادم الأصلى (مثل قيام شخص ما بوضع السماعة عندما تقوم الزوجة بالرد على المكالمات التليفونية، وذلك عقب تورط زوجها فى الخيانة الزوجية)، وحدوث هذا الارتجاع، ومعايشة الحالة الانفعالية المصاحبة له مرة أخرى، يمكن أن يكون مربكاً جدًا للزوج (أو الزوجة) الذى يبدو أنه يحرز تقدمًا خلال مواصلة عملية التسامح، وبناء على ذلك يجب على أية نظرية فى التسامح مبنية على مفهوم المرحلة، أن تسلم بأن كل الأفراد لن تحرز تقدمًا خلال عملية التسامح بنمط مماثل، وينبغى أن تسمح بحدوث ارتداد لمرحلة سابقة خلال التقدم فى عملية التسامح، ويستثار هذه الارتداد فى أحيان كثيرة من خلال ارتجاع الحدث الصادم، وعلى الرغم من هذه التحذيرات، يبدو أن هناك بعض الأنماط العامة التى تحدث بقدر كاف من الانتظام، بما يجعلنا نقترح أن نموذج التسامح الذى وصفناها هنا، يزودنا بوسائل مفيدة للتدخل العلاجى للأحداث الصدمية والمؤلمة، التى يتم تناولها فى إطار العلاج الزواجى.

خلاصة:

لقد حدثت زيادة فى النظريات والبحوث والتطبيقات الإكلينيكية للتسامح خلال السنوات الأخيرة، وبدرجة دالة، وعلى الرغم من ذلك فإن هذا التقـــدم يتسم بأنه بطىء فى النمو، ففى كل مجال من هذه المجالات، لا تزال توجـــد حواجز تحول دون استخدام مصطلح التسامح، ففى سياق الباحثين المعنـــين بدراسة العلاقات الزواجية، عُرقل إجراء بحوث فى التسامح لمبررين علـــى الأقل: أولاً ينظر للتسامح على نحو نموذجى على أنه تكوين روحى مـــشتق غالبًا من السياق الدينى، أو يعد مفهومًا محورياً فيه، وتقترح دراسة حديثـــة أنه من الأكثر احتمالاً أن يـــستخدم التـــسامح مـــن خـــلال الاختـــصاصيين الإكلينيكين الذين لديهم توجه دينى، بمعدل أعلى، وذلك بالمقارنة باســـتخدام أولئك الباحثين الذين ليس لديهم أية معتقدات دينيـــة (DiBlasio&Benda,1991) له، وتوحى هذه النتائج أن رفض التسامح كاستراتيجية مفيدة إكلينيكيًا يمكـــن أن يُبنى جزئيًا على أساس المعتقدات غير الدينية للمعالجين، والتى مؤداها أن التسامح يمكن أن يفهم من الوجهة الدينية فقط. ثانيًا أن التسامح من التكوينات التى تتسم بأنها طبيعية أو غير واضحة (Prager,1995)، والمفهوم الطبيعـــى هو " ذلك المفهوم الذى تكون الحدود التى تفصل المفردات التى تنتمى إلـــى فئة هذا المفهوم عن المفردات التى لا تنتمى إليـــه، تكـــون غيـــر واضـــحة (Prager,1995,p.14)، وتختلف المفاهيم الطبيعية عـــن المفـــاهيم المنطقيـــة؛ فالمفاهيم المنطقية هى تلك المفاهيم التى تتضمن قائمة بالخصائص المميـــزة للمفهوم، والتى تعد ضرورية، وكافية لتضمين المفردات التى تتسق وفقًا لهذه الخصائص مع هذا المفهوم، كما يتضمن الخصائص الفارقة التى يـــتم فـــى ضوئها استبعاد مفردات لا تتسق مع هذا المفهـــوم (Cantor&Mischel,1979)،

ويعتمد معظم الباحثين على المفاهيم المنطقية، وإذا كان المفهــوم لا يمكــن تعريفه إجرائيًا بوضوح، فإنه فى أحيان كثيرة لا يُدرس.وتتطلب التكوينــات الطبيعية أو غير الواضحة مجموعة مختلفة من الافتراضات، وكمــا لاحــظ براجر Prager، لا تتميز التكوينات الطبيعية بوجود قوائم محددة من الظروف الضرورية، والكافية التى تيسر تحديد المفردات التى تنتمى إليها، عن تلــك التى تختلف عنها، ولكن بدلا من ذلك تكون بطبيعتها أكثر احتمالية، وتبــدو بعض الخصائص المميزة أكثر محورية بالنسبة للتكوين، وتظهر لدى معظم المفردات فى الفئة التصنيفية. وبالنسبة لمفاهيم التسامح مثلاً يبدو من المحتمل أن خاصية " المواصلة " من الخصائص المحورية نسبيًا فى عملية التــسامح ولاتزال خصائص أخرى مندرجة ضمن التكوين الطبيعى، وكلما أصــبحت الخصائص أقل محورية فإن الحواجز التى تفصلها عــن تكوينــات أخــرى تصبح غير واضحة، وبالنظر إلى التسامح قد لا يكون المرء متأكدًا فى أحيان كثيرة من أن التسامح قد حدث فعليًا أو أن الزوج المجروح قد تقبل ما حدث فحسب، وما إذا كان للتسامح، والتقبل حواجز واضحة تميز بينهما، وعلــى الرغم من أن معظم النظريات فى التسامح تزودنا بقــوائم لمراحــل عمليــة التسامح أو خصائصها، فإنه يبدو غير محتمــل أن توجــد قائمــة محــددة بالظروف الضرورية والكافية اللازمة لحدوث التسامح مستقبلاً.

ويقترح النموذج الحالى علاج هذه المــشكلات عــن طريــق إدمــاج التسامح ضمن إطار نموذجين نظريين سابقين فــى العلاقــات الزواجيــة، والعلاج الزواجى، ويزودنا هذا الدمج بتفسير للتسامح باســتخدام تكوينــات نظرية، تم التحقق من صدقها بالفعل من خلال البحث الإمبريقى. وقد ييــسر استخدام هذه التكوينات النظرية المألوفة إجراء بحوث فى عملية التسامح على

يد الباحثين المتخصصين، علاوة على ذلك يزيد استخدام هذه التكوينات من خصوصية النموذج، وذلك من خلال تحديد الأفكار، والسلوكيات، والانفعالات المميزة التى قد تُلاحظ أثناء عملية التسامح، ومتى قد تحدث، وهذه الخصوصية قد تقلل عدم الوضوح الذى يكتنف التسامح، وتوضح للباحثين والاختصاصيين الإكلينيكين على حد سواء التكوينات النظرية المهمة التى تكمن خلف التسامح، والآليات التى يحدث التسامح من خلالها.

وبمجرد أن نتغلب على عدم وضوح تكوين التسامح، فإن الباحثين يدرسونه إمبريقيًا. وقد تسبب الخلط الذى شاب مفهوم التسامح، والمتعلق بماهيته فى أن بعض المعالجين ينتقدون استخدامه فى العلاج، وقد نجد أساس سوء الفهم هذا فى التصورات البسيطة لبعض الناس، للنصائح التقليدية الواردة بالتوراة المتعلقة بالتسامح، من قبيل " أدر خدك الآخر" أو " ينبغى أن تسامح سبع وسبعين مرة " ، فمثل هذه العبارات يساء تفسيرها، بحيث تعنى أن المرء ينبغى أن يسامح كل السلوكيات، وأن يفعل ذلك دون تَحَفُّظ، ويؤكد منظرون آخرون أن التصالح هو الشكل النهائى أو المثالى للتسامح، ويتضمن ذلك أن التسامح لا يكون كاملاً إذا لم يجتمع شمل المُساء إليه مع المُسيء (Pattison,1965;Smedes,1984) وكان لهذه المعتقدات المتعلقة بالتسامح متضمنات سلبية، على وجه التحديد بالنسبة للمعالجين النفسيين الذين يعالجون الأزواج الذين أُسيئت معاملتهم. فقد وجد كاتز Katz وستريت Streer أريز Arias سنة (١٩٩٥) أن النساء اللاتى أُسيئت معاملتهن وعبرن عن أنهن كن أكثر تسامحًا مع أزواجهن، كان من الأكثر احتمالاً أن يعدن إلى الموقف المُسيء مرة أخرى، ولهذا لن يكون مثيرًا للدهشة أن نجد المعالجيين النفسيين المتعاملين مع هذا الجمهور يقاومون تشجيع هؤلاء الضحايا على التسامح.

ولكن يقترح نموذجنا فى التسامح، والنماذج النظرية الأخرى منحىً مختلفًا للتسامح، فعندما يفهم الأشخاص الذين أُسيئت معاملتهم التسامح على أنه وسيلة للانصراف الذهنى عن المرارة والغضب، بطريقة آمنة وواقعية، فعندئذ قد يبدو التسامح أفضل حل لهذا الجمهور أيضًا، وينبغى أن تكون النقطة الأساسية الحاسمة فى هذا التطبيق، هى التأكد من أن الشخص المجروح يفهم أن التسامح لا يعنى التصالح، فيمكن أن تسامح الزوجة التى أُسيئت معاملتها رفيق حياتها، ولكن هذا لا يعنى أنها ينبغى أن تعود مرة أخرى إلى الموقف غير الآمن.

وهناك معتقد آخر عن التسامح شائع ومثير للجدل، خاصةً بالنسبة للأفراد الذين يتعاملون مع عملاء أُسيئت معاملتهم، ويتمثل فى أن التسامح يعنى الضعف، وأنه لا يسمح للعملاء بأن يعبروا بشكل ملائم عن آلامهم وحقوقهم، ولسوء الحظ يُدرك التسامح فى أحيان كثيرة على أنه ترك المُسيء يفلت بفعله السيء دون أن يطالب بأى شيء، أو أنه التغاضى عن المشكلة، ويتبنى العملاء أيضًا هذه الوجهة من النظر، وقد قاوم إينريت Enright وإيستين Eastin وجولدن Golden وسارينو بولوس Sarinopoulos هذا المعتقد من خلال تأكيد أن التسامح، إذا استخدم على نحو ملائم يمكن أن يكون له تأثير شاف، فإذا أدرك المرء التسامح على أنه عملية، وفحص بعناية مختلف نماذج التسامح القائمة على مفهوم المرحلة، فإنه يصبح واضحًا بالنسبة له أن التعبير الملائم عن الغضب والانفعالات السلبية الأخرى، تعد جزءًا محوريًا فى عملية التسامح. بالإضافة إلى ذلك تتضمن عملية التسامح إعادة اكتساب نظرة واقعية عن شريك الحياة، حيث أنه يمتلك خصالاً إيجابية وسلبية، وتجعل عملية التسامح المرء قادرًا على فحص ذاته عن كثب ورفيق حياته وعلاقته الزوجية، وهذا من شأنه أن يقوى الأفراد، ويزودهم بمعلومات مهمة عن العالم من حولهم، وهكذا لا يحتاج التسامح على أن يُنظر له على أنه ضعف، ولكنه ضرورى وصحى لإقامة علاقات أكثر فاعلية.

وتلخيصًا لما سبق: يعد التسامح مفهومًا من المفاهيم التى يكون من المحتمل أن يكثُر استخدامها من قبل الباحثين المعنيين بالعلاقات الزواجية، والمعالجيين النفسيين، والعملاء. وتقدم مناحى العلاج المعرفى السلوكى الزواجى، ومناحى العلاج الزواجى القائم على الاستبصار الموجه عددًا من الإسهامات المهمة؛ لفهم هذه العلاقات المركبة، ولكنها غير كاملة فى تناولها لاستجابة الزوج "أو الزوجة " للخيانة الشخصية الخطيرة، ويشكل التسامح مفهومًا حاسمًا ومركزيًا، لفهم وتفسير الصدمة الشخصية ،وبالرغم من ذلك يُقابل استخدامه فى علم النفس المعاصر بمقاومة كبيرة من قبل الباحثين، ومن المحتمل أن تقل هذه المقاومة، عندما يطور الباحثون المعنيون بدراسة التسامح نموذجًا أكثر وضوحًا، يكون متخصصًا بقدر كافٍ، لكى يدفع البحوث الإمبريقية إلى تقديم دعم أكبر لهذا التكوين النظرى، بالإضافة إلى ذلك، إذا عرّف الباحثون المعنيون التسامح تعريفًا أكثر وضوحًا، وزودونا بدليل إمبريقى على أن هذه العملية صحية ومرغوبة فى عدد من السياقات، فإنه يكون من المتوقع أيضًا أن تقل مقاومة الاختصاصين الإكلينيكين. ويمكن أن ييسر النموذج المعروض هنا تحقيق هذه الأهداف من خلال:

(١) تزويدنا بنموذج واضح ومتخصص فى التسامح ذي مراحل ثلاث.

(٢) ربط هذا النموذج بالمناحى السابقة الصادقة للتدخل العلاجى مع الأزواج المكروبين.

(٣) تزويدنا ببرنامج دائم للبحث يُدعم إمبريقيًا تعريف عملية التسامح تعريفًا واضحًا.

المراجع

- Abrahm –Spring, J.,With Spring, M.(1996).After the affair: Healing the pain and rebuilding trust when a partner has been unfaithful. New York: Harper Collins.

- Baucom, D.H., &Epstein, N.(1990).Cognitive –behavioral marital therapy. New York ,NY: Brunner /Mazel.

- Baucom ,D.H., Epstein, N., Rankin,L.A., &Burnett, C.K.(1996) Assessing relationship standards: The Inventory of Specific Relationship Standards. Journal of Family Psychology ,10,72-88.

- Baucom,D.H. ,Epstein,N., Sayers,S. ,&Sher, T.G.(1989).The role of cognitions in marital relationships: Definitional ,methodological , and conceptual issues. Journal of Consulting and Clinical Psychology ,57,31-38.

Baucom,D.H.,Shoham,V.,Mueser,K.T.,Daiuto,A.D.,&Stickle,T.R.(1998).Empirically supported couples and family therapies for adult problems.Journal of Consulting and Clinical Psychology,66,53-88.

- Bennun,I.(1985a). Behavioralmarital therapy: An outcome evaluation of conjoint, group and one spouse treatment.Scandinavian Journal of Behavior Therapy,14,157-167.

- Bennun,I.(1985b).Prediction and responsiveness in behavioral marital therapy.Behavioral Psychotherapy,13,186-201.

- Boszormenyi-Nagy,I.,Grunebaum,J.,&Ulrich,D.(1991).Contextual Therapy.In A.S.Gurman & D.P.Kniskern (Eds.),Handbook of family therapy (Vol.2,pp.200-238).New York: Brunner/Mazel.

- Bradbury,T.N.,&Fincham,F.D.(1990).Attributions in marriage: Review and critique. Psychological Bulletin, 107 ,3-33.

- Cantor,N.,&Mischel ,W.(1979). Prototype in person perception.Advances in Experimental Social Psychology,12, 3-52.

- Coop,K.L.,Baucom,D.H.,&Daiuto,A.(1995,November). emystifying forgiveness: A cognitive –behavioral stage model.In D.H. Baucom (Chair) ,Four FACTs of Marriage: Forgiveness, Acceptance, Commitment , and Trust ,presented at the Annual Conference of the Association for the Advancement of Behavior Therapy,Washington,DC.

- DiBlasio,F.A.,&Benda,B.B.(1991).Practitioners,religion and the use of forgiveness in the clinical setting.Journal of Psychology and Christianity ,10,166-172.

- Enright R.D., and the Human Development Study Group.(1991).The moral development of forgiveness.In W.Kurtines& J.Gewirtz (Eds.), Hanbook of moral behavior and development (Vol.1,pp.123-152).Hillsdale ,NJ: Erlbaum.

- Enright,R.D.,Eastin,D.L.,Golden,S.,Sarinopoulos,I.,&Freedman,S.

(1992).Interpersonal forgiveness within helping professions: An attempt to resolve differences of opinion. Counseling and Values,36,84-103.

- Epstein,N.,&Eidelson,R.J.(1981).Unrealistic beliefs of clinical couples: Their relationship to expectations, goals and satisfaction. American Journal of Family Therapy ,9(4),13-22.

- Fenell,D.L.,(1993).Characteristics of long –term first marriages.Journal of Mental Health Counseling,15(4),446-460.

- Freedman,S.R.,&Enright,R.D.(1996).Forgiveness as an intervention goal with incest survivors.Journal of Consulting and Clinical Psychology ,64,983-992.

- Glass,S.,&Wright,T.(1997).Reconstructing marriages after the trauma of infidelity.In W.K. Halford & H.J. Markman(Eds.).Clinical handbook of marriage and couples interventions (pp.471-507).Chichester, UK:Wiley.

- Gorden,K.C.(1997).Demystifying forgiveness: A cognitive –behavioral stage model.Unpublished doctoral dissertation,University of North Carolina-Chapel Hill ,Chapel Hill.

- Gorden,K.C.,& Baucom,D.H.(1999). Understanding betrayals in marriage : A synthesized model of forgiveness.Family Process, 37(4),425-450.

- Gorden,K.C.,&Baucom,D.H.(in press-b).A forgiveness-based intervention for addressing extramarital affairs. Clinical Psychology: Science and Practice.

- Gorden,K.C.,Pautsch,J.,&Baucom,D.H.(1996,November).Perceptions of forgiveness: Acoding system.Poster presented at the Annual Conference of Association for the Advancement of Behavior Therapy ,New York,NY.

- Hargrave ,T.D.,&Sells,J.N.(1997).The development of a forgiveness scale.Journal of Marital and family Therapy ,23,41-63.

- Hebal ,J.H.,&Enright,R.D.,(1993).Forgiveness as sychotherapeutic goal with elderly females. Psychotherapy 30,658-667.

- Holeman,V.T.(1994).The relationship between forgiveness of a perpetrator and current marital adjustment for female survivors of childhood sexual abuse.Unpublished doctoral dissertation ,Kent State, University Graduate School of Education,Kent,OH ,

- Janoff- Bulman,R.(1989).Assumptive worlds and the stress of traumatic events: Applications of the schema construct.Social Cognition ,7,113-136.

- Joseph,S.,Yule,W.,&Williams,R.(1993).Post –traumatic stress: Attributional aspects. Journal of Traumatic Stress,6(4),501-513.

- Katz,J.,Street,A.,&Arias,I.(1995,November).Forgive and

Forget: Women' s responses to dating violence. Poster presented at the Annual Conference of the Association for the Advancement of Behavior Therapy,Washington,DC.

- McCann,I.L.,Sakheim,D.K.,&Abrahmson,D.J.(1988).Trauma and victimization: A model of psychological adaptation.Counseling Pscholoist, 16,531-594.

- McCullough,M.E.,Worthington ,E.L.,&Rachal ,K.C. ,(1997).Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology ,73(2),321-336.

- Notarius,C.I.,&Vanzetti,N.A.(1983).The marital agendas protocol.In E.E. Filsinger (Eds.),Marriage and family assessment: Asourcebook for family therapy (pp.209-227).Beverly Hills,CA: Sage.

- Pattison,E.M.(1965).On the failure to forgive or to be forgiven.American Journal of Psychotherapy ,31,106-115.

- Prager,K.J.(1995).The psychology of intimacy. New York: Guilford Press.

- Rackley ,J.V.(1993).The relationships of marital satisfaction ,forgiveness,and religiosity. Dissertation Abstracts International ,54(4-A), 1556.(University Microfilms No.DA9319792).

- Robinson,E,A.,&Price ,M.G.(1980).Pleasurable behavior in marital interaction: An observational study.Journal of Consuling and Clinical Psychology,48,117-118.

- Rosenak ,C.M., &Harnden ,G.M.(1992).Forgiveness in the psychotherapeutic process: Clinical applications.Journal of Psychology and Christianity,11,188-197.

- Selye,H.(1975).Implications of the stress cocept.New York State journal of Medicine ,75, 2139-2145.

- Smedes ,I.B.(1984).Forgive and forget: Healing the hurts we don t deserve. New York : Harper& Row.

- Snyder,D.K.(in press). Affectivereconstruction in the context o a pluralisticapproach tocouples therapy. Clinical Psychology: Science andpractice.

- Snyder,D.K.,&Wills,R.M.(1989).Behavioral versus insight-oriented marital therapy: Effects on individual and interspousal functioning.Journal of Consulting and Clinical Psychology,57,39-46.

- Snyder,D.K., Wills,R.M.,&Grady-Fletcher,A.(1991a).Long- term effectiveness of behavioral versus insight –oriented marital therapy: Afour year follow –up study.Joumal of Consulting and Clinical Psychology,59,138-141.

- Snyder,D.K.,Wills,R.M.,&Grady-Fletcher,A.(1991b).Risks and challenges of long –term psycholotherapy outcome research: Reply to Jacobson.Journal of Consulting and Clinical Psychology,59146-149.

- Woodman,T.A.(1992).The role of forgiveness in marriage and marital adjustment. Dissertation Abstracts International ,53(4-B),2079.(University Microfilms No.DA9225999)

الفصل الحادى عشر

أساليب التدخل الجماعى التى تستهدف تعزيز التسامح
ما يجب أن يعرفه الباحثون والاختصاصيون العياديون

تأليف: إيفرت ورثنجتون وستيفن سانداج
وجاك بيرى

تضمنت معظم البحوث العلمية التى عنيت بالكشف عن نواتج التسامح، استخدام أساليب تدخل مع مجموعات خاصة من المشاركين، فالأفراد الذين قد يكون لديهم مشكلة شائعة، أو لا يكون لديهم مشكلة يحضرون معًا مع ميسر a facilitator، أو معالج نفسى، أو قائد، وتبذل محاولة لتعليمهم كيف يتسامحون بشكل أفضل مع الشخص الذى آذاهم، أو أساء إليهم.

وقد شكلنا فى معملنا مجموعات عديدة مثل هذه المجموعات ،ومعظمها كانت مجموعات نفسية- تربوية، مُشكلة من طلاب الجامعة، وقمنا أيضًا بإجراء تدخلات مع جمهور من الأزواج (Ripey,1998)، وبناءً على خبرتنا بمثل هذه المجموعات، ومن خلال مراجعة الدراسات المنشورة والدراسات الأخرى المتاحة، والتى استهدفت تعزيز التسامح لدى الجماعات، فإننا نقدم اقتراحات عديدة فى إطارهذا الفصل، وقراؤنا المستهدفون هم الباحثون المعنيون بإجراء برامج تدخل علاجى، والاختصاصيون العياديون

(الإكلينيكيون) الذين قد يُكوّنون مجموعات علاجية ونفسية – تربوية ووقائية، ويهدف الفصل الراهن تزويد القارىء المتخصص باقتراحات عمليــة عنــد تصميم مجموعات فى المواقف البحثية والعيادية، وتكوينها، ونمزج خــلال مناقشتنا نتائج البحوث المتوفرة بالمجال، والتى زودنا بها التحليل التجميعــى متعدد المتغيرات، للتراث البحثى المتعلق بالتدخلات الجماعية التى تستهدف تعزيز التسامح لدى الجماعات.

القضايا النظرية المتعلقة بإدارة المجموعات عند تعزيز التسامح لديهم:

التعريفات:

تباينت التعريفات المقدمة لمفهوم التسامح بين الأشخاص، واعتمدت فى أحيان كثيرة على الافتراضات النظرية المسبقة للباحثين (وهى افتراضــات كانت فى الغالب دينية) (انظــر: (Enright & North,1998;Worthington,1998a) وقد عُنينا بالتسامح بين الأشخاص كمفهوم متميز عن مفهوم التسامح الإلهى divine forgiveness، ونُعرف التسامح بين الأشخاص بأنه دافعية المــرء لأن يُقلل من تحاشيه للشخص الذى آذاه، أو أساء إليه، أو أن يثأر منه (أو ينــتقم منه)، ولأن يزيد من محاولاته للتوفيق بين الأطراف المتنازعة، إذا كان هذا التوفيق آمن وحذر وممكن، ويتسق هذا التعريف على نحو كبير مع التعريف السابق الذى قدمه كل مــن مــاكلو McCullough وورثنجتــون Worthington وراشيل Rachal سنة (١٩٩٧)، ولكنه لا يماثله، حيث عرفوا التسامح بأنــه مصطلح يلخص الجهود الواضحة التى يبذلها المُساء إليه ؛ لتقليل دافعيته لأن يتحاشى المُسيء، أو ينشد الانتقام منه، وزيادة دافعيته لأن يتــصالح معــه، أو أن يسعى لاسترضائه، وبناءً على ما سبق، ندرك التسامح على أنه دافعية داخلية (أو أنه تلخيص لمجموعة من الدوافع)، وقد يخلط أعضاء المجموعة

بين التسامح والتصالح، ولكنهما مصطلحان مختلفين، حيث نُعرّف التصالح بأنه استعادة الثقة فى العلاقة من خلال السلوكيات المتبادلة الجديرة بالثقة من قبل المشاركين بالعلاقة. (Worthington ,1998b; Worthington &Drinkard,1998)، ويتسق هذا التعريف للتصالح مع التعريفات المبكرة التى قدمها إينريت، ومجموعة دراسة ارتقاء الانسان سنة (١٩٩٤)، وماكلو وورثنجتون سنة (١٩٩٤). وهكذا فالتسامح يعد حدثًا، أو عملية نفسية داخلية، بينما يعد التصالح حدثًا أو عملية خارجية متبادلة بين الأشخاص، والتسامح يُمنح أو يُستقبل، بينما يُكتسب التصالح من خلال بذل السلوكيات الجديرة بالثقة.

ويمكن أن يتأثر التسامح بين الأشخاص والتصالح بالمعاملات المتبادلة بين الأفراد، والتى نطلق عليها "المعاملات الخاصة بالتسامح" لكى نميزها عن مصطلح التسامح بين الأشخاص (مثل تسامح أحد الأشخاص مع شخص آخر)، وقد ناقش بوميستر Baumeister وإكسلين Exline وسومر Sommer سنة (١٩٩٨) ماأطلقنا عليه المعاملات الخاصة بالتسامح تحت عنوان "التسامح بين الأشخاص"، ولكننا نفضل أن نحتفظ بمصطلح "التسامح بين الأشخاص" لكى نشير لتسامح شخصين مع بعضهما بعضًا، وكمصطلح مختلف عن التسامح الإلهى، وتتضمن المعاملات الخاصة بالتسامح إجراء مناقشات عن التسامح؛ حيث يطلب الأفراد تفسيرًا لسلوكيات، أو يقدمون هم أنفسهم تفسيرات لها، ويتقبلون تفسيرات، أو يرفضونها، ويتقبلون اعتذارات، أو يرفضونها، وينشدون التسامح، ويمنحون التسامح أو يمتنعون عنه، ويطلبون التعويض أو يتنازلون عنه، ويعلنون عن مقاصدهم فى أن يحاولوا ألا يؤذوا الآخرين مرة أخرى أو يسيئوا إليهم، وتتأثر المعاملات الخاصة التسامح بالتسامح المتبادل بين الأشخاص وتؤثر فيه، ويمكن أن تتأثر على

نحو مماثل بالجهودالمبذولة للتصالح وتؤثر فيها، وتشكل المعاملات الخاصة بالتسامح فى أحيان كثيرة جزءًا من الجهود المبذولة فى اتجاه التصالح (Worthington & Drinkard,1998).

ويلزم على قائدى المجموعات عندئذ أن يُعرّفوا بعناية التسامح المتبادل بين الأشخاص فى بداية جلسات التدخل الجماعى، ويمكن أن يتحقق ذلك غالبًا عن طريق عرض المصطلحات أو العبارات، والسماح لأعضاء المجموعة بأن يناقشوا ما الذى يعتقدون أنه يعد تسامحًا، وما لا يعد تسامحًا، وبعد المناقشة الجماعية يمكن أن يستخلص الميسر أو القائد عبارات شائعة من المناقشة، وقد يعرض تلخيصًا للتعريف الذى يمكن استخدامه أثناء الجزء المتبقى من جلسة التفاعل الجماعى، ومن المهم ألا يتضمن هذا الملخص عبارة " هذا التعريف صحيح " خشية أن يتبنى أعضاء الجماعة موقفًا دفاعيًا من الاختلافات بين التعريف المفترض وتعريفهم الخاص، ويمكن أن يؤدى عرض تعريف التسامح والتصالح، واستخلاص الفروق بينهما، إلى منع حدوث خلط أو سوء تفسير لهما فيما بعد.

وعمومًا قد يتبنى الأعضاء بصورة شخصية فى المجموعات النفسية – التعليمية التى كوناها تعريفات مختلفة للتسامح، بدلاً من أن يستخدموا التعريف المعمول به بين أعضاء الجماعة، وهذا لا يمثل مشكلة بالنسبة لديناميات الجماعة، فالضغط الاجتماعى لدى المجموعة التى حدث لها تيسير اجتماعى جيد، يكون كافيًا عادة بحيث لا يدع المشاركين يتحدون بشكل صريح نص التعريف المعمول به من قبل المجموعة. ومن الواضح أنه عندما لا يوافق المشارك وبشكل أساسى على تعريف التسامح المعمول به، فإنه من الأكثر احتمالاً ألا يستفيد من المجموعة.

أهداف التدخل:

تؤدى المجموعة وظيفتها بشكل أفضل إذا صيغت أهدافها بوضوح فى وقت مبكر من التدخل. ويمكن أن تتراوح الأهداف ما بين تسامح الفرد الذى أذى الشخص مرة واحدة، وحتى تسامح الشخص الذى أذى الفرد، أو أساء إليه مرات عديدة، وقد يكون هناك هدف آخر وهو أن يصبح الشخص أكثر تسامحًا عبر عديد من المواقف، وإذا لم يقترح ميسر المجموعة أو قائدها هدفًا لها فإن المشاركين بالمجموعة قد يتبنون أهدافًا خاصة، وهذا يكون مخيبًا للآمال؛ لأن المجموعة لا تركز على أهدافها المحددة.

ومن المهم أيضًا تحديد المجال المتوقع للتسامح بوضوح، ففى المجموعة التى تركز على مسامحة فعل الأذى أو فعل الإساءة المفرد، قد يعتقد أعضاء المجموعة أن الهدف الضمنى للجماعة هو إحراز تسامح عاجل ، على الرغم من أن قائد المجموعة أو الباحث قد يأمل فى إحراز تسامح دائم ومستمر، وفى مناسبات نادرة، قد يرغب قائد المجموعة أن ينمى أعضاء المجموعة مقدرة أو استعداد أكبر للتسامح، بما يعكس قوة " سمة التسامح" (وهذا يعد عادة هدفًا طموحًا أكبر من أن يكون بالإمكان إحرازه لدى مجموعة عبر فترة زمنية وجيزة). وينبغى على قائدى المجموعة أن يخططوا وعلى نحو متأن لصياغة أهداف المجموعة، وأن يوضحوا لأعضاء المجموعة كم الانتباه المباشر الذى ينبغى تكريسه؛ للاحتفاظ بما تم إحرازه من تسامح، ولتعميمه عبر المواقف والأفراد.

كَمُّ التدخل المثالى:

العلاقة بين حجم التدخل والآثار المتحققة:

قد يكون كَمُّ الوقت المستغرق فى التفكير فى التسامح داخل المجموعة المُساندة، واحدًا من أكثر العوامل المؤثرة فى تحديد فاعلية المجموعة، ويعد التسامح من نواحٍ كثيرة عملية نفسية تستغرق وقتًا طويلاً، على الرغم من أن اتخاذ قرار بالتسامح قد يستغرق فترة زمنية قصيرة (DiBlasio,1998;Worthington& DiBlasio,1990) والناس تصقل خبراتها معرفيًا وانفعاليًا، وتعمق مستواها فى التسامح عندما تتقابل، وأثناء الفترات الفاصلة بين لقاءات المجموعة، وسنتوقع - فى سياق المجموعة- أن يرتبط كم الوقت المستغرق فى التفكير فى التسامح والمناقشة بشأنه، بكم التسامح الذى تم تعزيزه لدى أعضاء المجموعة.

المنهج :

ولكى نفحص هذا الفرض، فحصنا الدراسات المتاحة التى اهتمت بدراسة النواتج المتحققة من أساليب التدخل التى استهدفت تعزيز التسامح لدى الجماعات (Al-Mabuk,Enright,&Cardis,1995,Studies 1and 2; Bryant ,1998 ;Coyle& Enright, 1997 ; Freedman&Enright,1996;Hebl&Enright,1993; Hepp-Dax, 1996;Kurusu,1996,1998;Luskin&Thoresen,1998;McCullough&Worthing-ton,1995;McCullough et al.,1997;Ripley, 1998;Rye,1998, ظروف دنيوية ومتكاملة دينيًا وقد استخدمت كل الدراسات -عدا اثنتين- مجموعات لتوجيه أساليب التدخل لها (Coyle &Enright,1997;Freedman&Enright,1996) ولم يتضمن التحليل أسلوب التدخل الذى أجراه هيب داكس Hepp-Dax سنة

(١٩٩٦)، لأنه مقصور على الأطفال، وقد فحصنا فقط المجموعات التى كنا ننشد تعزيز التسامح لديها(لم نفحص المجموعات الضابطة)، ولخصنا البيانات الخاصة بالتدخلات الجمعية فى الجدول البيانى (١١،١)، ووضعنا الوثيقتين اللتين أسهمتا فى أسلوبى التدخل اللذين استهدفا تعزيز التسامح فى جدول (١١,١)، وهما: الدراستان اللتان عرضهما المابوك AL-Mabuk وآخرون سنة(١٩٩٥)، ودراسة ريى Rye التى أجريت سنة (١٩٩٨)، واستخدم فيها مجموعتين للتسامح، وقد استهدفت هذه الدراسات تعزيز التسامح لدى المجموعات (أحدهما تسامح دنيوى والآخر متكامل دينياً)، واستخدمت مقاييس متعددة لقياس التسامح فى بعض الحالات، ولكننا لم نصف كل المقاييس، أو لم نُجمّعها، فاستخدم عدد من الدراسات المقاييس الفرعية المتعددة التسعة التى أعدها واد Wade سنة (١٩٨٩) لقياس التسامح، وقد اخترنا المقاييس الفرعية الخاصة بالانتقام والتحاشى والاسترضاء كمقاييس فرعية للتسامح (حيث إنها مقاييس تم استخدامها)، وتجاهلنا بعضها الآخر لنتيح إجراء مزيد من المقارنة عبر الدراسات التى أُخضعت للتحليل، وقُدمت التدخلات التى تم تحليلها لثلاثمائة وثلاث وتسعين مشاركاً قسموا إلى مجموعات، واستهدفت هذه التدخلات تعزيز التسامح لديهم.

ولفحص الارتباط بين كم الوقت المستغرق فى إبداء التسامح داخل المجموعة، والنواتج المتحققة ،قمنا برسم منحنى معدل يصور هذه العلاقة الارتباطية بين كم الوقت المستغرق فى التدخل، والآثار أو النواتج المتحققة، والذى نعرضه فى الشكل (١١,١) (وفى العلوم البيولوجية، يستخدم وعلى نحو نموذجى اللوغارتم الخاص بالجرعة، ولكننا لم نستخدم اللوغارتم) ويمثل الإحداث الأفقى عدد الساعات التى استغرقها التدخل الجمعى، ويمثل الإحداث الرأسى حجم التأثير قبل التدخل وبعده، وتم تحديد حجم التأثير من خلال طرح متوسط درجات المجموعة على مقياس التسامح الرئيس قبل

التدخل (وأحيانًا جمع الدرجات على المقاييس، حيث تم عكس الدرجات فـــى المقاييس الفرعية التى كان متوقعًا أن تتناقص الدرجات عليهـــا مـــع زيـــادة التسامح) من متوسط درجات المجموعة بعد التدخل، وقـــسمة النـــاتج علـــى مجموع الانحرافات المعيارية قبل التدخل وبعده، وفى حالة عدم نشر درجات اختبار قبلـــى (مثـــل :AL-Mabuk et al.,1995;Luskin&Thoresen,1998) أخـــذ متوسط درجات المجموعة الضابطة على مقياس التـــسامح بعـــد التـــدخل، كمكافيء لمتوسط ما كان يجب أن تكون عليه الدرجات قبل التدخل لـــدى المجموعة التى تعرضت للتدخل (الناتج عن حجم التأثير). وقـــد فـــضلنا أن نستخدم متوسط درجات قبل التدخل لدى مجموعة التدخل إذا كان متاحًـــا، حيث تعاملنا مع المشاركين على أنهم مجموعة ضابطة لأنفسهم (وبذلك قللنا الفروق الناتجة عن سحب العينة، والتى تكون ملازمة لاستخدام معادلة حجم التأثير).

واستخدمت معظم الدراسات نسخة المبيان النفسى للتـــسامح لإينريـــت (AL-Mabuk et al., 1995;Hebal&Enright,1993)، وبطارية التـــسامح لإينريـــت (Subkoviak et al.,1995) كلها (Sandage,1997) أو جزء منها (McCullough et al.,1997)، والمقاييس الفرعية لمقياس التسامح الذى أعده واد سنة (١٩٨٩)،: مقاييس التحاشـــى والانتقـــام، والاسترضـــاء (أو نـــسخ مختـــصرة منهـــا)، (Kurusu,1996;Luskin&Thoresen,1998;McCullough&Worthington, 1995; Ripley, 1998) أو مقياسى التجنب، والانتقام لواد (والذى تطور فيما بعد إلى بطاريـــة الـــدوافع الشخـــصية المرتبطـــة بالانتهـــاك: Transgression- Related) TRIM (Interpersonal MotivationInventory ; McCullough,Rachal,Sandage,Worthington, Brown,& Hight,1998) واستخدم ريى سنة (١٩٩٨) مقياســـين فـــرعيين مـــن المقياس الذى أعده فى دراسته (وهما التسامح الوجدانى والتـــسامح المُقـــدّر appraisal forgiveness)، واستخدم ماكلو وآخرون سنة (١٩٩٧) خمسة بنـــود

من بطارية إينريت للتسامح، ولا نوصى بهذا عند إجراء بحوث فى المستقبل[1]، وقد تم تحليل البيانات باعتبار درجات التسامح الخاصة بكل مجموعة هى البيانات التى تمثل وحدة القياس. وحُسب معامل الارتباط الثنائى بين كم الوقت المستغرق فى التدخل الجمعى (بالساعات أو الأسابيع) وحجم التأثير.

جدول (١١,١)

يلخص الخصائص المميزة للنواتج المتحققة من أساليب التدخل التى طُبقت على مجموعات

الدراسة	رقم الدراسة	مجموعة التدخل (ن)	عدد المجموعات (ن)	نسبة الذكور	مقاييس التسامح	التدخل البعدى	الانحراف المعيارى	حجم التأثير	الساعات	الأسابيع
كوروسو (١٩٩٦)	١٠٠	٨٠	٨	٢٤	مقياس واد	٦	٢٠,٨	٠,٢٨	١	١
ماكلو وورثنجتون(١٩٩٥)	٨٦	٣٠	٤	٢٤	واد (مجموع الانتقام – التحاشى)	a	A	٠,٠٨	١	١
بريانت(١٩٩٨)	١٠٦	٢٨	٤	٣٠	واد(مجموع الانتقام – التحاشى)	B	B	٠,٣٧	٢	١
كوروسو (١٩٩٨) C	٦٤	٥٥	١١	٩	واد (مجموع الانتقام – التحاشى-الاسترضاء)	٣,٢٧	١٤,٨٦	٠,٢٢	٢	١
المابوك وإينريت وكارديس (١٩٩٥) الدراسة الأولى	٤٨	٢٤	١	٢٣	الميزان النفسى للتسامح	-٣,٧	١١,٩	-.٣١	٤	٢
ريبلى (١٩٩٨) C	٩٦	٢٨	٦	٥٠	واد (الانتقام-التحاشى-الاسترضاء)	١,٦	٥,٤	٠,٣٠	٦	١
ساندلج (١٩٩٧)	١٣٦	٣١	٤	٢٩	بطارية إينريت فى التسامح	٣٢,٦	٦٢,٦	٠,٥٢	٦	١
لوسكين وثورسين (١٩٩٨)	٥٥	٢٨	٢	٢٣	واد (الانتقام –التحاشى- الاسترضاء)	D	D	٠,٢٤	٦	٦
المابوك وإينريت وكارديس (١٩٩٥) الدراسة الثانية	٤٥	٢٤	١	٢٥	الميزان النفسى للتسامح	٢٠,٥	١٦,٢	١,٢٧	٦	٦
هيبى وإينريت (١٩٩٣)	٢٤	١٣	١	(٠)	الميزان النفسى للتسامح	١١,٩	١٥,٦	٠,٧٦	٨	٨

...لتو وورثجتونورثيل (١٩٩٧)	١٣٤	١٣	٢	٤٢	بطارية إينريت للتسامح (٥بنود فقط)	٤,٨	٥,١	٠,٩٤	٨	١
ريى (١٩٩٨) تسامح متكامل دينيا	٥٨	١٩	٣	(٠)	ريى (١٩٩٨)	E	E	١,٤٧	٩	٦
ريى(١٩٩٨) تسامح دنيوى	٥٨	٢٠	٣	(٠)	ريى (١٩٩٨)	F	F	١,٤٥	٩	٦

لاحظ: تم حساب حجم التأثير من خلال حساب الفروق بين التدخل القبلى والبعدى فى متغيرات التسامح التى تم قياسها وقسمة الناتج على مجموع الانحرافات المعيارية. حيث كانت المتغيرات التابعة العديدة المتصلة هى: (١) استخدمت قياسات للتسامح الفعلى فقط، (وليس التسامح فى مواقف افتراضية)، (٢) وحسب مجموع حجم تأثير مختلف المقاييس التابعة (ويقصد بها المقاييس الفرعية التى كلما تناقصت درجة المشارك عليها، كلما ازداد تسامحه، مثل المقاييس الخاصة بالانتقام والتحاشى، وتم عكس درجة المشارك عليها)، وبناء على ذلك يعكس حجم التأثير الإيجابى تسامحًا متزايدًا وذلك فى ضوء مقارنة درجات المشاركين فى التدخل القبلى بنظيرتها فى التدخل البعدى.

وترمز ال a إلى أن حجم تأثير الانتقام = ٨,٨/١,١، وحجم تأثير التحاشى = ٨,٠/٠,٢.

وترمز ال b إلى أن حجم تأثير التحاشى الذى أوضحه بريانت سنة(١٩٩٨) (الدرجات معكوسة)= ٧,٥٦/١,٥٤، وحجم تأثير الانتقام (الدرجات معكوسة)= ٤,٦٢/٢,٤٦

وترمز ال c إلى الاسترضاء(١) ذى أوضحه كوروسو سنة (١٩٩٨)، وربلى سنة (١٩٩٨)، ووداد (١٩٨٩)، ومجموع الانتقام (الدرجات معكوسة)، والتحاشى (الدرجات معكوسة).

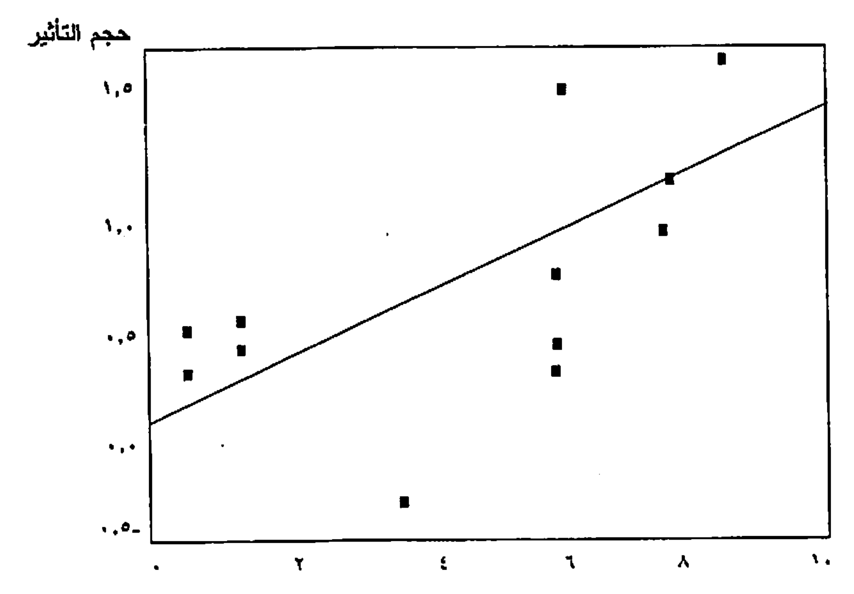
وترمز ال d إلى أن حجم تأثير الانتقام (الحقـد)= ٠.٧/٤,٤، وحجـم تأثير التحاشى (البُعد) = ٠.٨/٧,٤، وحجم تأثير الاسترضاء= ٥,٣/٢,٤.

وترمز ال e إلى أن حجم تأثيرالتـسامح الوجـدانى= ٦,٢٠/٦,٧٩، وحجم تأثير التسامح المُقدر=٣,٧٣/٦,٨١، وهذا المقيـاس أعـده ريـى سنة (١٩٩٨).

وترمز ال f إلى أن حجم تأثير التـسامح الوجـدانى =٥,١٤/٦,١٠، وحجم تأثير التسامح المُقـدر = ٤,٩٨/٨,٥٣، والمقيـاس أعـده ريـى سنة (١٩٩٨).

شكل (١١,١)

علاقة كم الوقت المستغرق فى التدخل بحجم التأثير لدى المجموعة التى عُزز لديها التسامح من خلال أساليب التدخل



النتائج:

لقد توصلنا بوجه عام إلى منحنى ملحوظ يمثل العلاقة بين كم الوقت المستغرق فى التدخل، والآثار المتحققة، وقد انطبق المنحنى الخطى على البيانات التى بين أيدينا ، وبلغ معامل ارتباط بيتا للمربع الأدنى للانحدار الموزون بين عدد الساعات المستغرقة فى التدخل وحجم التأثير (R=٠,٧٠)، بمعامل ثقة أقل من (٠,٠٠٧). ويتضح الانحدار فى الرسم البيانى (١١,١)، وقد قمنا بحساب المتوسط الموزون لحجم التأثير وبلغ (٤٣,) وبمعامل ثقة ٩٥% (تراوحت المتوسطات الجدولية وعند معامل ثقة ٩٥%=٢٩, /٥٧,) (وكانت الأوزان هى معكوس حجم التأثير المُقدّر)، ولم تحتو القيم الجدولية المقابلة لقيم المتوسط الموزون لحجم التأثير، وعند معامل ثقة ٩٥% على (صفر) ، بما يوضح أن تجانس أساليب التدخل الخاصة التسامح، والتى لم تأخذ فى اعتبارها طول فترة التدخل، يمكن أن نتوقع أن تُحدِث تأثيرًا (بمعامل ثقة ٩٥%)، ومع ذلك فالنتائج الإحصائية ليس لها معنى نسبيًا فى ضوء مناقشتنا أن هناك علاقة بين كم الوقت المستغرق فى التدخل، والآثار المتحققة، وينبغى على المرء ألا يهتم بما إذا كان تجانس أساليب التدخل الخاصة بالتسامح، تُحدِث تأثيرًا يختلف عن الصفر أم لا ، بل ينبغى أن نهتم بما إذا كانت أساليب التدخل الملائمة اكلينيكيًا تختلف عن الصفر أم لا (ونعرفها بأنها أساليب التدخل التى استغرقت ست ساعات(٦) فأكثر)، وبما إذا كانت أساليب التدخل الشيقة تجريبيًا،ولكنها غير ملائمة إكلينيكيًا تختلف عن الصفر أم لا (ونعرفها بأنها التدخلات التى استغرقت ساعة(١) أو ساعتين(٢)) ويمكن أن نتوقع أن أساليب التدخل الخاصة بالتسامح الملائمة اكلينيكيًا (انطبقت على ٨ دراسات)، يمكن أن تُحدِث التسامح بمعامل ثقة ٩٥% (٢) حجم التأثير الموزون = ٧٦,، والقيمة الجدولية للتدخلات الملائمة إكلينيكيًا عند معامل ثقة ٩٥% = ٥٧, /٩٥,)

ويمكن أن نتوقع أيضًا أن تُحدث أساليب التدخل الخاصة بالتسامح غير الملائمة إكلينيكيًا (انطبقت على ٤دراسات)، وبمعامل ثقة ٩٥% قدرًا قليلاً من التسامح ولكن يمكن قياسه (حجم التأثير الموزون = ٢٤ , وفترة ثقة ٩٥% لأسلوب التدخل الإكلينيكى = ٤٠, / ٤٤,). ونقدم فى الفقرة التالية هذا الاستنتاج مع التحذير من أن تحليلنا مبنى على صلاحية محدودة، ولهذا فالاستنتاج مشكوك فيه.

استنتاجات مؤقتة:

توحى النتائج أن كم الوقت المستغرق فى التسامح مهم بالنسبة لكم التسامح الذى يمكن أن يتعلمه الشخص، فأساليب التدخل التى استغرقت ساعة(١) أو ساعتين (٢) كانت غير مؤثرة بالفعل، وقد استخدم المابوك (١٩٩٥) فى الدراسة الأولى العشر خطوات الأولى فقط (من سبع عشرة خطوة) فى نموذج عملية التسامح لإينريت وكان لدى المجموعة بالفعل اتجاه سلبى تجاه التسامح، وتوحى النتائج بأنه إذا كان الناس يفكرون مليًا فى الإيذاءات التى تعرضوا لها دون أن تتم هدايتهم إلى التسامح، فإن الآثار المتحققة قد تكون غير مثمرة، وقد تكون دراسة المابوك الأولى عكس دراسته الثانية، حيث وُجه الناس من خلال اتباع الخطوات الكاملة التى وردت بنموذج إينريت، وتعذر التمييز بين التغيرات فى محتوى جلسات التدخل والتغيرات فى: (١) طول فترة التدخل (ستة أسابيع بدلاً من أسبوعين)، و (٢) وعدد جلسات التدخل (ست جلسات بدلاً أربع).

وبناء على الدراسات التى استخدمت منحنى كم التدخل – التاثير والتى تنتمى إلى توجهات نظرية مختلفة، قد نستنتج مبدئيًا أن محتوى جلسات

التدخل قد لا يعد مهمًا بالقياس إلى كم الوقت المستغرق فـــى التفكيـــر فـــى التسامح، أو التفاعل من خلاله داخل السياق الجمعى (وبناء على ذلك يـتعلم أعضاء المجموعة تحقيق فوائد أخرى للمجموعة مثل المساندة الاجتماعيـــة، ومشاهدة أمثلة أخرى للتسامح ولعدم التسامح، وقضاء وقت أكبر فـــى تعلـــم التفهم، والتعبير عن الوجدان بدرجة أكبر، وتعلم مزيد مـــن الانتمـــاء إلـــى المجموعة..إلخ) ويسود هذا الاتجاه نفسه فى إطار نماذج التدخل ففـــى ظـــل الدراســـات التـــى اختبـــرت نمـــوذج إينريـــت (Al-Mabuket al.,1995,Study 1,Study2;Hebl&Enright,1993)، وتلك الدراسات التى اختبـــرت نمـــوذج مـــاكلو وورثنجتون (Bryant,1998;Kurusu,1996,1998;McCullough&Worthington, 1995; McCullough et al.,1997;Ripley,1998;Sandage,1997) – فى ظل هذه الدراســـات يبدو أن الفروق فى الوقت المستغرق فى التدخل تفسر كثيرًا مـــن التحـــسن المتحقق لدى المجموعة (على الرغم من أن حجم العينة كان صغيرًا جدًا بما يحول دون الاختبار الإحصائى لهذا الافتراض)، ومن المفترض أن كثيرًا من مضامين الجلسات يمكن تغطيتها هى نفسها داخل إطار النماذج ، وإن كـــان بإمكاننا تغطية مضامين أكثر، مع زيادة الوقت المخصص لجلسات التـــدخل، وينبغى على الباحثين والاختصاصيين الإكلينيكين الـــذين يخططـــون لعمـــل تدخلات أن يكونوا مدركين لتأثير الوقت، وينبغى ألا يعتقدوا أنه يمكن وعلى نحو مفاجىء تخفيض الوقت ومع ذلك يحققون تأثيرات قوية.

ونوصى أن تستغرق أساليب التدخل الجمعى التى تستهدف فقط تعزيز التسامح، ست ساعات (٦) على الأقل، أما أساليب التدخل العلاجى المساعدة ، أو التى تحدث داخل المجموعات المتطورة، والتـــى لا تـــستهدف إحـــداث التسامح فقط، فقد تكون أقصر، ولكن لا ينبغى على قائد المجموعة أن يتوقع أن يحدث التسامح.

مدة الجلسات:

قد تكون مدة الجلسات من العوامل المؤثرة أيضًا فـــى كـــم التحـــسن المتحقق من الجلسات (انظر جدول ١١,١)، ففى دراسة ماكلو وورثنجتـــون على سبيل المثال، قُدم أسلوب التدخل بشكل مكثـــف أثنـــاء عطلـــة نهايـــة الأسبوع، حيث تقابل المشاركون مع المجموعة مساء يوم الجمعـــة، ولمـــدة ساعتين إلى ثلاث (٣) ساعات، وواصلوا الجلسات يوم الأحـــد، واســـتمرت الجلسة من ثلاث (٣) ساعات (Ripley,1998;Sandage,1997) وحتى ست (٦) ساعات

(McCullough et al.,1997) وتضمن نموذج آخـــر مقابلـــة المجموعـــة أسبوعيًا ولمدة ســـاعة ;AL-Mabuk et al., 1995,sstudy 2;Hebl& Enright,1993) Luskin&Thoresen,1998)، ومدة نصف ساعة (Rye,1998) أو لمـــدة ســـاعتين (AL- Mabuk et al.,1995,Study,1)، وقد أعدنا حساب معامل الانحدار الخاص بالعلاقة بين كم الوقت المستغرق وحجم التأثير، وذلك من خلال حساب كم الوقت مقدرًا بالأسابيع بدلاً من الساعات، وبلغت قيمته (٦٤,) عند معامل ثقة أقل من (٠٢,) (R ٢=٣٥,)، وبالطبع يصعب التمييز بـــين طـــول الجلـــسة بالأسابيع، والوقت المستغرق داخل المجموعة، ولهذا من غيـــر الممكـــن أن نحدد التأثيرات المتفردة لكل منهما فى ظل هذه البيانات المتنـــاثرة المتاحـــة حاليًا ،وعلى الرغم من ذلك، نوصى مؤقتًا (والأمر معروض لإجراء بحوث أكثر دقة) بأن تكون جلسات التدخل ممتدة إلى حد بعيد ،بدلاً مـــن أن تقـــدم بشكل مكثف.

المجموعات المنغلقة مقيدة الزمن أم المنفتحة غير المقيدة بزمن:

تكون المجموعات ذات أساليب التدخل التربوية-النفسية ومعظم المجموعات العلاجية ، التي تستهدف تعزيز التسامح ،تكون بوجه عام مقيدة بزمن، وكل المجموعات التي فُحصت تجريبيًا كانت مقيدة الزمن (انظر جدول ١١,١)، وتباين طول الجلسة العلاجية، فتراوح من ساعة وحتى ست(٦) ساعات، واستخدم فريدمان وإينريت (١٩٩٦) الإرشاد الفردى، وهو مغاير للمناحى الجماعية، فى البحث الذى أجراه على سيدات عانين بعض أشكال الإساءة الجنسية، وقد ظلّ الباحثان فى تقديم الإرشاد الفردى لهن حتى تسامحن (متوسط عدد الجلسات أسبوعيًا أربعة عشر (١٤) شهرًا)، وعلى عكس المجموعات المقيدة بزمن، توجد المجموعات غير المقيدة بزمن ،وفى ظل المجموعة غير المقيدة بزمن، يتسم أعضاء المجموعة بالانفتاح، وينبغى عليهم أن يضيفوا أعضاءً جددًا للمجموعة إذا كان ذلك متاحًا، وعندما يحقق الأعضاء القدامى محكاتهم فى التسامح ، فإنه ينبغى عليهم أن يكفوا عن الاشتراك فى المجموعة، وفى ظل هذه المجموعة المنفتحة غير المقيدة بزمن لا تتقيد المجموعة بأى منهج محدد لتعزيز التسامح (يُعتقد أن ذلك لا يكون ضروريًا دائمًا)، إلا إذا كان منهجًا مختصرًا ويتكرر بشكل دورى، وينبغى أن تتوجه المجموعة تجاه هدف عام بدرجة أكبر، مثل التوجه نحو تحسين العلاقات الشخصية (وقد يكون التسامح جزءًا مهمًا من هذا الهدف)، وهذا لا يعنى أن التسامح لا يمكن معالجته بشكل فعال فى المجموعات المنفتحة غير المقيدة بزمن، ولكن تحقيقه تواجهه تحديات أساسية عند تصميم المناهج وتنفيذها.

العملاء: شدة الأذى أو الإساءة ودرجة إزمانها:

اختلفت مجموعات التدخل التى حاولت أن تعزز التسامح لدى أعضائها فى كم خصوصية المشاركين الذين تم انتقاؤهم، فبعض مجموعات التـدخل استهدفت أُناس تعرضوا لإيذاءات محـددة، فاسـتهدف المـابوك وزمـلاؤه (١٩٩٥) الطلاب الجامعيين المحرومين من الحب الوالدى، وسعى إينريـت (١٩٩٣) إلى تعزيز التسامح لدى المسنين، ويُلاحظ أن الإيذاءات الـشديدة، والتى استغرقت فترات زمنية طويلة لم يتم تناولها من خلال أساليب التدخل الجماعية، ومن ناحية أخرى استهدفت بعض أساليب التدخل الجمهور العـام بدرجة أكبر، وعالجت المشاركين الذين يريدون أن يسامحوا شخصًا معينًـا على فعل إساءة أو إيذاء محدد.

(Kurusu,1996,1998;McCullough& Worthington ,1995;McCullough et al.,1997;Sandage ,1997) فيُدرك المشاركون فى هذه المجموعات بوجه عام الإيذاء أو الضرر، على أنه إيذاء شديد تمامًا، وعادة تتراوح تقديراتهم مـن الإيذاء الشديد وحتى الشديد جدًا. وتعلمت مجموعات أخرى من المـشاركين أن التسامح هدف عام (لإثراء العلاقة الزواجية ومنـع حـدوث مـشكلات مستقبلية)، فأساليب التدخل التى قُدمت لهم لم تستهدف إساءة أو أذى محدد (Ripley,1998)، فلجأ ربلي إلى مجموعات من الأزواج ،اجتذبهم من المجتمع، واستهدف أسلوب التدخل الذى قدمه لهم إثراء العلاقة الحميمة بين الزوجين، ومنع الإيذاء من أن يتصاعد، ويؤثر سلبًا فى علاقاتهم الزواجية، فلم يختـر ربلى أزواجًا يعانون إيذاءات أو إساءات محددة، ويريدون أن يعالجوها، وفى الحقيقة، ينكر كثير من الأزواج وجود أى إيذاءات لديهم فى السياق الإثرائى.

ونوصى بإخضاع المعوقات التى تعوق أساليب التدخل التى تستهدف التسامح، للدراسة العلمية؛ لأن ذلك سيكون مفيدًا، ويبـدو أن درجـة شـدة

الإيذاءات أو الإساءات يؤثر بدرجة كبيرة فى تيسير أن يصبح الناس أكثـــر قدرة على التسامح، وقد توجد بعض الدلائل على أن الإيذاءات أو الإساءات الشديدة جدًا، ينتج عنها تنقيح الإطار المعرفى للإدراكات الموجـــودة لـــدى الأفراد (Flanigan,1998)، ويتطلب إعادة التنظيم المعرفى وقتًـــا كبيـــرًا دون شك لتجديده، أو توفر أساليب تدخل تكون فعالة بدرجة كبيرة جـــدًا، ومـــن المحتمل أن يتجاوز هذا مقدرة معظم أساليب التدخلات المتطـــورة الحاليـــة، وبناءً على ما سبق، نوصى الاختصاصيين الاكلينيكين والبـــاحثين بإعـــداد أساليب تدخل تستغرق فترات زمنية أطول، وتكون مؤثرة، بهدف التعامل مع الأفراد الذين يعانون عدم التسامح الحاد أو المزمن.

من يحضر مجموعات التدخل؟

إن التسامح هو أى شيء يمنحه الشخص للآخر، ويرتبط غالبًا وعلـــى نحو حميم بالتصالح أو افتقاد وجوده ،لذلك فإن قضية مـــا إذا كـــان الأزواج المشاركون بالمجموعة يظهرون فرادى أم يظهرون سويًا (المسيء والمساء إليه)، تعد من القضايا التى يصعب حلها، فعندما يكون الزوجان حاضـــرين كأعضاء فى المجموعة، لا يكون التسامح سهلاً، بالمقارنة بحضور الطـــرف المُساء إليه فقط، أو الذى تعرض للإيذاء.فنحن نعتقد أن فصل الزوجين داخل المجموعة يكون أكثر أهمية من فصل الأفراد، والأزواج مرتفعو القدرة على التعبير لفظيًا، والذين يكونون متصارعين جدًا فى علاقاتهم ببعضهم بعـــضًا، يسيطرون على تفاعلات المجموعة، ونعتقد أن الأزواج الذين يسلمون بإيذاء رفقاءَ حياتهم، ينبغى أن يعالجوا بشكل فردى (الطرف المساء إليـــه وحـــده، أو كزوجين معًا بمفردهما وبعيدًا عن المجموعة)، أو يعالجوا فى مجموعـــة تضم عددًا من الأزواج الذين يناضلون للتغلب على المشكلة ذاتها.

وهناك عدد من المكونات المهمة فى عملية التسامح، وهى المعاملات الشخصية المتعلقة بالتسامح، مثل إلى أى مدى ينشد الزوجان التسامح (Enright& the Human Development StudyGroup,1996) وما إذا كان الطرف المسيء يبدى اعتذاره عن إساءته أم لا، وكيف يعتذر، وإلى أى مدى يكون الاعتراف بالخطأ واضحًا، وكيف يفسر كلا الزوجين فعل الإساءة (Sitkim& Beis,1993)، وما إذا كان الطرف المساء راغبًا فى قبول التسامح الذى يُعرض عليه أم لا (Baumeister et al., 1998). ويصبح التصالح ممزوجًا بالتسامح (Worthington &Drinkard,1998) ؛ فالأفراد الذين يسامحون صديقًا أو زوجًا حاضرًا معهم فى ذات المجموعة، يمكن أن يحاولوا تلقائيًا أن يصلحوا علاقتهم به، ويمكن كذلك أن ينشغلوا فى سلوكيات التصالح، ويستطيع الزوجان اللذان يحضران معًا المجموعة، وعلى نحو اختيارى، أن يشعلا الصراعات داخل المجموعة، ويفسدا تركيز المجموعة على التسامح، من خلال مجادلتهما معًا، أوتفاعلاتهما السامة والمؤذية، وبناءً على ذلك فإن تكوين مجموعات تدخل بهدف إحرازالتسامح، يكون كلا الزوجين حاضرًا فيها، يكون أكثر مخاطرة من تكوين مجموعات تضم الأفراد الذين يسامحون مُسيئًا غائبًا، ومن ناحية أخرى إذا كان كلا الزوجين حاضرًا فإن التسامح يمكن معالجته فى إطار السياق، وبالإضافة إلى ذلك، تكون الفرص متاحة للأزواج لكى يتعلموا من خلال مشاهدة الأزواج الآخرين، وعندما يكون الأزواج حاضرين ،ينبغى على قائد المجموعة أن يركز على التسامح فى ظل سياق ثنائى أرحب يستهدف:

(١) إدارة الصراعات بين الزوجين لكى يعالج الاختلافات بينهما.

(٢) مصالحتهما لإصلاح أى إيذاء نجم عن محاولتهما حل الصراع المشتعل بينهما.

الجمهور المستهدف:

يوجد جمهور كبير محتمل أن يكون مستهدفًا لأساليب التدخل التي تستهدف تعزيز التسامح لدى الجماعات، وقد صنفنا بعض هذا الجمهور المستهدف في فئات ثلاث وفقًا للأسباب الشائعة لعدم التسامح (انظر جدول ١١,٢) وهذه الفئات هي: أولاً: بعض الأهداف المحتملة للتسامح تكون ناتجة عن أحداث تحدث في ظل سياقات سياسية أو اجتماعية أرحب، ثانيًا: تحدث كثير من الفرص المواتية للتسامح داخل العلاقات الأسرية، والرومانسية، فالأفراد الذين يعيشون في قرابة حميمة، ويتواصلون بمودة، يُزودون بكم هائل من فرص سوء الفهم والتفاعلات المؤذية، ثالثًا: تزودنا صحة الناس والرعاية الصحية المقدمة لهم بفئة أخرى للفرص التي تزخر بالتسامح، فالناس الذين يكونون محاصرين بدرجة مرتفعة بمشاكلهم الصحية وبما يتلقونه من علاج طبي جيد، تكون المواقف التي يصابون فيها بخيبة الأمل كبيرة جدًا.

تفصيل مجموعات للعملاء:

ينبغي أن تُفصل المجموعات المصممة لتعزيز التسامح، بما يتناسب مع نوعية العملاء الذين ينضمون إلى هذه المجموعات، فإذا تم تناول التسامح لدى جماعات يستخدمون كحوليات مجهولة المصدر، فعندئذ يكون استخدام البرامج ذات الاثنتي (١٢) عشرة خطوة، والاعتراف الشخصي بالأخطاء ذا قيمة، بينما لا يعد الاعتراف متوقعًا أو مُقدرًا لدى بعض الجماعات الأخرى، وقد يكون التسامح جزءًا لا يتجزء من الإطار الديني لدى الجماعات الدينية، حيث توجد اليهودية(Dorff,1998)، والمسيحية (Mary,1998) أواليهودية –

المسيحية (Rye,1998) وتوجد معايير مختلفة لمختلف الثقافات الفرعية ،ولذا ينبغى توقع هذه الفروق عند تكوين مختلف المجموعات، فالدور الذى يمارسه الشعور بالذنب، وإبداء الإعتذار، أو الاعتراف بالأخطاء، قد يكون مؤثرًا بدرجة كبيرة فى بعض الجماعات الدينية، بينما قد يكون قليل التأثير لدى بعض الجماعات الدينية الأخرى.

ويمكن أن تكون المعاييرالخاصة بالجماعة الفرعية ذات أهمية بالنسبة لفاعلية المجموعة، لأنها قد تنشط متغيرات تتوسط تأثيرأسلوب التدخل الذى يستهدف تعزيز التسامح، أو تُعدله (Baron&Kenny,1986)، فعلى سبيل المثال توصل ماكلو وآخرون (١٩٩٧) إلى نتائج تتسق مع الفرض الذى مؤداه أن التفهم يعد السبب الأقرب للتسامح. وبناءً على ذلك فالثقافات الفرعية التى تُقدّر التفهم، قد تكون أكثرميلاً لأن تستجيب لأساليب التدخل التى تستهدف تعزيز التسامح، وذلك بالمقارنة بالجماعات التى لا تُقدّر التفهم، وقد تؤثر متغيرات أخرى، وعلى نحو مماثل، فى النواتج المتحققة من مثل أساليب التدخل هذه، وفى تكوين المجموعة، كالشعور بالذنب (Baumeister,Stillwell,&Heatherton,1994)، والخزى (Tangney,Wagner, Barlow,&Marschall,1996) والتواضع (Means, Wilson, Sturm,Piron,& Bach,1990) وتقدير الذات (Baumeister, Exline,& Sommer,1998)، وإبداء الاعتذار(Weiner,Graham,Peter,&Zmuidinas,1991)، ووضع الفرد من حيث كونه ضحية أو معتدى (Stillwell&Baumeister,1997)، فالتعامل مع التسامح مثلاً فى البرامج التى تستهدف التصالح بين الضحية والمُسىء تزودنا بتحديات كثيرة (Couper,1998;Dickey,1998).

جدول (١١,٢)

قائمة بالفئات الثلاث للجماعات المستهدفة للتسامح

الأفراد الذين يستثار لديهم عدم التسامح من خلال مشكلات اجتماعية أو سياسية: - ضحايا الجرائم. - ضحايا ممارسات العمل غير الأخلاقية. - ضحايا العدوان والتمييز فى أماكن العمل. - الأفراد الذين استغنت عنهم أماكن عملهم ويعانون البطالة. - الأفراد الذين عانوا التمييز بأى شكل من أشكاله (وفقًا للسلالة، والعرق، والنوع، والعمر، والدين). - الأفراد الذين ينتمون إلى جماعات عرقية، ولها تاريخ فى الصراع والإيذاء المتبادل.
الأفراد الذين يستثار لديهم عدم التسامح من خلال العلاقات الأسرية والرومانسية : - الأزواج المطلقون والمنفصلون أو الذين فى سبيلهم إلى الانفصال، أو الأطفال الذين يعيشون بين أبوين منفصلين أو فى سبيلهما إلى الانفصال. - ضحايا الأحداث الصدمية العدوانية (مثل الإساءة الجنسية، والجسدية، والعنف العائلى، والاغتصاب) - الأفراد الذين كانوا (أو ما زالوا) متورطين فى صراع متبادل داخل عائلاتهم و على مدى أجيال.

- الأفراد المتزوجون أو الذين يتعايشون كأزواج، وأحد الـزوجين كـان (أو يكون) غير مخلص جنسيًا.
- الأطفال الذين يطورون مقدرة على التسامح.
- الأفراد الذين عانوا الرفض العاطفى.
- أولئك الذين آذاهم أو رفضهم أحد الوالدين المتوفى.
- الوكلاء الذين لم يتلقوا مساندة ملائمة من أفراد عائلاتهم.

الأفراد الذين يستثار عدم التسامح لديهم أو يتفاقم من خـلال المـشكلات الطبية أو الصحية:

- الأفراد الذين يواجهون نهاية حياتهم.
- الأفراد المصابون بفيروس قصورالمناعة (HIV).
- المرضى المصابون بمرض القلب أو المستهدفون للإصابة به.
- الأفراد الذين لديهم مشكلات متعلقة بالصحة النفـسية، وقـد تكـون مرتبطة بعدم التسامح.
- مرضى ضغط الدم المرتفع، والمصابون بالجلطة.
- الأفراد الذين لديهم مشكلات مرتبطة بتعاطى الكحـول أو أيـة مـادة نفسية أخرى.
- المسنون ومن يعالجون من المشقة المرتبطة بنهاية الحياة.
- ضحايا العلاج الطبى الفاشل.

العلاجات البديلة: هل التسامح هدف أو وسيلة لغاية؟

إذا تعرض الأفراد للإيذاء أو الإساءة فليس ضروريًا أن ينشدوا العلاج بهدف التسامح أو التصالح، فهم ينشدون العلاج غالبًا من أجل تحقيق النواتج المتصلة بالصحة النفسية، وللتخفف من الكرب الانفعالى الذى يشعرون به، وبالتالى قد يستخدم الممارسون والباحثون مجموعات تدخل، تهدف إلى تعزيز التسامح كعامل مساعد مستقل للعلاج النفسى.

ويمكن أن تُدمج أساليب التدخل التى تعزز التسامح، وعلى نحو اختيارى، مع مجموعة العلاجات الأخرى التى تعالج الصعوبات المتعلقة بالصحة النفسية، والكرب الانفعالى، أو المشكلات المتعلقة بالاتصال الجنسى، وقد طور كثير من المنظرين نماذج معرفية سلوكية فى التسامح (مثل: Fitzgibbons1986;Luskin&Thresen,1998)، وقدم البعض الآخر تفسيرات نفسية- دينامية نظرية للتسامح (مثل: Gartner,1988; Vitz & Mango,1997)، ولكنها لم تُعد للمجموعات. وقد أكد المنظرون (دون وجود أى دعم إمبريقى لتأكيداتهم) أن الانفعالات الأكثر شيوعًا المرتبطة بعدم التسامح هى الخوف أو القلق (Worthington,1998b)، أو الغضب (Fitzgibbons,1986; Kaplan, 1992 ؛Luskin&Thoresen,1998)، وبناءً على ذلك، فأساليب إدارة القلق (مثل التسكين المنظم بمختلف أشكاله) وأساليب علاج القلق الاجتماعى (Lindemann,1996)، أو أساليب إدارة الغضب (Deffenbacher,1995)، قد تصلح كأسس، حيث تُدمج فيها عناصر التسامح، بالإضافة إلى ذلك، فإن المشكلات المستهدفة، مثل التنافر الزواجى أوالإساءة الجنسية (على سبيل المثال انظر: Jacobson&Gurman,1995;Madanes,1991)، أو تعاطى العقاقير أو الكحول قد تزودنا بخطط يمكن أن تطرح وحدات قياس للتسامح، كما أن البرامج الوقائية أو الإثرائية، مثل الإعداد النفسى للزواج والأبوة، أو لأية

تحولات حياتية أخرى، قد تزودنا أيضًا بخطط لمناقشة التسامح والتصالح، وينبغى أن نكرس اهتمامًا خاصًا لما إذا كان المشاركون يرغبون فى تقبل التسامح كجزء شرعى فى أساليب التدخل التى اشتركوا بها أم لا.

وينبغى أن ندرس قضية ما إذا كان التسامح هو بالفعل هدف مجموعة التدخل أم لا، قبل أن نبدأ المجموعة، فعلى سبيل المثال قد يعد التدريب على التسامح والتصالح والتواصل أو حتى تقديم المساندة أثناء الانفصال، قد تعد جميعًا أهدافًا شرعية لمجموعات الأزواج الذين يعالجون من الآثار النفسية المترتبة على الخيانة الزوجية، فلكى تكون مجموعة التدخل ناجحة ينبغى أن يُعلن الهدف من أسلوب التدخل بوضوح، ومن الضرورى أن يكون هناك بعض الإجماع على أهداف المجموعة حتى تتحقق عملية تناغم المجموعة، وأيضًا لإنجاز أهداف أعضاء الجماعة.

الاعتبارات البحثية:

هناك عدد هائل من المصادر التى وصفت لنا كيف نُجرى بحث تدخل فعال، وعمومًا يحتمل أن يكشف البحث المصمم تصميمًا جيدًا عن فروق، وذلك بالقياس إلى البحث الأقل منهجية فى تصميمه (Cooper& Hedges, 1994)، وقد أوضح وامبولد Wampold وآخرون (١٩٩٧) أنه فى البحوث المصممة تصميمًا جيدًا، تكون أساليب التدخل التى تهدف إلى حدوث تأثير علاجى مؤثرة عادة، ولكنها لا تكون مؤثرة بدرجة أكبر من أى أسلوب تدخل آخر.وتبدو نتائج وامبولد وزملائه متسقة مع العلاقة التى كشفنا عنها فى هذا الفصل بين كم الوقت المستغرق فى التدخل، والآثار المتحققة من مجموعة التدخل، فيبدو أن المنظور النظرى لا يحدث فرقًا أكبر من الفرق الناجم عن

الوقت المستغرق فى التدخل، وقد وصف ثورسين Thoresen ولوسكين Luskin وهاريس Harris سنة (١٩٩٨) بعض هذه الاعتبارت البحثية عندما كانوا يجرون بحثًا فى التسامح، ولهذا لن نعيد نقلها هنا، ولكن سنلقى الضوء على عدد قليل من الاعتبارت التى لاحظناها أثناء إجراء بحثنا.

المتغيرات الخاصة بالمشاركين:

التلقى المؤثر للتسامح الذى يعزى إلى الشخصية:

هناك عدد هائل من المتغيرات التى قد تختص بالمبررات التى تجعل الأفراد يتسامحون، أو لا يتسامحون (للمراجعة، انظر: (McCullough,Exline,&Baumeister,1998)، ومن المتغيرات الشخصية التى قد تؤثر فى تلقى الأفراد للعلاج الوسع التفهمى (McCullough et al., 1997) فالأفراد الذين يتسمون بانخفاض وسع التفهم لديهم مثل ذوى اضطراب الشخصية النرجسية، أو الحدية borderline personality disorder أو المعادية للمجتمع أو الانسحابية، ومن يتسمون بالسمات النرجسية، أو الحدية أو المعادية للمجتمع أو الانسحابية مثل هؤلاء يكون غير محتمل أن يستفيدوا من أساليب التدخل، التى تحاول أن تولد التفهم لديهم؛ وذلك لاستثارة التسامح.

النوع:

ويعد النوع من المتغيرات المهمة أيضًا، فمن الأكثر احتمالاً أن تبدو الإناث أكثر تسامحًا، ومن الأكثر احتمالاً بالطبع أن يشاركن فى بحوث التسامح، وإذا حللنا البحوث المتوافرة لدينا وفقًا للنوع؛ فسيتبين لنا أن لدينا

ثلاث عشرة (١٣) مجموعة تسامح (انظر جدول ١١,١)، وأن (٧٩%) من المشاركين بهذه المجموعات سيدات، ويلاحظ أنه لا توجد دراسات عُنيت بفحص الفروق النوعية في التسامح الفعلي، ولتقدير احتمالية وجود علاقة بين النوع والتسامح عبر الثلاث عشرة دراسة الملخصة بجدول (١١,١)، قمنا بحساب الارتباط بين حجم التأثير ونسبة الذكور باستخدام المربعات الأدنى للانحدار الموزون (ليلائم حجم العينة)، وبلغ معامل الارتباط (R = ٣٤,) ومع الانحدار المعياري بلغت بيتا(- ٣٤,) ،(P =٢٦,) ومعامل الارتباط (R2 =١١,). وتوضح القيمة السلبية لبيتا أن الذكورتميل لأن تكون أقل تسامحًا عن الإناث، ولكن كان الارتباط غير دال، ويلاحظ أن عدد الذكور الذين يتطوعون للاشتراك في أساليب التدخل التي تهدف تعزيز التسامح يكون أقل من عدد النساء، وحتى لدى هؤلاء ، لا يتجه التسامح غالبًا إلى التحقق لدى هذا العدد القليل من الرجال المتطوعين كما يحدث لدى النساء - ولذا يمكننا (مؤقتًا)أن نستنتج أن الرجال أكثر تهيؤًا وبشكل أساسي لأن يحتفظوا بعدم التسامح عن النساء. ونوصي مؤقتًا بأن نأخذ على عاتقنا إجراء مزيد من الدراسات التي تُعنى بدراسة تأثير النوع في التسامح، حيث إن المجموعات المصممة ربما تستهدف تناول قضايا ذكورية، وهذا يشكل عقبة في أن نماثل تسامح الذكور بالإناث.

الدين :

ويمثل الدين متغيرًا آخر من المتغيرات الخاصة بالمشاركين، التي يحتمل أن تكون مهمة عند دراسة البحوث، التي تُعنى بتصميم أساليب تدخل بهدف تعزيز التسامح (McCullough&Worthington,1999)، فالأفراد الذين ينتمون بقوة للدين - كالتعاليم المسيحية الراسخة التي تتسم بمجموعة معايير

قوية تُكلف المسيحيين بالتسامح (Girard&Mullet ,1997;Rokeach,1973) يكـون من المحتمل أن يعبروا عن التسامح من خلال تقاريرهم الذاتية، وهذا قد يؤثر فى القيم الأولية إلى يوليها المسيحيون للتسامح نتيجة لتحيـز اسـتجاباتهم ، فالمستويات المرتفعة للتسامح الأولى المقرر ذاتيًا ؛ قد تؤثر فـى المكاسـب المحتملة التى يحصل عليها أولئك الأفراد، نتيجة للتأثيرات المرتفعة للتسامح لديهم. وقد توصل ريى Rye (١٩٩٨) إلى انتفاء وجود تفاعل بين التـسامح وكل من الزمن، وظرف الدنيوية مقابل التدين، وانخفاض التـدين الـداخلى مقابل ارتفاعه (باستخدام الوسيط أو تقسيم الجمهور العام وفقًـا للمتوسـط)، ومع ذلك فالدلائل المتوفرة لدينا، والقائمة على تقسيم الجمهور العـام إلـى مستويات وفقًا لمتوسط درجاتهم على مقاييس التدين، من غير المحتمـل أن تُحدث تأثيرات كبيرة للمتغيـرات الخاصـة بالتـدين (انظـر للمراجعـة: (Worthington,Kurusu,McCullough,&Sandage,1996)، وقد افترض ورثنجتون أن الأفراد الذين تزيد درجاتهم عن المتوسط بمقدار درجة واحدة انحـراف معيارى هم فقط الذين يدركون العالم بوجه عام وفقًا للتصنيفات الدينية، وبناءً على ذلك، فالفرض الذى مؤداه أن مرتفعى التدين يعايشون التسامح على نحو مختلف عن ذوى التدين المتوسط، وذوى التدين المتخفض ،هذا الفرض لـم يتم دراسته إمبريقيًا إلى الآن، ونحن نوصى بأن تطبق أساليب التدخل على مجموعات يكون كل أعضائها مرتفعى التدين، مثل أسلوب التـدخل الـذى صممه ريى سنة (١٩٩٨) والذى استهدف المسيحيين.

الثقافة:

يبدو أن الثقافة والسلالة وفقًا لتأملات بعض الكتـاب، مـن العوامـل المهمة أيضًا فى التسامح (McAleese,1998) فالأفراد الذين ينتمون إلى ثقافات

من قبيل إيرلاندا الشمالية، وجنوب أفريقيا، أو رواندا، تكون لديهم كثير من العوامل، غير الإساءات الفردية، تجعل منح التسامح صعبًا بالنسبة إليهم، بالإضافة إلى ذلك، يشعر الأمريكان الأفارقة أن هناك تمييزًا عنصريًا يمارس ضدهم على نحو منظم نتيجة لسلالتهم، يحول دون أن تكون لهم صلات قانونية بالقوى الاجتماعية، بما يجعل من الصعب التعامل مع الإساءة التى اقترفها فرد ينتمى إلى سلالة مختلفة(٣)، فينبغى أن نتناول أحيانًا القضايا المحملة ثقافيًا. وقد تكون سلالة قائد المجموعة متغيرًا مهمًا بالنسبة لمجموعة الأفراد الملونين، على الرغم من أننا قد لا نتوصل لدليل على أن هذا الفرض قد تم تناوله إمبريقيًا أم لا.

المتغيرات الموقفية :

إن الأفراد الذين تربطهم علاقات مستمرة بالمُسيئين إليهم، ويكون تعرضهم للإساءة مستمرًا ،أو مألوفًا، قد يكونون غير قادرين على الإفادة، من أساليب التدخلات المصممة بهدف استثارة التسامح لديهم، كما أن الصراع المستمر يكون قويًا جدًا، حيث تنزع الأحداث الحديثة إلى أن تُفسد تقريبًا الفوائد التى يمكن أن تتحقق للمجموعة فورًا.

المتغيرات التابعة :

إن المتغير التابع هو طبيعة أسلوب التدخل الذى يهدف استثارة التسامح، وهناك كثير من العوامل التى تؤثر فى كفاءة أسلوب التدخل، فعلى سبيل المثال تعد درجة معيارية أسلوب التدخل الخاص بالتسامح من العوامل المهمة فى معرفة ما الذى تسبب بدقة فى نجاح أسلوب التدخل أو فشله،

ويكون مضمون ما يقدم فى إطار أسلوب التدخل من العوامل المهمة. وفى الوقت الحالى تتسم العلاجات بأنها مركبة ومتعددة الأوجه، ونعتقد فى ضوء نتائج البحوث التى عرضناها من خلال هذا التحليل التجميعى المختصر، أنه لا يمكننا أن نستخلص استنتاجًا عن أى عنصر من عناصرأسلوب التدخل المتنوعة هو الذى يكون مؤثرًا، وأيها يكون مؤذيًا، وأيها يكون غير فعال (مع استثناء جائز مؤداه أن الارتباط بين التسامح والتفهم قد يكون مدعمًا بقدر كافٍ من الأدلة الإمبريقية، بما يستحق أن نقدم توصية للباحثين بأن يضعوا هذه الاعتبارات فى أذهانهم عند تصميم أساليب تدخل لتعزيز التسامح.

وعندما نفحص مضمون أسلوب التدخل (بأسلوب غير منظم)، نجد أن هناك اتفاقًا جوهريًا فى المضمون عبر الدراسات، فهناك اتفاق بين كل أساليب التدخل حول: (١) دعوة الأفراد أن يتأملوا الإيذاءات أو الإساءات المحددة التى مرت بهم، و(٢) تأكيد الوُسع التفهمى، و(٣) تعليم الأفراد أن تتعامل مع التسامح على أنه مكون من عناصرٍ وجدانية ومعرفية وسلوكية، وهذه العناصر ينبغى الاهتمام بها جميعًا (بدلاً من التعامل مع أى عنصر واحد منها فقط)، و(٤) دفع الأفراد تجاه اتخاذ قرار واعٍ بأن يمنحوا الآخرين التسامح، و (٥) دعوة المشاركين إلى أن يعيدوا صياغة حدث الإساءة (على الرغم من أن أساليب الأفراد الذين دُعوا إلى إعادة صياغة الحدث كانت مختلفة). ووجدنا اتفاق أقل حول ما إذا كان المشاركون تعلموا أن يُعدلوا عباراتهم الذاتية باستخدام الأساليب المعرفية –السلوكية أم لا (Luskin&Thoresen,1998;Rye 1998)، والتعامل بوضوح مع إدارة الغضب (Luskin&Thoresen,1998;Rye 1998)، وتبنى منظور التواضع ;Byant;Kurusu (Ripley;Rye; Sadage)، والاهتمام بأنماط العزو الأساسية الخاطئة (McCullough; Rye) .

الكتيبات العلاجية:

يعد وجود كتيب علاجى مفصل واحدًا من المعايير، التى تحكم معظم دراسات التدخل (Kazdin,1994) ويدورجدل حول استخدام الكتيب العلاجى؛ لأنه إذا تم وصف أساليب التدخل العلاجية، واتباع التعليمات المذكورة فى الكتيب العلاجى بصرامة شديدة فإن ذلك يعوق الإبداع، وسرعة الاستجابة للمواقف التى لا تنسى داخل المجموعة، أو التى تحدث ضمن التفاعلات التى تحدث مع قائد المجموعة، ومن ناحية أخرى كلما كان القائد مرنًا عند استجابته للشخصيات والأحداث الفردية، أصبح الكتيب العلاجى ،وعلى نحو متزايد، عديم المعنى ،وعلى الرغم من ذلك تبنى بحوث العلاج النفسى الحديثة ،على توقع مؤداه أن العلاج فى دراسات التدخل سيبنى على الكتيب، وهذا الكتيب سوف يكون موجودًا وسيُتبع، ويكون متاحًا للباحثين الآخرين، ويتوقع قائدو المجموعة والمعالجون الإكلينيكون الحكماء أن يحدث انحراف عن الوقت المحدد فى الكتيب، وذلك عندما يملى عليهم حدسهم أو خبراتهم الإكلينيكية ذلك.

تكوين المجموعات وفقًا للعلاج :

يعد عدد المجموعات التى ترشح للالتحاق بكل ظرف علاجى، واحدًا من القضايا ذات الاهتمام الخاص فى البحوث الجماعية (Burlingame,Kircher,&Honts,1994;Hoyle&Crawford,1994)، فعلى سبيل المثال إذا كان بالتصميم ظرف علاجى واحد وظرف ضابط واحد، والتحقت مجموعة بالظرف العلاجى والتحقت مجموعة أخرى بالظرف الضابط فإن القارىء لن يستطيع أن يفسر النتيجة التى أظهرت أن الظرف العلاجى كان أفضل من الظرف الضابط، فالمجموعات تطور خصالا شخصية فريدة، حيث

يتفاعل الأفراد فى المجموعات مع بعضهم بعضًا، وبناءً علـــى ذلـــك فـــإن تخصيص مجموعة واحدة لكل ظرف علاجى ســـوف يُحـــدِث خلطًـــا فـــى التأثيرات الخاصة بالأفراد المحددين الموجودين بكـــل مجموعـــة والقائـــد والمكان الذى تعقد فيه الجلسات، وتوقيتها خلال اليوم..إلخ، ومضمون هـــذه الجلسات ؛ بما يجعل من المتعذر فصل هذه التأثيرات المتباينة.

ويلاحظ أنه من الأمور المفيدة أن يُسمح للقادة المتعددين للمجموعات أن يرشحوا مجموعتين لكل ظرف علاجى (وللظرف الـــضابط أيـــضًا)[٤]، وبهذا نقاوم القلق المتعلق ب:

(١) اختلاط تأثير قادة المجموعات مع تأثير الظرف العلاجى، و

(٢) اختلاط تأثير قادة المجموعات مع تأثير المجموعات، وهذا يتـــيح لنا تعميم نتائج مثل هذه الدراسات، وينبغى أن نحسب تحليل التباين بعـــد أن يتم عمل المجموعات (الموزعة وفقًا للظروف التجريبية) ؛ لنحدد ما إذا كانت المجموعات تأثرت بالمتغيرات التابعة بصورة متكافئة أم لا (Burlingame et al.,1994;Hoyle& Crawford,1994)، وقد يفحص الباحثون تفضيلات القادة بكل مجموعة تدخل، وذلك لتحديد ما إذا كانت مثل هذه التفضيلات تـــؤدى إلـــى فروق فى النواتج المتحققة من أسلوب التدخل أم لا.

القادة المؤثرون:

يُلاحظ أن الباحثين لم يدرسوا العلاقة بين النواتج المتحققة من أساليب التدخل التى تهدف تعزيز التسامح، وكم التدريب الذى حـــصل عليـــه قائـــد المجموعة فيما يتعلق بتكوين مجموعات التـــدخل، وإذا تأملنـــا الدراســـات المعروضة فى جدول (١١,١) فسنلاحظ أنه لم يُذكر التـــدريب الـــذى تلقـــاه

قائدو المجموعات سوى فى دراسة ماكلو McCullough وورتنجتون Worthington التى أجريت الدراسة سنة (١٩٩٥)، وكان التدريب لمدة ساعة واحدة بالإضافة إلى استخدام استمارات، ودراسة ماكلو وآخرين التى أجريت سنة (١٩٩٧)، وكان التدريب لمدة أربع ساعات، مع استخدام الكتيب الخاص بأسلوب التدخل)، ودراسة سانداج Sandage التى أجريت سنة (١٩٩٧)، وكان التدريب لمدة ساعتين مع استخدام الكتيب، ودراسة ريى Rye التى أجريت سنة (١٩٩٨)، وكان التدريب لمدة ساعة مع ساعة إشراف كل أسبوع، وريبلى Ripley التى أجريت سنة (١٩٩٨)، وكان التدريب لمدة أربع ساعات مع استخدام الكتيب، ودراسة كوروسو Kurusu التى أجريت سنة (١٩٩٦)، وكان التدريب لمدة ساعتين مع استخدام الكتيب، ودراسة أخرى لكوروسو أجريت سنة (١٩٨٣)، وكان التدريب لمدة ثلاث ساعات مع استخدام الكتيب ، ودراسة بريانت Bryant التى أجريت سنة (١٩٩٨)، وكان التدريب لمدة ساعتين مع استخدام الكتيب، ودراسة المابوك وآخرون التى أجريت سنة (١٩٩٥)، و قد قدمت بعض التدريبات. ولم تحدد لنا الدراسات الخصال المميزة للقادة الأكثر تأثيرًا أو الأقل تأثيرًا، فى المجموعات المتنافسة التى تهدف تعزيز التسامح لدى أعضاء المجموعة، وتكونت كل المجموعات من طلاب جامعيين، باستثناء مجموعة واحدة فقط (Hebl&Enright,1993). وقد تؤثر الخبرة الإكلينيكية للقادة وخاصةً خبراتهم بمجموعات التسامح فى النواتج المتحققة من مثل هذه التدخلات، ولم تُجر دراسات متقدمة تتناول المتغيرات التى تؤثر فى كفاءة تقديم أساليب التدخل، وبالتالى لا يوجد استنتاج يمكن استخلاصه فى هذا الموضع، فيما يتعلق بمن يمكنه على نحو مؤثر تكوين مجموعات تدخل خاصة بالتسامح.

السياق المكانى:

قد يؤثر السياق المكانى الذى تقدم فيه أساليب التدخل الخاصة بالتسامح فى العلاج، فعلى سبيل المثال قد تختلف فاعلية أسلوب علاجى للتسامح ذي توجه دينى، يقدم إلى مشاركين متدينين محافظين داخل كنيسة، عن فاعلية هذا العلاج نفسه المقدم فى مكتب المعالج، أو عيادة الجامعة (Pargamet,1997;Rye,1998)، وعلى نحو مماثل قد يتوقع من قائد المجموعة الذى يعد من رجال الدين المسيحي أن يحقق نتائج مختلفة، عن النتائج التى قد يحققها الاختصاصى النفسى أو الطالب الجامعى، وخلاصة القول يتوقع أن يكون هناك تفاعل بين الخصال المميزة للقائد أو الميسر، والسياق المكانى الذي يقدم فيه أسلوب التدخل ونمط العزو الشخصى لأعضاء المجموعة.

المجموعة الضابطة:

ينبغى أن يتم اختيار مجموعة ضابطة فى ضوء اعتبارات عديدة، فينبغى أن نتقيد بالاعتبار الأخلاقى، بحيث نزود المرضى بالعلاج الذى يحتاجون إليه، إذا كان ممكنًا تزويدهم به، وبناءً على ذلك ينبغى أن نتجنب ظروف "عدم تقديم العلاج" فى السياقات الإكلينيكية.

ويتمثل البديل فى أن نستخدم المرضى المقيدين بقائمة الانتظار، كأفراد للمجموعة الضابطة، فيكمل الناس المقيدين بقائمة الانتظار الفحوص نفسها، التى تلقاها نظرائهم بالظرف العلاجى وبعد فترة انتظار مناسبة، يتلقوا عندئذ أسلوب التدخل العلاجى، وهذا يفى بالشرط الأخلاقى، فإذا لم يكن الاختصاصى العيادى قادرًا على تزويد الأفراد بالمجموعة الضابطة بالأسلوب العلاجى أثناء فترة الانتظار، ولكن سيزودهم به فى فترة لاحقة،

فعندئذ يكون لدى المشاركين الفرصة لتلقى الأسلوب العلاجى موضع الاهتمام، وهناك مشكلتان فى التصميم البحثى القائم على إدراج بعض المشاركين فى قائمة انتظار، وهاتان المشكلتان هما:

(١) أنها تحول دون إمكانية عمل متابعة للمشاركين، بعد انقضاء فترات طويلة من تلقى العلاج.

(٢) يلاحظ فى البحوث الموجودة أنها تقارن أداء المشاركين، الذين تلقوا أساليب التدخل المركبة بأداء المشاركين بالمجموعة الضابطة، والمدرجين بقائمة الانتظار، وبهذا لا توجد وسيلة لدينا لتبين أى عنصر من عناصر أسلوب التدخل المركب هى التى تعد مسئولة بالفعل عن حدوث التسامح.

ولهذا نحتاج إلى استخدام تصميمات بحثية مماثلة، لنحلل أساليب التدخل المركبة إلى عناصرها الأساسية أو لنُحسنها، حيث تتيح مثل هذه التصميمات البحثية للباحثين، أن يحددوا الأجزاء الحاسمة فى برنامج التدخل العلاجى التى تُحدث الآثار الفارقة بين المجموعات العلاجية والضابطة.

وحدد يالوم yalom سنة (١٩٧٠) العوامل الشفائية التى تحدث نتيجة لميزة الاشتراك فى مجموعة التدخل، وتتضمن هذه العوامل عناصر مثل تزويد المشاركين بالأمل، وشمولية أسلوب التدخل، وتضمنه محتوى نفسى تربوى، واتسام المشاركين بالإيثار، وإعادة إصلاح جماعة الأسرة الأصلية، وتطوير التنشئة الاجتماعية، وإتاحة الفرصة للمشاركين للمحاكاة والتعلم المتبادل بين أعضائها، وتماسك أعضاء مجموعة التدخل، وتنفيس أعضاء الجماعة عن انفعالاتهم، كما حدد عوامل وجودية existential factors ، وينبغى أن يُكوّن الباحثون مجموعات ضابطة تزودنا بمجموعة تأثيرات غير نوعية مع عدم تضمين التسامح كأسلوب تدخل علاجى.

وقد تُعزل إحصائيًا وعلى نحو اختيارى درجات المشاركين على بعض مقاييس عملية التسامح التى تقيس الاستجابة إلى العوامل الشفائية عن النواتج المتحققة من أسلوب التدخل، وذلك عند مقارنة أداء المشاركين بمجموعات العلاج بأداء المشاركين بالمجموعات الضابطة.

وهناك ظرف ضابط آخر ممكن، يتمثل فى استخدام أسلوب علاجى بديل، وقد يكون هذا البديل أسلوب تدخل شبيه بأسلوب التدخل الكامل، باستثناء وجود العناصر التى تعزز التسامح، فعلى سبيل المثال عند دراسة نموذج التفهم فى التسامح، يتضمن أسلوب العلاج البديل تفهم المُساء إليه للمُسىء، ولكن لا تبذل أية محاولة من قبل المعالج لتعزيز التسامح لدى المُساء إليه. وقد استخدم ألمابوك وآخرون سنة (١٩٩٥) تصميمات بحثية متنوعة، فتلقى المشاركون فى الدراسة الأولى عشرخطوات من السبع عشرة خطوة المكونة لنموذج عملية التسامح لإينريت، وتلقى المشاركون فى الدراسة الثانية السبع عشرة خطوة كلها ونظرًا للاختلافات بين الدراستين (مثل اختلاف الوقت الذى قدم فيه العلاج، والمكان...إلخ) لذلك ليس ممكنًا أن نستنتج أن إضافة خطوات علاجية هو الذى أدى إلى زيادة التسامح لدى المشاركين بالدراسة الثانية، عما حدث لدى المشاركين بالدراسة الأولى، ومع ذلك تعد مقالة المابوك وزملاؤه المحاولة الوحيدة المتاحة فى التراث البحثى، التى عُنيت بتحديد المكونات الفعالة فى أسلوب التدخل العلاجى، وقد يكون الأسلوب العلاجى البديل أيضًا برنامج تدخل يهدف تغيير كل المظاهر المرتبطة بعدم التسامح، مثل القلق (تدريب على إدارة القلق، والغضب (تحكم فى الغضب) أو المشكلات المتصلة بالعلاقات (مثل التدريب على التواصل مع الآخرين).

العـزو:

لا يكون من السهل دائمًا أن نضمن أن الأفراد التى بـدأت فـى تلقـى العلاج سوف تكمله، فمن الأكثر احتمالاً أن يكف بعض المـشاركين وعلـى نحو اختيارى عن تلقى الأساليب العلاجية الخاصة بالتسامح، ويميل مثل هؤلاء إلى أن يكونوا الأكثر احتياجًا للتسامح من غيرهم، فالأفراد عندما تنخرط فـى علاقات مستمرة ومؤذية، لن يمكنها عندئذ أن تدرك الفوائد التى ستتحقق لهـم من مشاركتهم فى مجموعة التدخل العلاجى، بالإضافة إلى ذلك من المحتمـل أن الأفراد التى استقرت على نمط حياة غير متسامح بوجه عام، أن تكف عن تلقى العلاج، لأنهم قد ينظرون إلى التسامح على أنه علامة على الضعف، أو قد يجدونه صعبًا جدًا عليهم، لأن ممارسته تتعارض مع سلوكهم المعتاد، وقـد يواجه المجهود الذى يبذله الأشخاص لأن يصبحوا أكثـر تـسامحًا بـسخرية وارتياب من قبل أصدقائهم، فقد يعاقبوا على اشتراكهم فى مجموعة التـسامح من أصدقائهم وزملائهم، الذين لا يتعاملون مع جهودهم للتسامح معاملة جادة، علاوة على ذلك قد يكف الأفراد الذين لديهم مشكلات شخصية وعلـى نحـو اختيارى عن إكمال أسلوب التدخل، وقد يجعل قادة المجموعة أنفسهم متـاحين لمناقشة مثل هذه الأمور أو يحولوا الأفراد إلى العلاج، على الرغم من أن كلا الحلين قد يعرض الدراسة لمخاطر تؤثر على سلامتها منهجيًا.

المتغيرات التابعة :

اختيار المقاييس التى تقيس المتغيرات التابعة :

يعد اختيار المتغيرات التابعة ذا أهمية حاسمة أيضًا فى نواتج البحوث الخاصة بتعزيز التسامح، فينبغى أن يتم اختيار المتغيرات التابعة التى ترتبط بوضوح بالأهداف المنشودة من أسلوب التدخل، فإذا كان أسـلوب التـدخل

يهدف مساعدة الفرد على أن يسامح شخصًا واحدًا علي حدث مؤذٍ واحد، فهذا ينبغى أن يُقاس على أنه متغير تابع، وينبغى أن تُختبر إمكانية تعميم نتائج الأسلوب العلاجى لنرى ما إذا كانت التأثيرات تحققت على مستوى شخصية الفرد، فهل أصبح الشخص أكثر تسامحًا كفرد ،أو تحققت على مستوى علاقاته بالآخرين، وما إذا كانت علاقاته تحسنت لاشتراكه فى أسلوب التدخل.

المتغيرات التابعة المتعددة:

علاوة على قياس درجة التسامح بشكل مباشر من خلال التقرير الذاتى للمشاركين، من الملائم أن نستخدم استراتيجية تعتمد على قياس سمات متعددة وعلى مدى فترات زمنية متباعدة، وذلك لكى نستدل من خلالها على فعالية أسلوب التدخل، فقد تتضمن مناهج القياس المتعددة هذه تقرير الآخرين لما إذا كان الشخص يبدو أكثر تسامحًا أم لا، كما قد تتضمن استخدام مقاييس فسيولوجية، توضح ما إذا كان التسامح حدث أم لا، فعلى سبيل المثال، فقد نتوصل إلى أن التسامح يرتبط بالدرجات المنخفضة على المقاييس الخاصة بالمشقة (مستوى الكوليسترول بالدم)، والأرجاع النفسية الفسيولوجية المنخفضة، وبانخفاض المؤشرات الجسمية للخوف، أو الغضب، وما شابهما، فهذا الثالوث المكون من التقارير الذاتية للمشاركين وتقارير الآخرين عنهم، والمقاييس الفسيولوجية، يعزز الثقة فى أن التسامح قد حدث فعلاً بعد تلقى برنامج التدخل.

ولم يتضح إمبريقيًا حتى الآن أن التسامح مرتبط بتحسن الصحة، على الرغم من أن الفرض الذى قدمناه يوحى بوجود هذا الارتباط، وقد يتضمن

قياس الارتباط المحتمل بين المؤشرات الخاصة بالصحة، والتسامح كحالة أوكسمة استخدام مقاييس تقيس سلوك الأفرد ذوى نمط الشخصية (A) (Friedman et al.,1986;Kaplan,1992)، وكفاءة وظائف جهاز المناعة (Herbert&Cohen,1993;Kiecolt-Glaser et al.,1996) والثقة، والمشاعر العدائية (Williams,1989) والعلاقة لزواجية أو الرضا عنها، والوفاء بالعهد (Rusbult,Vertte,WhitneySlovik,&Lipkus,1991) ومؤشرات أخرى مثل القلق، والغضب، أو أية حالات انفعالية أخرى، ومن المحتمل أن نتوصل إلى أن عدم التسامح المزمن (عدم التسامح بوصفه سمة) وليس عدم التسامح الحاد يرتبط بالمؤشرات السلبية للصحة، وأن سمة التسامح، وليس التسامح كحالة، سترتبط بالمؤشرات الإيجابية للصحة، على الرغم من عدم توفر دليل على وجود ارتباطات بين التسامح والتسامحية forgivingness (الميل للتسامح) وعدم التسامح وعدم التسامحيةunforgivingness (الميل لعدم التسامح) والصحة، فإنه ينبغى على الباحثين أن يضعوا فى اعتبارهم قياس المتغيرات الصحية؛ ليتحققوا مما إذا كانت هناك أية ارتباطات بين الصحة، والتسامح أو عدم التسامح.

علاوة على ما سبق يمارس. التسامح بين الأشخاص، ويقاس من خلال تقدير استجابات أفراد، على الرغم من أن المعاملات التى تتصل بالتسامح قد تؤثر فى التسامح المتبادل بين الأشخاص، وتتأثر به، وقد تؤثر فى التصالح، وتتأثر به، ونحتاج إلى إجراء دراسات مستقبلية تعنى بتشعب التسامح المتبادل بين الأشخاص إلى معاملات تتصل بالتسامح، والعكس صحيح، بالإضافة إلى ذلك يحتاج التسامح والمعاملات المتصلة به إلى أن يُدرسا ضمن سياق التصالح، وتحتاج المقاييس التى تستخدم لقياسه إلى أن تُطور وتُنقح لكى تقيس التكوينات النظرية العديدة المرتبطة بالتسامح.

درجة التغير:

تعد درجة التغير المُقاس من خلال مثل هــذه المقــاييس ذو أهميــة، وينبغى على الباحثين أن يضعوا فى اعتبارهم إلى أى مدى يعــد التــسامح المتحقق ذو دلالة إكلينيكية، بالإضافة إلى كونه دالاً إحصائيًا، وأى درجة من عدم التسامح تفضى إلى نواتج صحية سيئة أو إلى علاقات سيئة، وأى درجة تصالح ترتبط بالعلاقات الجيدة أو السيئة.

توقيت إجراء قياسات للمتغير التابع :

ذكرنا سابقًا أن عددًا من دراسات التدخل التــى حاولــت أن تعــزز التسامح، قد أجرت قياسات تتبعية، والسؤال الذى ينبغى أن يتناوله الباحثون بالدراسة هو مقدار الوقت الملائم لإجراء متابعــة بعــد انتهــاء الأســلوب العلاجى، وقد أجريت معظم القياسات التتبعية بعد توقف أسلوب التدخل بثلاثة أو أربعة أسابيع، وفى ذلك الوقت، تكون تأثيرات الأسلوب العلاجى ما زالت باقية، ربما قد تتضاءل تضاؤلاً طفيفًا.

وينبغى أن يضع الباحثون فى اعتبارهم كم الوقــت المعقــول الــذى يستغرقه أسلوب التدخل الذى يعزز التسامح، فقد يأمل المرء أن الأفــراد إذا سامحت هؤلاء الذين آذوهم، فإن هذا التسامح ســيظل للأبــد، ولكــن فــى العلاقات التى تتسم بالاستمرارية، تدخل عُنوة أحداث مرتبطة بطرفى العلاقة فى الفترة الفاصلة بين انتهاء الأسلوب العلاجى، وإجراء المتابعة، وبناءً على ذلك يزداد احتمال أن تحدث فى ظل هذه العلاقــة أحــداثًا أخــرى مؤذيــة أو مُسيئة، أو تحدث على نحو تبادلى أحداثًا أخرى مزدهرة تحجب تــأثيرات الأسلوب العلاجى، وسيكون أحد الحلول الفنية لهذه المشكلة هو أن نقيس هذه

الأحداث المرتبطة بالعلاقة، التى قد تحدث أثناء انتهاء الأسلوب العلاجـــى، وهذه الأحداث قد تصلح كمتغيرات تابعة حيث إنها تعد من نواتج الأســلوب العلاجى، وقد تصلح أيضًا كمتغيرات أصبحت مُعدلة جديـــدة، أو متغيـــرات تابعة جديدة لنواتج أخرى.

وقد اقترحنا فى هذا الفصل آراءً ضرورية لتوجيه البحوث الجيدة التى تجرى على مجموعات لتعزيز التسامح لديهم، فمـــن الواضـــح أن الدراســـة العلمية التى تعزز التسامح تتسم بعدم النضج، فحتى الآن هنـــاك أربـــع (٤) مجموعات من الباحثين قادت الدراسات التى قدمنا تقريرًا عنهـــا، ومعظـــم الدراسات أجرتها مجموعتان من الباحثين، ويُوصى فى المراحل المبكرة من الدراسة العلمية بتنوع المناهج ؛ وذلك لإجراء دراسة فعالة، ولهذا فنحن نؤيد دراسات الحالة المتعددة حيث ن=١، والمناحى الأخرى التـــى يكـــون مـــن المحتمل أن تكشف عن نتائج، قد تكون محجوبة عنا، نتيجة للاعتماد علـــى أسلوب منهجى واحد فقط (مثل الدراسات التى روجعت فى هذا الفصل).

خاتمة:

يُلاحظ بوجه عام أنه فى ظل استخدام أساليب التدخل الجماعى لتعزيز التسامح والتصالح، تكون تأثيرات ميسر(أو قائد) واحد أو ميـــسرين اثنـــين للمجموعة ذات فعالية، ولذا يمكن أن نساعد (ونأمل فى ذلـــك) كثيـــرًا مـــن الأفراد فى آن واحد، وعلى الرغم من هذه الفاعلية فإننا نبـــدأ بالاعتبـــارات المحددة التى نكون فى حاجة إليها لتوجيـــه مجموعـــات التـــدخل المـــؤثرة، ولإجراء بحث هادف فى التدخلات الجماعية، ولذلك تستحق أساليب العلاج الجماعى توجيه انتباه محدد لها، وتحديدًا، هناك كثير من الاعتبارات الخاصة

تكون ضرورية عند تصميم المجموعات، وعند توجيهها بحيث يمكن تبين التأثيرات الناجمة عنها بوضوح، ويمكن كذلك أن نعزو النواتج المتحققة للأجزاء العلاجية التى تعزز التسامح.

وهناك عديد من القضايا البحثية تعد من الأمور الملحة فى المجال البحثى، وتتضمن هذه القضايا :

- إجراء بحوث مستمرة على الجمهور لتحديد أى أساليب التدخل الجماعى يمكن تطبيقها بفاعلية وأيها لن يمكن تطبيقها بفاعلية.
- تحليل العملية لتحديد الأجزاء الفعالة التى تؤسس أساليب التدخل الجماعى.
- ابتكار مجموعات تدخل فعالة (غير البرامج الأربعة المستقرة) بواسطة باحثين يقتربون من دراسة التسامح من خلال تبنى أطر نظرية أخرى، يعقبها إجراء بحث تدخل؛ لتحديد العناصر الفعالة فى مجموعات التدخل الجديدة.

ومع تسليمنا بالنتائج التى عرضناها، والخاصة بعلاقة كم الوقت المستغرق فى أسلوب التدخل بالآثار المتحققة، فهناك سؤال جوهرى ينبغى أن يعكف الباحثون على الإجابة عنه وهو باختصار :هل توجد فائدة من تناول التسامح بالدراسة؟ فعلى سبيل المثال إذا ظهر عدم التسامح لدى أعضاء مجموعة تدخل فى ظل العلاقات المتبادلة بينهم، فهل تناول هذا الموضوع فى ساعة أو ساعتين يكون جديرًا بالاهتمام، مع وضعنا فى الاعتبار نتائج البحوث التى أوضحت أن أساليب تدخل من هذا القبيل من المحتمل أن تحدث تأثيرات منخفضة؟

وقد يتجاوز هذا السؤال حدود الفصل الحالى، ويبدو أن علاقة كم الوقت المستغرق فى التسامح بالآثار المتحققة تكون قوية داخل مجموعات التدخل، وفحصت دراستان حتى الآن التسامح فى سياق العلاج النفسى الفردى (Coyle & Enright,1997; Freeman& Enright ,1996)، واستخدمت كلتا الدراستين أساليب تدخل طويلة المدى، استغرقت من ثمانية عشر أسبوعًا حتى ستين أسبوعًا. وإذا حصرنا البيانات الخاصة بهاتين الدراستين فستتلائم مع منحنى كم الوقت المستغرق – الآثار المتحققة لمجموعات التدخل.

والتساؤل الآن هو: هل أساليب التدخل المختصرة التى تتجه نحو تعزيز التسامح فى ظل العلاج النفسى الفردى، ستحدث تأثيرات ذات معنى؟.

وتطرح دراسة التحليل التجميعى الحالية، للعلاقة بين كم الوقت المستغرق فى التدخل والتأثير الناتج مجموعة من التحديات، فهى تتحدى المنظرين لأن يثبتوا أن مظاهر نظرياتهم التى يدّعون أنها مميزة عن نماذج نظرية الأخرى، هى بالفعل تشكل نموذجًا ذا ناتج مختلف، وتتحدى الممارسين لأن يفكروا فيما إذا كانوا يركزون على التسامح بقدر أكبر من التأكيد، أو بقدر أصغر مما هو حادث حاليًا، وفيما إذا كانوا يوجهون المجموعات المستهدفة لتعزيز التسامح أم لا، وتتحدى الباحثين لأن يحاولوا أن يجزئوا التأثيرات الناتجة عن مجموعات التدخل، لتحديد التأثيرات الفريدة الناجمة عن التعامل مع مضمون التسامح.

ومجال البحث فى أساليب التدخلات التى تعزز التسامح مفتوح على مصراعيه أمام الباحثين، وهناك عدد أكبر من التحديات الوافية لشغل المنظرين والاختصاصيين العياديين والباحثين لسنوات للتغلب عليها.

شكـــر:

دُعم إعداد هذا الفصل جزئيًا بمنحة مقدمة من مؤسسة جون تيمبلتون ، وأنا أعبر عن امتنانى لهذا الدعم العظيم للمؤسسة.

ملاحــظات:

١- يقيس مقياس البنود الخمسة المكونات المعرفية للتسامح، وقد طلب إينريت عدم استخدامه فى البحوث المستقبلية، لأنه يُعرّف التسامح إجرائيًــا على نحو غير ملائم، واتفق معه فى هذا الرأى كل من ماكلو وورثنجتــون وراشال، ونوصى باستخدام بطارية إينريت الكاملة فى التسامح بدلاً من هذا المقياس (Subkoviak et al.,1995) وأجزاء من مقياس واد (١٩٨٩)

أو مقياس ال TRIM (McCullough et al., 1998) ومقيــاس هــارجراف وسيلز وماجر الذى قُدم سنة (١٩٩٧) لسمة التسامح (انظر: .Mauger et al., 1992) أو مقياس ريى الذى قدمه سنة (١٩٩٨)، فهذه بعض المقاييس الواعدة فى قياس التسامح.

٢- نحن نستخدم مصطلح "ملائم إكلينيكيًا" ولكننا نسلم بــأن أســاليب التدخل الإكلينيكى الصحيحة فى حاجة إلى أن تعالج قضية التــسامح داخــل العيادة، فى ظل استخدام الإرشاد الفردى، والعلاج النفسى الجماعى المتوجه نحو العلاج النفسى الجماعى للعلاقات المتبادلة بين الأشخاص، ونتعامل مع أساليب التدخل الجماعى على أنها " ملائمة إكلينيكيًا إذا كان هدفها الأساســى هو تعزيز التسامح، فمن المحتمل أن تكون أســاليب التــدخل هــذه فعالــة (وفقًا للمنحنى الخاص بالعلاقة بين كم الوقت المــستغرق فــى التــسامح – والآثار المتحققة)، إذا استغرقت كمًّا من الوقت جوهريًا.

٣- كيف يستطيع الأمريكيون الأفارقة، على سبيل المثال، أن يسامحوا الأمريكيين الأوربيين الذين اضطهدوهم تاريخيًا، على الرغم من أن الأمريكيين الأفارقة العصريين قد لا يكونون عانوا كثيرًا من هذا الاضطهاد؟. وتعد القوى الاجتماعية هى المنقذ فى هذا المخرج، مثلما يحدث تمامًا عندما يسامح الطفل والده، و تسامح الزوجة زوجها، وتسامح السيدة التى أسيئت معاملتها زوجها، ويسامح العامل رئيسه أو رئيسته، فتؤثر القضايا المتعلقة بالقوى الاجتماعية فى المعاملات المتصلة بالتسامح، حيث تؤثر فى سهولة حدوث التسامح والتصالح المتبادلين بين الأشخاص.

٤- لا تعد قولبة أسلوب التدخل فى ظل وجود القادة حلاً أفضل لهذه المشكلة بأية حال، فمن خلال قولبة المجموعات فى ظل وجود القادة، نكون متأكدين أن القائد غير المساعد لن يسهم إسهامًا فارقًا فى التأثير فى ظروف التدخل، ومع ذلك يفتقر هذا الحل إلى الصدق الخارجى، ويفضل القادة منحىً واحدًا فى الممارسة، ولايسترشدون بمناحى قد لا يثبتون ملائمتها، وقد يبرهن مثل هذا الاستدلال على أن الصدق الخارجى سيتحسن ،إذا سكّن الباحث القادة داخل مجموعات التدخل.وقبل كل ذلك سيرغب الباحث فى أن يتأكد من أن القادة متكافئون فى الخبرة، والدرجة العلمية، والنوع، والسلالة، وكل المتغيرات الأخرى التى قد يكون متوقعًا أن تؤثر على نحو معقول فى المُدخل، وبعد انتهاء أسلوب التدخل، سيرغب الباحث فى أن يتحقق من أن القادة فى كل ظرف علاجى قاموا، وعلى حد سواء، بعمل تقدير للمتغيرات المتصلة بالعلاقة (على الرغم من أن المرء قد يبرهن على أن مثل هذه التقديرات يمكن تفسيرها على أنها متغيرات تابعة).

المراجع

- AL-Mabuk,R.H.,Enright ,R.D.,&Cardis.P.A.(1995).Forgiving education with parentally loved- deprived late adolescents.Journal of Moral Education,24,427-444.

- Baron,R.M.,&Kenny,D.A.(1986).The moderator- mediator distinction in social psychological research: Conceptual ,strategic, and statistical considerations.Journal of Personality and Social Psychology,51,1173-1182.

- Baumeister,R.F.,Exline,J.J.,&Sommer,K.L.(1998).The victim role , grudge theory,and two dimensions of forgiveness.In E.L.Worthington ,Jr.(Eds.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological speculations (pp.9-28).philadelphia: Templeton foundation press.

- Baumeister,R.F.,Stillwell,A.M.,&Heatherton,T.F.(1994).Guilt: An interpersonal approach. Psychological Bulletin,115,243-267.

- Bryant ,W.(1998).The application of cognitive dissonance theory in a forgivenss workshop: Inducing hypocrisy to create a commitments to forgive.Unpublished doctoral dissertation ,Virginia Commonwealth University,Richmond.

- Burlingame,G.M.,Kircher,J.C.,&Honts,C.R.(1994).Analysis of variance versus bootstrap procedures for analyzing dependent observations in small group research.Small Group Research ,25,486-501.

- Cooper, H.,& Hedges , L.V.(1994). Thehandbook of research synthesis. New York: Russell Sage Foundation.

- Couper ,D.(1998).Forgiveness in the community: Views from an Episcopal priest and former chief of police.In Robert D.Enright & Joanna North (Eds.), Exploring forgiveness (pp.121-130). Madison: University of Wisconsin Press.

- Coyle, C.T.,& Enright ,R.D.(1997). Forgivenessintervention with postabortion men. Journal of Consulting and Clinical Psychology ,65,1042-1046.

- Deffenbacher , J.L.(1995). Ideal treatment package for adults with anger disorders.In H. Kassinove (Ed.). Anger disorder: Definition ,diagnosis, and treatment (pp.151-172).Washington, DC: Taylor& Francs.

- DiBlasio ,F.A.(1998).The use of a decision –based forgiveness intervention within intergenerational family therapy.Journal of Family Therapy,20,77-94.

- Dickey,W.J.(1998). Forgiveness and crime: The possibilities of restorative justice. In R.D. Enright & North(Eds.), Exploring forgiveness(pp.106-120).Madison: University of Wisconsin Press.

- Dorff,E.N.(1998).The elements of forgiveness: AJewish perspective ,In E. L. Worthington , Jr.(Ed.), Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological speculations(pp.29-55).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Enright ,R. D.,& the Human Development Study Group.(1994). Piaget on the moral development offorgiveness: Identity or reciprocity ? Human Deveolpment,37,63-80.

-Enright,R.D.,& the Human Development Study Group.(1996). Counseling within the forgiveness triad: On forgiving ,receiving forgiveness ,and self – forgiveness.Counseling and Values,40,107-126.

- Enright, R.D.,& North,J.(Eds.).(1998).Exploring forgiveness.Madison: University of Wisconsin Press.

- Fitzgibbons,R.P.(1986).The cognitive and emotive uses of forgiveness in the treatment of anger.Psychotherapy,23,629-633.

- Flanigan, B.(1998). Forgivers and the unforgivable.In R.D. Enright & J. North(Eds.),Exploring forgiveness (pp.95-105).Madison: University of Wisconsin Press.

- Freedman, S.R.,& Enright,R.D.(1996).Forgiveness as an intervention goal with incest survivors.Journal of Consulting and Clinical Psychology,64,983-992.

- Friedman M.,Thoresen,C.E.,Gill,J.,Ulmer,D.,Powell,L.H.,Price ,V. A., Brown ,B. ,Thompson, L.,Rabin ,D.,Breall, W.S.,Bourg ,W. ,Levy ,R., & -Dixon,T. (1986).Alteration of Type A behavior and its effect on cardiac recurrences postmyocardial infarction patients: Summary results of the Recurrent Coronary Prevention Project. American Heart Journal , 112, 653-665.

- Gartner,J.(1988).The capacity to forgive: An object relations perspective. Journal of Religion and Health , 27,313-320.

- Girard,M.,& Mullet,E.(1997).Forgiveness in adolescents ,young , middle – aged and older adults. Journal of Adult Development,,209-220.

- Hebl,J.,Enright,R.D.(1993). Forgiveness as a psychotherapeutic goal with elderly females.Psychotherapy,30,658-667.

- Hepp-Dax,S.(1996)..Forgiveness as an intervention goal with fifth grade inner city children.Unpublished doctoraldissertation , Fordham University.

- Herbert ,T.,& Cohen, S.(1993). Stressand immunity in humans: A meta – analytic review.Psychosomatic Medicine ,55,364-379.

- Hoyle,R.H.,& Crawford ,A.M.(1994).Use of individual –level data to investigate group phenomena.Small Group Research,25,464-485.

- Jacobson,N.S.,&Gurman ,A.S.(Eds.).(1995).Handbook of couple therapy. New York: Guilford Press.

- Kaplan,B.H.(1992).Social health and the forgiving heart: The Type B story.Journal of Behavioral Medicine,153-14.

- Kazdin,A.E.(1994).Methodology,design, and evaluation in psychotherapy research.In A.E.Bergin&S.L Garfield(Eds.),Handbook of psychotherapy and behavior change (4thed.,pp.19-71).New York:Wiley.

- Kiecolt- Glaser,J.K.,Newton, T.,Cacioppo,J.T. , MacCallum , R.C. ,Glaser, R.,&Malarkey,W.B.(1996).Marital conflict and endocrine function: Are men really more physiologically affected than women?. Journal of Consulting and Clinical Psychology,64,324-332.

- Kurusu,T.A.(1996).The effectiveness of pretreatment interventions on a forgiveness- promoting psychoeducational group. Unpublished master's thesis ,Virginia Commonwealth University, Richmond.

- Kurusu,T.A.(1998). The effectiveness of pretreatment intervention on participants in forgiveness- promoting psychoeducationin various stages of change. Unpublished dissertation, Virginia Commonwealth University, Richmond.

- Lindemann,C.(Ed.)(1996).Handbook of the treatment of anxiety disorders. New York: Jason Aronson.

- Luskin,F.,&Thoresen,C.(1998).Effects of forgiveness training on psychosocial factors in college age adults.Unpublished manuscript ,Stanford University,Northport,NY.

- Mauger,P.A., Perry,J.E.,Freeman,T., Grove,D.C.,McBride, A.G., &McKinn-ey , K.(1992).The measurement of forgiveness: Preliminary research. Journal of Psychology and Christianity,11, 170-180.

- Madanes,C.(1991).Strategic family therapy.In A.S. Gurman &D.P.Kniskern (Eds.)Handbook of family therapy(vol.2, pp.396-416).New York: Brunner/Mazel.

- Marty,M.E.(1998).The ethos of Christian forgiveness ,In E.L. Worthington ,Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological speculations (pp.9-28).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- McAleese,M.(1998).Love in chaos: Spiritual growth and the search for peace in Northern Ireland.New York: Continuum.

- McCullough,M.E.,Exline,J.J.,&Baumeister,R.F.(1998).An annotated bibliography of research on forgiveness and related concepts.In E.L.Worthington ,Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological speculations (pp.193-317).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

McCullough,M.E.,Rachal,K.C.,Sandage,S.J.,Worthington,E.L.,Jr.,Brown,S.W.,& Hight,T.L.(1998).Forgiving in close interpersonal relationships: 11 Theoretical elaboration and measurement. Journal of Personality and Social Psychology, 75,1586-1603.

- McCullough,M.E.,& Worthington,E.L.,Jr.(1994).Encouraging clients to forgive people who have hurt them: Review ,critique ,and research prospectus. Journal of Psychology and Theology, 22,3-20

- McCullough M.E.,& Worthington,E.L.,Jr.(1995).Promoting forgiveness: The comparison of two brief psycho ducational interventions with a waiting –list control.Counseling and Values,40,55-68.

- McCullough, M.E.,& Worthington,E.L.,Jr.(1999).Religion and forgiving personality.Journal of Persoality.

- McCullough,M,E.,Worthington ,E.L.,Jr.,& Rachal,K.C.(1997). Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Psychology,73,321-336.

- Means,J.R.,Wilson, G.L ,Sturm ,C.,Piron,J.E.,& Bach,P.J. (1990). Humility as a psychotherapeutic formulation.Counseling Psychology Quarterly,3,211-215.

- Pargament ,K.I.(1997).The Psychology of religion and coping: Theory ,research, practice. New York: Guilford Press.

- Ripley,J.S.(1998).Marriage contracts and covenants: The effects of marital values on outcomes of marital – enrichment workshops. Dissertation in progress,Virginia Commonwealth University ,Richmond.

- Rokeach ,M.(1973).The nature of human values. New York: Free Press.

Rusbult,C.E.,Verette,J.,Whitney,G.A.,Slovik,L.F.,&Lipkus,I.(1991).Acco-mmodation process in close relationships: Theory and preliminary empirical evidence.Journal of Personality and Social Psychology ,60,53-78.

- Rye,M.S.(1998).Evaluation of a secular and a religiously integrated forgiveness group therapy program for college students who have been wronged by a romantic partner.Unpublished dissertation,Bowling Green State University,Bowling Green,OH.

- Sandage,S.J.(1997).An ego- humility model of forgiveness.Unpublished dissertation,Virginia Commowealth University,Richmond.

- Sitkim,S.B.,& Beis,R.J.(1993).Social accounts in conflict situations: Using explanations to manage conflict. Human Relations , 46,349-370.

- Stillwell,AM.,&Baumeister,R.F.(1997).The construction of victim and perpetrator memories: Accracy and distortion in role- based accounts. Personality and Social Psychology,23,1157-1172.

- Subkoviak ,M.J.,Enright,R.D.,Wu,C.R., Gassin E.A.,Freedman,S.,Olson, L.M.,& arinopoulos,I.(1995).Measuring interpersonal forgiveness in late adolescence and middle adulthood.Journal of Adolescence ,18,641-655.

- Tangney,J.P.,Wagner,P.,Barlow,D.H.,&Marschall,D.E.(1996).Relation of shame and guilt to constructive vs. destructive responses to anger across the lifespan.Journal of Personality and Social Psychology,70,797-809.

- Thoresen,C.E.,Luskin,F.,&Harris,A.H.S.(1998).The science of forgiving interventions: Reflections and suggestions.In E.L.Worthington ,Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological speculations(pp.163-190). Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Vitz,P.C.,&Mango,P.(1997).Kernbergian psychodynamics and religious aspects of the forgiveness process.Journal of Psychology and Theology,28,72-80.

- Wade ,S.H.(1989).The development of a scale to measure forgiveness. Unpublished doctoral dissertation, Fuller Graduate School of Psychology, Pasadena,CA.

- Wampold,B. E.,Mondin,G.W.,Moody,M.,Stich,F. ,Benson,K ,&Ahn,H. (1997).A meta – analysis of outcome studies comparing bona fide psychotherapies :Empirically ," all must have prize" Psychological Bulletin,122,203-215.

- Weiner,B.,Graham,S.,Peter,O.,Zmuidinas,M.(1991).Public confession and forgiveness.Journal of Personality,59,281-312.

- Williams ,R.(1989).The trusting heart.New York:Times Books.

- Worthington,E.L.,Jr.(Ed.).(1998a).Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological speculations.Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Worthington,E.L.,Jr.(1998b).The pyramid model of forgiveness: Some interdisciplinary speculations about ynforgiveness and the promotion of forgiveness.In E.l.Worthington ,Jr.(Ed.). Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspecives (pp.107-137). Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Worthington ,E.L.,Jr.,&DiBlasio,F.A.(1990).Promoting mutual forgiveness within the fractured relationship Psychotherapy,27,219-223.

- Worthington,E.L.,Jr.,&Drinkard,D.T.(1999).Promoting reconciliation through psychoeducational and therapeutic interventions.Journal of Marital and Family Therapy.

- Worthington,E.L.,Jr.,Kurusu,T.A.,McCullough,M.E.,&Sandage ,S.J.(1996). Empirical research on religious and psychotherapeutic processes and outcomes: A teny –year review and research prospectus.Psychological Bulletin,119,448-487.

- Yalom,I.D.(1970).The theory and practice of group psychotherapy.New York: Basic Books.

الفصل الثانى عشر

التسامح والصحة

(سؤال لم يجب عنه)

تأليف: كـارل ثورسـين وألـيكس هـاريس
وفردريك لوسكين

إن استكشاف العلاقات المحتملة بين التـسامح والإصـابة بـالمرض والصحة العامة يعد فى الواقع حقلاً جديدًا فـى المجـال البحثـى الخـاص بالتسامح، وحتى الآن لم تبين أية دراسات مُحكمة أن التسامح يؤثرفى نواتج الصحة الجسمية، سواء أكان تأثيرًا سلبيًا أم إيجابيًا ،وعلى الـرغم مـن أن بعض البيانات توحى أن المنحى الدنيوى (غير الدينى) لزيادة التسامح يُحسن أداءات الأفراد على بعض مقاييس الصحة النفسية ،مثل مقـاييس الاكتئـاب والغـضب (انظـر: Thoresen,Luskin&Harris,1998; Worthington, Sandage, &Berry, الفصل الحادى عشر بهذا المجلد)، فإن الدراسات المحكمة لم توضح حتى الآن حدوث تحسن فى الصحة الجسمية للأشخاص الذين لديهم أمراض خطيرة، وكان التسامح – مع ذلك– جزءًا من عوامل متعـددة ناجحـة فـى برامج التدخل التى قدمت لمرضى ذوى مشكلات صـحية خطيـرة، مثـل السرطان ومرض القلب، ولكن لم تفحص التأثيرات النوعية للتسامح فى هذه الدراسـات (Friedman et al.,1986 ;Ornish, Brown, Scherwitz,& Billings,1990; Spiegel,Bloom,Kraemer&Gottheil,1989).

وتوحي بعض الدلائل الاسترجاعية المستمدة من القصص التى يسردها الأفراد بوجود ارتباط إيجابى بين التسامح والمخرجات الصحية، على الرغم من أن البحوث المتوقعة المصممة لدراسة الحالة غير متاحة، ويوجد ربط فى التراث البحثى بين مخرجات الصحة وبعض العوامل المرتبطة نظريًا بالتسامح مثل الغضب، وتوجيه اللوم، والعدائية (Booth-Kewley & Friedman,1987)، وهذه البحوث قادتنا إلى أن ندرس احتمالية أن يوجد ارتباط بين التسامح والصحة الجسمية، ويوصى المهنيون المعنيون بالصحة وعلى نحو متزايد باستخدام التسامح مع مرضاهم، وذلك لأنهم يعتقدون بوضوح أن التسامح يُحسّن الصحة (Caudill,1995;Weil,1997).

وتاريخيًا، ينوه أيضًا الموروث القصصى الدينى عمومًا والممتد منذ قرون طويلة إلى الفوائد الصحية للتسامح (Easwaran,1989;Marty,1998)، ونظرًا لأننا نفهم أن التسامح يتضمن جزئيًا التحرر من المعارف والانفعالات السلبية تجاه المُسيء، وندرك المتضمنات الصحية السلبية لهذه الأفكار والمشاعر، لذلك نتساءل عما إذا كان تم دعم هذه الأقوال المأثورة القديمة بنتائج بحوث إمبريقية، فهل يثمر التسامح على سبيل المثال عن حدوث تحسن فى الصحة الجسمية لدى أولئك الأفراد الفاعلين روحيًا أو دينيًا، بدرجة أكبر مما يحدث لدى الأفراد الأقل فاعلية دينيًا؟ وعلى الرغم من أن حدسنا المبدئى هو أن التسامح نافع للصحة، من المحتمل أن يتوصل الباحثون إلى أن التسامح غير مرتبط بالحالة الصحية الجسمية، وفى بعض الحالات يرتبط بها ارتباطًا سلبيًا فى سياقات نوعية، ونعتقد أن البحوث فى حاجة إلى أن توضح أن المخرجات الصحية الملحوظة على الفرد المساء إليه، ناتجة عن اتخاذه قرارًا واعيًا بأن يتسامح، وأن هذه المخرجات مرتبطة بتخفيض الغضب وتوجيه اللوم الموقفيين والاستياء من إساءة محددة، أكثر من

ارتباطها بالتخفيض غير المحدد للغضب، وتوجيه اللوم، والاستياء ككل، ونلاحظ أيضًا أن العوامل النفسية الاجتماعية الأخرى المعروف أنها تؤثر فى الصحة الجسمية تحتاج إلى أن تُضبط فى الدراسات الخاصة بالتسامح، مثل المساندة الاجتماعية المُدركة، ونأمل أن يتم استكشاف مثل هذه القضايا الإمبريقية من خلال أنواع البحوث ناقشناها مؤخرًا (انظر Worthington,Sandage,&Berry, الفصل الحادى عشر بهذا المجلد).

وسنتناول تفصيلاً فى هذا الفصل المبررات التى شجعتنا على أن نواصل هذا الخط من البحوث، ونناقش الأطر النظرية التى من المحتمل أن تكون مفيدة فى فهم الارتباط المحتمل بين التسامح والصحة الجسمية، ونتأمل بعض القضايا المنهجية والمتصلة بالمفاهيم. ونحن نفعل ذلك محاولين أن نشجع زيادة إجراء بحوث فى هذه المجال الذى حُرم من البحوث الإمبريقية وتعميقها، ونعلق فى البداية تعليقًا مختصرًا على مصطلح " التسامح " كما يُستخدم فى هذا الفصل.

تعريف التسامح :

لا يوجد فى الوقت الحالى "معيارًا ذهبيًا" لتعريف التسامح (انظر: McCullough,Pargament,&Thoresen, الفصل الأول بهذا المجلد) ونقدم هنا التعريف الذى يتبناه الباحثون للتسامح، ونُحيل القارىء إلى ماكلو وورثنجتون لمناقشة النماذج المتعددة.

المفترضة لعملية التسامح. يُمكن أن ننظر للتسامح المتبادل بين الأشخاص على أنه اتخاذ الفرد قرارًا بأن يُخفض الأفكار والانفعالات والسلوكيات السلبية مثل توجيه اللوم والغضب تجاه المُسىء أو تجاه الموقف

المؤذى، وأن يبدأ فى اكتساب فهمٍ أفضل لفعل الإساءة وللمُسيء. وعمومًا قد يحدث الاختيار بالانصراف الذهنى عن الانفعالات والمعارف والسلوكيات السلبية فى المراحل الأولى لعملية التسامح، على الرغم من أن النواتج المتعددة للتسامح مثل تخفيض الغضب وتوجيه اللوم قد لا تحدث لأسابيع، ولشهور، وربما لسنين، علاوة على ذلك لا يكون مطلوبًا من المُسيء فى ظل هذا المنظور للتسامح أن يعترف بالإساءة، أو أن ينشد تسامح المُساء إليه، أو أن يقدم تعويضًا (انظر: Rye et al., Worthington,1998) الفصل الثانى بهذا المجلد. ويمكن أن ننظر للتسامح على أنه جزء من دورة حياة الإساءة متضمنًا خطوات أو عمليات كثيرة اعتمادًا على النموذج الذى يتبناه الباحث، ونفترض أن القدرة والرغبة فى أن نتسامح قد تكونان من الخصائص المميزة للتنعم، والصحة الإيجابية عمومًا.

هل التسامح دنيوى أو دينى؟

قد يُنظر للتسامح على أنه مرتبط إلى حد بعيد بالمعتقدات الدينية المتعددة، والممارسات التى اصطلح على ممارستها، أو على أنه دنيوى تمامًا، وهو عامل نفسى اجتماعى، يتجاوز حدود أى معتقد صريح أو ضمنى، أو أى اهتمام بالعلاقة المتسامية مع الله، أو أية قوة عامة أخرى، بعبارات أخرى نعتقد أن التسامح يمكن أن يُدرك على أنه مبدأ روحى أو دينى مع وجود ممارسات تفصيلية فى أحيان كثيرة، أو أنه دنيوى وهو تكوين نفسى اجتماعى متفرد، ونحن نشك فى ملائمة كلا المنظورين (أو المزج بينهما)، وذلك عندما نقترب من الصحة الجسمية اعتمادًا على عوامل موقفية متعددة (مثل: العوامل الثقافية أو الخلفية الدينية لأولئك المستغرقين فى عملية التسامح).

وقد يُباشر التسامح فى ظل دوافع وخبرات متنوعة، وفى ظل مستويات متنوعة من الحماس، وعلى الرغم من أن التسامح المتبادل بين الأشخاص استحوذ على معظم الاهتمام الإمبريقى، فإنه قد يتوصل الباحثون إلى أن أنماط التسامح الأخرى تؤثر فى المخرجات الصحية، فقد يثبُت أن التسامح مع الذات على سبيل المثال يرتبط بالتسامح المتبادل مع الأشخاص، فربما يكون له دور معتدل أو دور وسيط، وقد يكون عاملاً مهمًا فى تخفيض الشعور بالذنب والغضب والاكتئاب، وربما يكون له دورٌ مهمٌ فى زيادة الصحة، ويشير الناس فى أحيان كثيرة أيضًا إلى أنهم يحتاجون إلى تلقى التسامح كوسيلة للتحرر من الانفعالات السلبية المرتبطة ببعض الأحداث السلبية، ولدينا معرفة إمبريقية ضيئلة بهذا النمط من التسامح (انظر: Exline&Baumeister الفصل السابع بهذا المجلد) وهناك مجال إمبريقى آخر لم يُكتشف، ويحتمل أن يكون خصبًا، وهو يتضمن التماس التسامح أو قبول طلب الآخرين أن نتسامح معهم، فهناك قليل من الدراسات الإمبريقية فى التراث النفسى الاجتماعى تناولت التماس التسامح (Weiner,Graham,Peter, &Zmuidinas,1991)، ولكن لم يشرع الباحثون فى إجراء بحوث إكلينيكية باستخدام هذا النمط من أساليب التدخل العلاجى، كذلك لم يستكشفوا ارتباطه بالصحة.

تأثير التسامح المتبادل بين الأشخاص على الصحة :

نبدأ بإثارة السؤال التالى: إلى أى مدى تؤثر العمليات المرتبطة بالتسامح فى الصحة الجسمية والإصابة بالمرض؟ ستكون لدينا إجابات تتسم بالثبات، فقط بعد إجراء دراسات محكمة، ومع ذلك يمكن أن نبدأ فى فحص الدليل الذى يشير إلى أن بعض المكونات المرتبطة بعمليات التسامح، مثل

توجيه اللوم والغضب والعدائية تؤثر فى التسامح، وعلى الرغم من انتفاء وجود دليل متاح فى الوقت الراهن على أن التسامح يرتبط بالمخرجات الصحية الإيجابية، فإن نتائج عدد من الدراسات دعمت حقيقة أن توجيه اللوم إلى الآخرين والعدائية المزمنة ترتبطان بالمخرجات الصحية السلبية، فعلى سبيل المثال أوضح كل من أفليك Affleck وتينن Tennen كوروج Croog وليفين Levine سنة (١٩٨٧) أن مرضى القلب الذين يوجهون اللوم إلى الآخرين على تعرضهم لنوبة قلبية أولية، يكون من الأكثر احتمالاً أن يصابوا بانسداد الشريان التاجى، حتى عندما تضبط المتغيرات الأخرى البيولوجية والنفسية –الاجتماعية، وقد راجع تينن وأفليك خمسًا وعشرين دراسة منشورة أوضحت التأثير غيرالصحى لتوجيه الفرد اللوم إلى الآخرين على تعرضه لأحداث مهددة، فارتبط توجيه الفرد اللوم إلى الآخرين على المحن التى يتعرض لها الفرد (كالتعرض لنوبة قلبية، أو فشل المرأة فى أن تحمل) بقصور التنعم الوجدانى والصحة الجسمية، وفى معظم الدراسات وليس كلها، وباستخدام تحليل التباين المتعدد ، كان الغضب والعدائية منبئين بكل حالات الوفيات وعلى مدى سنوات كثيرة (Miller,Smith,Turner,Guijarro, &Haller,1996). وقد تكشف الدراسات المستقبلية أن التسامح نافع للصحة حيث إنه مفيد فى تخفيض توجيه اللوم المزمن والغضب والعدائية.

وأوضح كل من ماكراتى McCraty وأتكنسون Atkinson وتيلر Tiller من خلال سلسلة من الدراسات التى أجروها سنة (١٩٩٥)، أوضحوا أن زيادة الحالات الوجدانية الإيجابية، بالمقارنة بالحالات الانفعالية السلبية (كالاكتئاب والغضب والخوف)، تحدث تحسنًا فى كفاءة المناعة، وتخفض ضربات القلب، وضغط الدم، والتغير فى معدل التنفس، فالوجدان الإيجابى القوى، على سبيل المثال، يؤدى إلى حدوث تزامن أكبر فى أداء الوظائف الخاصة بجهاز المناعة، والأوعية الدموية القلبية، وقد يكون التسامح عاملاً واحدًا من

العوامل التى تعزز حدوث هذا التزامن، وذلك من خلال تخفيض الانفعالات السلبية، وزيادة العمليات المعرفية التى ترتبط بمزيد من الشفقة والفهم للآخر.

أما اليأس فهو الاعتقاد بأنه ليس بإمكان المرء أن يفعل شـيئًا ليغيـر المستقبل، أو يؤثر فيه على نحو إيجابى، ويمكن تصوره على أنه يـؤثرفى أولئك الناس الذين يعوقهم الشعور بالذنب، والاستياء من أن يسامحوا أنفسهم على شعورهم بعدم الملائمة، وفشلهم المدرك السابق. وقد تبين أن اليأس يتنبأ بكل حالات الوفاة الممتدة عبر سنوات كثيرة، فى ظل ضبط كثير من العوامل التفسيرية الأخرى (Everson,Goldberg,Kaplan,&Cohen,1996).

وعلى الرغم من أن هذه الدراسات أوضحت وجود ارتباطـات بـين الغضب والعدائية واليأس ومخرجات صحية جسمية متعددة، ما زال الارتباط بين هذه المخرجات والتسامح لم يفحص. وما نقترحه هو فحـص التـسامح بأساليب تتيح للباحثين فى المستقبل أن يقيسوا إسهامات التـسامح المتفـردة أو المشتركة فى الصحة الجسمية. وبعبارات أخـرى نوصـى البـاحثين أن يفحصوا الآليات التى يُخفض التـسامح مـن خلالهـا العوامـل "المـسببة للمرض"(مثل الغضب المزمن) التى ينتج عنها تغيرات جسمية مفيدة، ونناقش فى الفقرة التالية باختصار بعض الآليات التى قد يتوسط من خلالها التـسامح المخرجات الصحية الإيجابية أو يُعدلها.

الآليات الفسيولوجية المحتملة :

ما زالت المسارات النفسية الاجتماعية والفسيولوجية التى تكمن خلف التسامح معقدة تمامًا، ولا يزال هناك الكثير من البحوث ينبغى علينا إجراؤه،

فعندما نتناول الآليات الفسيولوجية المحتملة التى قد تفسر كيف يمكن أن يؤثر التسامح فى الصحة، نجد أن منظور شيدث Scheidt (١٩٩٦) فى دراسة العوامل النفسية الاجتماعية والإصابة بأمراض الشريان التاجى يبدو واعدًا بدرجة كبيرة، فقدم شيدث ما يزيد على خمس عشرة آلية فسيولوجية ونفسية اجتماعية محتملة، ومن بين هذه الآليات الاستثارة المرتفعة المزمنة للجهاز العصبى السمبثاوى (SNS) التى تؤثر فى إفراز الغدة الصماء (المادة النورإيدرينالين مثلاً) حيث قدّرها على أنها من أكثر الآليات التى تم دعمها إمبريقيًا، فيقتضى انخفاض مستوى الاستثارة المزمن للجهاز العصبى السمبثاوى حدوث تخفيض فى وظائف الجهازالدورى (مثل انخفاض ضغط الدم، والافراز الداخلى للبروتينات الدهنية منخفضة الكثافة، ومعدل ضربات القلب، وتصلب الشرايين).

وأوضح جيانج Jiang وآخرون ارتباط المستويات المرتفعة للإسكيميا لدى المرضى (الانقباضات قصيرة المدى للشرايين التاجية)، بمستوى استثارة الجهاز العصبى السمبثاوى أثناء الأداء على المهام المثيرة للمشقة، وكان معامل الارتباط مرتفعًا بما يزيد عن ثلاثة أضعاف قيمة معامل الارتباط الذى كشف عنه المرضى، الذين يعانون مشكلات خطيرة فى الشريان التاجى منذ ما يزيد عن خمس سنوات، وأولئك الذين لديهم أرجاع منخفضة تجاه المشقة الانفعالية، ولم تفسر هذه النتائج من خلال المتغيرات الفسيولوجية المتعددة، علاوة على ذلك يمكن زيادة الكفاءة المناعية (زيادة المناعة الطبيعية "NK" (natural killer)، والخلايا المختصة بإفراز الأجسام المضادة للجراثيم والفيروسات"CD4") عندما يُخفض مستوى استثارة الجهاز العصبى السمبثاوى، وحديثًا أوضح أندرسون وآخرون سنة (١٩٩٨) أن المشقة النفسية تُخفض خلايا المناعة الطبيعية، والخلايا المختصة بإفراز الأجسام

المضادة للجراثيم والفيروسات (CD4) لدى النساء المصابات بسرطان الثدى، بالإضافة إلى خفض الاستجابة المناعيـــة للبروتينـــات المـــضادة للجـــراثيم cytokine proteins، وقد تم التحكم فى فى عديـــد مـــن العوامـــل البيولوجيـــة والديموجرافية، ولكن ظلت المشقة النفسية تمارس تأثيرًا وســـيطًا مُخفـــضًا للكفاءة المناعية على مدى أشهر عديدة (انظر أيـــضًا: Pennebaker,Kiecolt-Glaser, &Glaser, 1988; Petrie, Booth, &Pennebaker ,1998).

وربما يعد التفسير من خلال فكرة الاســـتقرار allostasis مـــن أكثـــر التفسيرات الواعدة، ويقصد بالاستقرار قدرة عديد من الأجهزة الفـــسيولوجية على أن تحقق استقرارًا، وتساعد على استمراره ، عندما تحاول أن تتكيـــف مع المشقة (McEwen&Stellar,1993)، وبناءً على فكرة الاستقرار فإن محـــور الهيبوثلامس–الغدة النخاميـــة –الإدرينـــالين (HPA) (-hypothalamic-pituitary adrenal axis) والجهاز الدورى والأيض والجهاز المناعى كلهـــا تحتـــاج أن تتغير للتكيف فى مواجهة المشقة الداخلية والخارجية، وتحتاج كذلك أن تحافظ على مستوى وظيفى مستقر(المطالب المدركة).

وتمثل الأحداث الحياتية الكبرى، مثل الأحداث الـــصدمية، والتعـــاطى خبرات مثيرة للمشقة تحدث فى المنزل والعمل أو فى سياق الجيران، وتمثل المشقة المزمنة والحادة (مثل العدائية والتحدث أمام الجماهير على التـــوالى) تحديًا، وتتطلب أن تتكيف الأجهزة الفسيولوجية فى مواجهة هذا التحـــدى ، وتتضمن هذه التغيرات أنماطًا مختلفة من الاستجابات الفسيولوجية، ويطلـــق على القياس الفسيولوجى طويل المدى للنشاط الزائد أو النـــشاط المـــنخفض للأجهزة المستقرة allostatic systems " العبء الاســـتقرارى " allostatic load (McEwen,1998)، وينتج عن مثيرات المشقة وعلى نحـــو طبيعـــى اســـتثارة الجهاز العصبى السمبثاوى، ثم استعادة الوضع الطبيعى مثل التغير فى ضغط

الدم أو معدل ضربات القلب، ولكن يمكن أن ينتج عن العبء الاستقرارى تغيرات غير تكيفية مثل امتداد مدة الاستثارة ، مع حدوث بعض الاستعادة للوضع الطبيعى أو عدم حدوثها أو الفشل فى التوافق على الإطلاق (عدم الاستثارة).

فالتنشيط المستمر والمفرط للجهاز العصبى السمبثاوى (SNS) وللهيبوثلامس – الغدة النخامية – الإدرينالين (HPA) على سبيل المثال يمكن أن يغير وظائف المخ (يحدث عطبًا فى خلية قرن آمون) بما يُعجل الشيخوخة ،وقد وصف ماك إيون McEwen سنة (١٩٩٨) أمراضًا متعددة قد ترجع إلى حدوث تغيرات فسيولوجية غير ملائمة أو غير صائبة. وبوجه عام فإن مفهوم الاستقرار – التغيرات الفسيولوجية التكيفية للخبرات المثيرة للمشقة عبر الزمن – يوحى بأن خبرات التسامح قد تزيد الصحة من خلال تخفيض العبء الفسيولوجى المفرط، الذى يحدث مع تعرضنا لخبرات مثيرة للمشقة لا يمكن التغلب عليها، مثل الإساءة أو الإيذاء الذى يُعزى إلى الآخرين (انظر: McEwen,1998 للمناقشة المستقبلية).

ويمكن تصور أن تزايد معدل التسامح مع الآخرين ومع الذات وتزايد التماس التسامح من الآخرين وقبوله، قد يعمل على تخفيض درجة إزمان الكربchronicity of distress (مثل الغضب وتوجيه اللوم إلى الآخرين والأفكار والمشاعر الانتقامية)، والتى تبين أنها تغير مستقبلاً كيفية أداء المخ والشريان التاجى والجهاز المناعى لوظائفهم، ويمكن أن يشجع هذا التخفيض (تخفيض درجة إزمان الكرب) على تقليل استثارة الجهاز العصبى السمبثاوى من حيث معدلات تكرارها وحجمها ومدتها، وينتج عن ذلك انخفاض الاستهداف للإصابة بالأمراض الجسمية عبر الوقت.

الآليات النفسية المحتملة للتسامح:

توجد آليات نفسية اجتماعية محتملة، بجانب الآليات الفسيولوجية المحتملة للنشاط والأرجاع السمبثاوية، وقد تكون هذه الآليات النفسية الاجتماعية مؤثرة أيضًا فى الكيفية التى قد يغير من خلالها التسامح الحالة الفسيولوجية للفرد، وتتضمن بعض هذه الآليات ما يأتى:

١- قد يعزز التسامح مزيدًا من الشعور بالأمن أو التقدير الذاتى الإيجابى الأكبر والأفكار المتفائلة التى تقوى " المقاومة المُضيفة " host resistance للإساءة المتلقاة، وهذا قد يخفض احتمالات التعرض للقلق والغضب والعدائية والاكتئاب أو اليأس، والتى تبين أنها جميعًا تزيد وبدرجات متباينة الاستهداف للأمراض الجسمية (على سبيل المثال Segerstrom, Taylor, Kemeny,&Fahey,1998; Everson,Goldberg, Kaplan,Julkunen, &Salonen, 1998;Everson, Kauhanen,&Kaplan,1997).

٢- قد يعزز التسامح الكفاءة المدركة أو الفاعلية الذاتية الأقوى، اللازمة لاتخاذ الخطوات المطلوبة؛ لتخفيض المرض المتزايد، أو تخفيض قوة مسببات المرض (إصدار سلوكيات لتعديل المشاعر العدائية المزمنة ومعتقدات العجز والعزو العام والمستقر)، والتى قد تزيد فى المقابل توقعات المنبه- المخرج الإيجابية (مثل يمكننى أن أتحكم فى غضبى فى المواقف المؤذية المحتملة ولا يُساء إلىّ) (Bandura,1997;Thoresen et al., 1998).

٣- قد يزودنا التسامح بمستويات أعلى من المساندة الاجتماعية، والانفعالية المدركة، خصوصًا من الأصدقاء الحميمين المقربين، وذلك يتضمن خبرة الشعور بالجماعة بدرجة أكبر وذلك يتأتى غالبًا من كوننا فى خدمة الآخرين، والشعور بمزيد من الاندماج والارتباط بالآخرين، وكل ذلك

قـد يعـزز الـصحة الجـسمية. House,Landis,&Umberson,1988;Oman, (Thoresen,&McMahon,1999).

٤- قد يساعد التسامح على الشعور الواعى بالـسمو بدرجـة أكبـر (أو الانطلاق خارج نطاق الذات)، وعلى معايشة مزيد من خبرات التواصل الداخلى مع الله أكبر مصدر للقوة والطاقة الشاملة غير المحددة وخـصوصًا لـدى الأشـخاص المـوجهين روحيًـا أو دينيًـا بدرجـة أكبـر (Albom,1997;Richards&Bergin,1997;Walsh&Vaughn,1993).

لاحظ أن هذه الاحتمالات مؤقتة، ولكنها تبدو واعدة بدرجة كافية لكى نفكر فى استكشافها إمبريقيًا، ولاحظ أيضًا أن التفسيرات النفسية الاجتماعية المحتملة للإصابة بأمراض الشريان التاجى والسرطان قد تكون مشتركة مع التفـسيرات نفـسها النفـسية الاجتماعيـة المحتملـة لتحـسن الـصحة (انظر Thoresen&Hoffman Goldberg,1998;Allan&Scheidt,1996).

ونُذكر أولئك الذين يشككون فى مدى قبول وجود ارتباط بين التـسامح والصحة، بأن دور العوامل النفسية الاجتماعية فى جهاز المناعة بالجسم كـان يُعتبر غير مقبول تمامًا خلال القرنيين الماضيين، وبعد ذلـك انبثـق المجـال المعروف بعلم المناعة النفـسى العـصبى (PNI) (psychoneuroimmunology) (Coe,1997)، ونتيجة لوجود هـذا العلـم نعـرف الآن أن الكـرب النفـسى الاجتماعى المزمن لدى الإنسان (ولدى الرئيسيات غير الإنـسانية) يُخفـض الكفاءة المناعية، وهذه تخفض بدورها المقاومة المُضيفة للـشخص لمواجهـة الأسباب أو العوامل المرضية النفسية والبيولوجية (انظر: Cox,Valdimarsdottir, Stone, &Jandorf,1987;Cohen,Tyrrell,&Smith,1991).

الإطار النظرى موضع الاهتمام:

إنه من المهم فى المراحل الأولى لفحص أى ارتباطات بالصحة أن نفحص الموروث البحثى المتعلق بالأطر النظرية النفسية- الاجتماعية والصحية، التى ثبتت فائدتها فى تفسير المخرجات الصحية والتنبؤ بها ، فمثل هذه الأطر النظرية يمكن أن تكون مفيدة فى تصميم أدوات القياس، وأساليب التدخل العلاجى، ونحن نبحث فى هذه الحالة عن أطر نظرية ذات فائدة فى فهم تأثيرات العوامل النفسية - الاجتماعية والمعرفية والانفعالية فى الصحة الجسمية، وخاصةً تلك العوامل التى قد تكون مرتبطة نظريًا بالتسامح (مثل الغضب ونمط سلوك A والنرجسية والاكتئاب والفاعلية الذاتية)، وبالطبع هناك عوامل أخرى محتملة ولكننا سنقتصر فى مناقشتنا على هذه العوامل الخمسة. لاحظ أن الكيفية التى صغنا بها التسامح وارتباطه المحتمل بمخرجات الصحة الجسمية ستؤثر بقوة فيما نختاره ليقاس، وكيفية اختيارنا لما يقاس، وما نركز عليه فى أساليب التدخل التى تعزز التسامح.

الغضب البناء:

نحن ندرك أن الشخص يعايش الغضب عادة عندما يشعر بالجرح، أو أنه أُسىء إليه، أو أُسيئت معاملته، وعلى الرغم من ذلك فمن المثير للدهشة أن الغضب لم يستحوذ على الاهتمام الكبير الذى يستحقه فى ضوء ماهية التسامح، وكيفية ممارسة عمليات التسامح (Thoresen et al.,1998)، ومع تسليمنا بالدور الواضح للغضب والعدائية فى تغيير العمليات الفسيولوجية (Williams&Williams,1993)، وبالمعلومات الأدبية التى تضمنت الغضب والعدائية (المعارف العدائية على سبيل المثال) فى المواقف المؤلمة

والمسيئة والمؤذية جسديًا، فنحن نعتقد أن هذا الموضوع يستحق أن نوليه اهتمامًا رئيسًا. ويكون ممكنًا هنا أن نقدم تعليقات تمهيدية مع تزويد القارىء بمراجع للقراءة المستقبلية (Williams&Williams,1993;Deffenbacher,1994; Smith,1992; Spielberger, Reheiser,&Sydeman,1995).

وهناك دراسات قليلة فى التسامح عُنيت بفحص الغضب أوالعدائية، سواء أكانت دراسات تدخل ذات تصميم ارتباطى، أم تجريبى (Luskin&Thoresen,1998)، ولاحظ ورثنجتون وساندداج وبيرى (الفصل الحادى عشر بهذا المجلد) أن الغضب لايزال المفهوم الواعد الذى لم يفحص حتى الآن فى التراث البحثى الخاص بالتسامح، وخصوصًا فيما يتعلق بدراسات التدخل.

وقدمت دايفيدسون Davidson وتلاميذها مؤخرًا نموذجًا فى الغضب فى علاقته بالصحة مثيرًا للاهتمام (Davidson,Stuhr,&Chambers فى المطبعة)، وهى تميز بين خبرة الغضب والتعبير عن الغضب، وتبرهن على أن الغضب مفهوم ذو أبعاد متعددة، ولا يمكن أن نمتلك ناصيته على نحو ملائم من خلال أداة قياس واحدة (أو أسلوب قياس واحد)، وركزت دايفيدسون وزملاؤها على التعبير عن الغضب لمبررين مهمين هما: أن المقاييس التى تقيس التعبير عن الغضب قليلة جدًا، وأن الباحثين ركزوا على قياس الميل للغضب ، بدلاً من التعبير عن الغضب، على الرغم من أن التعبير عن الغضب عبر الزمن، وليس خبرة الأرجاع الحالية، هوالذى قد يؤثر على الحالة الصحية، والمرضية بشكل مثير. وبناءً على هذا المنظور كون المرء غاضبًا لا يعد مشكلة كبيرة بالقياس إلى طول الفترة الزمنية التى استمر فيها غاضبًا، والكيفية التى عبر من خلالها عن غضبه أثناء تلك الفترة (Tavris,1989;Pickering&Gerin,1990).

ووصفت دايفيدسون وزملاؤها (فى المطبعة) بناءً على الموروث البحثى الخاص بالغضب، أن هناك مظهرين مهمين للتعبير عن الغضب هما: الغضب البناء والغضب الهدام، ويتضمن **الغضب البناء** عمل أشياء مثل الاستغراق فى الأفكار والأفعال المفيدة بهدف معالجة الموقف وإعادة التنظيم المعرفى وحل المشكلات الناشئة بين الأشخاص، ويتضمن **الغضب الهدام** الإيذاء والغيظ والانتقام ومقابلة الأذى بمثله والاجترار والتخيل العدائى، وأخيرًا ينقسم التعبير عن الغضب، سواء أكان تعبيرًا بناءً أم هدامًا إلى فئات لفظية وغير لفظية (مثل التعبير اللفظى أو التعبير الجسدى) ومعرفية. وقد استخدم التغير فى ضغط الانبساطى والانقباضى كمتغيرات مهمة متعلقة بالصحة الجسمية.

وقد قدمت بعض البيانات الأولية دعمًا ل " انسنفاء الحدسى " recovery conjecture، حيث إن الاستهداف للمرض الناتج عن الغضب قد يكمن فى طول المدة التى استغرقتها الاستثارة وليس فى الأرجاع الفسيولوجية الحالية (Hall,Davidson,MacGregor,&MacLean,1998)، وقد تم مقارنة الاستخبارات العديدة التى تقيس الغضب فى ثلاث دراسات، وقيس ضغط الدم الانبساطى والانقباضى كمخرج صحى، وأجريت متابعة فى واحدة من هذه الدراسات بعد عامين، وباستخدام تحليل الانحدار المتعدد، أجريت مقارنة بين الاستخبارات الشائعة للغضب والتقديرات السلوكية التى تم استخلاصها من خلال إجراء مقابلة منظمة وقصيرة ومصورة من خلال كاميرات الفيديو، وهى مقابلة تقيس الغضب اللفظى –السلوكى البناء (constructive anger behavior –verbal interview) (CAB-V)، وبالإضافة إلى ذلك تم تطوير استخبار أيضًا للتقدير الذاتى للمقابلة المنظمة التى تقيس الغضب (CAB-V).

وقد كشفت النتائج عن وجود ارتباطات سلبية بين كـل الاسـتخبارات الشائعة التى تقيس الغضب والتقديرات الخاصة بالمقابلة، (مثلاً بلغت قيمـة معامل ارتباط مقياس سبيلبيرجر Spielberger لسمة الغضب بتقديرات المقابلة - ١٨. عند معامل ثقة ٠.٠٥) وهذا يعنى أن التقرير الذاتى المستخلص مـن الاستخبارات يقيس مختلف مظاهر الغضب وذلك بالمقارنـة إلـى السلوك المُلاحظ أثناء المقابلة، علاوة على ذلك تتبأت التقديرات الخاصة بالمقابلة فقط بمعدل شفاء ضغط الدم الانبساطى الناتج عن المشقة، لاحظ أن ضغط الـدم الانبساطى ضغط الدم أثناء راحة القلب يكون أكثر استقرارًا، وأصعب فـى تغييره بالقياس إلى ضغط الدم الانقباضى، ومن المثير للاهتمام أن نتائج هذا البحث تدعم نتائج بحث شيدلرShedler وماى مان Mayman و مـانيز Manis سنة (١٩٩٣)، حيث توصلوا إلى أن الاستخبارات الشائعة للاكتئاب والقلـق والانفعالات الأخرى لم ترتبط بالمقاييس الفسيولوجية والتقديرات المستخلصة من المقابلات الإكلينيكية للانفعالات نفسها (ما يقـرب مـن ٣٠% افتقـدت ترتيبها الاكلينيكى من خلال الاستخبارات).

التطبيق على بحوث التسامح المرتبط بالصحة:

إذا كانت أساليب التدخل الخاصة بالتسامح تنشد مـساعدة المـشاركين على تخفيض غضبهم، فإن الغضب عندئذ ينبغى أن يقـاس كمتغيـر تـابع "مخرج "، ويمكن أن يساعد مفهوم الغضب متعدد الأبعاد- الذى عرضناه فى الفقرة السابقة- فى تمييز أنماط التعبير عن الغضب التى تنطوى على مخاطر صحية، عن تلك الأنماط الأكثر اعتدالاً، أو الغضب البناء الذى قد ييسر فعلاً الصحة الجسمية. ويمكن أن تستفيد بحوث التسامح المرتبط بالصحة من قياس التعبير عن الغضب البناء، والهدام لدى المشاركين، وتستخدم هذه التصنيفات

كمتغيرات عند مقارنة سرعة الاستجابة لأساليب التدخل التى تعزز التسامح ، فعلى المستوى النظرى يحقق الأشخاص الأكثر اتساقًا بالتعبير الهدام عن الغضب إفادة أكبر من برامج التسامح، مثل تخفيض الغيظ والاجترار العدائى، وذلك بالمقارنة بالأشخاص الذين يعبرون عن الغضب بأساليب أكثر بنائية، وفى المقابل قد يحتاج أولئك الذين يتسمون بالتعبير الهدام عن الغضب إلى أساليب تدخل ممتدة لعلاج الغضب، وأخيرًا إن بحوث الغضب التى ناقشناها فى الفقرة السابقة ينبغى أن تُذكّر أولئك الباحثين المعنيين بدراسة التسامح المرتبط بالصحة، بأهمية استخدام مناهج، وأشكال قياس متعددة، وخاصة الحاجة إلى تكميل الاستخبارات كأساليب للتقرير الذاتى بمجموعة من أشكال القياس الأخرى المتنوعة المكونة من المقابلات، والمقاييس السلوكية، والفسيولوجية .

النرجسية ونمط السلوك A:

ارتبط نمط السلوك "A " نظريًا بالشخصية النرجسية (Thoresen&Powell,1992). وعلى المستوى الإمبريقى، ارتبطت النرجسية ارتباطًا إيجابيًا بالعدائية، وبمكون نمط (Rhodewalt&Morf,1995 "A") واقترح إيمونز Emmons(الفصل الثامن بهذا المجلد) وآخرون أن تتضمن النرجسية عمومًا الشعور بالجدارة المبالغ فيه، والتفوق، والتكبر، بالإضافة إلى الحساسية المفرطة للنقد، والغضب السريع، والتخيل الانتقامى، علاوة على ذلك يظهر الأشخاص النرجسيون غالبًا على أنهم حاسمون، ومقنعون، وطموحون، على الرغم من أنهم غير ماهرين، ومتهورين.

ومن الملاحظات المهمة بالنسبة للبحوث المعنية بالتسامح فى علاقته بالصحة، أن نمط السلوك "A " والنرجسية يتقاسمان خصالا مميزة، وهى أن الأشخاص النرجسيين، أو من يتسمون بنمط السلوك "A" يستثار غضبهم

بسهولة من قبل الآخرين، ويوجهون اللوم إلى الآخرين بسرعة، ويتعرضون للإساءة بسرعة كذلك، ويظهرون العدائية التى تتسم بالسخرية (مثلاً ينظرون للآخرين على أنهم عديمو القيمة، ولا يبالون بهم)، وهذه الخصال قد تحـدد بسهولة المرحلة التى يدركون فيها أفعال الآخرين على أنها مُسيئة، حتى إذا كانت أفعالاً متأنية جديرة بالاحترام، فعلى سبيل المثال توصل دودج Dodge وفرام Frame سنة (١٩٨٢) إلى أن الأولاد العدوانيين (المستأسدين) يفسرون وبشكل متكرر الأحداث المحايدة أو العارضة على أنها عدائيـة مقـصودة، وبأسلوب شبيه بأسلوب العزو النرجسى السلبى للآخرين.

وعلى الرغم من أنه لم يتم قياس النرجسية على نحو مستقل باستخدام بطارية الشخصية النرجسية (NPI;Raskin&Hall,1979) من قبل أى باحث مـن الباحثين المعنيين بأساليب التدخل المرتبطة بنمط "A"، ارتبط انخفاض نمـط السلوك "A " بانخفاض الإصابة بالأمراض الجسمية (مثـل الذبحـة القلبيـة المميتة وغير المميتـة) فـى ظـل اسـتخدام أسـاليب التـدخل المحكمـة (انظر:Linden,Stossel,&Maurice,1996)، ومن المثير للاهتمام أن نمط السلوك "A "يماثل بدقة مبيان الشخصية المتناغم مع الخـصال المرتبطـة بالتـسامح (ارتفاع الفهم الذى يتسم بالتفهم، والعتبة المرتفعة للتعرض الإساءة)، ومـع ذلك فمن غير المعروف فى الوقت الحالى نسبة التباين فى الصحة الجـسمية الذى يُعزى إلى التسامح.

التطبيق على بحوث التسامح المرتبطة بالصحة الجسمية :

يحتاج نمط السلوك "A"، والنرجسية المنتشرة على نحو ملحـوظ فـى الولايات المتحدة، فى اعتقادنا إلى الاهتمام بهما من خلال دراسات التـدخل

المصممة لتعزيز التسامح، (Thoresen&Powell,1992). إن استخدام المقـــاييس الخاصة بنمط السلوك "A" والشخصية النرجسية كمتغيرات وسيطة محتملـــة في التصميمات البحثية قد يساعد في تفسير التاثيرات الفارقة فـــي البـــرامج المصممة لتعزيز التسامح المتبادل بين الأشخاص، وينبغي علـــى البـــاحثين أيضًا أن يكونوا مدركين أن الجهود المبذولة لتعزيز التسامح مع الـــذات، أو التسامح المتبادل بين الأشخاص -حيث يكون الرفقـــاء (كـــالأزواج مـــثلاً) متضمنين وعلى نحو فعال في أسلوب التدخل -، قد يثبت أنها أقل فاعلية إذا اتسم أحد الرفيقين أو كلاهما بمستويات مرتفعـــة مـــن نمـــط الـــسلوك "A" أو النرجسية، والبحوث الخاصة بنمط الشخصيات "A" تذكرنا بأن التغيـــرات في العوامل السلوكية والنفسية الاجتماعية مثل تعلم التسامح وعدم التعـــرض للإساءة بسهولة قد يكون لها عواقب صحية مهمة على الصحة الجسمية، كما أن هذه البحوث تشجعنا على إحداث مثل هذه التغيرات.

الاكتئاب:

ركزت بحوث الاكتئاب على مدى القرن الماضي وعلى نحو متزايـــد على استخدام نموذج معالجة المعلومات، والذي يسعى إلى توضـــيح كيـــف يصبح بعض الأشخاص اكتئابيين إكلينيكيًا، ولماذا يحدث لهم انتكاسات على نحو متكرر (Gotlib,Gilboa,&Kaplan, في المطبعة)، فعلى سبيل المثال وُجـــد أن الأشخاص إذا كانوا يستدعون الأحداث الـــسلبية الحياتيـــة علـــى نحـــو مميز(المخطط الاكتئابي) فإنه من المتوقع أن يعانوا الأعـــراض الإكلينيكيـــة للاكتئاب بدرجة أكبر، وذلك بالمقارنة بأولئك الأشخاص الذين لديهم تحيـــزًا أقل للاستدعاء السلبي، ويُنظر للاكتئاب حاليًا على أنه تكوين نفسي اجتماعي متعدد الأبعاد، يُنبأ بمخرجات الصحة الجسمية، ويتضمن مكونات متعددة مثل

التحيز المعرفى ووجود مشكلات فى الانتباه والذاكرة وإصدار الأحكام (Gotlib et al.,فى المطبعة).

وتقترح بعض البحوث المستقبلية فى الاكتئاب (مثل:,Roberts,Gilboa,&Gotlib فى المطبعة) أن هذا الاجترار السلبى المزمن يتنبأ بالمستويات المرتفعة والأكثر جوهرية من السلوك والمزاج السلبى، وتوصل الباحثون فى دراسة أخرى إلى أن المخطط الذاتى السلبى للأشخاص الأصغر سنًا ومفهوم الذات العام لديهم كانا مرتبطين ارتباطًا مرتفعًا بالإصابة بالأعراض الإكلينيكية للاكتئاب، بالإضافة إلى التعرض للأحداث الحياتية السلبية عبر سنوات عديدة (Hammen&Goodman-Brown,1990)، وتتحدث دراسات أخرى عن قيمة مساعدة الأشخاص فى تعلم كيفية التحكم فى انتباههم إلى الاستجابات الداخلية والخارجية على نحو أفضل، بالإضافة إلى تعليمهم انتقاء الأهداف، واستخدام الاستراتيجيات السلوكية (انظر,.Gotlib et al : فى المطبعة).

التطبيق على بحوث التسامح المرتبطة بالصحة:

نحن نعتقد أن هذا الموروث البحثى يقدم لنا بعض وجهات النظر المثيرة، فى الكيفية التى يمكن للباحثين من خلالها توضيح العمليات المتنوعة فى التسامح، فمشكلات من قبيل: ما الذى يتنبه إليه المُساء إليه؟ وكيف تخترق الانفعالات الإيجابية، أو السلبية انتباهه؟ وما العوامل التى تؤثر فيما يصدره من أحكام وتقويمات للشخص المُسىء؟ كل هذه المشكلات يبدو محتملاً أن تكون وثيقة الصلة بالاكتئاب، فالإصغاء للأفكار الاجترارية العدائية أو العاجزة المتعلقة بالمُسىء قد يستثير الغضب، والانفعالات الاكتئابية، وهذه بدورها قد تدعم إصدار الفرد للأحكام المؤلمة والعدائية بالإضافة إلى التحاشى أو الغضب، ويمكن أن توضح لنا البحوث ما إذا كانت

هناك عمليات شبيهة بتلك العمليات المؤثرة فى الاكتئاب، تكــون موجــودة، وفعالة لدى أولئك الأفراد الذين يجدون أنه من الصعب عليهم أن يتسامحوا، سواء من خلال التماس التسامح من الآخرين أو قبوله منهم، وربمــا يمكــن تكييف تلك الاستراتيجيات التى وُجد أنها فعالة فى علاج الاكتئاب، لنعزز من خلالها التسامح، فيمكننا أن نتصور أن الأشخاص المُساء إليهم مثلاً قد يجدون العلاج المعرفى - السلوكى ذا التوجه الروحى أكثر فاعلية بالنسبة إليهم من العلاج الدنيوى (Propst,Ostrom,Watkins,&Dean,1992). ومن المهم أن نلاحظ أن الباحثين المعنيين بدراسة الاكتئاب قد تعلموا أيضًا عبر الزمن قيمــة أن يجمعوا بين مقاييس التقدير الذاتى المقننة وأشكال القياس الأخرى للعمليــات والمخرجات، مثل إجراء المقــابلات، ومراقبــة الوظــائف الفــسيولوجية، والتقديرات السلوكية للآخرين، فقد اعتمدت الدراسات المبكــرة للاكتئــاب، وعلى نحو مفرط على منهج الاستخبارات، والذى ثبت أنه غير ملائــم فــى توضيح ماهية متغيرات المعالجة المعرفية، والاجتماعية - الانفعالية، والتى قد تكون متضمنة فى الاكتئاب، ونحن نعتقد أن الباحثين المعنيــين بدراســة التسامح يمكن أن يستفيدوا بدرجة كبيرة من خبرة الباحثين الــذين درســوا الاكتئاب، خاصةً فى توضيح الكيفية التى قد تــؤثر مــن خلالهــا العوامــل المعرفية والسلوكية فى التسامح وفى المتغيرات الصحية عبر الزمن.

الفاعلية الذاتية والتسامح :

يبدو أن مفهوم الفاعلية الذاتية على وجه الخــصوص، ويقــصد بــه مستوى الثقة المُدرك اللازم لأداء الفعل، من المفاهيم المناسبة عند تــصميم أدوات قياس للتسامح، وأساليب تدخل لتعزيزه، وقد ظهرت أهمية الفاعليــة الذاتية، وعلى نحو ناجح فى مئات من الدراسات الإمبريقية (Bandura,1997)، فقد أوضحت الدلائل المتراكمة أن معتقدات الفاعلية تؤثر بقوة فــى الجهــود

التى يبذلها الفرد لكى يتغير، فإذا كان لدى الشخص مستوى مرتفع إلى حد ما من الفاعلية المدركة، للاستغراق فى أداء مهام محددة بنجاح (فى مدى ٧٠% أو أكثر) مثل اتخاذ خطوات لتخفيض الغضب تجاه أحد الأفراد الذين أساؤا إليه فعندئذ سيكون من الأكثر احتمالاً أن يستغرق فى أداء هذا السلوك، علاوة على ذلك يواجه الشخص الذى لديه فاعلية ذاتية مرتفعة مرتبطة بالإساءة مشكلة، وتتمثل فى أنه سيبذل جهدًا أعلى فى أداء المهمة، ويستمر فى أدائها مدة أطول، وسيكتسب معرفة ومهارات أكبر، وذلك بالمقارنة بالشخص الذى لديه شعور أقل بالفاعلية الذاتية المرتبطة بالإساءة، كما وُجد أن مستوى معتقدات الفاعلية الذاتية يؤثر تأثيرًا كبيرًا فى الفرص التى يحرز الأفراد من خلالها مخرجاتهم المرغوبة (Bandura,1997).

إن استخدام نظرية الفاعلية الذاتية فى دراسة عمليات الصحة والمرض ومخرجاتهما، انتشر انتشارًا واسعًا (مثل دراسة التأثيرات البيولوجية، والنشاط اللا إرادى، والتغيرات الناتجة عن الكاتكولامين والأفيون، والألم المنتظم، وكيفية أداء جهاز المناعة لوظائفه)، وقد لوحظت التأثيرات السلوكية أيضًا (كتغير السلوك الشخصى، مثل سلوكيات التدخين وتناول الطعام، وممارسة الرياضة، وتخفيض الصداع الناتج عن الشد العصبى والشراهة، والالتزام بالنظام الطبى)، وتتضمن مثل هذه التغيرات زيادة أو نقصان الأنشطة، بالإضافة إلى الوقاية من الانتكاس، والاحتفاظ بالسلوكيات المرتبطة بالصحة ، وخصوصًا الدورالبارز الذى تمارسه معتقدات الفاعلية الذاتية فى تنظيم الذات، والتحكم المُدرك، وقد ناقش جوردون Gordon وبوكم Baucom وسيندر Synder (فى الفصل العاشر بهذا المجلد) فقدان التحكم لدى الأشخاص الذين تعرضوا للإساءة، وإلى أى مدى قد يكون بناء تحكم مُدرك بدرجة أكبر مهمًا لكى يحدث التسامح.

التطبيق على بحوث الفاعلية المدركة:

برز مثالان ناجحان على استخدام الفاعلية الذاتية كنموذج نظرى مهم فى بحوث الصحة، فقد طور ديبوسك DeBusk وآخرون سنة (١٩٩٤) برنامجًا مبرمجًا للفاعلية الذاتية، لتشجيع مرضى الشريان التاجى على الاستغراق فى ممارسة تمرينات منتظمة، وتحسين النظام الغذائى، والتحكم فى وزن الجسم، والتوقف نهائيًا عن التدخين، واستخدم كل مشارك تقديرات منفردة لمعتقدات الفاعلية الذاتية، المتعلقة بالاستغراق فى أداء أنشطة نوعية متعددة مرتبطة بالصحة (يضع المريض تقديرًا لفاعليته الذاتية المدركة لمدى إمكانية نجاحه فى إكمال كل نشاط من هذه الأنشطة)، وأسفر هذا البرنامج عن نتائج مثيرة للإعجاب حتى الآن، متضمنة دلائل المكسب- الخسارة لهذا البرنامج، ومن المجالات التى ينبغى أن نهتم بدراستها ،بناءً على هذا البرنامج الناجح تطوير برنامج تدخل مبرمج لفئة الأمراض المحددة الخطيرة، حيث يمكن تضمين برنامج للتسامح يكون موازيًا للبرنامج الذى يتناول موضوعات صحية أخرى، كما تستحق التطبيقات الخاصة ببرامج السلوك الصحى التى لا تستخدم الحاسوب اهتمامًا أيضًا.

ويتضمن المثال الثانى البرنامج الجماعى للإدارة الذاتية السلوكية للمرضى الذين يعانون الخشونة (Lorig &HolmN,1989)، وقد استخدمت تقديرات الفاعلية الذاتية لكل نشاط من أنشطة التدخل الكبرى، على نحو مشابه لما حدث فى البرنامج الذى ذكرناه سابقًا، (مثلاً فاعلية المشارك فى ممارسة الاسترخاء، أو المشى لمدة نصف ساعة). فإذا أدرك المريض المهمة على أنها أقل احتمالاً أن تُكمل بنجاح (مدى يتراوح من ٣٠% فأقل)، فإنه يتم استبدال مهمة أخرى بها ليتاح للمريض أن يضع تقدير فاعلية ذاتية أعلى لها، ويتسم هذا البرنامج بملمح مميز هو إدارة الذات من خلال جماعة

الأقران، فمجموعات التدخل هذه يقودها مرضى أكملـوا برنامجًـا تـدريبيًا منظمًا تنظيمًا كبيرًا، فى كيفية استخدام كتيب العمليات المفصل جدًا، عـلاوة على ذلك أعيد تطبيق هذا المنحى بنجاح فى بلدان عديـدة مختلفـة وكانـت نتائجه مثيرة للإعجاب، ويستخدم النموذج المبنى على الفاعلية الذاتية حاليًـا فى إثبات أن المجموعات المختلطة، المكونة من مرضى يعـانون أمراضًـا متنوعة مختلفة يمكن أيضًا أن يعالجوا على نحو فعال معًا. (Lorig,1999).

مثال على استخدام الفاعلية الذاتية فى بحوث التسامح:

لا توجد سوى دراسة واحدة حتـى الآن عنيـت باستكـشاف تـأثير استخدام الفاعلية الذاتية فى أساليب التدخل الخاصة بالتسامح، وذلـك لـدى مشاركين من الراشدين الأصغر سـنًا (Luskin&Thoresen,1998)، وقـد تـم فحص المشاركين، سواء بالمجموعة الضابطة أو الذين وزعوا عشوائيًا فـى مجموعات التدخل، وذلك من خلال استخدام بنود خاصة بالفاعليـة الذاتيـة، مصممة لإلقاء الضوء على الأهداف المهمة لأسلوب التدخل، ومـن خـلال استخدام مقياس تقدير تراوح من صفر حتـى مائـة (١٠٠)، طُلـب مـن المشاركين أن يقدروا درجة ثقتهم فى إمكانية أدائهم مهـام محـددة، مثـل " أستطيع أن أفكر فى الإساءة، ومع ذلك أظل هادئًـا ومـسالمًا " أو" أتحمـل مسئولية الأفكار الغاضبة التى تنتابنى تجاه الشخص الذى أساء إلىّ ".

ومع تسليمنا بالطبيعة الاستكشافية لأسلوب التدخل هذا، كانت نتائجـه مشجعة، فالمشاركون الذين تلقوا العلاج حدثت لديهم زيـادة جوهريـة فـى معتقدات الفعالية الذاتية للتسامح ككل، وذلك بالمقارنة بالمشاركين بالمجموعة الضابطة، الذين سُجلوا فى قائمة انتظار تلقى العلاج (درجة الفاعلية الذاتية =

٦,. عند معامل ثقة أقل من ٠,٠٠١) ، واستمرت هذه الزيادة عند إجراء المتابعة بعد مضى عشرة أسابيع من توقف أسلوب التدخل (درجة الفاعلية الذاتية = ٥, عند معامل ثقة أقل من ٠,٠١)، إن تأكيد هذا الأسلوب العلاجى على الوقاية الأولية – تعلم كيفية استخدام التسامح عند التعامل مع الخبرات المستقبلية المؤلمة، بدلاً من التركيز على الشخص المُسىء، وموقف الإساءة – ظهر فى التحسن النسبى فى تقديرات الفاعلية. وقد وجدنا أن الفاعلية الذاتية للتسامح مع الآخرين عبر عديد من المواقف تزايدت بدرجة أكبر من الفاعلية الذاتية للتسامح مع مُسىء محدد، على الرغم من أن كلا التحسنين كان دالاً (عند معامل ثقة أقل من ٠,٠٥)، واستخدمت الإساءة الخطيرة المتبادلة التى لم يتم تغطيتها فى أسلوب التدخل كمهمة تسامح زائف، وتم التوصل إلى أن أولئك الذين تلقوا التدخل حدثت لهم زيادة فى الفاعلية الذاتية بدرجة أكبر وذلك بالمقارنة بالمجموعة الضابطة، وكان الفرق بينهما دالاً (درجة الفاعلية ٧,.، عند معامل ثقة أقل من ٠,٠٥).

التطبيق على بحوث التسامح المرتبط بالصحة:

يبدو أن قيمة بحوث التسامح المبنية على الفاعلية الذاتية، واعدة تحديدًا فى الوفاء بوصف محور اهتمام أساليب التدخل ذات المهام المحددة بوضوح، والتى صُممت بهدف إحداث مخرجات، وبهذا الأسلوب تنشأ الصلة المستمرة والحميمة بين معتقدات الفاعلية المبدئية للمشاركين، والمتعلقة بإلى أى مدى يُمكنهم أداء المهام المحددة بشكل جيد، وبين الخطوات الدقيقة فى عملية التدخل، سواء أكانت أساليب تدخل مبنية على الأداء الفردى أم الجمعى.

وينبغى أن تُستخدم التقديرات الخاصة بالفاعلية الذاتية بشكل مثالى وعلى نحو متكرر، كما فى برامج التدخل التى قدمها ديبوسك DeBusk وآخرون سنة (١٩٩٤) ولوريج Lorig وهولمان Holman سنة (١٩٨٩)، بالإضافة إلى ذلك ينبغى استخدام هذه التقديرات كمتغيرات تابعة (مخرجات). وأحد فوائد القياس المتكرر للفاعلية الذاتية هو العواقب الدافعية التى تنتج عن ملاحظة المشاركين للزيادة التى تطرأ على ثقتهم بذواتهم ، وعن تحسن الأداء. ولحسن الحظ توجد كثير من الأمثلة على الدراسات المبنية على الفاعلية الذاتية، متضمنة إرشادات عن كيفية تكوين مقياس للفاعلية الذاتية يلائم المشكلة موضع الاهتمام، وكيفية إحداث ربط مباشر بين القياسات، والعواقب الناتجة عن أسلوب التدخل (Bandura,1995).

قضايا للبحث المستقبلى :

بعد أن أوردنا بعض الأطر النظرية الواعدة، نثير الآن بعض الأسئلة والقضايا التى نعتقد أنه من المهم أن ننصب على دراستها فى البحوث المستقبلية، وقد نشأت كثير من هذه الأسئلة من خلال باحثين آخرين أيضًا (انظر: Thoresen et l.,1998;Worthington,Sandage,&Berry, الفصل الحادى عشر بهذا المجلد).

١- هل تمارس بعض أشكال التسامح مع الذات دورًا متسقًا فى تأثيرات التسامح على الصحة الجسمية؟ فلا يتوفر لدينا سوى القليل من المعلومات -إن وجدت -عن التسامح مع الذات من خلال الدراسات المحكمة، فربما تتضمن عملية مسامحة أحد الأفراد عن إساءة خطيرة بعض درجات التأمل الذاتى، التى يقوم بها المُساء إليه على نحو ثابت لأفعاله

الحالية والماضية تجاه الآخرين، فإذا كان ذلك يحدث فإن قياس التسامح مع الذات يمكن أن تثبت فائدته، حيث إنه قد يكون متغيرًا مُعدلاً لعملية التسامح المتبادل بين الأشخاص، ويؤثر فى الصحة. ويمكن تصور أن التأثير طويل المدى للتسامح على الصحة العامة، قد يكمن فى إعادة تأطير المعتقدات الأساسية (بالإضافة إلى أنماط العزو المنتقاة، والتوقعات، والقواعد التى نسلك وفقًا لها)، وقد تحتاج إعادة التأطير هذه حدوث تحول فى شعور الأشخاص بأنهم أصبحوا أقل استغراقًا فى شئونهم الذاتية، وأقل تمركزًا حول الذات، كما أنهم يصبحون أكثر رعاية للآخرين ،ويخدمون أولئك الذين يكونون فى حاجة إليهم (Oman et al.,1999 ; فى المطبعة Markus, Reaff, Conner, Pudberry ,& Barnett,).

٢- ما الفروق بين الأشخاص فى التسامح المرتبط بالصحة، وفقًا للخلفية الدينية والروحية والمعتقدات والاتجاهات والممارسات التى تتضمن أساليب المواجهة؟ فقد يتسامح الناس الذين يتسمون بدرجة أكبر من التدين أو الروحانية داخلية المنشأ (Gorsuch&Miller,1999) مع الآخرين بسهولة، وبمعدل أعلى من أولئك الأفراد الأقل تدينا أو روحانية (Pargament,1997)، وربما يكون التسامح أكثر صعوبة بالنسبة لبعض الناس، الذين يكونون فاعلين بدرجة مرتفعة فى الشعور بالتدين خارجى المنشأ، وقد يمثل التسامح بوجه عام، أو بالنسبة لأنماط محددة من الإساءات تحديًا كبيرًا بالنسبة إليهم، وأساليب التدخل الخاصة بالتسامح والمنشورة حتى الآن تتسم بأنها تركز على التسامح الدنيوى – مع استثناءات نادرة – ولم تقِسْ العوامل الروحانية أو الدينية، أو تدمجها مباشرة ضمن أسلوب التدخل. ووصف ريى Rye وبارجمنت Pargament سنة (١٩٩٧) التقويم المقارن الوحيد لأسلوب تدخل متكامل لتعزيز التسامح دينيًا ودنيويًا، لدى نساء تعرضن للإساءة من قبل

رفقائهن المرتبطين بهن عاطفيًا، وكان كلا أسلوبى التدخل (الدنيوى والدينى) مؤثرًا ، فلم تظهر فروق ذات دلالة إحصائيًا بينهما، وسوف يساعد إجــراء مزيد من البحوث فى توضيح الظروف التى قد يزيد فيها أحــد الأســلوبين (أو مزيج منهما معًا) التسامح والمخرجات الصحية الإيجابية.

٣- ما الدور الذى يمارسه الآخرون ذوو الأهمية بالنسبة للشخص فى تسامحه مع الآخرين، ومع ذاته (علــى ســبيل الــزوج أو الزوجــة والأب والقريب)؟ وقد أثــار جــوردن Gordon وبــوكم Baucom وســيندر Synder (الفصل العاشر فى هذا المجلد) هذه القضية، وتتمثل فيما لاحظه الباحثون من افتقاد وجود دليل على ممارسة هذا الدور فيما يتعلق بما يواجهه الأزواج من الإساءة التى تحدث بين شركاء الحياة، ونحن نشك فى أن مثل هذه التأثيرات قد تماثل نتائج البحوث الخاصة بالأزواج فى التراث البحثى المتعلق بالصحة الجسمية(مثل عملية الشفاء من الذبحة القلبية)، فالمشاركة الفعالة مــن قبــل الأزواج على سبيل المثال فى برامج تأهيل مرضى القلب، وبرامج التحكم فى الوزن حسنت فى أحيان كثيرة الصحة الجسمية للمريض، وفى أحيان أخرى حــسنت أيــضًا صــحة الــزوج المــشارك (Ewart,Taylor,Reese, &DeBusk,1983;Brownell&Wadden,1992)، فهل سيكشف الأزواج أو الرفقــاء المشتركون معًا فى برامج التدخل الخاصة بالتسامح عن فاعلية أكبر، حتــى عندما تكون الإساءة متضمنةً كشريك ثالث؟ وهل الزوج الذى عانى خبــرة إساءة غير مباشرة سيحدث له تحسن فى الصحة الجــسمية، وزيــادة فــى التسامح من خلال المــشاركة فــى بــرامج التــدخل الخاصــة بالتــسامح؟ (انظر أيضًا: Malcolm&Greenberg,الفصل التاسع فى هذا المجلد).

٤- هل من الممكن تطوير مواقف تسامح مصطنعة مرتبطة بمشكلات الصحة الجسمية الخطيرة، يمكن أن تكون مساعدة للأشخاص المستهدفين بدرجة مرتفعة، وذلك لكى يمارسوا عملية التسامح؟ وهل سيكشف التسامح المصطنع غير المرتبط ارتباطًا مباشرًا بالمشكلات الصحية عن فاعلية أكبر، نظرًا لكونه أقل تهديدًا، ولأنه أيسر فى الممارسة؟ ويمكن أن تستخدم مواقف التسامح المصطنع فى برامج الوقاية الأولية المرتبطة بالمرض، مع التركيز على رفع عتبة التعرض للإساءة تبعًا لأفعال الآخرين، ويمكن أن تُبنى الممارسة المصطنعة للتسامح على استراتيجية النمذجة (Bandura,1986)، حيث يمارس الأشخاص خطوات محددة فى عملية التسامح فورًا بعد ملاحظة آخرين منهمكين فى سلوكيات التسامح هذه، وينبغى أن يتلقوا عائدًا ودعمًا بعد ذلك مباشرة ،ويحاولوا مرة أخرى إذا كانوا يحتاجون ذلك، وقد حدد جولدفريد Goldfried سنة (١٩٨٠) مثل هذه الفرص التى يحدث فيها ملاحظة للسلوكيات المستهدفة ،لاوممارستها مع تلقى عائد فورى، على أنها جزء أساسى فى كل أساليب التدخل العلاجى النفسى الناجحة ذات التوجهات النظرية المختلفة.

٥- هل يحتاج الشخص أن يتفهم المُسىء إلى حد ما لكى يحدث التسامح، تقترح بعض المعلومات المستمدة من الأقوال المأثورة، والنوادر أنه ليس من المفترض أن كل من يتسامح يظهر أى تغير فى تفهم المُسىء وفهمه (Flanigan,1992)، وهل حجم الإساءة ومدتها يُحْدثان اختلافًا فى الحاجة إلى حدوث التفهم القائم على فهم المُسىء؟ نحن نعتقد أن التفهم ويقصد به اكتساب بعض الفهم والاستبصار بموقف المُسىء يمارس فعاليته فى كل مواقف التسامح الحقيقى (انظر: McCullough,Worthington,&Rachal,1997) ومع ذلك تظل الحاجة إلى التفهم فى مواقف التسامح سؤالاً مفتوحًا خاصة فيما يتعلق بارتباط التسامح الواضح بمخرجات الصحة الجسمية.

نحو التعددية فى استخدام المناهج:

فى المراحل المبكرة جدًا من الدراسة العلمية، مثل الدراسة الإمبريقية للعوامل المرتبطة بالتسامح والصحة الجسمية، يبدو أن تعدد التصميمات البحثية، والمناهج التحليلية للبيانات يعد أمرًا جوهريًا لتزويدنا بقاعدة أساسية للبحث (Cook,1985;Mahoney,1995;Suppe,1977)، فمن الواضح أن قياسًا منهجيًا واحدًا لايناسب كل الموضوعات والقضايا، وقد لاحظ ورثنجتون وسانداج وبيرى (الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد) وماكلو وراشال وهويت (الفصل الرابع فى هذا المجلد) ندرة استخدام تصميمات ومناهج بحثية مختلفة فى دراسات التسامح، وأثاروا عددًا من القضايا التى تستحق الاهتمام مثل قلة الدراسات التى تستخدم مناهج أخرى غير استخبارات التقرير الذاتى المختصرة، وقلة الدراسات التى ضمنت المُسيء بالإضافة إلى المُساء إليه فى القياس ودراسات التدخل، وقلة الدراسات التى أجريت على أشخاص مختلفين ثقافيًا وعرقيًا، وقد لاحظوا أيضًا كثرة الطالبات الجامعيات المشاركات فى الدراسات، ويرثى مالكوم وجرينبيرج (الفصل التاسع فى هذا المجلد) قلة الدراسات الإمبريقية المبنية على عملية التسامح، والتى تعد أساسًا للتحقق من صدق النماذج النظرية للتسامح، ويؤيدون استخدام البيانات المستمدة من تحليل المقابلات، لجذب مزيد من الانتباه لعمليات التسامح، ولتقويم ما إذا كان التسامح يناسب البيانات التى تم تحليلها أم لا.

ونذكر باختصار بعض أساليب قياس موضوعات متضمنة فى التسامح، والتصميمات البحثية الخاصة بها، والتى قد تساعد على تناول بعض الخبرات، والعمليات التى لم تُقسْ على نحو جيد من خلال الاستخبارات المستخدمة فى التصميمات العرضية، ونركز هنا على الاستراتيجيات المستخدمة فى المقابلات المنظمة، وأساليب المراقبة الذاتية اليومية، بالإضافة

إلى الاستراتيجيات المصممة للتجارب العشوائية المحكمة (RCTs)(controlled randomized trials)، والتصميمات التجريبية ذات المفحوص الواحد (N = ١).

وكل استراتيجية من هذه الاستراتيجيات يمكن أن تساعد الباحثين على دراسة ما يشير إليه العلماء المعرفيّون ب" وضع الأفعال والمعارف (Greeno,1998)، حيث إننا فى حاجة إلى فحص التفاعلات بين ما يفكر فيه الشخص، وما يفعله فى موقف معين عندما يواجه مهمة محددة، فكل منهج من هذه المناهج يقيم جسرًا بين أسلوب القياس الشائع الآن، ولو أنه مثير للجدل، وما يتعلق بالبحث الكيفى والكمى، ونحن لا يمكننا أن نعالج كل مظاهر الجدل المتعلق بمناهج مابعد التحديث والمناهج القديمة، ولكننا نثبت أن كلا المنظورين يقدم مناهجَ مفيدة، كل منها يناسب موضوعات وقضايا معينة، ونظرًا لأن القضايا التى تواجهنا فى ميدان التسامح - الصحة الجسمية تكون فى الحقيقة مؤثرة، لذلك فنحن نفضل تبنى منظور منفتح قائم على تعددية المناهج، فيمكن للباحث أن يجمع بين مناهج متعددة اعتمادًا على المشكلة التى يتناولها بالدراسة، وكما لاحظ كابلن فيلسوف العلم (Kaplan,196) اتسم العلماء قديمًا بالمسايرة، فالعلماء فى أحيانٍ كثيرة يشبهون الولد الصغير الذى أُعطى مطرقة، فبمجرد أن أُعطى هذه المطرقة بدا كل شىء حوله فى حاجة إلى الطرق عليه (فمثلاً كل شىء يحتاج إلى الاستخبارات واختبار" t "لدلالة الفروق بين المتوسطات).

ونوصى القراء بشدة أن يفحصوا بعناية مصنف دينزين Denzin ولينكولن Lincoln فى البحوث الكمية الذى صدر سنة (١٩٩٤)، فيتضمن هذا المصدر الشامل ستة وثلاثين (٣٦) فصلاً تغطى مدىً واسعًا من التصميمات ومناهج التحليل، ونوصى القارىء بقراءة الفصول التى تقارن النماذج المتضمنة فى البحث الكمى على وجه التحديد ودراسات الحالة، والمبادىء

النظرية الأساسية للبحث الكمى ، وإجراء المقابلة، ومعالجة البيانات، ومناهج تحليل البيانات.

ونعرض الآن بتفصيل أكبر للملاحظات المثارة على استخدام استراتيجيتين قياسيتين هما: المقابلات المنظمة، ومناهج التقدير الذاتى اليومية، والقضايا المتصلة بالتصميمين البحثيين: التصميمات البحثية لدراسة الحالة، وللتجارب العشوائية المحكمة (RCTs).

المقابلات المنظمة:

إن استخدام المقابلات كأسلوب من أساليب القياس يقدم منظومة ثرية من المناحى، تمتد من التوجيه الشفاهى لقائمة من الأسئلة المعدة من قبل(وتقدم فى أحيان كثيرة لأولئك الذين يتسمون بمحدودية فى قدراتهم على الفهم القرائى) ، إلى توجيه أسئلة مفتوحة النهايات، أو تتطلب تعليق من قبل المشارك (ما الذى تشعر به تجاه التسامح)، وقد وصف مالكوم وجرينبيرج (الفصل التاسع فى هذا المجلد) استخدام المقابلات العلاجية لدراسة العمليات اللفظية للعملاء الذين يسامحون الآخرين، واستخدم كلينمان Kleinman وبيكرBecker سنة (١٩٩٨)، وباحثون آخرون أيضًا المقابلات شبه المنظمة فى استكشاف المظاهر الاجتماعية والثقافية للخبرة، وخاصة الفروق التى قد تؤثر فى الصحة الجسمية والمرض (الأمراض الجسمية ذات المنشأ النفسى)، فيمكن أن تؤثر هذه الفروق فى نوعية المعلومات المتاحة عن الأعراض والعلاجات وكمها وانصياع المريض لتعليمات الطبيب والانتكاس وأيضًا يمكن أن تؤثر فى تأكيد قيم واتجاهات محددة (مثل تأكيد دور التسامح) ومفاهيم الصحة والمرض (Kleinman,Eisenberg ,&Good,1978).

اكتشاف العوامل الروحية:

استخدم فولكمان Folkman سنة (١٩٩٧) وريتشارد Richards وفولكمان سنة(١٩٩٧) المقابلات شبه المنظمة لاستكشاف خبرات المواجهة المعرفية، والانفعالية للناجين القائمين على رعاية مرضى الإيدز المشرفين على الموت، وعند تحليل السجل السردى للإجابات عن أسئلة من قبيل " ما الذى تعلمته من هذه المرحلة فى حياتك؟ " و" ما الذى يمثل أهمية لك الآن؟ "، اكتشف هؤلاء الباحثون عاملاً غير متوقع، يتمثل فى الأفكار المرتبطة روحيًا بالمواجهة، فما يقرب من ٥٠% من المشاركين (ن=١٢٠) أوردوا تلقائيًا موضوعات روحية، مثل الاهتمام بالمغزى الشخصى للحياة، وغاية الوجود فيها، أو استخدام الصلاة أو التأمل، وعندما قُسمت العينة التى أجريت لها مقابلة إلى مجموعتين، مجموعة ذكرت أفكاراً روحية، ومجموعة لم تذكر أفكاراً روحية، توصل هؤلاء الباحثون إلى أن المجموعتين تختلفان اختلافًا دالاً على المقاييس المقننة للمواجهة، وتختلفان أيضًا على الاستخبارات التى تقيس الاكتئاب والقلق، ومن النتائج المشوقة أن أولئك الذين ذكروا أفكاراً روحية أو دينية عبروا وبشكل دال عن مستويات مرتفعة من القلق والاكتئاب، بالإضافة إلى ذلك ذكروا أعراضًا جسمية أكثر (ولكن لا توجد فروق بين المجموعتين فى الحالة الطبية لقصور المناعة (HIV بعد وفاة المرضى الذين يقومون برعايتهم مباشرة، وذلك بالقياس إلى المجموعة غير الروحية، وقد أظهروا أيضًا وبدرجة دالة استخدامًا أكثر لاستراتيجيات المواجهة التكيفية، مثل إعادة التقييم الإيجابى، والحل الهادف للمشكلات، وقد أجريت متابعة بعد انقضاء أشهر عديدة، واستُخدمت المقابلات، والاستخبارات مرة أخرى، فظهرت مخرجات جديرة بالاهتمام، حيث كان المشاركون فى مجموعة الأفكار الروحية أقل قلقًا واكتئابًا وبدرجة دالة، بينما أصبح المشاركون فى المجموعة غير الروحية فعليًا أكثر قلقًا واكتئابًا.

ونحن لدينا هنا مثالٌ لقيمة الجمع بين المناهج، فكل منهما زودانا بمعلومات جزئية، ولكنهما معًا قدما لنا وصفًا كاملاً لاستراتيجيات المواجهة عبر الزمن، لاحظ أنه بدون استخدام المقابلة، فإن نتائج البيانات الخاصة بالاستخبار كانت ستُظهر صورة أقل دقة، حيث إن تأثير المعلومات الانفعالية، والخاصة بالمواجهة سوف يكون محجوبًا.

لاحظ أيضًا الاكتشاف غير المتوقع للعوامل الروحية التى انبثقت من استخدام منهج المقابلة:

فأولاً: استخدام الأسئلة مفتوحة النهايات يسر ظهور تعليقات غير متوقعة من قبل المشاركين، تتعلق بعمليات المواجهة، وهذه التعليقات وثيقة الصلة أيضًا بأهداف الدراسة.

وثانيًا: كشف منهج التحليل السردى الصارم والمنظم عن الأفكار الروحية، فاستخدام المقابلة فقط دون التحليل الصارم للبيانات كان من الممكن ألا يكشف عن المتغيرات الروحية ودورها فى الحالات الانفعالية والمواجهة.

وقد لاحظنا سابقًا أيضًا استخدام المقابلة المنظمة لقياس أنماط الغضب والعدائية، مثل الغضب البناء (Davidson et al., فى المطبعة)، انظر أيضًا بارفوت Barefoot سنة (١٩٩٢) الذى يقدم لنا مثالاً آخر يبرز إلى أى مدى يُحسّن السلوك الذى تم تقديره من خلال المقابلة المنظمة، وبدرجة دالة الصدق التنبؤى للمخرجات الصحية، وذلك عند مقارنته بالاستخبارات التى تتعامل مع الموضوعات النفسية الاجتماعية الحساسة مثل العدائية، وقد يعد التسامح من الموضوعات الحساسة، حيث يجد المرء بعض الصعوبة فى وصفه أو مناقشته.

قياس المظاهر غير اللفظية للتسامح :

إن السلوك غير اللفظى مفقود فى أحيان كثيرة فى البحوث النفسية الاجتماعية التى تتعلق بالصحة الجسمية، ولم يفحص حتى الآن فى بحوث التسامح، مثل التعبيرات الوجهية والإيماءات. لاحظ أن نموذج الغضب البناء لديفيدسون وآخرين (١٩٩٨)، والذى ذكرناه سابقًا، يحتوى على ثلاثة مكونات: أنشطة لفظية، وغير لفظية، وسلوكية، وما زال يُنظر للعناصر غير اللفظية فى التسامح على أنها لاتمارس أى دور جوهرى فى مخرجات الصحة، ومع تسليمنا بحجم العوامل غير اللفظية التى ذكرت كثيرًا فى التراث البحثى، و المتضمنة فى التواصل الفعال المتبادل بين الأشخاص، يبدو معقولاً أن نعتقد أن منح التسامح واستقباله قد يتضمنان مكونًا غير لفظى مهم. إن استخدام المقابلة المنظمة والتقديرات السلوكية للوجدان والسلوك اللفظى وغير اللفظى أثناء التدخل يمكن أن يزودنا بمعلومات قيمة فى بحوث التسامح والصحة.

مناهج المراقبة اليومية والتقدير الذاتى:

إن المناقشة السابقة قدمت لفكرة القياس المتكرر بدلاً من القياس مرة واحدة أو فى مناسبات قليلة، ومثال واحد يمكن أن يوضح مناهج البحث التى وُجد أنها مفيدة (وقابلة للنشر) فى المجال البحثى الخاص بالصحة النفسية الاجتماعية.

الألم والفاعلية الذاتية والانفعالات: استكشاف عمليات عبر الزمن

درس كيف Keefe وآخرون (Keefe et al. ,1997;Affleck,Tennen, Urrows,&Higgins,1991) الألم لدى الأشخاص الذين يعانون أمراضًا مزمنة

مختلفة، مثل مرضى الروماتويد، والخشونة، فالألم خاصة الألم المزمن يتحدى الباحثين بمجموعة كبيرة من المشكلات المنهجية، متضمنة التغير الملاحظ فى الألم داخل، وبين الأشخاص فيما يتعلق بالشدة، والمدة، ومعدل التكرار، والتحدى المتمثل فى فهم الألم حذى الباحثين للتحرك تجاه تجميع نوع من المعلومات سوف يبلورنظرية جيدة فى الألم، بالإضافة إلى الممارسة الإكلينيكية. ومع تسليمنا بالدور المؤثر للفاعلية الذاتية فى إدارة الألم، كما لوحظ مبكرًا فى بحوث لوريج Lorig وهولمان Holman سنة (١٩٨٩)، فإن الباحثين المعنيين بدراسة الألم بدأوا يستكشفون كيف تؤثر الفاعلية الذاتية فى مساعدة المرضى على تخفيض الحالات المزاجية السلبية، وزيادة كفاءة الوظائف الجسمية، وتغيير الأعرض المرضية المرتبطة بالألم.

ومع اعترافنا بأوجه القصور الخطيرة للتصميمات العرضية، ومجموعة الاختبار القبلى – البعدى، قام كيف وتلاميذه (Lefebvre et al., فى المطبعة) باستكشاف إلى أى مدى يرتبط ألم المفصل وإستراتيجيات مواجهة الألم والحالات المزاجية الإيجابية والسلبية بالفاعلية الذاتية والحالات الطبية عبر ثلاثين يومًا، وقد توصل الباحثون إلى أن استخدام الفترة الزمنية الفاصلة وتصميم داخل الشخص والتقديرات المنفصلة للفاعلية الذاتية للألم والوظائف الجسمية، تنبأت بمتوسط انخفاض ألم المفصل بدرجة أكبر جوهريًا من المقاييس التى تقيس حالة المرض أو العوامل الديموجرافية، بالإضافة إلى ذلك كانت معتقدات الفاعلية الذاتية أيضًا أكثر تنبؤا، وبدرجة دالة باستراتيجيات المواجهة النوعية، مثل الاسترخاء، والتماس المساندة الوجدانية، والتعبير عن الانفعالات، وارتبطت مقاييس الفاعلية الذاتية ارتباطًا سلبيًا بكل المقاييس الخاصة بحالات المرض، والحالات المزاجية السلبية أيضًا، ومن النتائج الشيقة وُجد أن التماس المساندة الروحية التى تم تقديرها يوميًا على أنها واحدة من الاستراتيجيات الرئيسة للمواجهة، كان منبأ

بانخفاض ألم المفصل فى اليوم التالى بدرجة مرتفعة، ومن المثير للإعجاب أن كيف وتلاميذه طوروا استراتيجية لتقييم ثلاثين تقديرًا يوميًا متعاقبًا للفاعلية الذاتية ووظيفة الألم والحالة المزاجية، لدى ما يزيد عن ٩٠% من حالات الانصياع لتعليمات الطبيب، ونحن نعتقد أن الباحثين المعنيين بالتسامح يمكنهم استخدام مناهج البحث هذه لفحص متغيرات نظرية عديدة لعملية التسامح، خاصة إلى أى مدى تتباين عوامل محددة مثل الغضب، أو تفهم المسيء مع متغيرات أخرى مرتبطة بالتسامح.

ونحن نستكشف حاليًا فى دراسة استطلاعية طرائق إجراء تعديلات على أسلوب المراقبة اليومية-التقدير الذاتى الذى وصفناه من قبل، ليتلائم مع المقابلة المنظمة فى دراسات التدخل الخاصة بتعزيز التسامح، ونأمل أن يستخدم الآخرون مناهج البحث هذه كمكمل للاستخبارات المقننة، والأساليب الأخرى مثل المقابلة.

أساطير الاتساق: التصميمات التجريبية الخاصة بدراسة الحالة والتجارب الإكلينيكية العشوائية:

توجد بوضوح حاجة للتجارب الإكلينيكية العشوائية (RCTs) للإجابة عن بعض الأسئلة المهمة المتعلقة بفاعلية أساليب التدخل الخاصة بالتسامح والصحة، ويتطلب تصميم منحى تدخل كمنحى صادق إمبريقيًا بيانات مستمدة من التجارب الإكلينيكية العشوائية (RCTs)، فمثل هذه التصميمات تقدم الكثير للضبط التجريبى داخل الدراسة، وتزيد الثقة فى أن المخرجات التى كشفت عنها الدراسة (مثل المرض والموت) من الأكثر احتمالاً أن ترتبط بأسلوب العلاج، وقد ناقش الباحثون حديثًا الحجج المؤيدة والمناهضة لاستخدام تصميم التجارب الإكلينيكية العشوائية، وخاصة الاعتماد عليها وحدها لتقويم أساليب

التدخل، وقد نُشرت تلك المناقشات كقضايا خاصة فى دورية علم النفس الإرشادى والإكلينيكى (Compas,Haaga,Keefe,Leitenberg,&William, 1998) ودورية الاختصاصيين النفسيين الأمريكيين (Barlow,1996) في العدد الذى خُصص لتناول الصدق الإمبريقى لأساليب العلاج النفسى.

ونحن نذكر تصميم التجارب الإكلينيكية العشوائية والبحوث الخاصة بأساليب التدخل العلاجى النفسى نظرًا لأن هذا الموضوع استحوذ إلى حد كبير على اهتمام مستمر، وحاسم من قبل الباحثين على مدى سنوات، وبالإضافة إلى ذلك كثير من القضايا التى تم تناولها ترتبط ارتباطًا وثيقًا ومباشراً بالأساليب التى تُحسّن بحوث التسامح والصحة، وقد قدم ثورسين Thoresen سنة (١٩٩٨) مناقشة مستفيضة للدروس المتعلمة من البحث الإمبريقى فى العلاج النفسى والإرشادى، وكيف يمكن تطبيق هذه الدروس فى تحسين بحوث التسامح (انظر أيضًا: Worthington,Sandage,Berry, الفصل الحادى عشر بهذا المجلد).

هل الكل متماثلون؟

هناك قضيتان تستحقان أن يُذكرا هنا باختصار، تتمثل الأولى فى الحاجة إلى إدراك دور الفروق الفردية في بحوث التسامح، متضمنة الفروق فى النوع والسلالة ومستوى التعليم والدين والروحانية والعمر وأنساق القيم الأساسية، بالإضافة إلى نمط الإساءة، ومعدل تكرارها وشدتها والمدة التى استغرقتها. وقد ألقى كيزلر Kiesler سنة (١٩٦٦) منذ وقت بعيد الضوء على المشكلة المترتبة على تجاهل هذه الفروق، والتى يُطلق عليها بين الباحثين "أساطير الاتساق "، وتتمثل فى الميل إلى اعتبار كل المشاركين الذين لديهم مشكلة محددة على أنهم أساسًا متماثلون (أسطورة تماثل المريض)، وبناءً على ذلك يحتاجون العلاج نفسه (أسطورة تماثل العلاج).

وأحد الانتقادات المهمة التى وُجهت للتصميمات الخاصة بالتجارب الإكلينيكية العشوائية هى أنها تفترض أن أسلوب التدخل نفسه سوف يؤثر وعلى نحو متماثل فى كل المشاركين، فعلى الرغم من أن المشاركين قد يعانون المشكلة الصحية العامة نفسها (الشفاء من الذبحة القلبية الحادة أو آلام أسفل الظهر المزمنة)، فإنهم يختلفون عادة فى الأساليب المرتبطة بصدق مناهج القياس، أو فى الاستجابة إلى أسلوب التدخل المحدد (Barlow,1996). ونحن ندرك الحاجة إلى تقنين أنظمة أساليب التدخل، وقيمة وجود كتيبات خاصة بأساليب العلاج، ولكن لا ينبغى أن يتم التأكيد على مثل هذا التقنين بشكل غير ناضج، كذلك ينبغى ألا يتم تجاهل المشاركين الذين يفشلون فى أن يستفيدوا من الأسلوب العلاجى، أو يتم تصنيفهم ببساطة على أنهم مستقصون من العلاج، ففى الواقع لا تكون مثل هذه الفروق بالضرورة عشوائية أو ضوضاء متذبذبة، ولكنها تزودنا بفرص لأن نتعلم أكثر عن "ماذا " يؤثر فى " من " و" كيف ". وفحص المتغيرات الشخصية، والسياقية مبكرًا فى ظل استخدام التصميمات ذات العينات الأصغر؛ يمكن أن يساعد فى تقليل الاستخدام غير الناضج لتصميم التجارب الإكلينيكية العشوائية (RCTs) التى تفترض التماثل بين المشاركين.

التجارب ذات المشارك الواحدة(ن=١): معقوليتها وفعاليتها

ثانيًا: ما زالت التصميمات التجريبية لدراسة الحالة الوحدة ذات قيمة بحثية كبيرة على الرغم من تجاهلها (Hillard,1993) فلن تزودنا تصميمات دراسة الحالة بدليل مؤكد مقنع على أن أسلوب التدخل، أو القياس يؤثر تأثيرًا جيدًا مع معظم الأشخاص المهتمين بالتسامح، أو بمجموعة كبيرة من المشكلات الأخرى بالمجال (Thoresen &Powell,1992)، ولكنها يمكن أن تقدم

لنا أساليب مؤثرة جدًا، ومنخفضة التكاليف لفحص منحى تدخل، أو أسلوب قياس محدد خاص بالتسامح وتقويمه، فيمكن أن يتم تجميع قياسات متعددة قبل تقديم أسلوب التدخل وأثنائه وبعده، أو يمكن أن يتم تجريب مختلف مكونات الأسلوب العلاجي بالتعاقب، وفي وقت متوان وفي ظل التصميمات المتداخلة.

وأحد الملامح المميزة لتصميم دراسة الحالة هو طبيعة التصميم المرتبط بالعملية، فبدلاً من تجميع بيانات خاصة بخط الأساس على سبيل المثال في مرة واحدة (الاختبار القبلي)، فإن تصميم دراسة الحالة يتضمن تجميع بيانات على نحو متكرر عبر ساعات أو أيام أو أسابيع كثيرة، اعتمادًا على نمط المعلومات التي يتم تجميعها، وعمل هذه القياسات المتكررة يمكن أن يُرسخ خطًّ أساس أكثر ثباتًا، ويكشف أيضًا عن التذبذبات في البيانات المرتبطة بأوقات أو مواقف محددة، فعلى سبيل المثال يمكن أن يكمل المشاركون في أسلوب التدخل الخاص بالتسامح التقديرات اليومية الخاصة بالغضب وتوجيه اللوم، بالإضافة إلى التقديرات الخاصة بتفهم المُسيء، وهذا يمكن عمله باستخدام دفتر تسجيل ملاحظات بسيط وغير مكلف، أو من خلال جهاز مراقبة إلكتروني متنقل يمكن برمجته لحث المشاركين على كتابة تقارير ذاتية عن الحالات المزاجية، أو المعارف المحددة في أوقات منتقاة، أو عشوائية أثناء اليوم، ويمكن أن يراقب المشارك معدل ضربات القلب وضغط الدم، وعلى نحو متكرر أثناء اليوم باستخدام مثل هذه الوسائل أيضًا (Taylor,Fried,&Kenardy,1990).

ويتم تجميع البيانات الخاصة بأسلوب التدخل، وعلى نحو نموذجي قبل بدء أسلوب التدخل وأثنائه وبعده وعند إجراء متابعة مرة واحدة، أو أكثر من متابعة، وعلى عكس التصميمات الأخرى، يمكن أن يتم تجميع متغير تابع

واحد، أو أكثر من متغير تابع أثناء تقديم أسلوب التدخل باستخدام تصميمات الحالة الواحدة، وهذا يتيح للباحث تحليل أنماط التغير التى تحدث أثناء تقديم أسلوب التدخل، وليس مجرد تقدير فاعلية أسلوب التـدخل، وللـتحكم فـى تأثيرات القياس المحتملة، يمكن أن ينهمك بعض المشاركين فى القياس فقط، بينما يتلقى البعض الآخر أسلوب التدخل، ويمكن الرجوع إلى مرجع كاسدين Kazdin سنة (١٩٨٢) حيث يقـدم عرضًـا شـاملاً للاختبـارات المتعلقـة بتصميمات الحالة الواحدة، مثل خط الأساس المتعدد، وتغيير أسلوب العلاج، والتصميمات المتعلقة بأساليب التدخل المتعددة التى تقدم فى أوقات متوانيـة، ويناقش أيضًا أساليب تحليل مختلف البيانات، مثل مناهج التـصنيف غيـر المقيد، وتحليلات الانحدار الذاتية المتكاملة للمتوسط المحرك autoregressive integrated moving average التى تضبط التأثيرات غير المستقلة الناتجة غالبًا عن القياسات المتكررة.

وأخيرًا تقدم مناهج الحالة الواحدة منظور التعاقـب الزمنـى لأنمـاط التغير، إذا كان هناك تغير وذلك عبر الزمن بدلاً من الاعتماد مـرة أخـرى على جمع البيانات فى مرة واحـدة، سـواء الخاصـة بالاختبـار البعـدى أو الخاصة بالمتابعة، ويمكن أن تميل مثل هذه البيانات إلى التذبذب المنـتظم الذى يرتبط بمختلف مظاهر التدخل، كتقديم أسلوب تدخل جديد مثلاً، فهـل يحدث أى تغير مميز على سبيل المثال فى المؤشرات الفسيولوجية التى تـم انتقاؤها أثناء الأيام التى صرح المشاركون فيها بأنهم اتخذوا قـرارًا ببـدء عملية التسامح، أو الانصراف الذهنى عن الأفكار والمـشاعر والـسلوكيات السلبية؟ وإذا جُمعت بيانات من المشارك نفسه أيضًا تتعلق بإساءة تعرض لها من قبل شخص آخر، وهذه الإساءة لاتمثل بؤرة اهتمام أسلوب التدخل، فإن تحليلات آثار التعميم تكون محتملة.

إن تنوع التصميمات التجريبية الخاصة بالحالة الواحد لا حدود له تقريبًا، نظرًا لملائمتها حيث تتضمن عددًا قليلاً من المشاركين، وقد يعتبر البعض مثل هذا النمط من البحوث مُجهدًا، ويتطلب بذل جهد كبير جدًا دون أن يكون هناك جزاء وافر كاف، وبالرغم من أن تصميمات دراسة الحالة تعد جزءًا من البرنامج البحثى عمومًا، أو بمثابة خطوات أولية فى مجال بحثى مبتكر، فإنها تقدم بيانات محكمة جيدًا، خاصة فى المراحل الاستكشافية للبحث الإمبريقى (Suppe,1977).

تعليقات ختامية:

ما زال الدليل على وجود تأثيرات للتسامح على الصحة الجسمية غير متوفر، وما زال لدينا مبرر لأن نظن أن الحالة الصحية قد ترتبط بالفعل ارتباطًا محتملاً غير مباشر بالتسامح، فبعض المكونات المهمة التى يُعتقد أنها متضمنة فى التسامح مثل الغضب والعدائية وتوجيه اللوم لها متضمناتها فى الاستهداف للمرض، وعلى الرغم من أن هناك عددًا لاحصر له من التفسيرات الاسترجاعية (القصص) تعزى التحسن فى الصحة الجسمية للتسامح فإن هذه التقارير السردية فى أحسن الأحوال هى مجرد تلميح باحتمالات.

ويمكن استخدام بعض الأطر النظرية، ومناهج البحوث لاستكشاف الارتباط المحتمل بين التسامح والصحة الجسمية، وسيكون مثل هذا الفحص ملائمًا إذا أمكن تبنى رؤى متعددة نظريًا، ومنهجيًا، ونحن منتبهون لعديد من فلاسفة العلم ذائعى الصيت (مثل: Whitehead,1967) الذين أدركوا الجذب الذى لا مفر منه بين الإيمان والشك، حيث ينبغى على العالم أن يعتقد فيما يفعله، أو فيما تفعله، وعلاوة على ذلك يُحدث توازن بين هذا الإيمان والشكك الصارم الصحى فى معتقداته أو معتقداتها، وقد عبر بوبر Popper

سنة (١٩٦٥) عن ذلك تعبيرًا جيدًا عندما طلب من العلماء أن يستخدموا منطقًا غير مؤكد فى محاولة إثبات عدم صحة فروضهم المفضلة نظريًا فى الواقع، فعلى سبيل المثال يحتاج الباحثون أن يفكروا فى تفسيرات أخرى للبيانات، التي يبدو أنها تدعم فكرة أن التسامح مفيد للصحة، ويكون من الأكثر احتمالاً أن يزودنا الباحثون بدلائل ذات معنى، ونظرية صحيحة من خلال استخدام مناهج بحثية متنوعة، ومن خلال إدراك أنه لا يوجد منهج بحثى واحد يمكنه أن يفحص بمفرده ظاهرة التسامح على نحو ملائم، أو يدعمنا بوثائق عنها.

ونحن نظن أن إمكانية أن يكون التسامح مفيدًا للصحة الجسمية متوفرة، وأيضًا أن التسامح قد يعزز صحة وتنعمًا أفضل (Diener,1996)، وهذا ما أطلق عليه إيمونز Emmons " الحياة الجيدة " (الفصل الثامن فى هذا المجلد)، ويثمر التسامح فى أحيان كثيرة كأسلوب مواجهة للتعامل مع الإيذاءات والإحباطات والإساءات الحياتية التى لامفر منها، عن أسلوب أهدأ وأكثر حرصًا على الحياة (Kushner,1996)، ويمكن تصور أن تعلم معلومات عن التسامح وكيفية استخدام مهاراته يزيد الصحة من خلال تخفيض الاستثارة السمبثاوية الزائدة والسلوكيات التى تزيد الاستهداف للإصابة بالمرض، وأيضًا من خلال تبنى نظرة للحياة أكثر تفاؤلاً وأملاً، أو ما أطلق عليه أنتونوفيسكى Antonovsky "الشعور العظيم بالترابط ".

وقد ارتقى هذا المنظور من خلال التأثيرات الدينية المتنوعة "تعاليم الحكمة"، كسبيل لأن نحيا حياة ذات مغزى واتجاه، ولأن نكون أصحاء (Smith,1989)، والسؤال الذى يثور الآن هو ما إذا كان ممكنًا أن نبدأ البحوث الإمبريقية لنوضح أن التسامح يعزز صحة جسمية أفضل، فهذا السؤال جدير بأن نحاول الإجابة عنه.

المراجع

- Affleck,G.,Tennen,H.,Croog,S.,& Levine.,S.,(1987).Causal attributions ,perceived benefits and morbidity after heart attack: An 8 year study. Journal of Consulting and Clinical Psychology ,55,29-35.

- Affleck,G.,Tennen,H.,Urrows ,S.,&Higgins,P.(1991).Neuroticism and the pain – mood relation in rheumatoid arthritis: Insights from a prospective daily study.Journal of Consulting and Clinical Psychology,60,119-126

- Albom,M.(1997).Tuesday with Morrie.New York: Doubleday.

- Allan,R.,& Scheidt,S.(1996).Empirical basis for cardiac psychology.In R.Allan & S. Scheidt (Eds.).Heart and mind: The practice of cardiac psychology (pp.63-123).Washington ,DC: American Pschological Association.

- Anderson,B.L.,Farrar,W.B.,Golden-Kreutz,D.,Kutz,L.A., MacCallum, R.,Courtney, M.E.,&Glaser,R.(1998).Stress and immune responses following surgical treatment of regional breast cancer. Journal of the National Cancer Institute,90,30-36.

- Antonovsky,A.(1979).Health,Stress, and coping.San FranciscO: Jossey-Bass.

- Bandura,A.(1986).Social foundations of thought and action: Asocial cognitive theory.Inglewood Cliffs,NJ:Prentice –Hall.

- Bandura,A.(1995).Manual for the construction of self- efficacy scales. Department of Psychology ,Stanford University,Stanford,CA 94305-2130.

- Bandura,A.(1997).Self- efficacy: The practice of control.San Francisco: Freeman.

- Barefoot,J.C.(1992).Developments in the measurement of hostility.In A.W.Siegman &T.W.Smith(Eds.),Anger,hostility and the heart (pp.43-66).Hillsdale ,NJ:Erlbaum.

- Barlow,d.(1996).Health care policy, Psychotherapy research ,and the future of psychotherapy.American Psychologist,51,1050-1058.

- Booth-Kewley,S.,&Friedman ,H.S.(1987).Psychological predictors of heart disease :A quantitative review, Psychological Bulletin,101,343-362.

- Brownell,K.D.,&Wadden, T.A.(1992).Etiology and treatment of obesity. Journal of Consulting and Clinical Psychology,60,505-517.

- Caudill,M.A.(1995).Managing pain before it manages you. New York: Guilford Press.

- Coe,C.(1997). Sociality and immunological health revisited. Psychosomatic Medicine ,59, 222-223.

- Cohen,S.,Tyrell,D.A.J.,&Smith,A.P.(1991).Psychological stress in humans and susceptibility to the common cold.New England Journal of Medicine ,325,606-612.

- Compas,B.E.,Haaga ,D.A.F.,Keefe,F.J.,Leitenberg,H.,&Williams, D. A.(1998).Sampling and empirically supported psychological treatments from health psychology.Journal of Consulting and Clinical Psychology ,66,89-112.

- Cook,T.D.(1985).Postpositivist critical multiplism.In R.L.,Shotland & M.M.Mark(Eds.),Social science and social policy(pp.21-62).Beverly Hills,CA: Sage.

- Davidson,K.,Stuhr,J.,&Chambers,L.(in press).Constructive anger behavior as a sress buffer.In K.D.Criag& K.S.Dobson(Eds.),Stress vulnerability and reactivity. Thousand Oaks,CA:Sage.

- DeBusk,R.F.,Miller,N.H.,Superko,H.R.,Dennis, C.A. ,Thomas,R.J.,Lew ,H. T., Berger, W. E., Heller, R.S. ,Rompf ,J., & Gee,D. (1994).Acase – management system for coronary risk factor modification after acute myocardial infarction.Annals of Internal Medicine ,120,721-729.

- Deffenbacher,J.L.(1994).Anger reduction :Issues,assessment and intervention strategies.InA.W.Siegman&T.W.Smith(Eds.), Anger, hostility and the heart (pp.239-269).Hillsdale, NJ:Erlbaum.

- Denzin,N.K.,& Lincoln,Y.S.(Eds.), (1994). Handbook of qualitative research. Thousand Oaks,CA: Sage.

- Diener,E.(1996).Traits can be powerful ,but are not enough: Lessons from subjective well- being.Journal of Research in Personality,30,389-399.

- Dodge,K.A.,&Frame ,C.L.(1982).Social cognitive biases and deficits in aggressive boys.Child Development, 53,620-635.

- Easwaran, E.(1989). Meditation, Tomales,CA: Nilgiri Press.

- Everson, S. A., Goldberg, D.E.,Kaplan,G.A.,& Cohen,R.D.(1996). Hopelessn- ess and risk of mortality and incidence of myocardial infarction and cancer.Psychosomatic Medicine ,58,113-121.

- Everson,S.A.,Goldberg ,D.E.,Kaplan,G.A.,Julkunen,J., &Salonen, ,J.T. (1998). Anger expressed and incident hypertension. Psychosomatic Medicine, 60, 730-735.

- Everson,S.A.,Kauhanen,J.,&Kaplan,G.A.(1997).Hostility and increased risk of mortality and acute myocardial infarction: The mediating role of behavioral risk factors.American Journal of Epidemiology,146,142-152.

- Ewart,C.T.,Taylor,C.B.,Reese,L.B.,&DeBusk,R.F.(1983).Effects of early post-myocardial infarction exercise testing on self –perception and subsequent physical activity.American Heart Journal,51,1076-1080.

-Flanigan,B.(1992).Forgiving the unforgivable.New York: Macmillan.

-Folkman,S.(1997). Positive psychological states and coping with severe stress.Social Science and Medicine ,45,1207-1221.

-Friedman,M.,Thoresen ,C.,Gill,J.,Ulmer,D.,Powell,L.H.,Price ,V.A., Brown ,B.,Thompson ,L.,Rabin,D.,Breall,W.S, Bourg, W., Levy,R., & Dixon,T. (1986).Alterations of Type A behavior and its effects on cadiac recurrence in post-myocardial infarction patients: Summery results of the coronary prevention recurrence project.American Heart Journal ,112,653-665.

-Goldfried,M.R.(1980).Toward the delineation of therapeutic change principles.American Pyschlogist, 35,991-999.

-Gorsuch ,R.L.,&Miller,W.R.(1999).Measuring spirituality.In W.R.Miller(Ed.), Integrating spirituaity into practice: A practitioner's guide.Washington ,DC: American Psychological Association.

-Gotlib,I.H.,Gillboa,E.,&Kaplan,R.(in press).Cognitive functioning in depression: Nature and origins.In R.J.Davidson(Ed.),Wisconsin Symposium on Emotion(Vol.1).New York: Oxford University Press.

- Greeno,J.G.(1998).The situativity of knowing ,learning and research. American Psychologist ,53,5-26.

- Hall,P.,Davidson,K.,MacGregor , M.,& MacLean,D.(1998).Expanded Structured Interview: Assessment manual.Halifax ,Nova Scotia: Heart Health of Nova Scotia.

- Hammen ,C.,& Goodman-Brown,T.(1990).Self –schemas and vulnerability to specific life sresses in children at risk for depression (Special Issue: Selfhood processes and emotional disorders). Cognitive Therapy and Research ,14,215-227.

- Hilliard ,R.B.(1993). Single –case methodology in psychotherapy process and outcome research.Journal of Consulting and Clinical Psychology,61,373-380 .

- House ,J.S.,Landis,K.R.,& Umberson,D.(1988).Social relationships and health.Science,241,540-545.

- Jiang ,W.,Babyak,M.,Krantz ,D.S.,Waugh,R.A.,Coleman,R.E., Hanson, M.M.,Frid,D.J.,McNulty,S.,Morris,J.J.,&O Connor,C.M.(1996).Mental stress-induced myocardial ischemia and cardiac events.Journal of the American Medical Association,275,1651-1656.

- Kaplan,A.(1964).The conduct of inquiry.San Francisco: Chandler.

- Kazdin,A.E.(1982).Single -case experimental designs in clinical research and practice.New Directions for Methodology of Social and Behavioral Science,13,33-47.

- Keefe,F.J.,Affleck,G.,Lefebvre,J.C.,Starr ,K.,Caldwell,D.S., & Tennen ,H.(1997).Pain coping strategiesand coping efficacy in rheumatoid arthritis: A daily process analysis.Pain,69,35-42.

- Kiesler,D.J.(1966).Some myths of psychotherapy research and the search for a paradigm. Psychological Bulletin,65,110-130.

- Kleinman,A.,&Becker,A.E.(1998)." Sociosomatics": The contributions of anthropology to psychosomatic medicine.Psychosomatic Medicine,60,389-393.

- Kleinman,A., Eisenberg ,L., &Good ,B.(1978). Culture , illness, and cure: Clinical lessons from anthropologic and cross- cultural research.Archives of Internal Medicine ,88,251-258.

- Kushner,H.(1996). How Good do we have to be ?. New York: Little ,Brown.

Lefebvre,J.C.,Keefe,F.J.,Affleck,G.,Raezer,L.B.,Starr,K.,Caldwell,D.S.,&Tennen,H.(in press). The relationship of arthritis self –efficacy to daily pain, daily mood,and daily pain coping in rheumatoid arthritis patients.Pain.

- Linden,W,Stossel ,C.,& Maurice, J.(1996).Psychosocial interventions for patients with coronary artery disease: Ameta –analysis. Archives of Internal Medicine ,156,745-752.

- Lorig ,K.(1999, March).Self –management groups for chronic disease patients: Invited address. Paper presented at the Society of Behavioral Medicine, San Diego,CA.

- Lorig,K.,&Holman,H.R.(1989).Long- term outcomes of an arthritis self –management study: Effects of reinforcement efforts (Special Issue: Health self –care). Social Science and Medicine,29,221-224.

- Luskin,F.M.,& Thoresen,C.E.(1999). The psychosocial effects of forgivenesstraining in young adults. Unpublishedmanuscript , Stanford University,Stanford ,CA.

- Mahoney,M.J.(Eds.).(1995).Cognitive and constructivist psychotherapies: Theory, research , and practice.New York:Springer.

- Markus,H.R.,Reaff,C.D.,Conner,A.,Pudberry,E.K.,&Barnett,K.L.(in press)." Iam responsible": Themes and variations in American understandings of Resposibility.In A.S.Rossi(Ed.),Caring and doing for others: Social responsibility in the domains of family ,work,and community.Chicago: University of Chicago Press.

- Marty,M.(1998).The ethos of Christian forgiveness.In E.L.Worthington(Ed.), Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspectives(pp.9-28). Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- McCraty,R.,Atkinson,M.,Tiller,W.,Rein,G.,&Watkins,A.(1995).The effects of emotions on short term power spectrum analysis on heart rate variability.American Journal of Cardiology,76,1089-1093.

- McCullough,M.E.,&Worthington,E.L.(1994).Models of interpersonal forgiveness and their applications to counseling: Review and critique. Counseling and Values,39,2-14.

- McCullough,M.E.,Worthington ,E.L.,&Rachal ,K.C.(1997). Interpersonal forgiving in close relationships. Journal of Personality and Social Psychology,73,321-336.

- McEwen, B.S.(1998).Protective and damaging effects of stress mediators.New England Journal of Medicine, 338,171-179.

- McEwen,B.S.,&Stellar,E.(1993).Stress and the individual: Mechanisms leading to disease. Archives of Internal Medicine,153,2093-2101.

- Miller,T.Q.,Smith,T.W.,Turner,C.W.,Guijarro,M.L.,& Hallet,A.J.(1996).Meta-analytic review of research on hostility and physical health. Psychological Bulletin ,119,322-348.

- Oman,D.,Thoresen,C.E.,&McMahon,K.(1999).Volunteerism and morality among the community –dwelling elderly (Special Issue: Spirituality and health). Journal of Health Psychology.

- Ornish,D.,Brown,S.E.,Scherwitz,L.W.,&Billings, J.(1990).Can lifestyle change reverse coronary heart disease? Lancet , 336,129-133.

- Pargament,K.I.(1997).The psychology of religion and coping: Theory, research,and practice.New York: Guilford Press.

- Pennebaker,J.W.,Kiecolt-Glaser,J.K.,&Glaser,R.(1988).Disclosure of traumas and immune functioning: Health implications of psychotherapy. Journal of Consulting and Clinical Psychology,56,239-245.

- Petrie,K.J.,Booth,R.J.,&Pennebaker,J.W.(1998).The immunological effects of thought suppression.Journal of Personality and Social Psychology,75,1264-1272.

- Pickering,T.G.,&Gerin,W.(1990).Cardiovascular reactivity in the laboratory and the role of behavioral factors in hypertension: Acritical review. Annals of Behavioral Medicine,12,3-16.

- Popper,K.R.(1965).Conjectures and refutatios.New York: Harper Collins.

- Price,V.A.(1988).Research and clinical issues in treating type A behavior.In B.K.Houston& C.R.Snyder(Fds.),Type A behavior pattern: Research, treatment ,and intervention(pp.275-311).New York:Wiley.

- Propst, L.R.,Ostrom,R.,Watkins ,P.,&Dean,T.(1992).Comparative efficacy of religious and non- religious cognitive – behavioral therapy for the treatment of clinical depression in religious individuals.Journal of Consulting and Clinical Psychology,60,94-103.

- Raskin,R.N.,&Hall,C.S.(1979).Anarcissistic personality inventory. Psychological Reports,45, 590.

- Rhodewalt,F.,&Morf,C.C.(1995).Self and interpersonal correlates of the Narcissistic Personality Inventory: A review and new findings.Journal of Research in Personality,29,1-23.

- Richards,P.S.,&Bergin ,A.E.(1997).Aspiritual strategy for counseling and psychotherapy.Washington,Dc: American Psychological Association.

- Richards,T.A.,&Folkman ,S.(1997).Spiritual aspects of lose at the time of a partner' s death from AIDS. Death Studies,21,527-552.

- Roberts,J.E.,Gilboa, E.,&Gotlib,I.H.(in press).Ruminative response style and vulnerability to episodes of dysphoria: Gender neuroticism, and episode duration. Cognitive Therapy and Research.

- Rye,M.S.,&Pargament,K.I.(1997,August).Forgiveness and romantic relationships in college. Paper presented at a meeting of American Psychological Association, Chicago,IL.

- Scheidt,S.(1996).Awhirlwind tour of cardiology for the mental health professional.In R.Allan &S.Scheidt(Eds.)Heat and mind: The practice of cardiac psychology(pp.15-124).Washington ,DC:American Psychological Association.

- Segerstrom,S.C.,Taylor,S.E.,Kemeny,M.E.,&Fahey ,J.L.(1998).Optimism is associated with mood ,coping and immune change in response to stress.Journal of Personality and Social Pyschology,74,1646-1655.

- Shedler,J.,Mayman ,M.,&Manis,M.(1993).The illusion of mental health.American Psychologist ,48,1117-1131.

- Smith,H.(1989).The world 's religions.San Francisco :HarperCollins.

- Smith,T.W.(1992).Hostility and health: Current status ofa psychosomatic hypothesis.Health Psychology,11,139-150.

- Spiegel,D.,Bloom,J.R.,Kraemer,H.C.,&Gottheil,E.(1989).Effect of psychosocial treatment on survival of metastatic breast cance.Lancet ,14,888-891.

- Spielberger,C., D.Reheiser ,E.C.,& Sydeman ,S.J.(1995).Measuring the experience ,expression and central of anger.In H.Kassionone (Ed.).Anger disorders: Definitions ,diagnosis and treatment(pp.49-67).Washington ,DC: Taylor &Francis.

- Stone,A.A.,Cox,D.S.,Valdimarsdottir,H.,&Jandorf ,L.(1987).Evidence that secretory IgA antibody is associated with daily mood.Journal of Pesonality and Social Psychology,52,988-993.
- Suppe,F.(1977).The structure of scientific theories (2nd ed.),Urbana: University of Illinois Press.
- Tavris,C.(1989). Anger: The misunderstood emotion.New York: Simon & Schuster.
- Taylor,C.B.,Fried,L.,&Kenardy,J.(1990).The use of a real –time computer diary for data acquisition and processing.Behavior Research and Therapy,28,93-97.
- Tennen,H.,&Affleck,G.(1990).Blaming others for threatening events. Psychological Bulletin,108,209-232.
- Thoresen,C.E.,Hoffman Goldberg,J.(1998). Coronary heart disease: A psychosocial perspective on assessment and intervention.In S.Roth-Roemer,S.K.Robinson,& C.Carmin(Eds.) The emerging role of counseling psychology in health care (pp.94-136).New York:Norton.
- Thoresen,C.E.,Luskin,F.M.,&Harris,A.H.S.(1998).The science of forgiveness interventions: Reflections and suggestions.In E.L. Worthington (Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspectives (pp.163-192).Philadelphia: Templeton Foundation Press.
- Thoresen ,C.E.,&Powell,L.H.(1992).Type Apattens: New perspectives on theory ,assessment ,and interventions.Journal of Consulting and Clinical Psychology, 60,595-604.
- Walsh,R.,&Vaughn ,F.(1993).Paths beyond ego: The transpersonal vision.New York: Plenum Press.

- Weil,A.(1997).8 weeks to optimal health.New York:Knopf.

- Weiner,B.,Graham,S.,Peter,O.,&Zmuidinas,M.(1991).Public confessions and forgiveness. Journal of Personality ,59,281-312.

- Whitehead,A(1967).Science and the modern world.New York: Macmillan.

- Willams ,R.,&Williams ,V.(1993).Anger Kills: Seventeen strategies for controlling the hostility that can harm your health.New York: Harper Perennial.

- Worthington,E.L.(Ed.)(1998).Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspectives.Philadelphia: Templeton Foundation Press.

الفصل الثالث عشر

التسامح فى ظل رعاية القساوسة وإرشادهم

تأليف: جون باتون

يُفهم التسامح المعروض فى هذا الفصل أو بشكل أكثر دقة "توعية التسامح" على أنه خاصية مميزة للحياة التى نعيشها فى ظل وجود علاقة صحيحة مع الله، ومع مخلوقاته من البشر، ومن الأفضل أن نفهم التسامح على أنه عملية استكشاف كيفية أن نحيا فى ظل وجود علاقات مع الله والآخرين، وليس على أنه برنامج مكون من مجموعة الأفعال التى ينبغى علينا تباعها لإحراز أهداف محددة، وهذا التصور للتسامح نجده لدى القسيس المرشد والعالم باللاهوت وفى الكتب التى كتبها وحررها الاختصاصيون النفسيون، ويبدو مهمًا أن نقترح أن منظور القساوسة للتسامح يمكن أن يؤثر فى الكيفية التى قد تُفهم من خلالها بيانات التسامح وتُفسر.

والرعاية التى يقدمها القساوسة هى الجهد المبذول من قبل جماعة التعليم الدينى أو جماعة المؤمنين لتقديم الشفاء والمساندة أو الإرشاد إلى أولئك الأفراد الذين يسلمون بأن هذه الرعاية تعد مصدرًا للمساعدة، ويعد الإرشاد القسى Pastoral counseling شكلاً أكثر تنظيمًا للتعاليم الدينية، حيث يُسلم به الشخص الذى يكون فى حاجة إلى الرعاية، وينشده على نحو

صريح، ويختلف الإرشاد القسى عن أشكال الإرشاد الأخرى فى أن هذا الشكل من الإرشاد تقدمه جماعة التعليم الدينى أو جماعة المؤمنين الذين يكون لديهم تفويض بتقديم الرعاية القسية.

والإرشاد القسى لا يكون من الأساس أو بالضرورة دينيًا، بمعنى أنه يستخدم أو يقدم بالضرورة مفاهيمًا دينيًا، ولايعنى ببساطة تقديم الإرشاد من خلال شخص متدين، كما أنه لا يعد جزءًا مما تدركه جماعة التعليم الدينى على أنه من ضمن واجباتها تجاه الأشخاص، ولكنه ينظم فيما يتعلق بطرائق الإرشاد، والعلاج النفسى من خلال فرد يُدرك على أنه مسئول عن هذا المجتمع الدينى.

والمرشد القسيس هو ممارس لنوع محدد من واجبات رجل الدين تجاه الشخص الذى ينشد الإرشاد، وهو يفكر فيما فعله الرجل أو ما فعلته المرأة، أو يفسره فى ضوء المنهج القسى اللاهوتى، ويبدأ المنهج بمشكلة أو قضية نشأت أثناء الممارسة، وينتقل إلى النظرية لكى يكتسب استبصارًا بالمشكلة، وعلى الرغم من أنه يُعنى بالنظرية لتفسير الممارسة، فإن هناك توقعًا أيضًا بأن النظرية ستصبح أكثر تبلورًا من خلال الممارسة، فوجود مشكلة محددة فى التسامح على سبيل المثال تمثل تحديًا للنظريات المتعلقة بالتسامح، وفى أحيان كثيرة تغيرها كما أن المشكلة تصبح متبلورة من خلال النظريات.

ويعد التسامح بالضرورة مصطلحًا دينيًا أو لاهوتيًا بالنسبة للمرشد القسيس ؛ نظرًا لاستغراقه فى التعاليم الدينية، ويكون التسامح فى علاقة الله بالبشر، وفى علاقة البشر بعضهم بعضًا، وينبغى أن تفسر خبرة المرشد القسيس بالتسامح أثناء ممارسته فى ضوء تعاليم الدين، وباعتباره طرفًا

مسئولاً عنه، وما يواجهه المرشد القسيس فى الممارسة قد يعدل أو يغير فهمه للتعاليم الدينية وتفسيره لها، ولكن ما تقوله التعاليم الدينية لا يمكن تجاهله، وينبغى أن يتعهد بالالتزام بها بجدية.

ونظرًا لأن التسامح يكون مع البشر أيًا كانوا، وأيًا كانت طريقة تفكيرهم ومسلكهم، لذا تُستخدم النظرية اللاهوتية بالإضافة إلى النظرية النفسية، والقس والعالم باللاهوت فى اهتمامهما بالأشخاص يستخدمون دائمًا بعض أنواع النظريات النفسية، سواء أكانوا واعين بذلك أم لا، وعندما يضطر المرشد القسيس استخدام نظرية من تخصص آخر، فإنه يستخدمها بشكل يثرى تخصصه أو تخصصها الأصلى ويصقله، وليس مسموحًا أن تسود المعلومات الجديدة (التى اكتسبها من تخصص آخر) فى ذلك التخصص الأصلى، أو أن يقلل من المعلومات الجديدة كما لو لم تكن موجودةوقد اقترح العالم اللاهوتى ثودور جيننجز Theodore Jennings أن الحوار بين تخصصات من قبيل علم اللاهوت وعلم النفس ينبغى أن يكون موجهًا تجاه موضوع مشترك، والموضوع المشترك بينهما ليس وجود الله أو طبيعته ولكن طبيعة التحول الذى يطرأ على الإنسان وإمكانية حدوثه (Jennings,1990).

ويعد التسامح نمطًا من أنماط الموضوعات المشتركة بين التخصصين، وقد يكون الاختبار الملائم لجدية الحوار النفسى -اللاهوتى فى التسامح وثرائه وفقًا لجيننجز، هو ما إذا كانت المفاهيم والمفردات فى كلا التخصصين قد تغيرت، وازداد ثراؤها أثناء عملية التفاعل المشترك بينهما أم لا، والدليل على وجود حوار ناضج ومسئول ومثمر بينهما هو أن يصل كلا الجانبين إلى طلب إجراء مراجعة فى ضوء المناقشة التى حدثت بينهما (ص: ٨٦٤).

وعلى الرغم من أن علم اللاهوت يُفهم عادة على أنه فرع من فــروع المعرفة معنى بالمعايير، فإن علم اللاهوت وعلــم الــنفس يــستفيدان مــن التصورات الوصفية، والخاصة بالمعايير في عرض الافتراضات المتعلقــة بكينونة الجنس الإنساني، وما ينبغي أن يكون عليه، وقد تكون التــصورات المتعلقة بالمعايير أكثر وضوحًا في هذا الفصل الذى كتبــه عــالم لاهــوتي ومرشد قسيس، وذلك بالقياس إلى الفصول الأخرى، فمن المستحيل أن نناقش موضوعًا مثل التسامح دون أن نذكر المعايير والقيم المتعلقــة بماهيــة الله، فينبغي على المرء ببساطة أن يتساءل عن مدى ملائمة هذه المعايير وثباتهــا ومصدرها.

وبعد أن وصفت منظور المرشد القسيس، أعود الآن إلــى موضــوع التسامح ذاته، وكيف تطور اهتمامى به، ولمزيد من الفهم للتسامح ارجع إلى مرجع دافيد أوجسبيرج David Augsburger المرشد القسيس في كيفية مساعدة الناس على التسامح الصادر سنة (١٩٩٥).

الكفاح من أجل بلوغ التسامح كما لاحظته أثناء إرشاد القساوسة:

مارست كثيرًا من الإرشاد القسي (الــديني) مــع الأزواج والأســر، والأفراد الذين اضطربت علاقاتهم بأسرهم منذ سنة(١٩٧٠) وحتى أوائل سنة (١٩٨٠)، وقد توصلت إلى أن الأشخاص الذين عملت معهم استفادوا استفادة واضحة من التسامح كمفهوم مفسر لخبراتهم، ولكنهم كانوا يــصرون فــي أحيان كثيرة على أنهم لن يتسامحوا أبدًا مع الشخص الذى أساء إليهم إســاءة عميقة، وكانوا غير قادرين على الاستجابة للتهديدات التى تلقوها، والمتعلقــة بما قد يحدث لهم إذا لم يتسامحوا، كما كانوا غير قادرين أيضًا على إثبــات إلى أى مدى كان التسامح "مفيدًا لهم.

وادعى بعضهم أنهم سامحوا من أساءوا إليهم، ولكن بدا تسامحهم سهلاً جدًا لدرجة أننى وجدت صعوبة فى تصديقهم، ووجدت نفسى أفكر "أنا أعتقد فى تسامح الله، ولكن أتساءل أحيانًا عما إذا كان التسامح الإنسانى ممكنًا".

وأثناء المراحل المبكرة لإرشاد أولئك المهتمين بالتسامح، كان الشعور الأكثر وضوحًا الذى يعانيه هؤلاء الأشخاص هو الشعور بالخزى، ونتيجة للظلم الذى عانوه كانوا يشعرون أنهم ليسوا نفس الأفراد الذين كانوا قبل التعرض للظلم، فربما كان بإمكان الأفراد قبل التعرض للظلم أن يسامحوا أولئك الذين آذوهم، ولكنهم الآن يشعرون أنهم أصبحوا غرباء عن هويتهم السابقة، وبناء على ذلك فلامكان لديهم للتسامح.

وما لاحظته لاحقًا أثناء عملية الإرشاد القسى هو اتساع بؤرة اهتمام هؤلاء الأشخاص تدريجيًا، فلم يعد ضمن جدول أعمالهم تركيز انتباههم بقوة على الإيذاء الذى تعرضوا له، وعلى الشخص الذى آذاهم، واتسع إطار صورة حياتهم، وقد تعاملنا مع مختلف الاهتمامات فى حياتهم، وكان الإيذاء مازال موجودًا بالصورة، ولكنه وُضع فى ظل علاقته بأشياء أخرى، واستمرت الحياة رغم وجوده.

وكلما تأملت خبرتى الإكلينيكية (العيادية) مع أولئك الأشخاص الذين كافحوا لبلوغ التسامح بأسلوب أو آخر، أجد أن هناك شيئين كانا أكثر وضوحًا وهما:

(١) معاناة هؤلاءِ الأشخاص من الشعور بالخزى نتيجة للإيذاء الذى تعرضوا له.

(٢) بدا أن التسامح أو ما يشبهه حدث عندما كانوا قادرين على إدراك الأفراد الذين آذوهم على أنهم أفراد مختلفون، وأصبحت مقتنعًا بأن التسامح لم يكن سلوكًا أوليًا – شىء ما يحدث أو لا يحدث – ولكنه عملية اكتشفت على نحو استرجاعى، بعد أن بدأت من قبل.

ونتيجة لهذه التأملات، ولبحوثى التالية فى الشعور بالخزى والتسامح الإنسانى، فإننى عبرت عن أطروحتى فى الكتاب الذى ألفته، وهذه الأطروحة هى:

"إن التسامح الإنسانى ليس فعل بعض الأشياء، ولكنه اكتشاف بعض الأشياء، حيث أكتشف أننى أكثر شبهًا بأولئك الذين آذونى، ولست مختلفًا عنهم، إننى أكون قادرًا على أن أتسامح عندما أكتشف أننى لست فى موضع يمنحنى امتياز أن أسامح الآخرين (فالله وحده هو الذى يمنح المغفرة لمن يشاء من عباده " المترجمة"). وعلى الرغم من أن خبرة غفران الله ذنوب الآثمين قد تتضمن الاعتراف باقتراف الآثم، والشعور بأن الله غفر لك آثامًا محددة، فإنها فى الأساس هى إدراك قبولى ضمن جماعة الآثمين، وفى هذا تأكيد أننا رعايا الله " (Patton,1985,p.16).

والجزء الأول من الأطروحة مبنى على فهم التسامح الإنسانى على أنه جزء من عملية أكبر، هى عملية التعامل مع الشعور بالخزى واغتراب الذات وخبرات الشفاء الذاتية، وتدريجيًا يصبح المرء قادرًا على إدراك البعد الإنسانى فى الإيذاء الذى تعرض له، كما يكتشف ذاته أيضًا، وباقى الأطروحة تأكيد لاهوتى أساسًا، حيث ينص على أنه لا يوجد فرد يكون فى موضع يمنحه امتياز أن يسامح الآخر عدا الله وحده الذى يغفر له إثمه، ولست فى موضع مناقشة هذا الجزء من الأطروحة، ولكن ينبغى أن أعترف أن فهمى اللاهوتى الذى عبرت عنه أثّر تحديدًا فى الأسلوب الذى فسرت به المشكلات والإمكانات الإنسانية.

الشعور بالخزى والتسامح الإنسانى :

إن الشعور بالخزى الذى عاناه الأشخاص الذين عملت معهم فى أثناء الإرشاد القسى، نتج عن الإيذاء الشخصى الذى تعرضوا له، وأيضًا نتيجة للخجل الذى تجسد لديهم من خلال فهمهم

لما تنص عليه التعاليم الدينية، والمثال على ذلك نستمده من التعليق على إنجيل العهد الجديد ل"متى" الذى ما زال يُستخدم فى العبادات الدينية الشخصية، ويدرسه أعضاء الطائفة البروتسانتية المهمين ، فيفسر المؤلف فى مناقشته للصلاة للرب :

يقول المسيح فى أسهل لغة ممكنة أنه إذا غفرنا للآخرين فإن الله سوف يغفر لنا، أما إذا رفضنا أن نغفر لهم فإن الله سيرفض أن يغفر لنا..فإذا قلنا " نحن لن ننسى أبدًا كذا...وكذا الذى فعلتموه معى "، ثم انصرفنا ،ورددت شفاهنا هذا، فإننا نطلب من الله وعلى نحو متعمد تمامًا ألا يغفر لنا، فلا يوجد من يليق به أن يصلى فترة طويلة للرب سوى الروح غير المتسامحة التى تُحكم السيطرة على قلبه (Barclay,1959,pp.223-224).

ومعظم نصائحى لم تكن أداء الصلوات، وفقًا لتعاليم الكتاب المقدس "يليق أن نصلى للرب "، ولكنهم فى الواقع أدوا هذه الصلوات، وكانوا يعتقدون أن التسامح مهم، ولكن كان الشعور بالخزى مما حدث لهم ثابتًا لديهم، وعُزز هذا الشعور بالخزى فى ضوء ما فهموه من تعاليم دينهم، التى تأمرهم بما ينبغى عليهم فعله.

وقد عرضت قصة إيمى فى كتاب "هل التسامح ممكن؟" وإيمى واحدة من الأشخاص الذين تعاملت معهم، وأصبحت ملمًا بكفاحها لبلوغ التسامح فى غمرة الشعور بالخزى، وهى كانت زوجة فى الخمسين من

عمرها لشيخ من شيوخ الكنيسة يُدعى "إلمر"، وقد هجرها وعاش مع امـــرأة أخرى، ولم يعد إليها ،وفى الفترة الطويلة السابقة لطلاقها لم تكن تعرف حتى أين هو، فتركها على هذا النحو دون أن يخبرها بأى شىء عنه، وهى التـــى قضت ثلاثين (٣٠) عامًا من حياتها زوجةً له وأُمًّا لأطفاله وكبـــر أبناؤهـــا، وسكنوا بعيدًا عنها، وما بدا بالنسبة لها مماثلاً للخيانة الزوجية هو أن أبناءها ما زالوا راغبين فى أن تكون لهم علاقة بأبيهم على الرغم مما فعله معها.

وقد حُولت إيمى لى من خلال القسيس المعنى بها؛ لأقدم لها الإرشـــاد القسى، وقد تُركت إيمى مع شعورها بالخزى مما فعله إلمر معها، ومع ما قد تقوله عن نفسها كنوع من البشر. ما كنت أعايشه معها فى المرحلة المبكـــرة من علاقتنا كان غضبها مما حدث، وكفاحها لفهم كيفية حدوث ذلـــك، فمثـــل هذه الأشياء السيئة لا ينبغى أن تحدث للناس الطيبين من أمثالها، واســـتمرت فى التعبد بالكنيسة حيث كانت تُدرس للأطفال بمدرسة الأحد، وحاولـــت أن تضرب مثلاً جيدًا للآخرين، حيث انضمت لجماعة المصلين فى أداء صـــلاة التوسل الخامس لله " اغفر لنا ياالله ذنوبنا كما سامحنا من آذونا " ولكنها لـــم تكن قادرة على التفكير فى التسامح على أنه ممكن بالنسبة لها.

ومع ذلك تحسن الموقف الحياتى لإيمى بمرور الوقت، فحصلت علـــى وظيفة، وتحسنت علاقاتها بأقاربها وأبنائها، وكجزء من إرشادى لها، توافقت مع موت أمها، ووقعت فى الحب، لم تحبنى أنا هذه المرة، ولكن أحبت رجلاً مطلقًا قابلته فى مكان عملها، وكنت أقابلها بانتظام مرتين فى الشهر، وفـــى إحدى المقابلات قلت لها شيئًا شبيهًا بما يلى :

القس: كلما استمعت إليك وأنت تتحدثين عن خطيبك، أجـــدنى أســـال نفسى عما إذا كنت ترين نفسك مع خطيبك، كما كنت ترينها وأنت مع إلمـــر زوجك السابق.

إيمى: (بسرعة) لا.

القس: إننى تصورت أنه قد يوجد بعض التشابه.

إيمى: حسنًا.أنا لا أرى أن هناك شبهًا (Patton,1985).

وبعد فترة قصيرة من انتقال إلمر للعيش مع زوجته الجديدة فى مدينة أخرى، فقد إلمر وظيفته، وكان غير قادر على دفع نفقة إيمى، وكانت إيمى غاضبة، ومضغوطة اقتصاديًا، وبالرغم من ذلك كانت قادرة على أن تكتب خطابًا له، عبرت فيه عن غضبها، واهتمامها بالأحداث التى حدثت له، وفى الواقع عبرت له عن احتياجها ماديًا، وطلبت منه أن يعود لدفع النفقة بمجرد أن يعود للعمل، وعندما أخبرتنى بهذا فى مقابلتنا التالية علقت قائلاً:

القس: إلمر يعبر تقريبًا عن الإنسان!

إيمى: ماذا؟

القس: أنا لم أسمعك تتحدثين عنه من قبل على أنه بشر، ولكن عندما استمعت إليك الآن بدا أنه كذلك، أنت تتحدثين عنه كما لو كنت مهتمة بأزمته.

إيمى: حسنًا، هو الذى وَرَّطَ نفسه فيها.

القس: أعرف ذلك، أنا لاحظت على وجه التحديد كيف تتحدثين عنه الآن، ففى المرة الأولى يمكننى أن أتذكر..، إنه لم يعد يبدو مثل العدو ولكنه مجرد إنسان. (تذكرت إيمى فى صمت).

وبعد ذلك وباختصار أنهت إيمى علاقتها بى، بما يوحى أنها استمرت فى علاقتها الجديدة مع هذا الرجل المطلق.

وأثناء خبرتى مع إيمى كنت واعيًا بالسؤال التالى " إلى أى مدى ترتبط صلاة التوسل المألوفة" اغفر لنا يا الله ذنوبنا كما نغفر نحن لمن آذونا " بإيمى؟ فالإيذاء الذى شعرت به نتيجة لرفض زوجها لها كان يدوى كالصدى، مع شعورها المبكر بالرفض من أن لا تكون أبدًا على مستوى توقعات أمها عنها، وكانت طريقة إيمى فى التعامل مع هذا جيدة، أو كانت تفعل ما يعد صوابًا، سواء مع زوجها أو أمها، فإذا لم يكن بإمكانها أن تتأكد من أنها كانت محبوبة من قبل أمها وزجها، فإنه يمكنها أن تعرف على الأقل أنها فعلت الشيء الصحيح، وتمسكت ببراعة بهذا التصور عن نفسها، حتى أمكنها أثناء إرشادها أن تشعر بالحب، والتأكد من ذلك بوصفها إنسان، ومن خلال علاقاتها الأخرى المتطورة، وعلى الرغم من خزيها لكونها مرفوضة، فإنها عندما تحققت من كونها محبوبة، عندئذ فقط فعلت بعض الأشياء الشبيهة بالتسامح، مثل إدراك زوجها السابق ليس على أنه أحد الأفراد الذين آذوها، ولكن على أنه مجرد إنسان عادى، وأصبح التسامح ممكنًا بالنسبة لها، وسوف أعود مرة أخرى إلى تحول إيمى نحو التسامح فى نهاية الفصل، ولكن يبدو مهمًا فى البداية أن نشير إلى بعض التحصينات المهمة المضادة للشعور بالخزى.

التحصينات المهمة المضادة للشعور بالخزى:

يعد جيرشن Gershen وكوفمان Kaufman (١٩٨٩) من أهم من كتب عن الشعوربالخزى، وحددا سبع استراتيجيات تُستخدم للتحصين ضد الشعور بالخزى وهى: الغيظ ، والازدراء ، والنضال بهدف بلوغ الكمالية، والنضال بهدف بلوغ القوة ، والانسحاب الداخلى، وروح الدعابة ، والإنكار، وقد توصلت كمرشد فسى إلى أن ثلاثًا من هذه الاستراتيجيات يبدو أنها أكثر

أهمية وهى: الغيظ، والاستقامة ، والقوة، وخاصة القوة اللازمة للتسامح، وعلى الرغم من أن هذه التحصينات تعد ظاهرة نفسية، فإنها ظاهرة يمكن تفسيرها عرفيًا ولاهوتيًا أيضًا فى ضوء التعاليم، والممارسات الدينية للإنسان، وقد رأيت هذه التحصينات دون شك أثناء خبرتى الإكلينيكية نظرًا لانشغالى الخاص بتعاليمى الدينية والتزامى بها (Patton,1985).

وكان الغيظ والاستقامة من أكثر التحصينات وضوحًا لدى إيمى ، وتمثلا فى غضبها الشديد من إلمر زوجها السابق، وإدعائها أنها إنسانة على صواب، وقد استخدمت مصطلح "الاستقامة " بدلاً من المصطلح الأكثر بساطة "أكون على صواب " – نظرًا لارتباط هذا التحصين بالدين، ويبدو أن بعض قوته تكمن فى ظهوره فى صورة مايدعونا الدين إلى فعله، ومن المحتمل أنه من أكثر التحصينات المألوفة لدى المعالج القسى، أو المعالج الزواجى فى بداية عملهما مع الزواج المضطرب، فيصر كل زوج على أنه على صواب، والزوج الآخر هو المخطىء، وهؤلاء الذين يشكون فى اهتمام المقربين إليهم بهم من المحتمل تمامًا أن يتخلوا عن الاستقامة، ويعالجوا شعورهم بالخزى من خلال تصيد ذنوب الآخر، وهناك الكثير يمكن قوله فى هذه النقطة، ولكنى أنتقل إلى تحصين آخر مضاد للشعور بالخزى مع ذكر قصة طالب الإرشاد الذى استخدم هذا التحصين.

توم إنسان آخر ظهرت قصته فى كتاب "هل التسامح ممكن؟" (Patton,1985)، وكان توم أقل غضبًا من إيمى فى تحصنه ضد الشعور بالخزى، ومع ذلك شأنه كشأن آخرين كثيرين ممن عرفتهم، كان مدركًا جدًا قوته " القوة اللازمة للتسامح ، وتوم طالب متخرج من قسم علم النفس، وطلب استشارتى فى المقام الأول بخصوص علاقته بامرأة وعجزه الجنسى العارض، ولكن سرعان ما انتقل إلى قضاء وقت طويل فى التعامل مع علاقته

بوالده، وتساءل إن كان بإمكانه فى أى وقت أن يسامح والده على طلاقه لأمه وهو فى سن تسع سنوات، وتركه لتوم ليصبح هو "رجل البيت "، والتسامح أو عدمه يؤثران فى الأسلوب الذى يسلكه الفرد للاستمرار فى علاقة قديمة ومألوفة، وذلك من خلال الحفاظ على تعامل غير مكتمل، ويطلق بوسورمينى – ناجى Bosozormenyi-Nagy على نقطة الضعف هذه مصطلح " جسر العدل "(١٩٨٧) فما دام توم قد امتنع عن مسامحة والده لذلك ظل والده مدينًا له إلى حد ما، واستمرت علاقتهما، وإذا عُرض على توم التسامح، وأزيل الدين، فقد يفقد توم العلاقة بوالده.

إن الامتناع عن التسامح المعروض من خلال اجترار الأحداث الماضية، منح توم إلى حد ما الشعور بأن والده لم يظهر بمظهر من يملك فهمًا للتسامح، وكأنه شيء شبيه بالملكية، وهذه فائدة الامتناع عن التسامح، علاوة على ذلك هناك فائدة أخرى وهى أن امتناعه عن التسامح كان بمثابة ورقة رابحة يمكن اللعب بها فى أى وقت ؛ لإظهار من كان حقًا مسئولاً عن هذا، وكان عدم تأكده من قوته الشخصية ناتجًا عن – من بين أسباب أخرى –فقدانه القدرة على إحلال والدته محل والده الغائب، وكان لدى توم القوة اللازمة للتسامح فى حدود المتاح، وإذا كان ينبغى عليه أن يعرض التسامح فإن هذه الفائدة ستفقد، وسيتم تقويم قوته فيما يتعلق بوالده على أسس أخرى، علاوة على ذلك لن يحتاج والده تسامحه، وستتحطم علاقته به، فهناك فائدة واضحة تتحقق لتوم عندما لايتسامح، وهذه الفائدة يعتقد أنها القوة التى تحصن الذات ضد الشعور بالخزى، الناتج عن الدونية وعدم الملائمة.

وكان هناك غضب شديد لدى كل من إيمى وتوم من الطريقة التى تم إيذاؤهما من خلالها، وكان لديهما أيضًا الاستقامة، والقوة اللازمة للتسامح، وعلاوة على تحصين شعورهما بالخزى من خلال الاستقامة والقوة، فإنهما

استخدما أيضًا الغيظ، وكان غيظ إيمى أكثر شدة، واستمر فترة أطول، ولكن كل الأشخاص الذين كان لديهم شعور بالخزى ممن قابلتهم أثناء الإرشاد، كانوا بالفعل يعانون الغيظ ممن آذوهم، وهنا أميز تمييزًا بسيطًا بين الغيظ والغضب، فالغيظ يكون أكثر شدة،ويكون شخصيًا بدرجة كبيرة، ولا يكون موجهًا نحو فعل الإساءة، بل نحو المُسيء.

وقد وجدت أن نظرية هاينز كوت Heinz Kohut فى علم النفس الذاتى تقدم تفسيرًا للغيظ، يعد من أكثر التفسيرات ملائمة، وقد بنيت حكمى هذا على أساس أن النظرية الذاتية لكوت تعد منحىً لنوع محدد من علم الباثولوجى، ذلك العلم الذى يُعنى بتفسير منشأ الأمراض وأسبابها، وأيضًا لأنها مبنية على أسس أنثروبولوجية تؤكد لى على نحو دال ما يعد إنسانيًا فى ضوء المعايير الثقافية، والفرد الذى يميل إلى الشعور بالخزى وفقًا لكوت لا يدرك الشخص الذى آذاه على أنه فى مركز يتيح له التقدم المستقل على أولئك الذين تصادف أن كانت لديهم أهداف متعارضة مع أهدافه، وهو يعانى فقط من جزء الإساءة المتعلق بالخزى الذاتى، وأعتقد أننى لاحظت هذه الظاهرة لدى إيمى و كثير غيرها ممن يتمسكون بالكفاح لبلوغ التسامح.

ولا يحدث تحول لهذا الغيظ الدفاعى وفقًا لكوت من خلال مهاجمته مباشرة، ولكن من خلال إقامة علاقة قائمة على التفهم مع الشخص المحصن، وما يفعله المعالج هو منح التفهم، والفهم الصبور، والعلاقة الهادفة التى يمكن من خلالها منح التغذية الوجدانية emotional nourishment الإضافية، ولا ينصب اهتمام المعالج بشكل مباشر على الإيذاء الذى تعرض له الفرد، ولا على الغيظ الناتج عنه، ولكنه يعالجهما فى سياق الاستجابة المتفهمة للذات الضعيفة التى اعتراها الخزى (Kohut,1972).

وقد يتضمن التفهم الدفء والحنان، ولكنه فى الأصل ليس ذلك، فالتفهم هو الفهم المنظم البديهى الذى يُقدم لطالب الإرشاد نموذجًا إيجابيًا للاهتمام بالبشر ، ومعلومات مفيدة عن ذاته وخبرة فعلية فى مغزى أن يكون على علاقة بالآخر ذي الأهمية بالنسبة له، وهذه ليست لغة كوت فى وصف التفهم، ولكن يبدو لى أنها تعبير دقيق عن وجهة نظره، والعلاقة المتفهمة تزود طالب الإرشاد بخبرة مفيدة فى إدارة الحياة، وهى تقوى الإنسان لا من خلال التخلص نهائيًا من مشكلته أو مشكلتها ، ولكن من خلال تزويده فى آخر الأمر بذات فعالة بدرجة كبيرة (Kohut,1984).

وقد استخدمت نظرية كوت لتفسير خبرتى مع الأشخاص فى الإرشاد القسى، لأن إدراكه للغيظ يعد رسالة تذكيرية قوية لنا، بأن المحاولات السلوكية لعلاج الغضب نادرًا ماتكون ملائمة لمواجهة الحياة كماهى، أو الناس كما هم، والأشخاص الذين يعانون الإيذاء الذاتى لا يبرأون من غضبهم من خلال كبته، أو التعبير عنه، وإدراكهم للواقع يكون متأثرًا جدًا بما حدث لهم، لدرجة أن غيظهم لا يمكن معالجته، بغض النظر عن الأسلوب الذى يدركون به ذواتهم ، والأشخاص الذين آذوهم – كما وصفهم كوت – يمثلون خللاً فى الواقع المدرك على نحو نرجسى"، ولذلك يناقش ماينبغى عمله فيما يتعلق بهذا الشخص الذى تعرض للإيذاء– أيتسامح أم يفعل أى شيء آخر– والذى لا يستحق هذه الأزمة التى ألمت به(ص:٦٤٤)، والمهمة السابقة تضمد جراح هؤلاء الأشخاص الذين أُذوا مع عدم الاهتمام بما ينبغى فعله لاستعادة الحياة المنظمة مرة أخرى (Kohut,1972).

ولسوء الحظ تحاول الاستجابة الدينية فى أحيان كثيرة أن تُثبت الأشياء، باستثناء النتائج الثابتة، مثل التلميح ببساطة بمغفرة الله، إذا كان الله يغفر لنا فينبغى علينا عندئذ أن نكون متسامحين، قد يكون هذا حقيقة، وأنا

أؤمن بهذا فى أحوال كثيرة، ولكن بنى الإنسان لديهم مقدرة خطيرة على تجاهل الحقيقة، وهم لا يكونون ببساطة على النحو الذى ينبغى أن يكونوا عليه، ولا يفعلون ما ينبغى عليهم فعله، على الرغم من البلاغ الدينى، والتوقعات الدينية المؤثرة، والبلاغ الدينى عن التسامح من خلال الجماعة الدينية يعد أمرًا مهمًا دون شك، ولكن البرنامج الذى يكون فيه هذا البلاغ الدينى مفهومًا بالنسبة للفرد المتسامح يظل غير متنبأ به بدرجة مرتفعة.

التسامح بعد التعرض للإيذاء أو الإساءة :

أحد الأسباب المساعدة على إثارة أطروحتى عن التسامح كان يتعلق بابنتى، فقد كانت واحدة ممن تعرضن للاغتصاب، وقد أوضحت لى أن إدراكها لذاتها كغريب يهدد حياتها، ويذبحها هو إدراك غير واقعى جدًا، وهذا ما يجعلها غاضبة تمامًا، وعلى الرغم من أننى تناولت فى كتابى التسامح فى الأسرة ؛ نظرًا للأحداث التى مرت بى أثناء ممارستى الإكلينيكية، ولأن هذا كان اختيارى الشخصى، فإننى لم أتعامل على الإطلاق مع الإساءة الجسمية ،والنفسية، والجنسية التى يقترفها أعضاء العائلة، علاوة على ذلك أوضح كثير من الموروث البحثى إلى أى مدى يكون طلب التسامح من أولئك الذين اغتصبوا من قبل أعضاء العائلة مؤذيًا فى حد ذاته.

وقدمت لنا كارين أوليو Karen Olio المعالجة النفسي توضيحًا فى مقالة نشرت بمجلة "أصوات"، وتعد مقالتها استجابة منظمة لتصريح ورد فى كتاب الأطفال "I can' t Talk about It: A Child' s Book about Sexual Abuse لايمكننى أن أتحدث عن هذا: كتاب للطفل عن الإساءة الجنسية" (Sanford,1986) حيث يصر المؤلف على أنه ينبغى على الطفل الذى أُسىء إليه أن يسامح والده

الذى أساء إليه، فبرهنت أوليو على أن مثل هذا الإصرار على التسامح يسهم فى إعادة ذبح أولئك الناجين من الإيذاء مرة أخرى، فهؤلاء كانوا مجبـرين لمدة طويلة جدًا على مواجهة نسخة خارجية من الواقع ، من خلال الإصرار على أن الكمال والتحرر يمكن اكتشافهما من خلال تبنى أسلوب محدد فـى التفكير والشعور تجاه المسىء Olio,1992,p.73)، وهى تتحدى هذا التـسامح أحادى الاتجاه من خلال الإشارة إلى الافتراض الذى يكمن خلفـه، والـذى مؤداه " أن أحكام الضحية ينبغى أن تُعطل "، وقـد برهنـت عكـس ذلـك، فالأحكام تسهم فى الحقيقة إسهامًا مهمًا فى عملية شفاء الناجين من الإسـاءة الجنسية، وقد علقت على أن الآليتين الدفاعيتين الإنكار والانفـصال، اللتـين تتطورا لمواجهة خبرات الإساءة الجنسية المتـسمة بالارتبـاك الوجـدانى، والتنبيه الجسدى المفرط، تصفان تحديدًا شك الناجين من الإساءة فى اقتـراح أن التسامح يعد خطوة ضرورية لحل صدمة الإساءة (ص:٧٤).

وبدون شك هما حاسمان فى حل الصدمة، حيث يكون الناجون قادرين على إدراك المسىء على أنه بشر، ولا يدركونه أو يدركونها بالأسلوب نفسه الذين يدركون به أنفسهم، ولكنها تصر على أن الشفقة والتسامح اختياريـان، وترفض أوليو مناقشة حركة الشفاء، والبرنامج ذو الاثنتى عـشرة خطـوة، الذى يُحمّل التسامح مسئولية تمكين الضحية باعتباره جزءً مهمًا فى العلاج، وتبرهن بدلاً من ذلك على أن الناجين "الذين ينبغى عليهم أن يقاوموا مشاعر اللوم الذاتى الذى تسببت فيه الإساءة" لا يجب أن يثقلوا بلوم إضافى لكـونهم غير قادرين على التسامح (ص:٧٨).

وقد برهن سيدنى Sidney وسوزان سيمون Suzanne فى ظل استخدام أسلوب علاجى آخر للتسامح الإنسانى بعد التعرض للإساءة، برهنا على أن التسامح ليس نسيان الإساءة، وأن الضحية ينبغى عليه ألا ينسى، فخبراتهم فى

الإساءة والألم الذى أحدثته هذه الخبرات تعلمهم الكثير عن الحياة، والتسامح لا يعنى الصفح أو الغفران، ومن المهم ألا يقول الضحية أن ما حدث لـه أو لها كان مقبولاً أو ليس سيئًا جدًا، والتسامح لا يعنى إعفاء المسيء من كل المسئولية عما اقترف، فهو ما زال مسئولاً عما فعل، وينبغى عليه أن يعالج بنفسه ذلك، والنقطة الأكثر أهمية التى يؤكدان عليها أن التسامح ليس قرارًا حاسمًا ولا لحظيًا، فالشخص لا يمكنه أن يقرر اليوم ببساطة أنه أو أنها ستتسامح، وإذا حدث ذلك فإنه يكون نتيجة مواجهة خبرات ماضية مؤلمة والشفاء من الجروح القديمة.

ويبرهن سيمون على أن التسامح اكتشاف (Simon&Simon,1990) كما برهنت أنا فى كتاب "هل التسامح ممكن؟ فهو نتيجة ثانوية لعملية الشفاء المستمرة، والفشل فى التسامح لايعنى فشل الإرادة، ولكن يعنى أن الأفراد غير قادرين علي التسامح لأن جروحهم لم تندمل بعد، والتسامح ليس شيئًا يُفعل (سلوك مثلاً)، ولكنه شيء ما يحدث كعلامة على تقدير الذات الإيجابى، ويحدث التسامح عندما لا يبنى الضحية هويته أو هويتها على شيء حدث فى الماضى، فالإيذاء لا يعبر عنه كلية، ولكنه مجرد جزء من الحياة بدأ على الأقل يتحرك خارجًا عن الإطار (انظر أيضًا: Fortune,1988).

وقد عرض القس ريتشارد لورد Richard Lord سنة (١٩٩١) موقفًا يبرز مظهرًا آخر لمشكلة التعامل مع التسامح كما تؤكده الافتراضات، والمعتقدات الدينية المتعلقة بالتسامح فى مقالة "جماعة المسيحيين Christian Century " فقد دُعى لمعالجة حالة سيدة قُتل ابنها، وأُطلق عليها هى نفسها الرصاص، وتركت تنزف حتى كادت تفقد حياتها على أيدى جماعة غير معروفة اقتحمت منزلها، وكتب لها أحد هؤلاء الرجال خطابًا مؤخرًا من السجن قائلاً أنه "رأى المسيح"، ويطلب منها أن تسامحه، وقد وجهت السؤال التالى للقس: هل أنا بوصفي مسيحية مضطرة أن أسامحه فى هذا الموقف؟

ما الذى تعنيه الكنيسة بالتسامح بدقة؟ هو لم يقل أنا آسف....لم يقل لى سوى مجرد سامحينى (ص: ٩٠٢).

وقد حدد القس فى إجابته عن السؤال مشكلتين متعلقتين بالتسامح: التسامح بوصفه نسياناً، والتسامح بوصفه غفرانا، ففيما يتعلق بالتسامح بوصفه نسياناً علق القس قائلاً " عندما نسامح شخصًا ما، فإن هذا يعنى ضمنيًا عادة أننا سنحاول أن نتصرف كما لو أن شيئًا لم يحدث، فهل يمكن أن نفعل ذلك دون إظهار ازدراء كبير لضحية العنف، حيث يكون المقربين منه أو منها مهتمين اهتمامًا عميقًا بألا يُنسى حبيبهم، وهو نفسه يتسبب فى حدوث هذا بمسامحته المُسىء؟

وفيما يتعلق بالتسامح كغفران أثار القس السؤال الآتى إذا أصبح لدى المُسىء خبرة دينية بعد حدوث الإساءة، فهل هذا يعنى " أنه ينبغى علينا الآن أن نتصرف كما لو كانت الجريمة لم تقترف؟ "وفى تأمله لتصريحه فى ضوء الذين " تُغفر ذنوبك عندما تغفر ذنوب الآخرين"، تخيل القس تفكير الزوجة التى قُصفت بالرصاص " من الذى أعطاك الحق فى أن تسامح الشخص الذى ضربنى؟ ونتيجة لهذا التأمل برهن على أن التسامح لايمكن أن يكون سلعة تتداولها الكنيسة أو أى شخص آخر، واستنتج أن القساوسة المسيحيين أولى العزم الجيد ليس لهم حق فى أن يصروا على أن يوطد الضحية العلاقة بالمعتدى عليه لإحداث التصالح (ص: ٩٠٢).

وبنى القس إجابته فى ضوء فهمه للتوبة، حيث إنها تتضمن ثلاثة ظروف: إبداء الأسف، وتقديم تعويض للمُساء إليه، وحدوث يقظة روحية، ولم يظهر أى ظرف من هذه الظروف الثلاثة لدى السجين الذى "رأى المسيح"، واستنتج القس أن منح التسامح عندما تكون هذه الظروف الثلاثة غير متوافرة لا يعد كرمًا، وإنما تدنيس للمقدسات، وكانت إجابته للضحية "أنه لا ينبغى عليها أن تتسامح".

وكان من أكثر الأشياء اللافتة للانتباه عن المقالة ذاتها الاستجابات السلبية التى حدثت من قبل قراء المقالة، ومن أمثلة هذه الاستجابات السلبية " كيف أكون مسيحيًا وأرفض أن أسامح؟ .. إذا لم تغفر للآخرين إثمهم فإن الأب لن يغفر لك، لايمكننى أن أطلق على نفسى مسيحيًا وفى الوقت نفسه أرفض أن أسامح الآخرين أو آمل أن يغفر الله ذنوبى ("استجابات القراء "، 1991,p.34)، وهؤلاء الذين يتعاملون مع التسامح بعد التعرض للإساءة والانتهاك يذكروننا بأن توقع التسامح، أو طلبه من الشخص الذى أُسيء إليه يمكن أن يكون فى حد ذاته مؤذيًا، ويؤكدون أيضًا أن التسامح، إذا حدث، يكون جزءًا من عملية أرحب هى عملية العلاج، وليس حدثًا منعزلاً.

إعادة النظر فى قصة إيمى:

يعد براد بينو Brad Binau الأستاذ بالمعهد اللوثرى(*) للثالوث المقدس، معترضًا آخر من المعترضين على أطروحتى فى التسامح، وقد أفادنى اعتراضه، وقد أعاد تفسير قصة إيمى، التى وردت فى كتاب "هل التسامح ممكن؟" من خلال فهمه للشعور بالخزى فى نظرية أريكسون Erikson الارتقائية (Binau,1997)، وقد ربط أريكسون الشعور بالخزى بالمرحلة الشرجية للارتقاء الذى حدده فرويد، وأشار إلى أنه أثناء مرحلة الطفولة المبكرة، يتيح نمو العضلات للطفل أن يواصل فعل أشياء، وينصرف ذهنيًا عن أشياء أخرى (E.Erikson,1950)، وكان أريكسون مع ذلك مهتمًا بما هو أكبر من القدرة الجسمية، والمواصلة holding on والانصراف الذهنى letting go كما حددهما إريكسون لهما أبعاد والاستقلالية التى تتضمن تدريب الإرادة، لا

(*) نسبة إلى مارتن لوثر المصلح الدينى (١٤٨٣-١٥٤٦) "المترجم".

تعنى التغلب على الشعور بالخزى والشك ببساطة، ولكنها ترتقى من خلال التحاور معهما، فالشعور بالخزى والخجل لا يتم التغلب عليهما، ولكنهما يصبحان جزءًا من التدريب على ممارسة إرادتنا فى أن نختار ما يعد ملائمًا لأنفسنا، وللجماعات التى نعد جزءًا منها، وأشارت جون زوجة إريكسون إلى أن كثيرًا من الناس تستنتج من من خلال الطبيعة مزوجة الأوجه لمراحل الارتقاء لدى إريكسون أن الارتقاء الإنسانى المثالى يحدث عندما ينتصر الجانب الخيّر على الجانب الشرير:

"وبغض النظر عن الجهد المتناغم الذى ذُكر أو حتى الإطراء عليه ،فإن العنصرالمرفوض يظهر مقترنًا مع القوة الأساسية المنسجمة فى كل مرحلة من مراحل الحياة، ويبدو أن قوة الدفع الإيجابية المحددة هى التى تسود، هل لأننا اعتبرنا من البداية أن هذه القوى فضائل، أو لأننا استخدمنا هذه الكلمة لتدل على الحيوية؟ أو لأن التفاؤل الأمريكى ظهر هنا؟ فالعناصر المنسجمة لا يكون لها معنى دون العناصر المرفوضة..ولا يمكن بدون وجودهما معًا أن نحقق القوى الأساسية على نحو دائم...إن خصائص العناصر المرفوضة كما تفصح عن نفسها فى كل مرحلة من مراحل الارتقاء لدى إريكسون، وأيضًا خلال دورة الحياة، ينبغى أن تُفهم وتُحترم".(J.Erikson,1988,pp.1130114)

ويرى براد Brad (١٩٩٧) فى ضوء هذا الفهم لنظرية إريكسون، أن كفاح إيمى كان إلى حد كبير من أجل أن تكون لديها إرادة خاصة بها، وأننى لم أشر إلى ذلك، وأعتقد أنه أدرك هذا نظرًا لتعاليمه الأرثرية التى أقرت فى سياقها اللاهوتى العناصر المرفوضة ، وكذلك العناصر المنسجمة.

وفى ضوء فهم رجل الدين اللاهوتى مارجورى سوشوكى Marjotie Suchocki (١٩٩٦) للتسامح على أنه يتضمن معرفة الشر الذى

حدث من جراء الإثم الذى اقتُرف أقصى معرفة ممكنة، يعلق بينو Binau على أن هذه المعرفة قد تتضمن مواصلة الظلم مدة طويلة بقدر كافٍ ؛ لنتفهم مدى فداحته، وبذلك قد نصل إلى التقدير الملائم للخسائر التى حدثت من جرائه، علاوة على ذلك يمكن أن تساعد مواصلة الظلم فى أن يكتشف الشخص الذى تعرض للإيذاء أنه ليس وحده فى فى معاناته، وأن الصحة تكون من خلال تجاوز الألم وليست فى استمراريته، وهذا ما ينبغى أن يحدث عند تعزيز العلاقة مع الشخص الذى يشعر بالخزى، و أعتقد أن هذا ما حدث مع إيمى.

وينتقل بينو إلى الجانب المناقض للإنصراف الذهنى، حيث يشير بعد ذلك إلى أن مواصلة الظلم مدة طويلة جدًا تؤدى إلى تكرار السوك السىء مرات ومرات، ويربط بين "الانصراف الذهنى" لدى إريكنسون، ومفهوم سوشوكى "العزم willing" الذى يُدرك على أنه "النجاح المبني على الواقع والذى يثق فى أن الله يحاسب الآثم والذات" (ص:٩٧)، ويرتبط فى حالة إيمى بمواصلتها لحياتها، وفى الوقت نفسه تعاملها مع شعورها بالخزى تعاملاً كافيًا، حيث بدأت تدرك ذاتها على أنها آثمة، وليست مجرد إنسانة أُسىء إليها، واستقلاليتها المتزايدة أمكن التعبير عنها من خلال الانصراف الذهنى والمواصلة.

والانصراف الذهنى كما فسره بينو لاهوتيًا لا يعنى الانصراف عن الواقع، ولكنه يعنى أن نترك أنفسنا بين يدى الله، لا نُجرف بعيدًا عن الألم، ولكن ننجو منه (ص: ٣٥).

ومثلما حفر المسيح المبعوث علامة بارزة فى المسمار المطبوع، يقترح سوشوكى أن "المستقبل أصبح ممكنًا بالنسبة لنا من خلال التسامح، والتسامح الذى يقصده لا يعنى النظر للإثم كما لو كان لم يحدث، ولكن المستقبل يتميز بدقة من خلال الآثار التى خلفتها تجربتنا، ويمتاز بها".

ويقترح بينو أننى سيكون لدىّ قدرة أفضل على تناول أهمية التسامح بالنسبة لإيمى بشكل مباشر؛ إذا استفدت من الإدراك ثنائى القطب للشعور بالخزى، ومفهومى "المواصلة" و"الانصراف الذهنى"، وأعتقد أنه على حق.

التسامح جزء من الحياة الأرحب:

كلما تأملت ما تناولته بالمناقشة فى الجزء السابق من هذا الفصل، أصبح إيمانى واضحًا بأهمية أن يُدرك التسامح على أنه جزء من شىء آخر، وفى عملى فى الإرشاد القسى يبدو أن الأشخاص الذين يكافحون لبلوغ التسامح ؛ يكتشفون فى أنفسهم شيئًا شبيهًا بالتسامح، عندما يواصلون حياتهم فى معالجة شىء أكبر بكثير من "التسامح، أو عدم التسامح"، والعزلة التى شعورا بها أثناء معاناتهم الشعور بالخزى مما حدث، يتم التغلب عليها جزئيًا من خلال العلاقة التى يعايشونها أثناء إرشادهم، ومن خلال إعادة التواصل مع الجماعة المقربة منهم فى المواقف الحياتية خارج نطاق إرشادهم.

وعلاوة على ذلك يمكن تدريجيًا أن يقلع الشخص عن التحصينات المضادة للشعور بالخزى، ليس من خلال مسامحة المُسىء، أو عدم مسامحته، ولكن من خلال التئام جروح الذات بالتفهم، وعندما يتم التغلب على الإساءة أو الانتهاك جزئيًا على الأقل، فيمكن أن يحدث الشفاء الأعم ، ويتغلب الفرد على الشعور بالخزى، وتنمو الاستقلالية، متضمنة القدرة على أن تحدد، وتختار من خلال "المواصلة" و"الانصراف الذهنى" فى سياق العلاقات المهمة، ويحدث هذا بالنسبة للطفل فى المرحلة الشرجية، كمرحلة من مراحل الارتقاء النفسى الجنسى، يحدث فيما يتعلق بالرموز الوالدية

المهمة بالنسبة له، ويحدث بالنسبة للراشد الذى يشعر بالخزى، والـذى فقـد استقلاله بسبب الإيذاء الذى تعرض له، يحدث فيما يتعلـق بأولئـك الـذين يهتمون به، أو يهتمون بها من الراشدين، ومتضمنات التسامح فى هذه الأمثلة هى أن التسامح يمكن فهمه على نحو أفضل كجـزء مهـم لـشىء أكبـر، فقد يتضمن ببساطة استمرار الحياة "على الرغم من"، أو تطوير حياة حـسنة يكون التسامح جزءًا منها.

وقد أشرت فى موضع مبكر إلى الأسلوب الذى يمكن أن تفـسر مـن خلاله الصلاة للرب لتزيد الشعور بالخزى لدى من يجد صعوبة فى التسامح، ولكن هذا الفصل ليس موضع أية تفسيرات موسعة للنص الدينى، والتفـسير البديل المختصر قد يكون ملائمًا لهذا الغرض.

وتظهر عبارة "اغفر لنا كما نغفر" فى سياق الصلاة لوصـف علاقـة المؤمنين بالله، الذى يُدرك على أنه أب يحب ويغفر، ومـن خـلال علاقـة المؤمن بالله يتمكن على نحو مثير للدهشة من أن يكون متـسامحًا، ويـدرك التسامح الإنسانى بهذا الشكل اللاهوتى على أنه ليس فى الأصل شيئًا يؤدى ؛ لتحسين صحتنا، أو لضمان التخلص من خطايانا، ولكنه مثال لنوعية الحيـاة عندما يحياها البشر فى علاقتهم بالله، وأنا لا أدعى أن هذا هـو الأسـلوب الوحيد لفهم التعاليم المتعلقة بالتسامح فى العهد الجديد، ولكنى مقتنع بأن مـا قلته يتناغم مع قوة الدفع الأساسية لهذه التعاليم.

وتوصف قوة الإيمان بالله لاهوتيًا بأنها الاكتشاف، وإعادة الاكتـشاف المستمر للنعم الآلهية، ونحن غير مضطرين أن نكون هكذا، لكننا كذلك فعلاً، فنحن غير مضطرين أن نتسامح، ولكننا نكتشف فى أنفسنا أحيانًـا المقـدرة على التسامح، والبشر يعبدون الله ليمجدوا هذه الحقيقة، والتسامح الإنـسانى ليس شرطًا لتسامح الله، ولكنه استجابة تمكين من الله للكائن الإنسانى.

ويصف رجل الدين جريجوري جونز Gregorty Jones سنة (١٩٩٥) الحياة التى يكون التسامح جزءًا منها من خلال استخدام مثال تعلم الحرفة كصورة توضيحية، " فمثلما أكد إريستول Aristole تأكيدًا تامًا أهمية تعلم حرفة ؛ كى تتعلم أن تتكسب منها، فهناك حرفة التسامح، التى يطالب المسيحيون بتعلمها من بعضهم بعض، (p.xii ،١٩٩٥)، وتتضمن حرفة التسامح وفقًا لجونز عملية تعلم متعمقة، ومستمرة لينعم البشر بصلة حميمة مع الله ومع بعضهم بعضًا، ومع كل المخلوقات.

وأجد مثال جونز عن تعلم حرفة مثالاً مؤثرًا، مثلما يتعلم المرء كيفية عزف الموسيقى مرة أخرى بعد توقف لمدة خمس عشرة سنة، وأنا أعزف على البيانو أو الساكسفون لذلك أصبح السلم الموسيقى والأوتار جزءًا منى، أعرف كيف أجسده فيما أعزفه دون تفكير تقريبًا، وعندما أمارس حرفتى يمكننى أن أشعر بإصبع البيانو الذى ينبغى أن تعزف يدى عليه دون قرار واعٍ بذلك، وعندما أكون قادرًا على ممارسة حرفتى، فإننى أصبح أكثر براعة، وتصبح الموسيقى جزءًا منى، وقد قال لى أحد الأشخاص مؤخرًا "ينبغى عليك أن تمارس بشكل مستمر فأنت الآن أفضل مما كنت عليه عندما سمعتك العام الماضى". فالحرفة تصبح جزءًا مما يكون عليه المرء وليست مجرد شيء يؤديه.

والحياة الدينية كما تصفها التعاليم المسيحية نشاط طائفى مستمر؛ لنتعلم أن نحيا فى ظل التسامح الذى يميز علاقتنا بالله، وأسلوبى فى قول ذلك هو: أن التسامح هو اكتشاف يمثل جزءًا من عملية الحياة، على الرغم من الخراب الذى أحدثته أنا، أو كان غيرى سببًا فيه، أو مسئولاً عنه، وعلى الرغم من أن معظم اهتمامى كان بالتسامح الإنسانى على مدى سنوات طويلة، فإنه لا يمكن لاهوتيًا فصل التسامح الإنسانى عن التسامح الإلهى،

وأنا أُسلم بالرأي الذى مؤداه "اغفر لنا كما نغفر نحن للآخرين" ، فالله جــزء من أى تسامح نمنحه، أو نستقبله، وكان الأسلوب الذى أنهيت به كتابى فـــى التسامح هو أن أقترح أن ما يجب أن نفعله مع أولئك الذين تعرضوا للإيذاء من خلال الحياة والعلاقات، ليس أن نشجعهم على أن يتــسامحوا، أو نلـــح عليهم أن يفعلوا ذلك، ولكن أن نكون بجوارهم فى ألمهم الناتج عن عجــزهم أن يكونوا غير ماهم عليه. وهذه محاولة لكسر العزلة الناجمة عن الــشعور بالخزى والرفض، وبذلك يتحرروا من حاجتهم لأن يدركوا أنفسهم كــضحايا فى الحياة، ويتمكنوا من تقبل مسئوليتهم عن حياتهم، ومشاعر الــذنب التـــى تنشأ على نحو يتعذر اجتنابه فى العلاقات الإنسانية، وتكون مهمة الجماعـــة المتدينة، ورجال الدين ليس ترقب صدور سلوك التسامح، ولكــن تزويــدهم بعلاقات يمكن أن يكتشفوا من خلالها الإنسانية الحقيقية؛ التى تتضمن إمكانية التسامح مع إساءات المرء.

المراجع

Augsburger,D.M.(1995).Helping people forgive.Louisville,KY: – Westminster/ John Knox.

- Barclay,W.(1959).The Gospel of Matthew.Philadelphia: Westminster Press.

- Binau,B.(1997,October).Wholeness and holiness: Forgiveness in light of shame and autonomy, and the dynamics of " holding on " and " letting go" Unpublished lectures to the West Virginia Conference Pastors School of the United Methodist Church.

- Boszormenyi-Nagy,I.(1987).Foundations of contextual therapy: Collected papers of Ivan Boszormenyi –Nagy ,M.D.New York: Brunner /Mazel.

- Erikson,E.H.(1950).Childood and society.New York: Norton.

- Erikson,J.M.(1988).Wisdom and the senses.New York: Norton.

- Fortune ,M.(1988).Forgiveness: The last step.InA.L.Horton &J.Williamson(Eds.), Abuse and religion: When praying isn' t enough(pp.215-220).Washington,DC:Heath.

- Jennings,T.(1990).Pastoral theological methodology.In R.J.Hunter(Ed.), Dictionary of pastoral care and counseling (pp.862-864).Nashville , TN: bingdon Press.

- Jones, L.G.(1995).Embodying forgiveness: Atheological analysis, Grand Rapids ,MI: Eerdmans.

- Kaufman,G.(1989). The psychology of shame: Theory and treatment of shame –based syndromes.New York: Springer.

- Kohut,H.(1972).Thoughts on narcissism and narcissistic rage.In P.H.Ornstein(Ed.), The search for the self: Selected writings of Heinz Kohut(Vol.2,pp.615-658).New York: International University Press.

- Kohut,H.(1984).The nature of psychoanalytic cure.Chicago: University of Chicago Press.

- Lord,R.P.(1991).Personal perspective.The Christian Century ,108,902-903.

- Olio,K.(1992).Recovery from sexual abuse: Is forgiveness mandatory ? Voices,28,73-74.

- Patton,J.(1985).Is human forgiveness possible?: Apastoral care perspective.Nashville, TN: Abingdon Press.

- Readers' response.(1991,November 20-27).The Christian Century, 08,34.

- Sanford,D.E.(1986).I can' t talk about it: A child's book about sexual abuse.Portland,OR: Multnomah.

- Simons ,S.B.,& Simon, S.(1990).Forgiveness: How to make peace with your past and get on with your life.New York: Warner Books.

- Suchocki,M.H.(1996).Reflections on forgiveness: Atransformation.Dialog ,35,95-100.

الجـــزء الرابع

الختـــام

استنتاجات

الفصل الرابع عشر
مستقبل دراسة التسامح

سبعة اتجاهات للدراسة النفسية للتسامح وممارسته

تأليف: كينث بارجمينت وميشيل ماكلو
وكارل ثورسين

يعد التسامح مجالاً جديدًا مثيرًا للبحث النفسي والممارسة، وقد أُجرى عدد ضئيل من الدراسات الإمبريقية عن التسامح قبل سنة (١٩٨٥)، وعلى الرغم من تزايد الاهتمام بدراسة هذا الموضوع تزايدًا خطيرًا على مدى الأربع عشرة سنة الأخيرة، فإن الأسئلة المتعلقة بالتسامح ما زالت تفوق الإجابات، وهكذا ظل مجال التسامح مجالاً غير مستكشف إلى حد كبير.

وقد جمعنا فى هذا الكتاب مجموعة من الفصول التى تدفع دراسة التسامح، وفى هذا الفصل الأخير نحاول أن نبلور سبعة موضوعات أساسية تلقى نظرة خاطفة على هذه الإسهامات (انظر جدول ١ و ١٤) ونحن نعتقد أن هذه الموضوعات تزود الباحثين والممارسين الذين يرغبون فى أن يقوموا بمغامرة أبعد فى مجال بحثى جديد، تزودهم بإرشادات وتوجيهات.

جدول (١٤،١) التوجهات السبعة فى الدراسة النفسية للتسامح وممارسته

١- من التباعد إلى الاقتراب: إجراء دراسات محورية فى التسامح.
٢- من المعنى الواحد إلى المعانى الكثيرة: استكشاف معانى متنوعة للتسامح.
٣- من الانعزال إلى التكامل: دمج التسامح ضمن النظرية النفسية.
٤- من مستوى التحليل الأحادى إلى التحليل المتعدد: الانجذاب إلى تبنى رؤى متعددة للتسامح.
٥-من المتوقع إلى غير المتوقع: الانفتاح على الجانب السلبى للتسامح.
٦- من الصياغة النظرية إلى البحث: التوسع فى الدراسة الإمبريقية للتسامح.
٧- من الحدس إلى المعلومات: بناء منحى معلوماتى للتسامح فى إطار الممارسة الإكلينيكية قائم على الدراسات الإمبريقية.

من التباعد إلى الاقتراب: إجراء دراسات محورية فى التسامح:

ينماز التحسن فى دراسة ظواهر كثيرة بحدوث تقدم من العام إلى الخاص، فعلى سبيل المثال ركزت البحوث الخاصة بالعلاج النفسى بشكل مبدئى على سؤال عام يتعلق بما إذا كان العلاج النفسى مؤثرًا أم لا.

وتوحى صياغة السؤال فى حد ذاته أن العلاج النفسى عملية متماثلة تمارس فعاليتها بنفس الأسلوب لدى مختلف الناس، ولكن مع الدراسة المتعمقة ما بدا عن بعد أنه عملية متماثلة أصبح عند دراسته عن قرب مميزًا

بين الأفراد (Kiesler,1966)، فالأسئلة العامة كانت غير ملائمة لمهمة فهم عملية العلاج النفسى، وأصبح السؤال الأكثر تنقيحًا والذى يمكن الإجابة عنه هو "أى أسلوب من أساليب العلاج النفسى يؤثر فى تناول أى نوعية من المشكلات وبأى أسلوب ومع أى نوع من الأشخاص؟" فهذا السؤال يواصل حث الباحثين على إجراء مزيد من البحوث فى العلاج النفسى فى الوقت الحاضر.

وقد بدأنا نشهد حدوث تحول مماثل فى مجال التسامح من إثارة الأسئلة العامة عن التسامح، وقيمته فى الحياة إلى إثارة أسئلة نوعية بدرجة أكبر، فعندما نقترب أكثر من عملية التسامح ندرك مدى قصور الأطر النظرية والمناهج الحالية، فقد يكون من غير المحتمل أن نكتشف أساسًا عصبيًا- نفسيًا بسيطًا للتسامح كما أشار كل من نيوبيرج Newberg ودكولى D'Aquili ونيوبورج Newburg وديمارسى deMarici (الفصل الرابع فى هذا المجلد)، والتقارير الذاتية لقياس التسامح والمكونة من بند واحد، والتى كانت سائدة فى مجال التسامح على مدى عشرين عامًا لا يمكن أن ترصد الأساليب التى يعايش الناس من خلالها التسامح، ويعبرون عنه (McCullough,Rachal&Hoyt الفصل الرابع بهذا المجلد)، والأفكار المفرطة البساطة (من قبيل أدر خدك الآخر، سامح وانسَ) لا تستطيع أن تفعل الكثير لتساعد الناس على مقاومة المشاعر المعوقة على نحو عميق لحدوث التسامح، والأسئلة الصعبة التى تنشأ لدى من يواجهون سوء المعاملة والظلم (Patton, الفصل الثالث عشر Thoresen, Harris, &Luskin, الفصل الثانى عشر فى هذا المجلد)، فأساليب التدخل المتماثلة التى تعزز التسامح من غير المحتمل أن تكون حساسة، أو تفى باحتياجات مختلف الجماعات التى تقترب من التسامح بأساليب متباينة (Worthington,Sandage,&Berry, الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد).

فالتسامح له أكثر من بعد، وهو أكثر تعقيدًا مما تخيلناه في البداية، ويستلزم ثراء الظاهرة مفاهيمًا ومقاييسًا ومناهج بحث وبرامجًا أكثر تنقيحًا وأكثر تنوعًا، وقد بدأنا نشهد تقدمًا في هذا الاتجاه، فيعرض ماكلو وآخرون (الفصل الرابع في هذا المجلد) أسلوبًا ممتازًا للإجابة عن السؤال المهم " ما الذي يتداخل مع الدرجة على مقياس التسامح؟ "، فيؤكدون أن قابلية نظرية القياس للتعميم يمكن أن يساعدنا في تحديد إلى أي مدى تعد هذه الدرجة انعكاسًا للخصال المميزة للضحية، أوالخصال المميزة للمُسيء، أو للخصائص المميزة لفعل الإساءة في حد ذاته، ويصف ثورسين وهاريس ولوسكين بقدر من التفصيل (الفصل الثاني عشر في هذا المجلد) عددًا من مناهج البحث المستخدمة في دراسة التسامح، والتي تنأى بنا عن الاعتماد على أساليب التقرير الذاتي المسحية، والتي تُجمع في وقت محدد، ومن هذه المناهج إجراء المقابلات المنظمة والتحليل السردي والدراسة المكثفة للحالات الفردية والمراقبة اليومية وقياس التواصل غير اللفظي. وتطالب مالكوم وجرينبيرج (الفصل التاسع في هذا المجلد) الباحثين المعنيين بدراسة التسامح أن يتجاوزا التساؤل عن "هل أساليب التدخل الخاصة بالتسامح تمارس تأثيرًا أم لا؟" إلى التساؤل عن "ماذا عن أساليب التدخل الخاصة بالتسامح التي تمارس تأثيرًا؟"، ويوضح منهجهما في تحليل المهمة قيمة الفحص الدقيق للأجزاء الحاسمة لأساليب التدخل الخاصة بالتسامح، ويتسم منهجهما بالثراء الإكلينيكي والقيمة الإمبريقية.

ومن المحتمل أن تستمر الدراسات المستقبلية في اتجاه مزيد من الاقتراب من فحص التسامح، ويتضمن ذلك استخدام أسئلة، ومفاهيم، ومناهج بحث أكثر تنقيحًا، والتساؤل الآن هو "هل يؤدي ذلك أن يصبح مجال دراسة التسامح أكثر تعقيدًا على نحو متعذر؟ الإجابة ليس ضروريًا أن يحدث ذلك، ففي بعض الأمثلة قد تكشف الدراسات الإمبريقية عن أن النماذج البسيطة

تؤدى دورًا أفضل فى تناول ظاهرة التسامح من النماذج المعقدة، وتوصلت موليت وجيرارد فى هذا الصدد (الفصل السادس فى هذا المجلد) إلى أن النموذج التفاعلى المعقد كان غير ضروريٍّ لتفسير الميل للتسامح، ولكن يمكن تفسير احتمال التسامح على نحو أفضل من خلال النموذج التجميعى البسيط المؤلف من عناصر متعددة، تتضمن ما إذا كان المُسيء أبدى اعتذاره للضحية أم لا ودرجة قصدية فعل الإساءة وشدتها، وما إذا كان الضحية مازال متأثرًا بالعواقب التى ترتبت على الإساءة أم لا؟، ومع ذلك فنحن نشك فى أن الباحثين والممارسين المهتمين بدراسة التسامح سيواصلون التحدى الذى يفرضه عليهم ثراء هذه العملية وتعقدها، وأخيرًا نحن نعتقد أن دراسة التسامح ستتطلب مستوىً من المعرفة والخبرة والاطلاع يعادل المستوى الذى تحتاجه المفاهيم النفسية الرئيسة الأخرى مثل الذكاء، والأخلاق، وعلم النفس المرضى، والتحيز.

من المعنى الواحد إلى المعانى الكثيرة: استكشاف المعانى المتباينة للتسامح

نبدأ بإثارة السؤال الآتي " ما هو التسامح، وما هو عدم التسامح؟ " يرى زيربافل Zerbavel (١٩٩١) أنه لكى نميز أى شىء ينبغى علينا أن نميز بين ما نهتم به وما نتجاهله (ص: ١) فالموجودات التى لا تتميز بوضوح عمًّا يحيط بها هى غير مرئية، وفيما يتعلق بالتسامح، لا يوجد نقص فى الآراء المتعلقة بمعنى التسامح، ولكن يوجد نقص فى الاتفاق بين الباحثين حول ما يعنيه التسامح، وعلى الرغم من أن الباحثين يتفقون على تلك الأشياء التى لا تعد تسامحًا (لا يخلط الباحثون بين التسامح وإبداء الاعتذار والصفح والمغفرة والنسيان والإنكار) (Enright&Coyle,1998)، فإنهم لا يتفقون على ما يعد تسامحًا، ويمكننا حاليًا أن نحدد ثلاث نقاط على الأقل لتمييز ما نعنيه بالتسامح.

هل التسامح شخصى أم متبادل بين الأشخاص؟

يُعرّف المنظرون والباحثون فى أغلب الأحوال التسامح بأنه عملية داخلية، تحدث إلى حد بعيد داخل الشخص، فهى تتضمن إلى حد ما حدوث تغير فى معارف المُساء إليه وسلوكياته وانفعالاته أو دوافعه، ويمكن أن يظهر هذا التغير حتى لو لم يكن المُساء إليه مستمرًا فى العلاقة مع المُسيء إليه، وحتى إذا لم يكن المُسيء على قيد الحياة. و بناءً على هذا المنظور ركز الباحثون إلى حد كبير على التنبؤ بالتسامح فى ضوء "التمركز حول الضحية "، فركزوا على عملية تسامح الضحايا، والعواقب المترتبة على التسامح بالنسبة للضحية.

وهناك صياغات أخرى للتسامح عكس التصورات السابقة، تُعرّف التسامح بأنه عملية متبادلة بين الأشخاص (Exline &Baumeister,الفصل السابع فى هذا المجلد , Gordon,Baucom,&Snyder الفصل العاشر فى هذا المجلد). وقد أشار إكسلين وبوميستر على سبيل المثال إلى أن الانتهاكات تتضمن فى أحيان كثيرة أناسًا يعرفون بعضهم بعضًا معرفة جيدة (من العائلة والأصدقاء وزملاء العمل والمرتبطين عاطفيًا)، ويعتقدان أنه من الأمور الحاسمة أن يُفهم التسامح فى سياق العلاقات المستمرة، ويتساءلان "كيف يتصرف الناس مع بعضهم بعضًا بعد حدوث الانتهاك؟"، "وما المصادر التى يستمدون منها هذه الاختيارات، وما العواقب التى تترتب عليها؟ " (ص:٢١٠)، وفى ضوء هذا المنظور فإن العلاقة هى وحدة التحليل الملائمة بالنسبة لدراسات التسامح وليست الضحية، فكيف يؤثر المسيئون فى الضحايا، وكيف يؤثر الضحايا فى المسيئين إليهم، وكيف يسهم كل منهما فى تحديد خصائص العلاقة؟ (المعاملات الخاصة بالتسامح على سبيل المثال Worthington et al., الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد) كل ما سبق يعد مثالاً للموضوعات المهمة للدراسة وفقًا للمنظور السابق.

هل التسامح هو الانصراف عمّا هو سلبى أو يتضمن الإيجابى؟

يُعرّف كثير من الكتاب التسامح بأنه عملية تتضمن انخفاض الأفكار والمشاعر والأفعال السلبية تجاه المُسىء (Gordon et al.,الفصل العاشر Temoshok& Chandra, الفصل الثالث Thoresen et al., الفصل الثانى عشر فى هذا المجلد)، فعلى سبيل المثال يستنتج جوردون وآخرون من خلال مراجعتهم للموروث أن التسامح يتضمن:

(١) إعادة اكتساب المُساء إليه رؤية أكثر توازنًا عن المُسىء وحدث الإساءة.

(٢) وانخفاض الوجدان السلبى تجاه المُسىء.

(٣) وتخلى المُساء إليه عن حقه فى معاقبة المُسىء فيما بعد (ص:٢١٣)، وقدموا تمييزًا صارمًا بين الانصراف عن الامتعاض والغضب، والتصالح مع الفرد الذى اقترف الإساءة (ص:٢٢٤)، فأشاروا إلى أن المُساء إليه يمكن أن يسامح المُسىء دون أن يصالحه.

ومع ذلك يؤكد باحثون آخرون أن التسامح يتضمن أكثر من مجرد التحرر من كل ما هو سلبى، فالتعبير الإيجابى للمُسىء عن المشاعر والأفكار والسلوكيات يعد وفقًا لتصورهم عنصرًا أساسيًا فى التسامح. وكتب نورث مثلاً أن الفرد المتسامح "يمكن أن ينظر للمُسىء بعين الشفقة والخير والحب، وذلك عندما يدرك أنه تخلى طواعية عن حقه لديه (حقه فى معاقبته على ما اقترف "المترجمة") (ص:٥٠٢)، ويعتقد إينرين وكويل (١٩٩٨) على نحو مماثل أن التسامح الحقيقى يحدث عندما يختار الفرد الذى عانى الإيذاء الجائر أن يتخلى عن حقه أو حقها فى الامتعاض والانتقام، وبدلاً من ذلك يمنح الرحمة للمُسىء (ص:١٢٠).

ويمكن أن يصبح الخط الفاصل بين التسامح والتصالح أقل وضوحًا فى هذه التعريفات، فيدمج ورثنجتون وآخرون (الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد) على نحو واضح التصالح ضمن تعريفهم للتسامح مع بعض التوضيح، فالتسامح هو دافعية المرء لتخفيض تحاشيه للشخص الذى آذاه أو أساء إليه، وتخفيض رغبته فى الثأر أو الانتقام منه، وهو دافعية المرء لزيادة محاولات الاسترضاء بين الطرفين (المُساء إليه والمُسىء) إذا كانت تلك المحاولات آمنة، وحذرة، وممكنة (ص:٢٢٩)، وهؤلاء الذين يُعرّفون التسامح من خلال التعبير عن الأفكار والمشاعر والسلوكيات الإيجابية تجاه المُسىء سيكون من المحتمل أن يقيسوا التسامح لدى الأفراد، ويُعلمونهم إياه، ويقوّمون فاعلية أساليب التدخل التى تعززه على نحو مختلف تمامًا، عن أولئك الباحثين الذين يُعرّفون التسامح على أنه "الانصراف عن كل ماهو سلبى".

هل التسامح حدث معتاد أو غير معتاد؟

نبدأ بإثارة التساؤل الآتي "إلى أى مدى يعد التسامح حدثًا غير معتاد، أو عملية أقل اعتيادًا تتضمن حدوث تغيرات شديدة فى الحياة؟".

عرّف المنظرون عمومًا التسامح بأنه تغير حياتى عميق، ورمزوا للتسامح بحرف "F" للتعامل معه بأسلوب آخر، فالتسامح وفقًا لبارجمنت (٩٩٧) مثلاً هو إعادة إبداع طريقة تحولية للمواجهة، وهذه الطريقة تكون فى أحيان كثيرة دينية بطبيعتها، وتتضمن حدوث تحول أساسى فى الغايات والوسائل فى الحياة، وأثناء هذه العملية يحيد الفرد عن التمركز الحياتى حول الألم والظلم، ويبدأ فى السعى لبلوغ حلم السلام، وقرب النهاية يبدأ الشخص يفكر، ويشعر، ويتصرف بأساليب مختلفة، فيما يتعلق به، أو بها، أو بالمُسىء، أو بالعالم بوجه عام.

ويتحدث كُتاب آخرون عن التسامح فى ضــوء انتهــاك المعتقــدات الأساسية، والتغيرات الأساسية فى العالم المفترض، والتغيرات الكبيرة جــدًا فى الفهم والأفعال، والتحولات الدافعية، وعلى أنه جزء من عمليــة الحيــاة الأكثر رحابة (انظــر .Gordon et al الفــصل العاشــر Malcom&Greenberg الفــصل التاســع Patton الفــصل الثالــث عــشر فــى هــذا المجلــد (McCullough,Sandage,&Worthington,1997).

ومن المهم أن نشير إلى أن المنظرين الذين يُعرّفون التسامح بحــرف "F" ركزوا غالبًا على الضحايا الذين عانوا على وجه الخصوص من الانتهاك القوى، وسوء المعاملة، والظلم على أيدى آخــرين (مثــل زنــا المحــارم، والاغتصاب، والإحراق، والخيانة الزوجية).

وقد تتطلب الاستجابة بالتسامح مع مثل هذه الاعتــداءات الخطيــرة، حدوث تغيرات عميقة بالفعل فى الحياة، ومع ذلك تتباين الإيذاءات المتبادلــة بين الأشخاص فى أهميتها، فخيبة الأمل، والاعتداءات التــى تحــدث بــين الأصدقاء، وأفراد الأسرة، والمرتبطين عاطفيًا، وزملاء العمل تكــون علــى وجه التحديد أكثر اعتيادًا، وتستثير شكلاً من التسامح أكثر تكرارًا، وسهولة. أما التسامح الذى يرمز له بحرف "F" فهو ذلك النوع من التسامح الذى قــد تكون الدراسات الارتقائية، والنفسية الاجتماعية درسته لدى النــاس الــذين يتجاوزون، ويعتذرون، ويعترفون بأخطائهم، ويتسامحون أثناء الخبرة اليومية (انظر ,Exline & Baumeister الفصل السابع Mllet &Girard الفصل السادس فى هذا المجلد) والسؤال الآن هو: ما العلاقة بين التسامح الذى يرمز له بحرف "F"، والتسامح الذى يرمز له بحرف "F"؟ قــد يكــون الاثنــان ظــاهرتين مختلفتين كيفيًا، ولتوضيح ما نعنيه دعونا نسوق المثال الآتى :

اقترح الباحثون حديثًا أنه قد توجد فروق أساسية بين نــوع الاكتئــاب الذى يقاس من خلال مقاييس التقرير الذاتى للمزاج الاكتئابى (مثل بطاريــة

بك للاكتئاب)، ونوع الاكتئاب الذى يقاس من خـــلال التقـــدير الإكلينيكـــى، وتشخيص الاضطراب الاكتئابى الخطير (Coyne,1994). وبناء على ذلك قـــد يكون غير ملائم، وغير مبرر إمبريقيًا أن نعتقد أن المزاج الاكتئابى مماثـــل للاكتئاب الخطير، وقد توجد على نحو مماثل فروق مهمة بنائيًا ووظيفيًا بين التسامح المعتاد، والتسامح غير المعتاد بوصفهما شكلين من أشكال التسامح، واعتبار أحدهما مماثلاً للآخر قد يعد ببساطة خطأً، و من ناحية أخرى، قـــد يكون هذان النمطان من التسامح مرتبطين ارتباطًا وثيقًا ببعـــضهما، وفـــى الواقع يفضى كل منهما إلى الآخر، فالفرد الذى عايش الشكل غير المعتـــاد للتسامح، قد يكون من الأكثر احتمالاً أن يـــستجيب للإهانـــات والإيـــذاءات المألوفة بالتسامح فى شكله المعتاد (Pargament,1997)، وعلى العكس معايشة الشكل المعتاد للتسامح، وممارسته عند الاســـتجابة للإهانـــات والإيـــذاءات الصغرى، قد تعد مرحلة للتعبير التفاعلى، وعلى نحو متعمق عن التسامح فى شكله غير المعتاد عند الاستجابة للصدمات الحياتية الكبرى.

فالسؤال المتعلق بما إذا كان التسامح الـــذى يرمـــز لـــه بحـــرف "F" والتسامح الذى يرمز له بحرف "F" متماثلين أم لا؟ " هو ســـؤال إمبريقـــى يتطلب إجراء دراسات مستقبلية للإجابة عنه. وعلى الرغم من ذلـــك فهـــذه الفروق فى معانى التسامح لا تعد مشكلة بالضرورة فى هذه المرحلـــة مـــن الدراسة، فهى قد تسهم، فى الواقع، فى رسم صورة متعددة الأبعـــاد تمامًـــا للتسامح، ولتجنب الخلط، سيحتاج المنظرون، والممارسون إلـــى أن يكونـــوا محددين جدًا فيما يتعلق بالتعريفات التى توجه بحوثهم، والظـــواهر موضـــع الاهتمام التى تقع داخل حدود مفهوم التسامح، وتلك التى تكون خارج حدوده، وأخيرًا سيتطلب الفهم الأكبر للتسامح مع ذلك إحداث تكامـــل أفـــضل بـــين الرؤى المتنوعة تحت مظلة تعريف واحد.

وقرب النهاية نشير إلى أننا عرفنا التسامح فـــى الفـــصل التمهيـــدى بهذا الكتاب على أنه "تغيـــر ذو طبيعـــة إجتماعيـــة يحـــدث داخـــل الفـــرد تجاه المُسيء المُدرك، وهذا التغيـــر يتناســـب مـــع الـــسياق الاجتمـــاعى" (McCullough , Pargament ,& Thoresen الفصل الأول فى هذا المجلـــد، ص: ١٢)، وفى ضوء الفصول اللاحقة نعتقد (على نحو مدعٍ) أن تعريفنا لاقـــى دعمًـــا جيدًا من قبل الباحثين الآخرين، فهو ينفذ إلى جوهر مفهوم التسامح، ولهـــذا جذب انتباه جماعات متباينة من الباحثين والممارسين واهتمامهم، وتظل سعة الأفق، والمرونة مطلبين ضروريين للفوز بالتسامح بأشكاله المتباينة.

ويتيح تعريفنا أن يدرس التسامح على أنه عملية داخليـــة ومتبادلـــة بـــين الأشخاص، وعلى أنه عملية تغير تغطى مدىً كاملاً من الاستجابات المحتملـــة تجاه المُسيء (تمتد من الانصراف عن كل ما هو سلبى إلى التعبير عن كل مـــا هو إيجابى)، وعلى أنه ظاهرة يمكن أن تكون غير معتـــادة بالنـــسبة لـــبعض الأفراد، ومعتادة بالنسبة للبعض الآخر، والسؤال الآن هو "هل يجد الباحثون هذا التعريف مفيدًا؟ هذا ما سنراه، ومع ذلك ما يهمنا هو إحراز تقدم فـــى تعريـــف مفهوم التسامح، ولذلك فنحن نرحب بأية استجابة تساعد على إحراز هدفنا.

من الانعزال إلى التكامل: دمج التسامح ضمن النظرية النفسية:

يمكن أن يتغير أيضًا معنى التسامح ومتضمناته بالنسبة لأداء الوظائف الشخصية والاجتماعية تغيرًا شديدًا، وذلك من خلال إدمـــاج هـــذا المفهـــوم ضمن النظريات والأطر النظرية الراسخة، وهناك فائدتان تتحققان من هـــذا الدمج النظرى:

أولهما أن ربط التسامح بالظواهر النفسية الاجتماعية الأخرى التي استحوذت على الاهتمام النظرى من قبل، وتم التحقق من صدقها الإمبريقى، يُمكن أن يلقى ضوءًا جديدًا مهمًا على التسامح، ويقلل من الغموض الذى اكتنف هذا المفهوم (Gordon et al., الفصل العاشر فى هذا المجلد).

ثانيًا: أن التسامح يمكن فى المقابل أن يضيف ثراءً وبعدًا للنظريات الموجودة التى تجاهلت هذه العملية المهمة، وقد أوضح روبرت وإينريت وتلاميذهما هاتين النقطتين (Enright and the Human Development Study Group 1991،)، فقد ساعد دمجهم للتسامح ضمن نظريات الارتقاء المعرفى والأخلاقى على استكشاف عملية التسامح، وتناول طبيعة الأخلاق تفصيلاً، واقترحنا فى موضع آخر نظريات وأطر نظرية أخرى من المحتمل أن تكون ذات قيمة بالنسبة لدراسة التسامح، متضمنة النظرية المعرفية الاجتماعية (Thoresen ,Luskin, &Harris,1998) والدراسة النظرية للإيثار (McCullough , Rachal ,Sandage ,Worthington,Brown , & Hight,1998; McCullough,Worthington ,& Rachal ,1997) ونظرية المواجهة (Pargament,1997)، ولسوء الحظ كان هذا النوع من النظريات استثناءً للقاعدة، فالنظريات السائدة إما تجاهلت التسامح، وإما ذكرته باختصار، وكثير من البحوث فى هذا الموضوع كانت بحوث نظرية (McCullough et al الفصل الأول فى هذا المجلد)، وسيحتاج الباحثون فى المستقبل إلى الامتداد بالنظريات الموجودة لدمج عملية التسامح ضمن إطارها.

وقد عرضنا فى هذا الكتاب عددًا من الأطر، والرؤى النظرية المستمدة فعليًا من التخصصات الفرعية الأساسية فى علم النفس، وذلك لدراسة التسامح، وهذه التخصصات هى: علم النفس الارتقائى، وعلم النفس الاجتماعى، وعلم النفس الصحى، وعلم النفس المعرفى، وعلم النفس عبر الحضارى، وعلم نفس الشخصية، وعلم النفس الدينى، وعلم النفس الإكلينيكى، وعلم النفس المجتمعى، وعلم النفس الفسيولوجى، وعلم النفس التطورى، ونلقى ضوءًا على عدد قليل فقط من هذه الأطر الواعدة.

الشخصية المتسامحة :

قدم إيمونز (الفصل الثامن فى هذا المجلد) ربطًا مثيرًا بين التسامح والموروث الشامل المتعلق بسمات الشخصية الأخرى متضمنة النرجسية والتفهم والسلوك المميز لنمط "A" (انظر أيضًا .Thoresen et al، الفصل الثانى عشر فى هذا المجلد)، فالسمات المميزة للشخصية للنرجسية كالشعور بالجدارة، والتكلف، والتيه الذاتى، والحساسية المرتفعة للنقد ونقص التفهم من المحتمل أن تكفي التسامح. ويقترح إيمونز أن التسامح ذاته قد يكون مفهومًا من مفاهيم الشخصية ذات الرتبة الأعلى، يتحدد من خلال عدد من الخصال الخاصة: كالحساسية الشديدة للظروف المُلطفة للغضب، والمهارات الخاصة بالتحكم فى الانفعالات، والتفهم، والتواضع، والامتنان، والرغبة فى أن تكون علاقاتك متناغمة، إن علاقة التسامح "كسمة" بسمات الشخصية الأخرى مثل علاقته بنموذج العوامل الخمسة، أو علاقة التسامح "كقصة" بحكايات الشخصية الأخرى، يستثير أسئلة للبحث فى مجال الشخصية.

الاعتراف بالخطأ والتسامح:

يشير إكسلين وبوميستر (الفصل السابع فى هذا المجلد) اللذان يتبنيان منظورًا للتسامح على أنه عملية متبادلة بين الأشخاص، يشيران إلى الارتباط الوثيق بين إبداء التوبة من قبل المُسيء، وتسامح الضحية، وتوضح البحوث الإمبريقية أن افتقاد التوبة يعوق التسامح، وسلوك إبداء التوبة يعززها. ونتساءل: وهل العكس صحيح؟ أثار إكسلين وبوميستر هذا السؤال الحاسم الذى لم يُجَبْ عنه حتى الآن "هل يعزز التعبير عن التسامح أيضًا إبداء التوبة؟" (ص: ٢١٤)، وتوجههما فى التسامح يواكب أيضًا كثيرًا من البحوث النظرية والإمبريقية وثيقة الصلة بالتسامح (كالشعور بالذنب، والاعتراف بالخطأ، والإدراكات الذاتية الملائمة للأحداث)، فالدراسات الحديثة التى تناولت الفوائد الجسمية والنفسية للإفصاح الذاتى مثلاً لها متضمنات مهمة بالنسبة لفهمنا لإبداء التوبة، والتعبير عن التسامح.

الزواج والتسامح:

يعد الزواج معملاً طبيعيًا لدراسة عملية التسامح فى سياق العلاقات القوية والمستمرة. وقد قدم جوردون وآخرون (الفصل العاشر فى هذا المجلد) إطارين نظريين فيما يتصل بالتسامح بين الأزواج، فوصفوا الخيانة التى تحدث فى إطار العلاقة الزوجية، وفقًا لما استخلصوه من النظرية المعرفية السلوكية، بأنه انتهاك لجزء مهم من العالم المُفترض للضحية "إدراكه للزواج أنه المكان الذى يمكن أن يشعر فيه بالأمان والأمن ويضع ثقته الكاملة فى شخص آخر" (ص:٣٥٠)، ويمكن أن يُحدث الانتهاك استجابة صادمة، تتضمن كثيرًا من المظاهر المتشابهة مع اضطراب ما بعد الصدمة، فتتضمن استرجاع المثير من خلال الهاديات التى تُذكر الفرد بالخيانة. ووصف جوردن وزملاؤه كيف تنشأ الخيانة، وفقًا لما استخلصوه من نظرية الاستبصار الموجه، فأوضحوا أن الخيانة قد تنشأ نتيجة لوجود تاريخ طويل من انتهاك الثقة فى عائلة الزوج الخائن، فالفرد الذى يشعر أنه قد خُدع أو خُدعت فى علاقة سابقة، ينمو لديه شعور هدام بالجدارة، ويستخدم هذا الشعور فى تبرير سوء معاملته للآخرين، ومن المحتمل أن يؤثر التاريخ السابق للضحية فى معايشة الثقة والخيانة فى إطار العلاقات المبكرة، من المحتمل أن يؤثر فى قدرته أو قدرتها على التسامح فى إطار العلاقة الزوجية. وهذان التوجهان النظريان لهما متضمنات مهمة فيما يتعلق بصياغة الاعتداءات الزوجية وعلاجها كما أوضح جوردون وزملاؤه فى نموذجهم عن التسامح الزواجى ذى المراحل الثلاث.

التسامح عبر دورة الحياة:

تركز النظريات الارتقائية للمعرفة والأخلاق والشخصية كثيـرًا مـن انتباهها غالبًا على السنوات المبكرة من حياة الفـرد، بـدءًا مـن مرحلـة الرضاعة، وانتهاءً بمرحلة المراهقة المتأخرة، ولكن التسامح عملية يبدو أنها تتطلب مستويات مرتفعة من النضج الشخصى والاجتماعى، ويتطلب فهم هذه العملية فهمًا تامًا؛ تبنى منظورًا ارتقائيًا يغطى دورة حيـاة الفـرد الكاملـة، ولتدعيم هذه النقطة أوضحت موليت وجيرارد (الفصل الـسادس فـى هـذا المجلد) أن المسنين كانوا أكثر احتمالاً أن يسامحوا الآخرين على ما اقترفوه من اعتداءات، بالقياس إلى المراهقين والراشدين الأصغر سـنًا والراشـدين الذين فى مرحلة الرشد الأوسط، وعلاوة على ذلك، كانت رغبة المسنين فى التسامح أقل اعتمادًا على الأحداث، بالقيـاس إلـى المـراهقين والراشـدين الأصغر سنًا، وبناء على ذلك قد يتغير معدل تكرار التسامح، ونوعيته ذاتهـا فى مختلف خصائصه عبر دورة الحياة، وتؤكد الباحثتان أهميـة النظريـة والبحث اللذين يتناولان الأساليب التى يرتقى خلالها التسامح عبر دورة الحياة الكاملة للفرد.

التسامح والروحانية:

أشار باتون فى فصله الذى تناول الرعاية والإرشـاد الـذى يقدمـه القساوسة (الفصل الثالث عشر فى هذا المجلد)، أشار إلى نقطة حاسمة، هى: أن التسامح يُفهم على نحو أفضل "كجزء من عملية الحياة الأكثـر رحابـة (ص:٤٩٦)"، وفى الواقع تتضمن الرعاية القسية للناس الذين عانوا الإيـذاء على أيدى الاخرين، توسيع مجالات اهتمام الفرد من التركيزعلـى الإسـاءة

والمسىء، إلى التركيز على الإطار الأرحب "لصورة حياتهم"، ويرى باتون أن التسامح يعد عنصرًا فى عملية أكبر تهدف التعامل مع الشعور بالخزى والذات المغتربة، وهو القدرة على "إدراك الجانب الإنسانى فى الإيذاء الذى تعرض له الفرد، واكتشاف ذاته كذلك (ص:٤٧٨)، ومن المهم أن نضيف أن نوع التسامح الذى يصفه باتون ليس عملية دنيوية، بل إنه روحى بدرجة عميقة "التسامح هو مثال لنوعية الحياة عندما نعيشها فى علاقة مع الله ومع أتباعه من البشر" (ص:٤٩٧)، وهكذا يُذكرنا باتون بأنه ينبغى علينا أن ندرك التسامح على أنه جزء من النسيج الكلى لحياة الفرد، وليس عملية منعزلة عنه.

ورأينا فى ثنايا فصول هذا الكتاب عددًا من الفرص لدمج التسامح ضمن إطار الرؤى والنظريات الأخرى، وأثناء عملية التكامل، قد تتضح خصائص التسامح، وثراء النظريات التى ظلت حتى وقت قريب تتجاهل هذا البعد للحياة.

من مستوى التحليل الأحادى إلى التحليل المتعدد: الانجذاب إلى تبنى رؤى متعددة للتسامح:

ركزت كثير من الدراسات التى تناولت التسامح كما أشرنا مبكرًا على مستوى التحليل الفردى (مثل كثير من فروع علم النفس) (McCullough,Rachal,&Hoyt الفصل الرابع فى هذا المجلد). وقد يترك هذا الكم الكبير من البحوث انطباعًا بأن التسامح الذى يحدث داخل الفرد الموصوف بضبط النفس، يحدث فى خواء اجتماعى وثقافى، ولكن التسامح ظاهرة ذات مستويات متعددة، تحتاج إجراء مستويات من التحليل البيولوجى والنفسى والزواجى والأسرى والمجتمعى والثقافى لكى تُفهم، وقد تكون التفسيرات

المستمدة من مستويات تحليل متباينة هى بالفعل أقصى أملنـــا؛ لاســتخلاص حقائق علمية عن التسامح (Wilson,1998)، وسيكون من الخطأ أن نفترض أنه يمكننا تطبيق المعرفة المستخلصة من أحد مستويات التحليل تطبيقًا مباشــرًا على مستوى آخر للتحليـــل. وقــد وصـــف واتزلاويـــك Watzlawick ســنة (١٩٨٨)العواقب السيئة التى تترتب على هذه العملية، والتى يطلـــق عليهـــا "نمط الأخطاء المنطقية"، فعلى سبيل المثال عندما احتاجت الوكالة القوميـــة للطيران والفضاء بناء حظيرة طائرات، لحماية فضائها الصاروخى الفـسيح من الطقس، فإنها ببساطة كبرت حظيرتها السابقة عشر مرات عن حجمهـــا السابق، وتجاهلوا حقيقة هى: أن حظيرة بهذا الحجم تخلق إقليمًـــا ذا منـــاخ خاص به، يكمله السحاب والمطر والمخاطر الكهربائية وعلى نحو أدق تخلق المشكلة التى صُممت الحظيرة بهدف منع حدوثها) !

ونحن لا نستطيع على نحو مماثل أن نطبق الأطر النظرية الخاصـــة بالتسامح كسمة شخصية، تطبيقًا مباشرًا على الأساليب التى يظهر من خلالها التسامح فى العلاقات الزواجية أو الأسرية، كما أنه لا يمكننا أن نفترض أن معرفتنا بالتسامح الذى يحدث فى إطار العلاقات الزواجية والأسرية، تفـــسر على نحو مباشر التسامح الذى يعبر عن نفسه عند الاســتجابة للـــصراعات المجتمعية أو الثقافية.

وأكد ماكلو وآخرون (الفصل الرابع فى هذا المجلد) أنـــه ينبغـــى علـــى الباحثين أن يكونوا حذرين عندما ينتقون مفاهيمَ ومناهج ومقاييس للتسامح أعدت خصيصًا لمستوى ملائم من التحليل والخصوصية. وقـــد لاحظـــت تيموشـــوك وشاندرة (الفصل الثالث فى هذا المجلد) أن هناك ندرة فى النظريات والبحـــوث التى تناولت طبيعة التسامح فى المستويات المجتمعية والثقافية، ولكن لسوء الحظ لا يوجد عجز فى الصراع الاجتماعى والسياسى الراسخ بعمق الثقة وافتقادهـــا والبغض التى تمثل جميعها معاملاً طبيعية لدراسة التسامح.

ويمثل التحليل متعدد المستويات مجالاً آخر لدراسة التسامح، فنحتاج مثلاً إجراء بحوث لفهم السياق الاجتماعى، والأسلوب الذى يتشكل من خلاله، وكيفية تشكله من خلال خبرات تسامح الأفراد، فقد يؤثر السياق الاجتماعى فى المعنى الحقيقى لهذا المفهوم، فقد تعلمنا من الفصل الذى كتبه ريى وآخرون (الفصل الثانى فى هذا المجلد) أن الديانات الخمس :الهندوسية، والبوذية، واليهودية، والمسيحية، والإسلام تقدم لمعتنقيها معاني مختلفة للتسامح، وقد يدعم السياق الاجتماعى التعبير عن التسامح أو يعوقه، وأشار باتون (الفصل الثالث عشر) إلى أن التسامح ينمو فى الجماعات الاجتماعية والدينية التى تدعمه وتشجعه، وتمشيًا مع الاتجاه نفسه، اقترح ثورسين (الفصل الثانى عشر فى هذا المجلد) أن اشتراك زوجة العميل أو زوج العميلة معها أو معه فى برامج التدخل التى تهدف تعزيز التسامح قد ييسر العملية العلاجية، وقد يقيم السياق الاجتماعى من ناحية أخرى تحديات خاصة تجاه التسامح، ويظهر هذا فى حالة الهند، حيث يُضحى بكثير من النساء تضحية مضاعفة: الأولى من خلال فيروس فقدان المناعة (HIV) الذى ينتقل إليهن من خلال أزواجهن أو رفقائهن، والثانية عند الاستجابة للعدوى التى تعرضت لها هؤلاء النساء، حيث تتسم الإصابة بالفيروس بوصمة العار المدعمة ثقافيًا، ويتم التمييز فى المعاملة، ويُعزلن بعد تعرضهن للعدوى (Temoshok& Chandra الفصل الثالث فى هذا المجلد)، وقد يمثل انتشار "الثقافة النرجسية" فى المجتمع الغربى عائقنا الاجتماعى المحدد الذى يحد من التسامح (Emmons الفصل الثامن فى هذا المجلد).

وأخيرًا من المهم أن نتناول تأثير التسامح على الفرد والسياق الاجتماعى.

اهتمت معظم الدراسات بدراسة تأثير التسامح على الصحة النفسية للأفراد، ولا نعرف سوى القليل عن الأساليب التى يؤثر من خلالها

التسامح فى النسق الاجتماعى للفرد، و يمكن تصور تأثير التسامح أيضًا على أنه قد يكون الانسيابية تجاه الآخرين، وهؤلاء الآخرون يتضمنون المُسيء والأسرة والأصدقاء وزملاء العمل والمجتمع الأكبر، فالزوجة السابقة على سبيل المثال التى تنجح فى أن تسامح زوجها السابق، قد تحقق سلامًا عقليًا كبيرًا وتنعمًا وجدانيًا لنفسها ولأطفالها ولزوجها القادم أيضًا، وعلى العكس توصلت تيموشوك وشاندرة (الفصل الثالث فى هذا المجلد) فى دراستهما التى أجريت على رجال ونساء من الهند، مصابون بفيروس فقدان المناع (HIV)، توصلت الباحثتان إلى أن الاتجاهات غير المتسامحة ارتبطت باستمرارية السلوكيات الجنسية المحفوفة بالمخاطر، والتى تزيد استهداف انتقال الفيروس. ويقترح نيوبيرج وآخرون فى فصلهم (الفصل الخامس فى هذا المجلد) أن التسامح يخفض الميل للقتال، ويستثير تفهمًا تجاه الشخص المسيء من خلال شبكة علاقاته أو علاقاتها الاجتماعية، بل وذهبوا أبعد من ذلك، حيث أشاروا إلى أنه من خلال كسر حلقة العدوان والانتقام، قد يتضمن التسامح ميزة تطورية للجنس البشرى.

والخلاصة، يعد التحليل متعدد المستويات ضروريًا لتطوير فهم أكثر اكتمالاً للتسامح، فينبغى أن يُفهم التسامح على أنه ظاهرة يتم التعبير عنها فى مستويات بيولوجية ونفسية وزواجية وعائلية ومجتمعية وثقافية (Temoshok&Chandra الفصل الثالث فى هذا المجلد)، ونحتاج أيضًا إلى إجراء دراسات ذات مستويات تحليلية متباينة لفهم كيف يتشكل التسامح فى أحد المستويات من خلال التأثيرات الخاصة بالمستويات الأخرى، وكيف يؤثر التسامح فى أحد المستويات، فى المقابل فى المستويات الأخرى الوظيفية للإنسان، ومع اقترابنا من النهاية نود أن نؤكد على أنه ينبغى على الباحثين المعنيين بدراسة التسامح أن يحاولوا تضمين دراساتهم منظومة أوسع من المنبئات والمحكات، ونكرر ما سبق قوله، نحن فى حاجة إلى مقاييس متعددة لفحص الخاصية متعددة المستويات للتسامح، والارتباطات الخاصة بها.

من المتوقع إلى غير المتوقع: الانفتاح على الجانب السلبى فى التسامح:

يدرك الباحثون والمعالجون التسامح فى أغلب الأحوال على أنه عملية بناءة وصحية، فأوضحت عدد من الدراسات أن التسامح يرتبط بالفعل بانخفاض الكرب الانفعالى، وزيادة التنعم الشخصى، وعلى الرغم من ذلك فالبحوث فى هذا المجال ما زالت فى طور النمو، ومن السابق لأوانه أن نستنتج فى هذه المرحلة أن التسامح مفيد دائمًا، فالتسامح مثل معظم العمليات النفسية قد يكون له جوانب سلبية .

فاقترح باحثون قليلون أن التسامح فى أشكاله الأكثر سطحية، أو الأكثر زيفًا تكون له عواقب مؤذية، فأوضح ترانير Trainer (١٩٨١) مثلاً أن هناك دوافع مختلفة للتسامح، ووجد أن لكل دافع من هذه الدوافع مجموعة من الارتباطات، فالتسامح الذى يُستخدم سلاحًا للانتقام من الآخرين، أو لجعل المتسامح يشعر بأنه أفضل أخلاقيًا من الآخرين، ارتبط بالانفعالات والاتجاهات السلبية، وعلى العكس ارتبط التسامح الذى يُمنح للآخرين لقيمته الجوهرية، ارتبط بالانفعالات والاتجاهات الأكثر إيجابية. ويحذر باتون (الفصل الثالث عشر فى هذا المجلد) على نحو مماثل من الآثار الهدامة للنسق الاجتماعى، الذى يضغط على الناس (الذين عانوا من قبل من فقدان التحكم أثناء انتهاكهم) لأن يتسامحوا، ومن المهم أن نشير إلى أن باتون ضمن فى هذا النسق الاجتماعى القسرى coercive social system، وعلى نحو احتمالى المهنيين والقساوسة والعائلة والأصدقاء والله.

ويفترض إكسلين وبوميستر (الفصل السابع فى هذا المجلد) بعض الخسائر المحتملة لأكثر أشكال التسامح صدقًا، فربما ينتج عن التسامح مشاعر الضعف والجرج لدى الشخص المتسامح، وربما يُترك الشخص المتسامح فريسة لمشاعر عدم العدل والظلم، وربما يفقد الفوائد التى تتحقق له

فى علاقاته مع الآخرين من خلال وضعه كضحية، وربما يجعلــه التــسامح مستهدفًا بدرجة أكبر للإيذاء مستقبلاً، وقد أجرى كاتز Katz وستريت Street وإيرز Arias (١٩٩٧) دراسة أشاروا من خلالها إلى هذا الخطــر الأخيــر، فاستجابت مجموعة من السيدات اللاتى يدرسن بالجامعــة لمجموعــة مــن الأحداث المفترضة، التى تتناول العلاقة التى انتهكت مــن قبــل رفقــائهن المتواعدين على لقائهن، ووجد الباحثون أن عزم السيدات علــى مــسامحة رفقائهن، توسط العلاقة الارتباطية بين العزو الذاتى، وعزم السيدات إنهــاء العلاقة، وتبين أن الطالبات اللاتى كان من الأكثر احتمالاً أن يعزين ســبب الانتهاك إلى أنفسهن على وجه الخصوص، كان من الأكثر احتمالاً أيضًا أن يسامحن رفقائهن، فارتبطت مسامحة الرفيق فى المقابل بانخفاض احتمــالات إنهاء العلاقة المنتهكة، وقد ركزت هذه الدراسة بالطبع علــى ســيناريوهات مفترضة ومع ذلك فهى تشير إلى المعوق المحتمل للتسامح، والذى يتمثل فى أن التسامح قد يزيد الاستهداف للاستمرار فى علاقات من الممكن أن تكــون هدامة.

ولسوء الحظ توجد دراسات قليلة فيما يتعلق بهذه القضية، وبالخــسائر المحتملة الأخرى للتسامح، سواء أكانت دراسات تجريبية أم طبيعية؟ ونحــن نحتاج بوضوح إجراء مزيد من البحوث فى هذا الشأن، فإجراء دراسات عن تأثير التسامح على المُسىء يعد ذا أهمية خاصة.

وقد يساعد فى الإجابة عن بعض الأسئلة الحاسمة، فهل يشجع التسامح على تغير المُسىء، وعلى الحل البناء للمشكلات، وعلى التواصــل الحمــيم وجدانيًا بين الشخص المتسامح والمسىء؟ أم إنه فــى الأســاس "يكــافىء" المُسىء على سلوكه أو سلوكها، وبناء على ذلك يؤيد نمط العلاقات المتبادلة الهدامة، أو يفاقم من خطورتها؟

والإجابة عن مثل هذه الأسئلة قد لا يكون بالضرورة سهلاً، فالتسامح قد يكون مفيدًا فى أوقات محددة وفى مواقف محددة ومع أناس محددين، وقد يكون غير ملائم أو حتى مؤذٍ فى مواقف وأوقات أخرى، فيقدم ماكلو وورثنجتون (١٩٩٤) تحذيرًا من التسامح فيما يتعلق بهذه النقطة، فيحذران من التسامح عندما لا يبدى المعتدى الأسف، وعندما يكون الانتهاك شديدًا جدًا، أو عندما تكون الجروح التى تسبب فيها المُسىء حديثة ولم تلتئم بعد. إن استخدام مدىً متسع من المقاييس المحكية، كما اقترح ورتنجتون وآخرون (الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد) قد يكشف عن فوائد التسامح وخسائره، فربما يُخفض التسامح فى أغلب المواقف الكرب النفسى، ويزيد الاستهداف للانتهاك المتبادل مستقبلاً، وعلى العكس قد يخفض التسامح فى أحيان كثيرة الصراع فى العلاقات على حساب زيادة التنعم النفسى.

وأخيرًا ينبغى على الباحثين أن يكشفوا عن الفوائد المحتملة "للجانب الآخر" للتسامح، والذى أعنى به خبرة الغضب والألم المصاحبين للتعرض للإساءة. وبرهن منظرون عديدون بالفعل على أنه بدون إدراك طبيعة الإساءة، والألم الذى سببته، فإنه لن نستطيع إكمال التسامح أبدًا، وكما حدد باتون (الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد) الطريق إلى التسامح والصحة هو "فى تجاوز الألم وليس فى استمراريته" (ص:٤٩٥)، وأضاف ثورسين وآخرون (الفصل الثانى عشر فى هذا المجلد) أنه من المهم أن نميز بين أشكال التعبير الهدام عن الغضب، وأشكال التعبير البناء عنه، وبعض الناس على أية حال يكونون قادرين على أن يعبروا عن الغضب من خلال قنوات بناءة، تُعدّل الظلم الاجتماعى، وتعطى حياتهم معنى وهدف (Baures,1996)، ويقترح باتون أن المخاطر الصحية المترتبة على الغضب تكمن فى الفشل فى الوصول إلى الثبات الانفعالى فى فترة زمنية معقولة، وليس فى الأرجاع الفسيولوجية المصاحبة للانفعال.

والخلاصة:

ينبغى أن يظل الباحثون والممارسون منفتحين على الجوانب غير المتوقعة للتسامح، ولإمكانية أن يكون للتسامح بعض العواقب المدهشة على المُساء إليه والمُسىء وعلى النسق الاجتماعى الأكبر، وينبغى علينا بشكل محدد أن نظل مفتوحى الأعين لإمكانية أن يترتب على التسامح خسائر فضلاً عن الفوائد، وبقدر أهمية التسامح وقيمته، فإنه من غير المحتمل أن يكون التسامح هو الدواء العام للمشكلات المعقدة، التى تنشأ عن الانتهاكات المتبادلة.

من الصياغات النظرية إلى البحث: توسيع مجال الدراسة الإمبريقية للتسامح :

لا يوجد نقص فى الأفكار والآراء المتعلقة بالتسامح وقيمته والآثار المترتبة عليه، ولكن الدراسات الإمبريقية كانت قليلة، ولحسن الحظ أن الصورة ربما تكون قد بدأت فى التغير، وقد أشار مؤلفو فصول هذا الكتاب إلى توجهات بحثية مستقبلية مهمة، وألقينا ضوءًا على كثير من هذه الأسئلة فى هذا الفصل، ولخصنا كثيرًا منها فى جدول (١٤,٢).

وتعد بعض الأسئلة أساسية جدًا، فعلى سبيل المثال نحن لا نعرف حتى الآن إلى أى مدى يعد التسامح أمرًا معتادًا، وصرح أوجسبيرج Augsberg (١٩٨١) أن التسامح يعد واحدًا من أصعب الأشياء فى العالم، وتوحى بعض البحوث الأولية بأن كثيرًا من الناس بالفعل يجدون صعوبة فى أن يتسامحوا، فإذا تذكرنا دراسة تيموشوك وشاندرة (الفصل الثالث فى هذا المجلد) التى أجريت على الرجال والنساء الهنود المصابين بفيرس فقدان المناعة (HIV)،

فسنجد أن (٦٧%)من أفراد عائلة هؤلاء المرضى يوجهون اللوم لهم على إصابتهم بهذا الفيروس، وأوضح (٤٥%) من أفراد عائلاتهم أنهم لن يسامحوهم أبدًا، وصرح أب توفى ابنه بالإيدز وعمره ثمانٍ وعشرون سنة أنه "ما كان ينبغى أن يولد هذا الابن فى عائلتنا، وأنا لا أستطيع أن أسامحه على ما فعله بنا، نحن لم نؤدِ أية شعائر جنائزية له، ونشعر أنه ينبغى أن يعانى بنفس الطريقة التى جعلنا جميعًا نعانى بها" (ص: ٧٠-٧١)، وتوحى بعض البحوث الأخرى من ناحية ثانية أن التسامح قد يكون أمرًا معتادًا، فعلى سبيل المثال فى دراسة أجريت على ثلاث جماعات دينية فى لبنان (كاثوليك ومارونيون وأرثوذوكس)، عبر المشاركون عن مستويات تسامح مرتفعة عما هو متوقع عند الاستجابة لصور تصف إطلاق رصاص على طفل أثناء الحرب الأهلية (Azar,Mullet,&Vinsonneau,1999)، وكان كثير من الأفراد راغبين بقوة فى أن يسامحوا أعضاء الجماعات الدينية الأخرى المعادية لهم فى الحرب الأهلية. باختصار نحن فى حاجة إلى بيانات أساسية تصف معدل تكرار التسامح عبر الزمن والمكان والاشخاص.

جدول (١٤,٢)

الأسئلة الحاسمة فى بحوث التسامح

- إلى أى مدى يعد التسامح أمرًا معتادًا؟
- ما الدور الذى يمارسه الشعور بالخزى فى عملية التسامح؟
- إلى أى مدى تُعرّف الجماعات المختلفة ثقافيًا ودينيًا وعرقيًا التسامح بطرائق مختلفة؟
- ما منبئات التسامح الأكثر تأثيرًا؟
- كيف تؤثر خبرات الطفولة المبكرة فى ارتقاء التسامح؟

- ما العلاقة بين التسامح والصحة الجسمية؟
- هل يمكن تدريب الناس على التسامح من خلال جلسات علاجية مختصرة؟
- ما تأثير التسامح على المُسيء وعلى احتمال حدوث إساءة مستقبلية؟
- كيف تؤثر دوافع التسامح المتنوعة على العواقب المترتبة عليه؟
- ما المتغيرات التى تجعل أساليب التدخل الخاصة بالتسامح مؤثرة؟
- ما تأثير التسامح على سلوك الشخص المتسامح تجاه الآخرين؟
- ما العلاقة الإمبريقية بين التسامح والتصالح؟
- ما العلاقة بين التسامح بوصفه سمة من سمات الشخصية ونماذج الشخصية الأخرى؟
- ما العلاقة بين تاريخ الفرد السابق فى العلاقات والتسامح الزواجى؟
- كيف ينشأ التسامح؟ وكيف يتغير عبر دورة الحياة؟
- ما الخسائر الشخصية والاجتماعية المحتملة المترتبة على التسامح؟
- ما العلاقة بين قيم التسامح والعدالة الاجتماعية؟
- متى ينبغى علينا عدم تشجيع التسامح فى السياق الإكلينيكى؟
- كيف نحدد استعداد الفرد للتسامح؟
- ما المتغيرات الشخصية والاجتماعية والثقافية التى تعزز التسامح؟ وما المتغيرات التى تعوقه؟

• ما العوامل التى ترتبط بالتسامح الذى يحدث من خلال النسق الاجتماعى الأكبر، مثل الدول، والمجتمعات والجماعات الدينية؟

• إلى أى حد ينبغى علينا تفصيل برامج التدخل الخاصة بالتسامح لتلائم جماعات محددة؟ وبأى الأساليب؟

وبعض الأسئلة المهمة فى البحوث المستقبلية ذات طبيعة استكشافية، فعلى سبيل المثال، اقترح بعض مؤلفى هذا المجلد أن مفهوم الشعور بالخزى يعد مفهومًا محوريًا لفهم التسامح، وبرهنوا على أن الشعور بعدم الجدارة والقذارة والإثم وحتى الشعور بالمسئولية، كل هذه المشاعر تكمن فى لب الاستجابة للاعتداءات المتبادلة بين الأشخاص، ووصفت مالكوم وجرينبيرج مثلاً (الفصل التاسع فى هذا المجلد) إحدى العميلات التى انتقلت من خلال لعب الدور على وجه التحديد إلى لعب دور أمه، حيث تقول على لسان الأم: "وأنا لم أكن أرغب أن تشعرى بالذنب تجاهى، أنت لم تسببى فى هذا...فما حدث لم يكن يتعلق بك..إنه يتعلق بحياتى.. إنه يتعلق بكونى فقدت القدرة على التحكم، أنا أتحمل مسئولية ما حدث...أنا كنت فاقدة التحكم فى نفسى "(ص: ٣١٧)، وغمر الناس بالشعور بالخزى، قد يجعلهم يستجيبون استجابات دفاعية، تمتد من الغيظ وحتى التكبر للوصول إلى الكمال.

والمشكلة الجوهرية هنا كما أشار باتون (الفصل الثالث عشر فى هذا المجلد) هى فشل المُساء إليه فى أن يدرك المُسىء على أنه شخص مستقل، فيصبح المُسىء بدلاً من ذلك "جزءًا مسيئًا من ذات الشخص المخزى (المُساء إليه) " (ص: ٤٨٦)، ومن خلال التفهم والمشاركة فى المجتمع، يمكن أن يعيش الفرد خبرة شفاء الذات، واكتساب قدرة جديدة على إدراك المُسىء على أنه إنسان منفصل يجاهد مع مشكلاته أو مشكلاتها فى الحياة.

وأخيرًا قد يتطور التسامح خلال عملية الشفاء الشخصى هذه، ونعتقد أن هذه الفكرة ممكنة، ولكنها فكرة غير مختبرة جديرة باستكشافها من خلال دراسة إمبريقية.

ولبعض الأسئلة البحثية المستقبلية متضمنات نظرية وعملية، مثل السؤال المثير الذى يتعامل مع الاختلافات التى قد توجد فى أساليب تعريف التسامح لدى أعضاء الجماعات المختلفة ثقافيًا وعرقيًا ودينيا، وكما لاحظنا من قبل، عرّف المنظرون والباحثون التسامح بأساليب متنوعة، ومن المحتمل أن تنطبق هذه النقطة على أولئك الذين درسناهم، فالتسامح قد يعنى أشياءً مختلفة لدى مختلف أعضاء الجماعات، فعلى الرغم من أن الديانات العالمية الكبرى تعطى قيمة للتسامح مثلاً، فإنها لا تُعرّفه على نحو متماثل فى إطار كل دين، فوجد ريى والمؤلفون المشاركون له (الفصل الثانى فى هذا المجلد) عددًا من الاختلافات فى أساليب تعريف التسامح لدى الطلاب الهندوسيين، والبوذيين، واليهوديين، والمسيحيين، والمسلمين.، فيصاغ التسامح فى ظل اليهودية على أنه عملية متبادلة بين الأشخاص، فيتضمن إبداء التوبة من قبل المُسيء، يعقبها التسامح من قبل الضحية، ويوصف فى ظل المسيحية كعملية داخلية بقدر أكبر، فالمرء أقل اعتمادًا على اتجاهات المُسيء وأفعاله، بينما وُصف التسامح على أنه "الانصراف عن" كل ما هو سلبى فى ظل الهندوسية (Temoshok & Chandra الفصل الثالث فى هذا المجلد)، وتصف المسيحية التسامح من خلال التعبير عن الحب والشفقة والرحمة، وعلاوة على ذلك يبدو أن الخط الفاصل بين التسامح والتصالح أكثر تحديدًا بدقة فى اليهودية والإسلام، وذلك بالقياس إلى المسيحية والبوذية والهندوسية، وبالنسبة لطلاب الديانات المقارنة فإن الفروق داخلهم وبينهم شائقة. والسؤال المهم من المنظور النفسى هو ما إذا كانت الفروق فى أنساق معتقدات هذه الديانات

تتحول إلى فروق بين الأفراد الموالين لكل دين، فهل يُعـرّف المـسيحيون واليهوديون والهندوسيون والمسلمون التسامح فعلاً على نحو مختلف؟، وإلى أى مدى يجسد أعضاء هذه الأديان تعاليم دياناتهم فيمـا يتعلـق بالتـسامح، ويلتزمون بها؟

وينبغى أن نلاحظ أنه من المهم أن نفهم معانى التسامح لـدى أولئـك الذين ندرسهم، ونعمل معهم، متضمنًا ذلك أعضاء الجماعات المتباينة دينيًـا وعرقيًا وثقافيًا، وتعد الدراسات الخاصة بنموذج لينز مفيدة، لأنها تعلمنا مـا يتعلق بالفروق فى معانى المفاهيم الأخرى المركبة مثل الـدين والروحانيـة (Pargament ,Sullivan,Balzer,Van Haitsma ,& Raymark,1995;Zinnbauer,1997)، وقد تكون مفيدة أيضًا فى تعلم ما يتعلق بالمعانى التى يعزوها النـاس إلـى التسامح (Boon&Sulsky,1997)، ومن أكثر الملاحظات العملية أن الفروق فى معانى التسامح تكون مهمة أيضًا، عندما نأخذ فى اعتبارنا الجهود اللازمـة لتعزيز التسامح، فالجماعات التى تُعرّف التسامح وتعايشه وتعبر عنه بأساليب خاصة قد تحتاج أنماطًا مختلفة من أساليب التدخل التى تعزز التسامح، ونذكر فى هذا السياق أن ورثنجتون وآخرين (الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد) يحثون المجموعات التى تقدم لها أساليب التدخل على تقديم تعريفات للتسامح فى المراحل المبكرة من التدخل، ويستخدمون هذه التعريفات كنقطـة بدايـة لأسلوب التدخل.

من الحدس إلى المعلومات: بناء منحى معلومـاتى للتـسامح فـى إطـار الممارسة الإكلينيكية قائم على الدراسات الإمبريقية:

هناك فرص غزيرة للممارسين المعنيين بدراسة التسامح فـى عملهـم الإكلينيكى، فليس صعبًا أن نُوجد جماعات متنوعة، من الممكن أن تكون هى

الجماعات التى تمثل هدفًا للعلاج النفسى الموجه نحو التسامح، ونشير إلـى قليل منها، كضحايا الجرائم، والأشخاص الذين يعـانون أمراضًـا خطيـرة وعجزًا (مثل المرضى المصابين بفقدان المناعة "HIV" ومرضـى الإيـدز) والأطفال متعاطو الكحوليات، والأزواج الذين أُسـيئت معـاملتهم، والأزواج الذين يقاومون الخيانة الزوجية والجنود المقاتلين والمطلقين والنـاجين مـن الانتحار ونزلاء السجون، والأفراد فى نهاية حياتهم، ويمكن أن يكون العلاج النفسى الذى يركز على التسامح هدفًا أيضًا للأفـراد والأزواج والأسـر أو الجماعات فذكر ثورسين وآخرون (١٩٩٨) إمكانات العلاج المنظم، وعلاج الجماعات الصغيرة، والعلاج الموجه نحو التسامح بالنسبة لقطاع متنوع من السكان.

وينبغى عليه ألا تكون أساليب التدخل المرتبطة بالتسامح مقصورة على العلاج النفسى، فتعليم التسامح يمكن أن يمنع حدوث الألم طويل المدى الذى يعقب التعرض لحدث صادم، أو يخفف حدته، وإذا لم يُقدم التسامح كبرنامج تدريبى، فيمكن أن يصبح موضوعًا للمناقشة فى المدارس الابتدائية والثانوية والمعاهد التعليمية العليا فى السياقات المؤسسية غير الدينية والدينية أيـضًا. فالبرامج التربوية الأكثر تركيزًا على التسامح يمكن أن تستهدف الجماعـات التى يحتمل أن تستفيد من المعلومات المتعلقة بالتـسامح خصيـصًا، مثـل المراهقين المستأسدين الذين يتسمون بالعنف والمتـزوجين والعمـال الـذين يتلقون تدريبًا على العمل، والأزواج الذين يعدون أنفسهم لأن يصبحوا آباءً، والمهنيين الذين يمارسون الخدمات الإنسانية. ويمكن صياغة التسامح علـى أنه أسلوب تدخل اجتماعى سياسى يمكن تطبيقه على الصراعات الأكثر نطاقًا بين القبائل (كالصراع بين قبائل الهوتو والتوتسى فى رواندا)، والجماعـات الدينية (كالصراعات بين البروتستانت والرومان الكاثوليـك فـى إيرلنـدا)،

والجماعات العرقية (كالصراع بين البيض والسود فى جنوب أفريقيا، والأمم (كالصراع بين البوسنة والسيبريا وألبانيا).

وباختصار إن فرص العمل المرتبطة بالتسامح تعد فرصًا مثمرةً، ومع ذلك فإن المعلومات التى توجه هذه الجهود ما زالت قليلة، فكان الممارسون حتى وقت قريب يمارسون عملهم من خلال الحدس فى محاولتهم لفهم عملية التسامح وتقويمها، والتأثير فيها فى سياق الممارسة الإكلينيكية، وافترض منظرون عديدون نماذج واعدةً مبنيةً على أطر نظرية؛ لتوجيه أساليب التدخل الخاصة بالتسامح (Enright & Coyle,1998; Gordon et al الفصل العاشر فى هذا المجلد (Worthington,1998، ولكن الدراسة العلمية الموسعة للتسامح ستؤدى أيضًا إلى تحسين الممارسات الإكلينيكية المرتكزة على التسامح، وذلك من خلال إحداث تكامل بين نماذج، من قبيل تلك النماذج التى لديها معرفة متزايدة من خلال التقويم الإمبريقى.

إن التقويم المبدئى لأساليب التدخل الخاصة بالتسامح يقدم لنا بالفعل نتائجًا واعدةً (Freedman & Enright ,1995;Coyle & Enright ,1997; McCullough & Worthington,1995; Thoresen et al.,1998)، وكما أشار عدد من المشاركين فى هذا المجلد، إننا نحتاج مع ذلك أن نخطو الخطوة القادمة فى الدراسة العلمية للتسامح، ونحدد الأجزاء الفعالة فى تلك الأساليب (Malcom & Greenberg الفصل التاسع ,.Thoresen; et al., Worthington et al الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد)، ونثير فى هذا السياق عدة تساؤلات مهمة مثل: هل يمكن أن يحدث التسامح دون التقدير الكامل لمدى فداحة فعل الإساءة؟ وإلى أى مدى يعد التفهم عنصرًا حاسمًا فى التسامح؟ وهل يعد الشعور بالخزى من القضايا المحورية عند الانصراف عن الامتعاض المستقر منذ فترة طويلة؟ وهل الاستبصار بالعوائق الاتصالية، والارتقائية المبكرة التى تحول

دون التسامح يعد ضروريًا لبزوغ التسامح؟ وهل يعد تعليم عملية التسامح ضروريًا فى حد ذاته لحدوث التسامح؟ وما أنماط المغريات الدافعية الأكثر تأثيرًا فى تعزيز التسامح (مثل المغريات الروحية، والغيرية altruistic، والأنوية egoistic)؟ وما الدور الذى يمارسه السياق الاجتماعى للفرد، متضمنًا السياق العرقى، فى تشجيع التسامح أو تعويقه؟ وهل أساليب التدخل ذات التوجه نحو التسامح تُحدث تأثيرات مكافئة للتأثيرات التى تُحدثها الأساليب العلاجية الأصلية أم تفوقها؟

ولن نتوصل إلى إجابة أسئلة من هذا القبيل من خلال دراسة وحيدة، ولكن من خلال برنامج بحثى من النوع الذى وصفه ثورسين وآخرون (الفصل الثانى عشر فى هذا المجلد) وورثنجتون وآخرون (الفصل الحادى عشر فى هذا المجلد)، ويبدو أن منحى تحليل المهمة للعلاج لمالكوم وجرينبيرج (الفصل التاسع فى هذا المجلد) الذى يتعامل مع المشاعر غير المكتملة، يبدو ملائمًا على وجه الخصوص فى هذا الشأن، حيث إنه يقدم منهجًا مهمًا لتحديد أكثر العناصر الحاسمة فى أساليب التدخل الخاصة بالتسامح.

ونأمل أن يؤدى هذا البرنامج البحثى وغيره من البرامج أيضًا إلى وجود منحى للتسامح فى الممارسة الإكلينيكية، مبنى على المعلومات الإمبريقية، وهذا المنحى سيكون انتقائيًا على المستوى النظرى وفعالاً نسبيًا ومؤثرًا تأثيرًا مرتفعًا فى تعزيز التغير. وبالطبع من غير المحتمل أن يكون منحى واحدًا قابلاً للتطبيق على كل المجموعات، فالمقاس الواحد لا يناسب الجميع، وكما لاحظ ورثنجتون وآخرون (الفصل الحادى عسر فى هذا المجلد) أنه قد يكون مطلوبًا تفصيل أساليب التدخل الخاصة بالتسامح، لتناسب مختلف الجماعات ذات الاحتياجات والمعايير المختلفة.

وأخيرًا من المهم أن نقارن تأثيرات أساليب التدخل الموجهة نحو التسامح، بتأثيرات أساليب العلاج النفسى الرسمية. وقد أجرى وامبولد وآخرون (١٩٩٧) تحليلاً تجميعيًا حديثًا متعدد المتغيرات لعدد من الدراسات، وتوصلوا إلى أن فاعلية العلاجات النفسية الأصلية تقريبًا متكافئة عبر مجالات الصعوبات النفسية، وربما يكون بإمكان أساليب التدخل الخاصة بالتسامح أن تكشف عن قيمة إضافية أكثر وأبعد مما تحققه مناحى العلاج الحالية، فهل يمكن مثلاً أن تضيف أساليب التدخل الخاصة بالتسامح فاعلية لبرامج العلاج الرسمية للاكتئاب الإكلينيكى، والكرب الزواجى؟ سيبرهن المؤيدون للعلاج بالتسامح أن مثل هذه العلاجات على الأقل مفيدة شأنها شأن أساليب التدخل الموجودة .

ولن ننهى هذا الجزء قبل أن نفهم تحذير باتون (الفصل الثالث عشر فى هذا المجلد)، فهو يحذرنا من التعامل مع التسامح على أنه "أسلوب فنى"، فتعريفه على أنه "مهارة" يمكن تعليمها "لل" العملاء أو المرضى" بواسطة التربويين والمعالجين والمهنيين المعنيين بالصحة أو القساوسة دون أن نقدر الخاصية الروحية الأرحب المميزة له تقديرًا جيدًا، ربما يكون فى أحسن الأحوال غير مجدٍ بل سيٍّء وغير مثمر، فالتسامح كما يؤكد هو حرفة أكثر من كونه علمًا، وفى تعليقاته التذكيرية على بحث فيكتور فرانكل الواعد سنة(١٩٨٤) الذى تناول البحث عن المعنى يقترح باتون أن التسامح ليس شيئًا يمكن أن نستغرق فيه على نحو مباشر، بل ينبغى أن نقترب منه على نحو غير مباشر، فهو جزء من التوجه نحو العالم، حيث يدرك الأفراد أنفسهم على أنهم محدودون، كائنات محدودة تعايش علاقات غير مثالية مع كائنات أخرى محدودون، والتسامح بهذا المعنى ليس سبيلاً لأن تصبح معافيًا ولكن هو أسلوب للحياة.

ونثير الآن التساؤلين الآتيين: إلى أى مدى يمكن للباحثين تطبيق مناهجهم العلمية عند دراسة هذا الموضوع بأساليب تبرز ثراء وتعقيد التسامح بوصفه واحدًا من أكثر العمليات إنسانية وعلى نحو جوهرى مقارنة بكل العمليات النفسية الأخرى؟، وكيف يمكن للممارسين تطبيق المعرفة التى توصلوا إليها من الدراسة العلمية للتسامح بأساليب تعكس احترامًا للإنسانية الكاملة لأولئك الذين يحاولون الاقتراب منهم؟، وربما توجد تحديات عظيمة أمام الباحثين والممارسين عند محاولة الإجابة عن التساؤلين السابقين.

الخلاصة:

نود أن نستخلص فى آخر كلامنا نصيحة للأفراد المعنيين بدراسة التسامح، فكثير من الناس لديهم اعتقادات راسخة عن هذا الموضوع، وقليل منهم من يكون محايدًا عندما يقترب من التسامح، وتنطبق هذه النقطة بدرجة كبيرة على الباحثين والممارسين، كما تنطبق على الأفراد الذين يدرسونهم ويقدمون لهم الخدمات النفسية، فأولئك الباحثون الذين يدخلون هذا المجال للدراسة يبذلون قصارى جهدهم؛ لفحص اتجاهاتهم وقيمهم الخاصة تجاه هذا المفهوم قبل أن يتبنونه، فالتسامح لا يمكن أن يُدرس بنزاهة وبموضوعية كاملة، ومع ذلك يمكن دراسته بعدم تحيز إذا كنا راغبين فى إدراك تحيزنا وقيمنا ووضعهما موضع الاختبار، وإذا كنا راغبين فى أن نظل مندهشين، ونتعلم مما يُعلّمه العالم لنا عن هذه العملية الإنسانية المبهمة التى لا تزال غامضة تمامًا.

إن إسهامنا فى هذا الكتاب شمل كثيرًا من القطاعات، ولكن كما أشرنا مبكرًا، ما زال مجال التسامح لم يستكشف بعد بدرجة كبيرة، فالمجال متسع أيضًا، يشمل العالم الجسدى والنفسى والاجتماعى والثقافى. ويجتذب الآن

مكتشفين من "شواطىء" مهنيــة متنوعــة: الاختــصاصيون الاجتمــاعيون والاختصاصيون النفسيون والعلماء بـــاللاهوت والفلاســفة ورجـــال الـــدين المسيحى والأطباء والممرضون والعلماء الاجتماعيون. فهذا المجـــال مثيـــر للتحدى على نحو استثنائى، فهو ملىء بالأدغال والمـــستنقعات والمخـــاطر والمفاجآت، وللتغلب على هذه التضاريس الصعبة، يحتاج المغامر أن يـــأتى مزودًا بكل الأدوات النظرية والمنهجية والعملية، ومع ذلك فالمكتشفون الذين يطرقون هذا المجال من المحتمل أن يقابلوا بعضًا من المشاهد الأخاذة الأكثر لفتًا للأنظار، والتى يمكن أن توجد فى المنظر الإنسانى الطبيعى.

المراجع

- Augsberger,D.(1981).Caring enough to forgive: Caring enough not to forgive.Scottsdale ,PA: Herald Press.

- Azar ,F., Mullet, E.,& Vinsonneau, G.(1999).The propensity to forgive: Findings from Lebanon. Journal of Peace Research , 36,169-181.

- Baures,M.M(1996).Letting go of bitterness and hate.Journal of Humanistic Pschology,36,75-90.

- Boon,S.D.,&Sulsky,L.M.(1997).Attributions of blame and forgiveness in romantic relationships: A policy –capturing study.Journal of Social Behavior and Personality,12,19-44.

- Coyle,C.T.,&Enright,R.D.(1997).Forgiveness interventions with post- abortion men.Journal of Consulting and Clinical Psychology ,65,1042-1045.

- Coyne, J.C.(1994).Self –reported distress :Analog or ersatz depression? Pschological Bulletin, 116-29-45.

- Enright ,R.D.,&Coyle ,C.T.(1998).Researching the process model of forgiveness within psychological interventions.In E.L.,Worthington ,Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspectives(pp.139-161).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Enright ,R.D.,& The Human Development Study Group (1991). The moral development of forgiveness. In W.Kurtines & J. Gewirtz (Eds.) ,Handbook of moral behavior and development (Vol.1,pp.123-152), Hillsdale ,NJ: Erlbaum.

- Frankl,V.(1984).Man's search for meaning ,New York: Washington Square Press.

- Freedman,S.R.,& Enright ,R.D.(1996).Forgiveness as an intervention goal with incest survivors.Journal of Consulting and Clinical Psychology , 64,983-992.

- Katz,J.,Street,A.,&Arias,I.(1997).Individual differences in self –appraisals and responses to dating violence scenarios.Violence and Victims,12,265-276.

- Kiesler,C.(1966).Some myths of psychotherapy research and the search for a paradigm. Psychological Bulletin,65,110-130.

- McAdams,D.(1993).Stories we live by.New York: Guilford Press.

- McCullogh,M,E.,Rachal ,K,C.,Sandage, S.J.,Worthington,E.L.Jr. ,Brown, S.W.,& Hight,T.L.(1998).Interpersonal forgiving in close relationships: II.Theoretical elaboration and measurement.Journal of Personality and Social Psychology,75,1586-1603.

- McCullough,M.E.,Sandage,S.J.,&Worthington,E.L.,Jr.(1997).To forgive is human:How to put your past in the past. Downers Grove,IL: Intervarsity Press.

- McCullough,M.E.,&Worthington,E.L.,Jr.(1994).Encouraging clients to forgive people who have hurt them :Review.critique , and research prospectus.Journal of Psychology and theology,22,3-20.

- McCullough,M.E.,&Worthington,E.L.,Jr.(1995).Promoting forgiveness :A comparison of two brief psychoeducational group interventions with a waiting –list control. Counseling and Values,40,55-68.

- McCullough,M.E.,&Worthington,E.L.,Jr.(1995).Promoting forgiveness: A comparison of two brief psychoeducation group interventions with a waiting –list control.Counseling and Values,40,55-68.

- McCullough,M.E.,Worthington,E.L.,Jr.,&Rachal ,K.C.(1997). Interpersonal forgiving in close relationships.Journal of Personality and Social Pschology,73,321-336.

- North,J.(1987).Wrongdoing and forgiveness.Philosophy,62,499-508.

- Pargament ,K.I.(1997).The psychology of religion and coping :Theory ,research, practice. New York: Guilford Press.

- Pargament,K.I.,Sullivan,M.S.,Balzer,W.E.,Van Haitsma ,K.S.,& Raymark , p.H.(1995).The many meanings of religiousness: A policy capturing approach.Journal of Personality ,63,953-983.

- Thoresen,C.E.,Luskin,F.M.,& Harris,A.H.S.(1998). The science of forgiveness interventions: Reflections and suggestions.In E.L., Worthington ,Jr.(Ed.),Dimensions of forgiveness: Psychological research and theological perspectives (pp.163-192).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Trainer,M.F.(1981).Forgiveness: Intrinsic ,role –expected,expedient ,in the context of divorce. Unpublished doctoral dissertation ,Boston University , Boston,MA.

-Wampold,B.E.,Mondin,G.W.,Moody,M.,Stich,F.,Benson,K.,& Hyun-nie,A.(1997).A meta-analysis of outcome studies comparing bona fide

psychotherapies :Empirically." all must have prizes ". Psychological Bulletin, 122 ,203-215.

- Watzlawick,p.(1988).Ultra-soluations or how to fail most successfully. New York: Norton

- Wilson,E.O(1998).Consilience: The unity of knowledge.New York: Vintage.

- Worthington,E.L.,Jr.(1998). Introduction.In E.L. Worthington ,Jr.(Ed.) , Dimension of forgiveness:Psychological research and theological perspectives (pp.1-8).Philadelphia:Templeton Foundation Press.

- Worthington ,E.L.,Jr.(1998).The pyramid model of forgiveness..In E.L.Worthington,Jr.(Ed.), Dimension of forgiveness:Psychological research and theological perspectives (pp.1o7-137).Philadelphia: Templeton Foundation Press.

- Zerubavel ,E.(1991).The fine line: Making distinctions in everyday life.New York: Free Press.

- Zinnbauer,B.J.(1997).Capturing the meanings of religiousness and spirituality: one way down from a definitional tower of Babel.Unpublished doctoral dissertation ,Bowling Green State University ,Bowling Green ,Ohio.

المحررون فى سطور:

ميشيل إ.ماكلو:

دكتوراه فى الفلسفة، مدير بحوث بالمؤسسة القومية لبحوث الرعاية الصحية فى روكفيل بماريلاند. وقد عنى دكتور ماكلو بدراسة التسامح، وارتباط الدين والروحانية بالصحة الجسمية والنفسية، وتأثير الدين والروحانية فى الإرشاد والعلاج النفسى، والرعاية التى تقدم للأفراد في نهاية الحياة، ويعد ماكلو المؤلف الرئيس لكتاب "تسامح لتكن إنساناً" (دار انترفارستى للنشر) مع ستيفن ج.سانداج وإيفيت ورثنجتون، وهو المؤلف المشارك لكتاب الدين والصحة: استعراض البحوث المجراة على مدى قرن (دار جامعة أكسفورد للنشر) مع هارولد ج كوينج، ودافيد ب لارسون. ودكتور ماكلو هو رئيس بحث التسامح، وجماعة المناقشة الإلكترونية لشبكة الباحثين المعنيين بدراسة التسامح. وتدعم مؤسسة جون تيمبلتون ومؤسسة ناثان كمينجز، ومعهد فيتزر بحوثه الحالية.

كينث آى بارجيمنت:

دكتوراه فى الفلسفة، وهو أستاذ علم نفس بجامعة ولاية باولنج جرين، ومدير التدريب العيادى (الإكلينيكى) لبرنامج الدكتوراه فى علم النفس العيادى (الإكلينيكى). وقد نشر بحوثاً على نطاق واسع فى الدراسة النفسية للدين، والمشقة، والمواجهة، وهو مؤلف كتاب الدراسة النفسية للدين والمواجهة: النظرية، والبحث، والممارسة (دار جيلفورد للنشر). وهو عضو برابطة علم

النفس الأمريكية، والجمعية النفسية الأمريكية، وهو الرئيس السابق للشعبة السادسة والثلاثين (الدراسة النفسية للدين) لرابطة علم النفس الأمريكية، وقد حاز على جائزة ويليام جيميز للتميز فى بحث "الدراسة النفسية للدين". دكتور بارجيمنت يتولى إدارة ورش العمل التى تقدم لرجال الدين المسيحى وأساتذة الصحة النفسية، ويمارس العلاج النفسى مع رجال الدين المسيحى وأعضاء الكنيسة، ويتشاور مع الكنائس والمعابد اليهودية.

كارل إ. ثورسين:

دكتوراه فى الفلسفة، وهو أستاذ علم النفس التربوى، وعلوم الطب النفسى /السلوكى بجامعة ستانفورد. وتتضمن اهتماماته البحثية المعروفة على نطاق واسع: تقييم نمط سلوك "A"، وإدارته، ودراسة التنوع المنهجى الضخم فى بحوث الصحة السلوكية /الطب السلوكى، ودور العوامل الدينية والروحية فى الصحة. ويدرس ثورسين حاليًا تأثير العوامل الروحية -إذا كان لها تأثير - على نسب انتشار الأمراض ومعدل الوفيات، وذلك من خلال استطلاع إكلينيكى كبير على مرضى القلب. ويفحص أيضًا تأثير تدريب الراشدين على ممارسة التسامح، وكذلك ممارسة الأعمال التطوعية (الخدمة الغيرية) على الصحة والتنعم. وهو مؤلف سبعة كتب، وما يزيد عن مائة وخمسين مقالاً وفصولاً بكتب، متضمنة فصول قيد الطبع فى الروحانية والصحة فى مصنف علم النفس الصحى الصادر عن رابطة علم النفس الأمريكية، ويشرف مؤخرًا على قضايا خاصة فى الروحانية والصحة بمجلة علم النفس الصحى.

المؤلفون المساهمون فى سطور:

- م. أمير على: دكتوراه فى الفلسفة، معهد المعلومات والتربية الإسلامية، شيكاغو ،إلينويس.

- دونالد ه. بوكم: دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، جامعة نورث كارولينا فى شيبل هيل Chapel Hill، شابيل هيل، نورث كارولينا.

- روى ف. بوميستر: دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، بجامعة كاس وسيترن ريسيرف Case Western Reserve، كليفلاند Cleveland، أوهيو Ohio.

- جيوى ل. بيك: دكتوراه فى الفلسفة، قسم الدراسات الدينية معهد شارلستون، شارلستون، جنوب كارولينا.

- جاك و.بيرى: دكتوراه فى الفلسفة، جامعة فيرجينيا كومنويلث، ريشموند Richmond، فيرجينيا.

- برابه س. شاندرا، دكتوراه فى الطب، قسم الطب النفسى، المعهد القومى للصحة النفسية والعلوم العصبية، بنجالور، الهند.

- إيوجين ج. دى إكولى: دكتوراه فى الطب، ودكتوراه فى الفلسفة (توفى)، قسم الطب النفسى، مستشفى جامعة بنسلفانيا، فيلاديلفيا، بنسلفانيا.

- فيروشكا دى ميرسى : دكتوراه فى الفلسفة، قسم الطب النفسى، مستشفى جامعة بنسلفانيا، فيلاديلفيا، بنسلفانيا.

- **إيليوت ن. دورف**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم الفلسفة، الجامعة اليهودية، بيل آير، كاليفورنيا.

- **روبرت أ. إيمونز**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، جامعة كاليفورنيا- دافيز، دافيز، كاليفورنيا.

- **جولى جولا إكسلين**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، كاس ويسترن ريسيرف Case Western Reserve، كيفيلاند، أهيو.

- **ميشيل جيرارد**: دكتوراه فى الفلسفة، معمل المعرفة واتخاذ القرار، الكلية المهنية للداسات العليا، جامعة فرانسوا -رابيليه، تورز، فرنسا.

- **كريستينا كوب جوردون**: دكتوراه فى الفلسفة،، قسم علم النفس، جامعة تينيس، كونيكس فيل، تينيس.

- **ليسلى س. جرينبيرج** : دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، جامعة يورك، تورنتو، أونتاريو، كندا.

- **تشارلز هالزى**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم الدراسات السنسكريتية والهندية، جامعة هارفارد كامبريدج، ماساتشوشتس.

- **أليكس ه.س. هاريس**: طالب بمرحلة الدكتوراه، كلية التربية، جامعة ستانفورد، ستانفورد، كاليفورنيا.

- **ويليام ت. هويت**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس الإرشادى، جامعة ويسكونسين- مادسن، مادسن، ويسكونسين.

- **فرديدريك لوسكين**: دكتوراه فى الفلسفة، مركز ستانفورد لبحوث الوقاية من الأمراض، كلية الطب، جامعة ستانفورد، ستانفورد.

- **واندا م. مالكوم:** دكتوراه فى الفلسفة، مجلس مستشفى جاتا بالشمال الغربى، نصب برامبتون التذكارى، برامبتون، أونتاريو، كندا؛ معهد وكلية تاندال، تورنتو، أونتاريو، كندا.

- **ميشيل إ. ماكلو:** دكتوراه فى الفلسفة، المؤسسة القومية لبحوث الرعاية الصحية، روك فيل، ماريلاند.

- **إيتن موليت:** دكتوراه فى الفلسفة، معمل المعرفة واتخاذ القرار، الكلية المهنية للدراسات العليا، جامعة فرانسوا - رابيليه، تورز، فرنسا.

- **فاسودا ناريانن:** دكتوراه فى الفلسفة، قسم الديانات، جامعة فلوريدا، جانس فيل، فلوريدا.

- **أندرو ب. نيوبيرج:** دكتوراه فى الطب، قسم الطب النووى وقسم الطب النفسى، مستشفى جامعة بنسلفانيا، فيلادلفيا، بنسلفانيا.

- **ستيفانى ك. نيوبيرج:** ماجستير فى التربية، ماجستير فى العلوم الغربية، ممارس عام، فيلادلفيا، بنسلفانيا.

- **كينث آ. بارجمنت:** دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، جامعة مقاطعة بولينج جرين، بولينج جرين، أوهيو.

- **جون باتون:** دكتوراه فى الفلسفة، معهد كولومبيا اللاهوتى، ديكاتور، جورجيا.

- **ك. تشرز راشال:** ماجستير فى الفنون، قسم الإرشاد النفسى وخدمات التوجيه، جامعة مقاطعة بول، مونسى، الهند.

- **مارك س. ريى**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم علم النفس، جامعة دايتون، دايتون، أوهيو.

- **ستيفن ج. سانداج**: دكتوراه فى الفلسفة، المعهد اللاهوتى المقدس، مقاطعة بال، مينسوتا.

- **دوجلاس ك. سنايدر**: دكتوراه فى الفلسفة، جامعة تكساس، الكلية المركزية، تكساس.

- **ليديا ر. تيموشسوك**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم الطب النفسى، جامعة ماريلاند، كلية الطب، بالتيمور، ماريلاند؛ وبرنامج الطب السلوكى، ومعهد علم فيروسات الإنسان، وقسم البحوث الإكلينيكية، بالتيمور، ماريلاند.

- **كارل إ. ثورسين**: دكتوراه فى علم النفس، كلية التربية، جامعة ستانفورد، كاليفورنيا.

- **جيميس ج. ويليامز**: دكتوراه فى الفلسفة، قسم الدراسات الدينية، جامعة سيراكوس، سيراكوس، نيويورك

- **إيفريت ل. ورثنجتون**: دكتوراه فى علم النفس، جامعة فيرجينيا الإنجليزية، ريتشموند، فيرجينيا.

المترجم فى سطور:

- د. عبير محمد أنور عبد الغني.
- أستاذ مساعد بقسم علم النفس – كلية الآداب– جامعة القاهرة.
- كاتبة أطفال.
- التخصص: علم النفس المعرفي.
- دكتوراه في علم النفس المعرفي – كلية الآداب – جامعة القاهرة.
- عضو بالرابطة النفسية للأخصائيين النفسيين.
- عضو باتحاد كتاب مصر.
- حائزة على جائزة سوزان مبارك لأدب الطفل ٢٠٠٦-٢٠٠٧، وجائزة شومان لأدب الطفل عام ٢٠٠٨-٢٠٠٩.
- لها ما يزيد عن أربعين قصة وكتاب للطفل صادرة عن دار نهضة مصر، والهيئة المصرية العامة للكتاب ، ودار أصالة بلبنان والمركز القومى لثقافة الطفل .

التصحيح اللغوي: محمـد سيد حجاج
الإشراف الفنـي: حـسن كـامـل